الأمير عبد القادر الجزائري
قدس الله سره ونفعنا به آمين

كتاب المواقف

الجزء الأول

كتاب المواقف

فى الوعظ والارشاد

للسيد عبد القادر الجزائرى

رضى الله تعالى عنه ، ونفعنا به آمين

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى   أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتى فعذلتنى   وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

ذكر ابن خلكان ، فى وفيات الأعيان ، بيتين للامام الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى ، وهذان البيتان لسان حال كل عارف ومحقق ، جوابا لكل جاهل منكر متعنت :

هذا كتاب لو يباع بثقله   ذهبا لكان البائع المغبونا
فاحذر فديتك من إعارة مثله   حذرا ولو وضعوا لديك رهونا
إن الكريم كتابه كحريمه   فى الصون يشبه جوهراً مكنونا

قد طبع هذا الكتاب الوحيد فى موضوعه، المفيد فى مجموعه، على نفقة حضرة صاحبة العصمة الجليلة السيدة نبيهه هانم شقيقة حضرتى صاحبي السعادة احمد فؤاد عزت باشا عضو مجلس الشيوخ، وعزيز عزت باشا سفير المملكة المصرية ووزيرها المفوض لدى الدولة البريطانية حالا ، حرم المغفور له العالم النبيل محمود باشا الارناؤدى تنفيذا لوصيته، واحياء لعاطر ذكرته . باهدائه مجانا لحضرات العلماء بالمعاهد الدينية الاسلامية

الجزء الأول

مطبعة الشباب لصاحبها محمد عبد العزيز الصدر

فهرست الجزء الاول من كتاب المواقف

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

تمت فهرست الجزء الاول

كتاب المواقف

فى الوعظ والارشاد

للسيد عبد القادر الجزائرى

رضى الله تعالى عنه ، ونفعنا به آمين

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى — أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتى فعذلتنى — وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

ذكر ابن خلكان ، فى وفيات الأعيان ، بيتين للامام الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى ، وهذان البيتان لسان حال كل عارف ومحقق ، جوابا لكل جاهل منكر متعنت :

هذا كتاب لو يباع بثقله — ذهبا لكان البائع المغبونا
فاحذر فديتك من إعارة مثله — حذرا ولو وضعوا لديك رهونا
إن الكريم كتابه كحريمه — فى الصون يشبه جوهراً مكنونا

قد طبع هذا الكتاب الوحيد فى موضوعه، المفيد فى مجموعه، على نفقة حضرة صاحبة العصمة الجليلة السيدة نبيهه هانم شقيقة حضرتى صاحبي السعادة احمد فؤاد عزت باشا عضو مجلس الشيوخ، وعزيز عزت باشا سفير المملكة المصرية ووزيرها المفوض لدى الدولة البريطانية حالا ، حرم المغفور له العالم النبيل محمود باشا الارناؤدى تنفيذا لوصيته، واحياء لعاطر ذكرته . باهدائه مجانا لحضرات العلماء بالمعاهد الدينية الاسلامية

الجزء الأول

مطبعة الشباب لصاحبها محمد عبد العزيز الصدر



وبه نستعين

الحمد لله وحده

قال سيدنا وأستاذنا ، وعمدتنا وملاذنا ، العارف المحقق ، والمكاشف المدقق ، مولانا الأمير السيد عبد القادر ، ابن مولانا السيد محي الدين رحمه الله ، أماتنا الله بفضله على محبته ، وحشرنا بكرمه فى زمرته ، تحت لواء سيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين آمين : الحمد لله حمدا يوافى نعمه ، ويكافى مزيده ، اللهم صلى وسلم على رحمة العالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، هذه نفثات روحية ، والقاءآت سبوحية ، بعلوم وهبية ، واسرار غيبية ، من وراء طور العقول ، وظواهر النقول ، خارجة عن انواع الاكتساب ، والنظر فى كتاب ، قيدتها لاخواننا الذين يؤمنون بآياتنا ، اذا لم يصلوا الى اقتطاف أثمارها ، تركوها فى زوايا امكانها ، الى أن يبلغوا أشدهم ، ويستخرجوا كنزهم ، وما قيدتها لمن يقول هذا إفك قديم ، وأساطير الأولين ، ويحجر على الله تعالى ، ويقول أهؤلاء من الله عليهم من بيننا من علماء الرسم ، القانعين من العلم بالاسم ، فاننا نتركهم ، وما قسم الله تعالى لهم ، فاذا أظهروا لنا ملاما وخصاما ، تلونا «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» ونعيرهم أذنا صما ، وعينا عميا ، ونقول لهم آمنا ، بالذى أنزل الينا ، وأنزل

اليكم وآلهنا وآلهكم واحد ، ونحن له مسلمون ، ولا نجادلهم ، بل نرحمهم ونستغفر لهم ، ونقيم لهم العذر من أنفسنا فى إنكارهم علينا اذ جئناهم بامر مخالف لما تلقوه من مشايخهم المتقدمين ، وما سمعوه من آبائهم الأولين ، فالأمر عظيم ، والخطب جسيم ، والعقل عقال ، والتقليد وبال، فلا عاصم الا من رحم ربي ، وطريقة توحيدنا ما هي طريقة المتكلم ؛ ولا الحكيم المعلم ، ولكن طريقة توحيد الكتب المنزلة ، وسنة الرسل المرسلة ،وهي التى كانت عليها بواطن الخلفاء الراشدين ، والصحابة والتابعين ، والسادات العارفين ، وان لم يصدقوا الجمهور والعموم ، فعند الله تجتمع الخصوم ، وقد اشرت ، الى بعض ماذكرت ، فى شبه مقامة لى وهي قولى : حضرت محاضرة من محاضرات الشرفا ، ومسامرة من مسامرات الظرفا ، فى ناد من أندية العرفا ، فجاءوا فى سمرهم بكل طرفة غريبة ، ومستظرفة عجيبة ، وكان الحديث شجونا ، وألوانا وفنونا ، الى أن تكلم عريف الجماعة ، ومقدم أهل البراعة فقال : احدثكم بحديث هو أغرب ، من حديث عنقاء مغرب ، فاشرأبوا لسماعه ، ومدوا أعناقهم ، وفرغوا قلوبهم ، وحدقوا أحداقهم ، فقال : إن فى الوجود معشوقة ، غير مرموقة ، الأهوية اليها جانحة ، والقلوب بحبها طافحة ، والابصار الى رؤيتها طامحة ، يطير الناس اليها كل مطار ، ويرتكبون الاخطار ، ويستعذبون دونها الموت الاحمر ، ويركبون لطلبها المكعب الاسمر ، ولا يصل اليها الا الواحد بعد الواحد ، فى الزمان المتباعد ، فاذا قدر لاحد مشارفة حماها ، ومقاربة مرماها ، القت عليها كسيرا لا لاه مادة ، ولا مدة ، ولا هو عين معتدة ، فيحصل انقلاب عينه ، وجميع الاعيان فى عينه ، الى عين هذه المعشوقة ، التي هى غير مرموقة ، المعلومة المجهولة ،

المغمودة المسلولة ، الباطنة الظاهرة ، المستورة الساترة ، الجامعة للتضاد، بل ولجميع انواع المنافات والعناد ، ولا يقدر يعبر عنها بعبارة ، ولا يشير اليها باشارة ، أكثر من قوله اني وصلتها وحصلتها ، وبعد التعب والعنا ، ومعانات الضنا ، وجدت هذه المعشوقة انا ، ويتبين لى انى الطالب والمطلوب ، والعاشق والمعشوق ، فما كان هجرى للذاتى ، الا فى طلب ذاتى ، ولا كانت رحلتى ، الا لنحلتى ، ولا وصولى الا إلىّ ، ولا تفتيشى الا علىّ ، ولا كان سفرى الا منىّ فى الىّ فيقال له هل رأيت محياها ، وشممت رياها ، حتى قلت أنا إياها، فيقول رأيت، وما رأيت، وما رميت إذ رميت ، ويأتي بأوصافها بما تنبو عنه العقول ، ولا تحتمله ظواهر النقول ، ما طرق الأسماع ، ولا طمعت فى فهمه الأطماع ، يرفع الضدين تارة وتارة يجمعهما ، ويجمع النقيضين ويضمهما ، فيقال له هذا الذى تقوله ثبت عندك بدليل أو برهان فيقول لا دليل بعد عيان

وكيف يصح فى الأذهان شيء إذا احتاج النهار الى دليل

فيراجع فلا يرجع ، ويغلط فلا يسمع ، وحينئذ يحكم الناس عليه بالجنون والعته والسفه والبله ، ويجهّلونه ولو كان أعلمهم، ويسفّهونه ولو كان أحلمهم ، ويستبيحون منه العرض ، فى الطول والعرض ، ويجعلونه مرمى غمزهم ولمزهم ، ونبزهم ووكزهم ، يهجره الحميم العاطف ، ويقليه الصديق الملاطف ، وهو مع هذا ناعم البال بما لديه ، قرير العين بما حصل بين يديه ، لا يلتفت الى قطعهم وهجرهم ، ولا يبالى بلغوهم فيه وهجرهم ، فلما تمت القصة ، واجتليت عروسها على المنصة ، وما كاد ان ينقضى إعجابنا منها ، واستغرابنا لها ، قلت لهم ياقوم الستم تعلمون انى طلاع الثنايا ، وسباق الكتيبة

الى معترك المنايا ، فانا آتيكم بحقيقتها و مجازها ، وأفك لكم المعمّى من الغازها أو أموتُ فاعذر ، ولا على إن لم اقبر ، فقال لي بعض المستبصرين من الحاضرين ، وكان ممن جرب هذا الأمر ، وفر عن تجربته الدهر : ان صدقت لهجتك ، وهانت عليك مهجتك ، وأردت الوصول إلى ذلك الجناب ، وقطع تلك الجبال والبحار والهضاب ، فاركب نسرا او غراب ، وانه لا ينال ما قصدت الا من كان على الهمة قوى العزمة .

اذا هم القى بين عينيه عزمة ونكب عن طرق العواقب جانبا
ولم يستشر فى رأيه غير رمحه ولم يرض الا قايم السيف صاحبا

لا يصرفه صارف ، ولا تحركه العواصف ، حلس من احلاس الخيل مله النهار والليل ، أسد فى شجاعته ، خنزير فى حملته ، كلب فى وقاحته ، اذنه صما عن العاذل ، وعينه عميا عن الهاجر والواصل ، وطريق مطلوبك طامسة ، واعلامها دارسة ، بحرها تيار ، وهواؤها نار ، وأرضها مفاوز قفار ، أسدها كواسر ، وأغوالها عن أنيابها حواسر ، مهامه فيح مجاهل ، العارف فيها جاهل ، والدليل الخريت بها حائر ، والتيه فيها هلاك حاضر ، فقلت له : جهتها أي الجهات ، فقال لى هيهات هيهات ، لا يستفهم عنها بمتى ولا أين ، ولا يرشد اليها أثر ولا عين ، فاعتمدت على الواحد الأحد ، لا ألوي على احد ، فمررت فى طريقى ، على فرق من فريقى ، فرأيتهم بين سادم باهت ، لا هو بالحاصل ولا الفايت ، وبين حاير واقف ، التبست عليه المواقف ، وبين غريق فى لجج تلك البحار ، وتايه فى تلك المفاوز القفار ، وبين من نقبت راحلته ، وآخر كبرت زاملته ، وبين من يدب دبيب النمل ، حافيا بلا نعل ، مررت على جماعة منهم فى بعض المشاهد فانشدوا لى قصيدة

فيها نحو العشرين بيتا ، رجعت الي الحس ببيت واحد منها ، وهو « أيا من نحن فى تعب الجبال ، وهـو يخوضها ولا يبالى » وما زلت ممتطيا صحوتى النسر والغراب، محملا لنفسى كل مكروه مستعذبا لانواع العذاب ، لا تطمئن بى دار ، ولا يستقر بى قرار ، إلى أن ظهرت لى الأعلام ، التى ظهرت لمن قبلى من الوافدين الاعلام ، ونادى المنادى ، وحدا الحادى ،

ابشر بوصل فهذه العلامات　　كم طالبين ودون الوصل قد ماتوا

وألقى علىّ ما ألقى عليهم ، وثبت لدىّ ما ثبت لديهم ، ولما وصلت حيث وصلوا ، وحصلت على ما عليه حصلوا ، طلبت الاباحة والجواز ، إلى التقدم والجواز ، وقد عرفت الحقيقة والمجاز ، فقيل لى لا تتخط رقاب الصديقين أرجع فماوراء موقفك الا العدم المحض، لا ثبات ولا ركض ، وحين رجعت الى الاصحاب ، قالوا ما وراءك ياعصام ، فقلت القـول ما قالت حـذام ، ولـكن يا قوم، لا تعجلوا بالعتب واللوم ، أرأيتم لو جاءكم عنين عدبم حاسة الذوق ، وقال عرفونى لذة الجماع بم كنتم تفهمونه، علم ذلك وتعلمونه ، فقالوا لاسبيل الا الذوق لمـا هنالك ، فقلت لهم وهـذا من ذلك ، فمنهم من سـلم وانصـف ، ومنهم من لجّ وتعسف ، وربك أعلم بمن هو أهدى سبيلا ، وأقوم قيلا ، وعندما ينجلي الغبار ، يتبين راكب الفرس من الحمار

فلو رأيت الذى شاهدته علنا　　لـكنت تعـذرنا اذن أعاذلنا
وكنت تعلم كيف الامر متضح　　وكيف قلنا الذى قلنا وقيل لنا
وكنت تبكى دما تقول وا أسفاً　　وتبذل الروح منك كى تواصلنا
محزون قلب له شغل بغايته　　ترى لنا الفضل حيث الله فضلنا
فشؤم نكرك يا مشؤم حاق بكم　　ما راعنا أبداً وقتا وهوّلنـا

فنحن فى غبطة صفا الزمان لنا　　منعمون بما الآله خوّلنا
جمالنا بعلوم أنت تجهلها　　بها حبانا الذى أهدى وجمّلنا
عرفنا كل الذى وصفتمونا به　　ونحن أعرف منكم بانفسنا
بل نحن أعرف منكم بأنفسكم　　عرفنا منزلكم لم تدروا منزلنا
فأنتم عندنا أرواح طاهرة　　ونحن عندكم رجس أجاهلنا

يا صاح انك لو حضرت سماءنا　　وقت انشقاقها حين لا تماسك
وشهدت ارضا زلزلت زلزالها　　القت ما فيها والجبال دكادك
ونظرت ارضا بدلت وسماءنا　　وبرزخنا حللنا وكل هالك
وشهدت صعقتنا والآله (١) قائل　　الملك لى اليوم مالى مشارك
ثم الافاقة والمهيمن يلقى من　　آياته ويقول أنت مبارك
لشهدت شيأ لا يطاق شهوده　　وسمعت مالا منه يدرك دارك
وعلمت أن القوم ماتوا حقيقة　　فلذا أباح لهم حماه المالك

امطنا الحجاب فانمحا غيهب السوى　　وزال أنا وأنت وهو فلا لبس
ولم يبق غيرنا وما كان غيرنا　　انا الساقى والمسقي والخمر والكاس
تجمعت الاضداد فىّ واننى　　انا الواحد الكثير والنوع والجنس
فلا تحتجب بما ترى متكثرا　　فما هو الا شخصنا النزه القدس
فما كنت ناظرا بنا أنت ناظر　　إلينا وإلا أنت أعمى به طمس
هو الدين توحيدى فلا تحسبن غيرى　　يوحدنى غيرى هو الشرك والرجس
فما دمت غيرنا فأنت شريكنا　　وهل ثم غير يا بليد به هوس
وما دمت موجودا فشركك ظاهر　　فان لم تكن فربما رحل النحس

---

(١) وفى نسخة ــ وربك

ففارق وجود النفس تظفر بالمنا	وزايل ضلال العقل اذ أنه الحبس
وما توحيدي المقبول قولا وإنه	لفعل فلا يغررك جن ولا إنس
وما هو الا أن تصير الى الفنا	وتصعق ليس ثم روح ولا حس
تشاهد أحوال القيامة جهرة	تهيالك الأكفان والغسل والرمس
هناك تصير موقنا وموحدا	وتعرف ماهي الذنابة والرأس
ويفني الذى قد كان من قبل فانيا	ويبقى الذى لازال قبل هو الأس
فان كنت ذا فأنت ذا الملك الذى	له عنت الوجوه أصواتها همس

تجلى لى المحبوب من حيث لايرى	فاعجب به أراه من حيث لاأرى
وغيبني به فغاب رقيبنا	وزال حجاب البين وانحسم المرا
فصرت أراه كل حين ولحظة	وقد كان غايبا وقد كان حاضرا
وماعرف الخلاق إلا بجمعه	لضدين من كل الوجوه تنافرا!
وواصلنى فلا تناكر بعد ذا	وقربنى فكان سمعا وباصرا
أسر الىّ حيث لابين بيننا	بسر حكى لطف النسيم إذا سرا
ولاطفنى بقوله الحق معلنا	انى قداخترت قداصطفيت بلا امترا
وباسطنى ياما الذه قائلا	تمتع وكحّل بالجمال نواظرا
فقد طالما قد كنت تصبو الى اللقا	وكان جمالى بالحجاب مسترا
وكم من شهيد مات بالشوق والفنا	محب لذاك الحسن لو كان قدّرا
وكم من شهيد للغرام مشاهد	لبعض الذى شاهدت مات فأقبرا
وذا قيس عامر تخيل نورنا	فى ليلى فمات والها متحيرا
لقد سبقت بالفضل منا عناية	اليك فحدث عن عطاى مخبرا
وغن ودندن لاتمل لمفند	وكن فرحا بالوصل لله شاكرا!

تملّ وقر عينا وأنعم بوصلنا ... أبحنا لك الذى تراجلّ ماترا
وته وتدلل أنت أهل لكل ذا ... فمن له مثل ذا يكن بذا أجدرا
وقد شرب الحلاج كأس مدامة ... فكان الذى قد كان منه مسطرا
وإنى شربت الكاس والكاس بعده ... وكأسا وكأسا شيا ما انا حاضرا
ومازال يسقينى وما زلت قائلا ... له زدنى ماينفك قلبى مسعرا
وفى الحال حال السكر والمحو والفنا ... وصلت الى لا أين حقا ولاورا
أنا الموسوي الاحمدي وراثة ... صعقت ودك طورنا جرا ماجرا

أوقات وصلكم عيد وأفراح ... يامن هم الروح لى والروح والراح
يامن اذا اكتحلت عينى بطلعتهم ... وخفقت فى محيا الحسن ترتاح
دبت فى كل جوهره حمياهم ... عقل ونفس وأعضا وأرواح
فمانظرت أبدا الي شيء بدا ... الا وأحباب قلبى دونه لاحوا
نظرت حسن الذى لاحسن يشبهه ... فلا يروق لقلبى بعد ملاّح
وليس لطاقة الرؤية لغيرهمو ... ولو قلتنى الورى لذاك اوشاحوا
غرقت فى حبهم دهرا وها أنا ذا ... فى بحرهم سفنٌ حقا وملاح
ما ذا على من رأى يوما جمالهم ... ان ليس تبدو له شمس وأشباح
أجبال مكة لو رأت محياهم ... حنوا ومن شوقهم ناحوا وقد صاحوا
شهب الدرارى مدى الازمان سابحة ... لو ابصرتهم لما جاؤا ولا راحوا
لو كنت أعجب من شيء لاعجبنى ... صبر المحبين ماناحوا ولا باحوا
أريد كتم الهوى حينا فيمنعنى ... تهتكى كيف لا والحب فضاح
لاشيء يثنى عنانى عن محبتهم ... ولا الصوارم فى صدرى وأرماح
قال العذول بكم سحر فقلت له نعم ... وذا السحر صحة واصلاح

لازال يربو مع الآنات بى أبدا ⠀⠀ فلى به بين أهل العشق أمداح
ياعاذلى كن عذيرى فى محبتهم ⠀⠀ فان قلبى بما تهواه مشحاح
إن الملام لأغراء وتغوية ⠀⠀ مهلا فانك مكثار وملحاح
إنى لأهجر خلا لايحدثني ⠀⠀ عنهم وماله من توراتى الواح
شرع المحبة قاض فى حكومته ⠀⠀ بصرم خل غدا من شجونى مرتاح
مسكين ماذاق طعم العشق منذ بدا ⠀⠀ فذاق من جملة الانعام سراح
مابات يرعى النجوم ساهرا قلقا ⠀⠀ اساويد الشوق فى احشائه طاحوا
مادب فى عظمه خمر الهوى أبدا ⠀⠀ ولا يشجه من سعاد أرواح
فما نديمى ولا سميرى غير فتى ⠀⠀ له لأخبارهم نشر وافصاح
لاكسب بل ولا شغل ولا عمل ⠀⠀ فقى حديثهم تجر وأرباح
ماجنة الخلد إلا فى مجالسهم ⠀⠀ فيها ثمار وأطيار وأدواح
هوى المحب لدى المحبوب أين ثوى ⠀⠀ يرتاح مهما تهب منه أرواح
أودُ طول الليالى ان خلوت بهم ⠀⠀ وقد أديرت أباريق وأقداح
يروعنى الصبح ان بدت طلايعه ⠀⠀ ياليته لم يكن ضوء وإصباح
ليله بدا مشرق من حسن طلعتهم ⠀⠀ والدهر كله أنوار وأفراح
اسكن فؤادي وقر ناعما شاكرا ⠀⠀ بلغت ما رمت قر الناس أوساحوا
واطلب آلهك فى المزيد أن له ⠀⠀ خزاينا مالها قفل ومفتاح

أرى الذى افنانى سيخلفنى بعد ⠀⠀ يقوم برسمنا فيشمله الحد
لذاك أرى اسمه يعين رسمنا ⠀⠀ يجيب اذا دعى لارد ولاجحد
فما بالهم يدعونه عبد قادر ⠀⠀ ولم يبق الا قادر ماله عبد
لقد باد من قد كان من قبل بائدا ⠀⠀ وزال خيال الظل وارتفع السد

وزال عن العقل المصون حجابه ... فصار ضلالا مايراه له رشد
فلست أنا ذاك الذى تعرفونه ... الا فاطلبوا من ذا يكلمكم قصد
ولستم أنتم الذين عرفتهم ... فما عمروكم عمرو ولا زيدكم زيد
لقد ضاق صدرى بالذى أنا واجد ... وتعبيرى مايفى فيبدو ولا يبدو
الا فاعذروا من ذاق أن ضاق صدره ... كما أن من قد ذاق عاذركم يغدو

لقد حرت فى أمرى وحرت فى حيرتى ... فأى الأمور ثابت هو لي أى
فهل أنا موجود وهل أنا معدوم ... وهل أنا ثابت وهل أنا منفى
وهل أنا ممكن وهل أنا واجب ... وهل أنا محجوب وهل انا مزى
وهل أنا فى قيد وهل أنا مطلق ... ولست سماويا ولا أنا أرضى
وهل أنا فى حيز وهل عنه نازح ... وهل أنا ذا شىء وهل أنا لاشى
وهل أنا ذا حق وهل أنا ذا خلق ... وهل عالمى غيب أو انى شهادى
وهل أنا جوهر وهل أنا ذا كيف ... وهل أنا جسمانى او انى روحانى
وهل أدرى من أنا فى هذا تحيرى ... وهل أنا ذا ميت وهل انا ذا حى
وهل أنا مجبور وهل لى خيرة ... وهل أنا عالم وهل جاهل عى
وهل فاعل أنا وهل غير فاعل ... وهل قدري يقال أو انا كسبي
وكنت أرانى فاعلا ثم بعد ذا ... رأيتنى فاعلا به وذا بادى
ومن بعد ذا رأيته بى فاعلا ... بعكس الذي قد كان والأمر ملوى
ولم يبق ذا وذا ولا ذاك باقيا ... فلم يبق الا الله ما له ثانى
فان شئت فاثبت لى النواقص كلها ... وان شئت فادفعها فنشرك لى طى
وأني حال السحق والمحو والفنا ... رجعت لاطلاق لارشد ولا غى
وصرت الى حق وربى وغيبتى ... فلا خلق لاعبد ولا شى كوني

تجردت من حسي ومن نفسي راقيا ومن روحي حتى قيل أنني قدسي

أيا حيرتي وما الذي أصنع لقد ضقت ذرعا فما ينفع
أكاد تراني منفطرا جواهري مبثوثة أجمع
وطورا أذوب كثلج بما فآل الى أصله أنقع
وكلما قلت هذا مخرج يسد عليّ فما أطلع
فان كنت غيرا أنا مشرك وان كنت عينا فذا أفظع
وان كنت لاذا ولاذا أنا فكل النقيضين لا يرفع
وان كنت ذاك وذاك أنا فكل النقيضين لا يجمع
وأين تسميه لى ظاهراً اذا لم يكن برقه يلمع
وأين تسميه لى باطنا اذا كان هذا هو الدفع
وان كان لى ظاهراً باطناً فقد جمع الضد لى مجمع
وكل العوالم طورا أنا أنا العالم الأكبر الأجمع
وطورا لا شيء يقال له فقير دعاه فلا يسمع
انادي مغيثا فلا منجد ولا من يجير ولا يدفع
فهل من دوا بهذا العضال فيهات هيهات لامطمع
وكل طبيب شكوت له يقول فذا الداء لي الموجع
وأهرب من حيرتي كلما توالت فكان لها المرجع
فحيرتي ما كنت كائنة وحتى القيامة لاتقلع
فاشكو الى حيرتي حيرتي فليس إلى غيرها مفزع
وكم وكائن بهذا أبتلى وكل لقد ضم ذا المصرع
فياخيبة العقل في حكمه علي العين سترى فلا يقشع

فأين الذى فوق عرش على ومن هـو فى أسفل الأرض عو
ومن أينما نتولى فهو له ثم وجـه له برقع
ومن أينما كنا معنا يكن ومن يتحول فى صـور فاسمعوا
فما بين هذا وذه وته عقول الورا اغتالها سبع
وتاهت فى بيداء مظلمة مجاهل أرواحها زعزع
سكارى وشتي مذاهبهم وكل يقول الىّ اهرعوا
فعنـدى النجاة وعندى الهـدى وعنـدى السبيل وذا المهيـع

أنا مطلق لاتطلبوا الدهر لى قيـدا ومالى من حـد فلا تبغوا لى حـدا
ومالي من كيف فيضبطني لـكم ولا صورة لاعـدو منهـا ولا بدا
ومالي شأن يبقى آنين ثابتـا وان شؤنى لايحاط بهـا عـدا
ومالي من مثـل ومالي من ضـد فلا تطلبوا مثلا ولا تبغوا لى ضدا
ولاتنظروا غـيرى من كل صورة فلا تنظروا عمرا ولا تنظروا زيدا
ولاتطلبوا غيرى فما هو كائن سوى خيالات تحسبون لها وجدا
وما هي الا سترة قد نصبتها لأبله عقل صور صبحت عينه رمدا
الا فانظروا الى الحبيب وفـكروا فهل غـيره ماصار صورته زبدا
فلا كائن الا أنا به ظاهر ولا كائن يكون لى أبدا قيـدا
ولا باطن الا أنا ذاك باطن ولا ظاهر غيرى فلا أقبل الجحدا
فقل عالم وقل آله وقل أنا وقل أنت وهو لست تخشى به ردا
تعددت الأسمـا وأنى لواحـد ألا فاعبـدوني مطلقا نزها فردا
أنا قيس عامر وليـلى محققا محبـا ومحبوبا وبينهما ودا
أنا العابد المعبـود فى كل صورة فكنت أنا ربا وكنت أنا عبـدا

فطورا ترانى مسلما أى مسلم زهودا نسوكا خاضعا طالبا مدا
وطورا ترانى للكنائس مسرعا وفى وسطى الزنار أحكمته شدا
أقول باسم الأبن والأب قبله وبالروح روح القدس قصدا ولا كيدا
وطورا بمدارس اليهود مدرسا اقرر توراة وأبدى لهم رشدا
فما عبد العزير غيري عابد ولا أظهر التثليث غيرى ولا أبدا
ولا أورى نار الغرس غير موري وما قال بالاثنين الا أنا لحدا
انا عين كل شى فى الحس والمعنى ولاشيء عينى فاحذر العكس والطردا

يامن غدا عابدا لفكره فقف فأنت ياغافلا علي شفا جرف
جعلت عقلك هاديا ونور هدى أضلك العقل أيقن أنت فى تلف
نحتّ ربا كما تهوى وقلت به تظل تعبد ما خلقت فى شغف
صوّرته صورة بالوهم باطلة حكمت جورا عليه جور معتسف
حكمت عقلك فى الرب العظيم فما تنفك تحكم فيه حكم ذى سرف
تقول ليس كذا وليس هو كذا الحق فى طرف وأنت فى طرف
قيدتم مطلقا لاقيد يحصره القيد حد وليس الله كالهدف
فكيف تنكر وصفه حقيقته نفيت ماأثبت القرآن فى صحف
لولا توهم ان النقص يلحقه لما نفيت فان النفى بعد يفى
الحق فى مشرق والعقل فى مغرب شتان ما بين ذا وذا فلا تخف
عليك بالشرع فالزم طريقته فحيثما سار سر وان يقف فقف
ان قال ليس كمثلى شيء قل هو ذا أو قال لي أعين فقل بذا كلفي
شبهه ترهه فى التشبيه حتى ترى منزها اخا تشبيه بلا جنف
لاشك أنك يوم الحشر تنكره إذا تجلى لجمع الخلف والسلف

وتستعيذ عياذا منه جهلا فيا خسارة العقل ياويلاه من صدف
عندى من العلم لبه وجوهره والناس أعينهم ترنو الي الصدف
قد قيدتهم عوائد وثبطهم تقليد من يمشى نحو الظلمة السدف
فلو وجدت له أهلا لبحت به مستخرجا كنزه المحفوف بالطرف
لكن أهله قد مضوا فلا طالب تلقاه يسمو الى العلياء والشرف

أرانى كلما توهمت سلوانا أجدحشوا حشاى من الشوق نيرانا
نيرانا فلو أن البحار جميعها بها صبت كان حرها ضعف ما كانا
يؤججها نسيم نجد إذا سرى وتذكيها أرواح تناوح ألوانا
فلو أن ماء الأرض طرا شربته لما نالنى ري ولا زلت ظمآنا
وكلما قلت قد تدانت ديارنا لاسلو عنهم زادنى القرب أشجانا
فما القرب هو لى شفا ولا البعد نافع ففى قربنا عشق يخلينى هيمانا
وفى بعدنا شوق يقطع مهجتى ولا تقطيع الخليل للشعر ميزانا
فيزداد شوقى كلما زدت قربة ويزداد كلما بهم زدت عرفانا
فيا قلبي المجروح بالبعد والدنا دواؤك عزّ لست تنفك ولهانا
ويا كبدى ذوبى أسى وتحرقا ويا ناظرى لازلت بالدمع غرقانا
أسائل عن نفسى فانى ضللتها وكأن الجنون مثل ما قالوا أفنانا
أسائل من لاقيت عنى والها ولا أتحاشا رجلانا ولا ركبانا
أقول لهم من ذا الذى هو جامعى علىّ أكن له مدى الدهر حلوانا
وأسئل عن نجد وفيه مخيمى وأطلب روض الرقمتين ونعمانا
منازل هن مربعى ومصيفى مذ كنت الى أن صرت ادعى شيبانا
ومن عجب ماهمت الا بمهجتى ولا عشقت نفسى سواها وما كانا

انا الحب والمحب والحب جملة   انا العاشق المعشوق سرا واعلانا
أقول انا وهل هنا غير من أنا   فما زلت فى أنا ولوهاً وحيرانا
ففي انا كل مايؤمله الورى   فمن شاء قرآنا ومن شاء فرقانا
ومن شاء توراة ومن شاء انجيلا   ومن شاء مزمارا زبورا وتبيانا
ومن شاء مسجدا يناجيه ربه   ومن شاء بيعة ناقوسا وصلبانا
ومن شاء كعبة يقبل ركنها   ومن شاء أصناما ومن شاء أوثانا
ومن شاء خلوة يسكن بها خاليا   ومن شاء حانة يغازل غزلانا
ففي أنا ماقد كان او هو كائن   لقد صح عندنا دليلا وبرهانا

ياعظيما قد تجلى   كل مجلي له مجلي
انت مبدى كل باد   انت ابدي انت أجلى
كل من فى الكون أنتم   أنت مولى كل مولى
حسنك البارى تعالى   ان نرى عنده مثلا
كل حسن مستعار   من جمال قد تدلى
أي حسن أي حسن   غير حسن قد تعلى
كنت قبل اليوم صبا   اسأل المحبوب ميلا
فازال الستر عنى   فبدالى الفصل وصلا
زادنى القرب احتراقا   فانا بالوصل أصلى
عجبى من عشق نفسى   ماحببت غيرى أصلا
ليس تشبيبي وغزلى   وغرامي الا الا
أنا سعدى أنا سلمي   انا هند أنا ليلى
انا بدر أنا شمس   أنا صبح قد تجلى

أنا نور أنا نار　　أنا برق ضاء ليلا
انا كأس أنا خمر　　أنا اسقي أنا أملي
كتب العشق زبورا　　فى فؤادي فهو يتلا
كل يوم كل حين　　كل آن فهو يملى
ما نسيت الدهر وقتا　　قد تقضى بالمصلا
بين أنس بمهاة　　وغزال قد تحلا
وحسنات غانيات　　كحيلات ولا كحلا
وأسود ضاريات　　تصرع الأبطال قتلا
كل نعماكم لذيذ　　ونعيم الوصل أحلى
كل بلواى حقير　　حيث كنتم بى اولى

يقولون لا تنظر سعاد ولا علوا　　وعد عن الآثار واقصد لمن تهوى
فانك مكلوم الفؤاد متيم　　اخوجنة بل منها داؤك ذا ادوا
وقد ملك الليل البهيم تحرقا　　كأنك ملسوع وحالك ذا أسوا
فقلت أرانى ماأرى غير من سبا　　فوأدى ومن قد ضاعف الضر والبلوا
نظرت اليه والمليحة تحسبن　　نظرت اليها لا ومبسمه الأضوا
ولكن جمال من أحب تبدا لى　　فها أنا ذا أبدى اليه به الشكوى
يكلمنى بالرمز من خلف ساتر　　وما كل ماأملت عيون الظبا يروى
فلا متكلم سواه مخاطب　　ولا سامع الآه للسر والنجوى
أخاطبني أياى فيه تحققا　　فاسمعنى اياى فىّ ولا غروا
فياويح ماأعلل النفس فى الهوي　　ولا أرتجى وصلا ولا أرتجى سلوا
فقل للذي ماذاق طعم شرابنا　　ولا خاض بحرنا حقيقا ولا دعوا

اليك تنحا اننا خضنا أبحرا وتلك البحار بعدنا تركت رهوا

لاتعجبوا من حديثي جل عن عجب حقيق قولي لالغو ولا كذب
ولدت جدي وجدته وبعدهما أبي تولد عن أمى وأي أب
وبعد ذا ولدوني بعد كوني أنا ووالدي البر تومان فى صلب
وكنت من قبل فى الحجور ترضعني بطيب البانها الا مات لاترب
وليس يدري الذي أقول غير فتي قدجاوزالكون من عين ومن رتب

فيانورا بلا شمس ويا شمسا بلا نور
ويابحرا بلا حد وساحلا بلا بحر
ويا نكرا بلا عرف ويا عرف بلانكر
وياغيرا ولا عين ويا عينا بلا غير
وياسترا بلا كشف ويا كشفا بلا ستر
ويافجرا بلا ليل ويا ليلا بلا فجر
ياحيرتى يادهشتي ياحرف ماله مقر
لقد حيرتني حتي فى حيرتى وفى أمري
وحار كل ذي كشف وذي عقل وذي فكر
وغاية الذي يبغى عرفناكم الي خسر

وما نحن ان حققت بالغير والسوى هويته سمعى هويته البصر
هويتـه عقلي هويته قلبي هويته كلى لاتبقى ولاتذر
هويته رجلي هويته يدي هويته نفسى وانني ماذكر
وما حلني ولا حللته انا به فكأنني مذ كنت فاسمع لي واعتبر
تعددت الالقاب والعين واحد فما ثم الا الله لاعين الغير

فشيئان لفظ نحن والعين واحد فانت هو الانا وهو أنت فادكر
يجيب اذا دعوت فهو الذي دعا كرجع الصدأ الثاني فى الحس والأثر

ايا انامن اكون ان لم أكن انت ويا أنت من تكون ان لم تكن انا
مابالكم قلتم آله واعبد فكثرتم لذاك طاشت عقولنا
اذا رفعت من بيننا العين والالف فقد رفع الستر المفرق بيننا
وذلك حين لا أنا لك عابد ولا أنت معبود فزال حجابنا

أنا حق أنا خلق أنا عبد أنا رب أنا عرش أنا فرش أنا نار أنا خلد
أنا ماء أنا نار وهو أنا صلد أنا كم أنا كيف أنا فقد انا وجد
أنا وصل أنا فضل أنا قرب أنا بعد أنا ذات أنا رصف أنا قبل انا بعد

أنا كون ذاك كونى انا وحدي أنا فرد لاشك أنى مجبور وجابرنى مجبور
بالعلم منه قيده لا تبديل لاتغيير والعلم ايضا تابع لمتبوع ومقصور
فكلنا فى قبضته مقيد ومحصور فاين لوشئنا ولوأردنا فيه تخيير
ياحيرة العقل وياظلمة مالها نور والجبر لا عذر به لجاهل يامغرور
سوي الذي عرفه كشفا فذاك مبرور فحقق الامر تفز بعلم عندي مدخور
وتنجو مثل من نجى والذنب منك مغفور

تنبيه

لايخفى على الخبير بصناعة الشعر العربى ماتخلل القصائد الشعرية التى أثبتناها آنفا من عدم انطباق كثير منها تمام الانطباق على اللغة العربية والقريض ولكنها لمناسبة صدورها من المؤلف على أسلوب الجذب فى المقالات قد أثبتناها على علاتها بشكلها ووزنها بلا تصرف احتراما للمؤلف رضى الله عنه وسنجرى على هذا المنوال فى كل مايأتى نظما من قبيلها فى بقية الكتاب

لما انفتح الباب وارتفع الحجاب ، واجتمعت الأحباب ، على الشراب اللذيذ المستطاب ، رتب الأفراح ، حيث مادبت الراح ، وبعد أن طار السكر والمحو ونزل الحضور والصحو ، رأيت شمسنا طالعة ، مشرقة ساطعة والناس في ظلمة وليل ، ومرج وويل ، فقلت مابال الناس ، فقيل انهم في عمى وإفلاس ، وما لكم ولهم إنهم عالم وأنتم عالم ، والله غالب على أمره الحاكم العزيز العالم ، انتهى



(الحمد لله وحده)

(الموقف الاول)

قال الله تعالي ، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، هذه الآية الكريمة تلقيتها تلقيا غيبيا روحانيا ، فان الله تعالي قد عودني ، أنه مهما اراد أن يأمرني ، أو ينهاني ، أو يبشرني ، أو يحذرني ، أو يعلمني علما ، أو يفتيني في أمر استفتيته فيه ، الا ويأخذني مني مع بقاء الرسم ، ثم يلقي الي ماأراد باشارة آية كريمة من القرآن ، ثم يردني الي فارجع بالآيه قرير العين ، ملآن اليدين ، ثم يلهمني ماأراد بالآية ، وأتلقى الآية من غير حرف ولا صوت ولا جهة ، وقد تلقيت والمنة لله تعالي ، نحو النصف من القرآن بهذا الطريق وأرجو من كرم الله تعالي ان لاأموت حتي استظهر القرآن كله (١) فانا

---

(١) أخبر سيدنا المؤلف حفظه الله تعالى ومتعنا بطول حياته بعد السؤال من الله سبحانه وتعالي قد حقق رجاءه فاستظهر القرآن كله

بفضل الله محفوظ الوارد ، فى المصادر والموارد ، ليس للشيطان على سلطان ، اذ كلام الله تعالي لا يأتى به شيطان ، ماتنزلت به الشياطين ، ومايذبغى لهم وما يستطيعون ، وكل آية تكلمت عليها انما تلقيتها بهذا الطريق الا ما ندر ، وأهل طريقنا رضى الله عنهم ما أدعوا الاتيان بشىء فى الدين جديد وانما ادعوا الفهم الجديد فى الدين التليد ، وساعدهم الخبر المروي . انه لا يكمل فقه الرجل حتي يري للقرآن وجوها كثيرة ، والخبر الآخر إن للقرآن ظهرا وبطنا ، وحدا ومطلعا ، رواه بن حبان فى صحيحه ، والأثر الوارد عن ابن عباس ، رضى الله عنهما أنه قال : ماحرك طائر جناحيه فى السماء الا وجدنا ذلك فى كتاب الله ، ودعاؤه صلى الله عليه وسلم لابن عباس ، اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ؛ وفى الصحيح عن على كرم الله وجهه ، انه قيل له هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل البيت بشىء دون الناس يعني من العلم ، فقال لا والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة الا أن يكون فهما أعطيه رجل فى كتاب الله ، ومافى هذه الصحيفة ، ومافى هذه المواقف من هذا القبيل ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل ومن أراد ان يبلو صدقهم ، فليسلك طريقهم ، وان القوم رضى الله عنهم ، ما أبطلوا الظواهر ، ولا قالوا ليس المراد من الآية الا مافهمنا بل أقروا الظواهر على مايعطيه ظاهرها وقالوا فهمنا شيئا زائدا على مايعطيه ظاهرها ، ومن المعلوم أن كلام الحق تعالي على وفق علمه ، وعلمه تعالي محيط ومتعلق بالواجب والممكن والمستحيل ، فغير بعيد ان يكون مراد الحق تعالي من الآية ، كل مافهمه أهل الظاهر وأهل الباطن ومالم يفهموه ولهذا تري كلما جاء أحد ممن فتح الله بصيرته ، ونور سريرته ، يستخرج من الآية والحديث معني ما اهتدى اليه من قبله ، وهكذا الي قيام الساعة وما ذاك الا لاتساع علم الحق تعالى ، فانه معلمهم

ومرشدهم ، فنقول فى هذه الآيه مع قلة حروفها من الاعجاز مالا يعبر عنه بحقيقةولا مجازفهى بحر زاخر ، ماله أولولا آخر ، فكل ماألفه المؤلفون من احكام الدين والدنيا داخل تحت إشارتها بلاثنيتا ، لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، أي بالنظر الى معاملة الحق تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فانه اعطاه ومنعه ، وضره ونفعه ، وسلط الاعداء عليه ، وجعل الحرب دولا تارةله وتارة عليه ، وقبضه وبسطه اخري ، وأجاب دعاءه ورده أخرى ، تارة يقول له ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، من يطع الرسول فقد أطاع الله ، قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ، ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى ، فان قوة الكلام تعطى ان المراد ماأنت اذ أنت ، ولكن انت الله ، ومرة يقول له انك لا تهدي من أحببت ، ليس لك من الأمر شيء ، أو يتوب عليهم أو يعذبهم ، انك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء ، اذا ولوا مدبرين ، وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم ، أفأنت تنقذ من فى النار ، وما أنت عليهم بجبار ، فانزله تارة منزلة نفسه العلية ، وتارة منزلة العبد الحقير ، ويدخل تحت هذا القسم من العلم بالله تعالى وصفاته وغناه عن مخلوقاته وافتقارهم اليه ، ومن العلم بالرسل عليهم الصلاة والسلام ، وما يجب لهم ويجوز ، ويستحيل فى حقهم وحكمة الله فى مخلوقاته وترتيب الآخره على الدنيا مالا يحصى ولا يستقصي من العلوم ، لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، أي بالنظر الى معاملته صلى الله عليه وسلم لربه ، من تحقيق العبودية والقيام بحقوق الربوبية ، والفقر اليه ، وتوكله فى كل اموره عليه ، والاستسلام لقهره والرضى بقضائه ، والشكر لنعمائه ، والصبر علي بلائه ، ويدخل تحت هذا القسم جميع العلوم الشرعية ، عبادات ، وعادات ، ومنجيات ، ومهلكات ،

وهى علوم لايبلغها عد ، ولا تحد بحد ، لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، أي بالنظر الى معاملة الخلق له صلى الله عليه وسلم ، فانهم بين مصدق ومكذب ، ومحب ، ومبغض ، وآذوه صلى الله عليه وسلم بالقول والفعل وباشروه بكل مكروه دون القتل ، شبح وجهه الشريف ، وكسرت رباعيته وتحزبت عليه الاحزاب ، واسلمه الحميم ، وما زاده ذلك الا بصيرة فى امره ، وشدة فى حاله ، ويدخل تحت هذا القسم من شمائله صلي الله عليه وسلم واخباره ، واخبار الانبياء عليهم السلام واخبار العارفين بالله ، وماذا لقوا من المكذبين لهم ، مالايدركه ضبط ، ولايبلغه ربط ، لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، أي بالنظر الى معاملته صلى الله عليه وسلم للخلق ، من محبتهم ، وارادة الخير لهم ، حتى قال له ربه لعلك باخع نفسك ان لايكونوا مؤمنين ، والصبر عليهم ، ورؤية وجه الحق تعالى فيهم ، ظلموه فعفا ، وحرموه فاعطي ، وجهلوا عليه فاحتمل ، وقطعوه فوصل ، وقال اللهم اغفر لقومى ، فانهم لايعلمون ، دفع السيئة بالحسنة ، وقابل كل مكروه بالاضداد المستحسنة ، تخلقا بالاخلاق الآلهيةو تحققا بالاسماء الرحمانيه ، فانه لاأحد اصبر على اذي سمعه من الله ، ويدخل تحت هذا القسم من مكارم الاخلاق وحسن الشمائل ، وعلوم سياسة الدين والدنيا ، التى بها نظام العالم وعمارته ، وسعادة السعد أما لاتضبطه الاقلام ، وتكل دونه الاوهام ، فيجب علي المريد ، بل والعارف ان يجعل هذه الآية قبلته فى كل مكان ، ومشهده فى كل زمان ، فان أحواله لاتخرج عن هذه الاربع حالات ، ولعلها هى الصراط المستقيم الذي قعدعليه الشيطان لأبن آدم ، والاربع الجهات فانه حلف لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم

لآ تينهم من بين ايديهم ومن خلفهم ، وعن ايمانهم ، وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين فمن قام بما دلت عليه الآية الكريمة فهو من الشاكرين وليس عليه سلطان للشياطين

(الموقف الثاني)

قال الله تعالي ، وإياك نستعين ، ظاهره يعطى ان العبد قادر على بعض الفعل ، وعاجز عن بعضه ، لان لكل من المتعاونين نسبة فى الفعل ، أي الحاصل بالمصدر ، فاعلم ان مخاطبة الحق تعالي لعباده فى كتبه المنزلة ، وعلي السنة رسله عليهم الصلاة والسلام ، انما جاءت علي حسب مبلغ علم عامة العباد ، ومنتهي عقولهم وما أدت اليه بديهتهم ، ولما كان عامة العباد يتوهمون ان لهم وجودا مستقلا مباينا لوجود الحق ، حادثا أوقديما ، تركهم الحق علي وهمهم لان حالتهم التى هم عليها لا تحتمل اكثر من ذلك ، ولحكم هو يعلمها ، وخاطبهم على أن لهم وجودا كما زعموا ، واضاف لهم الافعال والتروك ، والقدرة ، والمشيئة ، وغير ذلك على حسب دعواهم فقال لهم افعلوا واتركوا ، اقيموا الصلاة ، لاتقربوا الزنا ، سيري الله عملكم ، ورسوله ، لن يتركم اعمالكم ، من شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، ونحو ذلك ، ومن المعلوم البين ان القدرة على الفعل والترك والمشيئة وسائر الادراكات تابعة للوجود ، فما لاوجود له ، لافعل ولا ترك ولا ادراك له ، والانسان وكل ممكن لاوجود له ، مستقلا لاقديما ولا حادثا برهانا وكشفا ، أما الكشف فالعارفون مجمعون على هذا ، واما البرهان فلأنه لو كان لممكن ، أى ممكن كان وجود مستقل مباين لوجود الحق تعالى ، فوجوده عارض لماهيته ، والفطرة السليمة قاضية بديهة بان ثبوت كل صفة لموصوف ، فرع

ثبوت الموصوف فى نفسه ، فالممكن على هـذا ممتنع الوجود اذ لو وجد لـكان وجوده عارضا لماهيتـه ، وعروض الوجود له متفرع على وجوده اولا ، فهذا الوجود السابق اما أن يكون عين اللاحق ، أو غيره ، والاول مستحيل ضرورة تقدم الشيء على نفسـه ، والثانى مستحيل ايضـا لاننا نحول الـكلام الى الوجود السابق ، فيلزم الدور او التسلسل وكلاهما محال ، ولما كان خطاب الحق عباده انما هو علي حسب تخيلهم ، وتمشية لدعواهم ، وكان الأمر دايرا بين ماتوهمته عامة الخلق و بين ماهو الأمر عليه فى نفسه ، جاءت نسبـة الافعال الصادرة من العبـاد فى بادىء الرأى ونظر العقل ، متنوعة مختلفة فى الـكتاب والسنة ، فمرة جاءت منسوبة الى الله بالانسان ، كما فى قوله تعالى ، قاتلوهم يعذبهم الله بايديـكم ونحوه ، ومرة منسوبة الى الانسان بالله ، كما فى قوله تعالى ، كم من فئـة قليلة غلبت فئـة كثيرة بأذن الله ونحوه ، وتارة منسوبة الى الانسان وحده ، كما فى قوله تعالي ، اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ونحوه ، تارة نفاها عن الانسان صراحة . كما فى قوله تعالي ، لايقدرون على شىء مما كسبوا فلم تقتلوهم ، ولـكن الله قتلهم ونحوه فقوله تعالى ، واياك نستعين ، جاء أمرا وخطابا على ما توهمته العامة ، لأنه لولا توهم العبـد ان له قدرة على بعض الفعـل ، ما طلب العون على البعض المعجوز عنـه ، فان قلت قال تعالى ، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ، وظاهر هـذا ينافى ما قلت من أن علة التكليف هى الدعوى ، قلت العبادة التى خلق لها الجن والانس ، هى العبادة الذاتية كسائر المخلوقات ولا شك ان للجن والانس عبادة ذاتية ، والعبادة التى قلنا سببها الدعوى ، هى العبادة التكليفية التي نشأت من اجتماع النفس الناطقة بالجسم العنصرى .

(الموقف الثالث)

قال تعالى ، فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ، الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد غيره من أمته ، اياك أعني واسمعي يا جارة ، ومثله فى القرآن كثير ، وهو أمر لمن كان من المؤمنين من وراء الحجاب ، وفى الحالة العامية أن يسبح الحق تعالى أى نزهه بتنزيه العقول ، ويعتقد عقيدة العموم وأن يسجد له تعالى ويعبد ربه وهو الوجه الذى تعرف الحق تعالى به للعبد ، فان لكل مخلوق اسماء من أسماء الحق تعالى ، هو الواسطة بين الحق تعالى والعبد ، ولا يعرف العبد الحق تعالى الا من طريقه ، ولا يعبد التعبد من الحق تعالى الا ذلك الاسم ، ولو تجلى الحق تعالى للعبد بغير مقتضى ذلك الاسم ما عرفه ، بل ينكره ، ويقول له لست ربى ويتعوذ منه ، لان العامى لا يقدر أن يعبد الحق مطلقا ولا يعرفه فى جميع تجلياته ، فامر الحق تعالى أن يعبد ربه بأنواع العبادات الشرعية ، والوظائف السنية ، ويتقرب اليه بنوافل الخيرات والحكمة فى الامر بملازمة التسبيح والتنزيه والسجود والعبادة ، هو أنه ربما سمع العامى المحجوب أحوال العارفين بالله وكلامهم ، وما من الله تعالى عليهم به من العلوم الوهبية ، والاسرار الربانية ، فيتعلق بذلك على غير وجهه ، وطريقه الموصل اليه ، ويترك ما بيده من الاعمال والوظائف الشرعية ، فيهلك ويبقى لاهو بالفايت ولا بالحاصل ويتشبه بهم فى أحوالهم الباطنة الخاصة بالكاملين ، ويتكلم بكلماتهم فى وحدة الوجود ، ومثلها من المسائل المتشكلة من غير سلوك طريقهم ، على وجهه المعروف عندهم فنصح الحق عباده وأمرهم بالتمسك بما عندهم ، والعمل به

والخير يجر بعضه الى بعضه ، كالغيث يكون قطرة ثم ينهمل ، فاذا عمل العبد عل أمر الحق له ، وواظب على أنواع النوافل أحبه الله ، فاذا احبه كان سمعه وبصره ولسانه ويده وجميع قواه ، وهو المراد باتيان اليقين بمعنى الكشف ، وزوال الغطا عن حقيقة الأمر ، وباطنه ، وان الحق هو قوى العبد جميعها ، وحينئذ يعرف العبد من هو المسبح والساجد ، والعابد ، وما فائدة السجود والعبادة ، وما علتها الغائبة ، وانه ليس المقصود من التكاليف الشرعية الا انها اسباب وأدوية لرفع الحجاب عن وجه الأمر ، وبعد فتح الباب ، ورفع الحجاب ، يزيد العبد تعظيما للأوامر الشرعية ، والتزاما لها لانه ماراء كمن سمع ويكون إتيانه بالعبادات بعد رفع الحجاب على طريق أعلى وأفضل ، وعلى وجه أعدل وأكمل ، لامناسبة بينه وبين إتيان العبادات الأول ، وكل من ادعى أنه شم رائحة من طريق أهل الله تعالي ، ولم يزدد للشرع تعظيما ، وللسنة اتباعا ، فهو مفتر كذاب .

(الموقف الرابع)

قال تعالى ، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ، كنت ليلة بالمسجد الحرام قرب المطاف ، متوجها للذكر وقد نامت العيون ، وهدأت الاصوات ، فجلس بالقرب مني يمينا وشمالا ، أناس ، وجعلوا يذكرون الله تعالي فخطر فى قلبي أينا أهدى سبيلا الى الحق تعالي ، فبعد الخاطر بقريب آخذنى الحق تعالي عن العالم وعن نفسى ، ثم القى الى قوله ، بل كانوا يعبدون الجن ، فعلمت أن عبادتهم كانت مشوبة بأغراض نفسيه ، وحظوظ شهوانيه ، وأقول تبعا للمحققين من أهل الله تعالى أن كل من عبد الله تعالى خوفا من النار ، أوطلبا للجنة ، أو ذكر الله تعالى لتوسعة رزق

مثلا ، أو لصرف الوجوه اليه ، وهو الجاه ، أو لدفع شر ظالم ، أو سمع فى الحديث من فعل ، العبادة الفلانية أو ذكر الذكر الفلانى ، أعطاه الله تعالى كذا وكذا من الأجر فهذه كلها عبادة معلولة ، ليست عند الله بمقبولة ، إلا بالفضل والمنة ، الا أن تكون هذه الأشياء المذكورة ، غير مقصوده ، بان كان حظورها تابعا لا حاملا ، فلا بأس ، قال تعالى . فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ، وهذه الأشياء المذكورة كلها أحاد فهى شركاء ، والحق تعالى أغني الشركاء عن الشرك ، فالحق تعالى أمر عباده أن يعبدوه ، مخلصين له الدين ، أى العبادة والجزء بأن لا يطلبوا جزاء الا وجهه ، وهو يهبهم الأجور والدرجات ، ويقيهم جميع السيئآت والمنكروهات ، وأن كل ما سوى الحق اذا قصد مع الحق فى العبادة فهو شريك ، والشريك معدوم مستور ، اسم بلا مسمى ، واليه يشير قوله ، بل كانوا يعبدون الجن فان الجن من الاجتنان وهو الاستتار ، وكل ما سوى الله تعالى فهو مستور بستر العدم وان ظهر للمحجوبين موجودا ، والعاقل لا يراعى العدم ، ولا يقصده بالعمل كما أنى أقول ، والله تعالى القائل على لسانى ، أن كل من لم يسلك طريق القوم ، ويتحقق بعلومهم حتى يعرف نفسه لا يصح له إخلاصى ، ولو كان أعبد الناس وأورعهم وأزهدهم وأشدهم هروبا من الخلق ، واختفاء ، وأكثرهم تدقيقا وبحثا عن دسائس النفوس ، وخفايا العيوب ، فاذا رحمه الله تعالى بمعرفة نفسه صح له الاخلاص ، وتصير الجنة والنار والأجور والدرجات وجميع المخلوقات كأن الله ما خلقها فلا يعظمها ولا يعتبرها الا من حيث اعتبرها الحق تعالي شرعا وحكمة لأنه حينئذ يعرف الفاعل من هو فليس

العبد فاعلا ، خالقا لأفعاله الاختيارية كما ينسب الي المعتزلي ولا ان العبد فاعل مجبور ، كما يقوله الجبرى ولا ان له جزأ اختياريا،به يسمى العبدفاعلا كما يقوله الماتريدى ، ولا ان العبد له كسب بمعني وقوع الفعل بارادته واختياره ، لا خلق ولا جبر ، ولكن أمر بين أمرين كما يقوله الأشعرى، ولأن تأثير الحق تعالي فى عين الفعل ، وتأثير العبد فى صفته من كونه طاعة أو معصية كما يقوله امام الحرمين ، ولا كما يقول جميع الطوائف من الحكماء والمتكلمين ، وأما نسبة الفعل الي العبد شرعا وترتيب الثواب والعقاب على الطاعة والمعصية،فمن وجه آخر ذكرناه فى بعض هذه المواقف.

(الموقف الخامس)

قال تعالى، انما قولنا لشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون، اعلم ان للحق تعالى ارادة واحدة لها نوعان من التعلق ، نوع مطلق غير مقيد ، ولا واسطة بينه وبين المراد ، وامر كذلك، وهذان نافذان ولا بد، اعنى الارادة المطلقة ، والامر المطلق ، يريد تعالى الشيء المعدوم ، فيأمره بالكون فيكون ، ذلك الشيء المأمور بالكون ، سواء كان مما ينسب لمخلوق أم لا ؛ وللحق تعالي ارادة مقيدة بواسطة وأمر ، كذلك كأن يريد الحق تعالى من مخلوق فعلا يفعله ذلك المخلوق ، او يأمره بشيء يفعله فهذه الارادة والامر لاينفذان ، لانه اراد المخلوق يفعل ، وأمر المخلوق يفعل ، وما أمر الشيء بالكون فى ذلك المخلوق ، ومن البين المعلوم ان مراد الحق تعالي من عباده جميعا الايمان والطاعة ، وأمرهم بذلك فلو تعلقت ارادته المطلقة وأمره المطلق ، بوجود الايمان والطاعة فى الجميع ، لكان ذلك موجودا لانه قال، انما قولنا لشيء اذا أردناه أن يقول له كن فيكون ، ولما كان الامر والارادة

متوجهين للجميع ، وما حصل متعلق الارادة والامر من الجميع ، بل من البعض علمنا أن بين الارادتين والامرين فرقانا ، وان ماأراد كونه فينا من الافعال والايمان والطاعة ، وأمره بالكون فينا كان ، شئنا أو أبينا وما أراد كونه منا ، اوامرنا نحن نفعله وكله الينا لاغير ، فهذا لايكون مثل إيمان أبي بكر رضي الله عنه ، أراد الحق تعالى كونه فى أبي بكر ، وامر الايمان بالكون فى أبي بكر ولذلك ما تخلف ، وإيمان ابى جهل أراد الحق تعالى فى ابي جهل تكوينه ، وأمر أبا جهل بتكوينه ، فلم يكن ، فبين اراد به ، وأراد منه ، وأمر به وأمره فرقان ، والحاصل ان الامر امران أمر الشيء المطلوب كونه بالكون فهذا لابد ان يكون ، وامر المكلف بتكوين الفعل منه ، فهذا لايكون ، كما ان الارادة نوعان ارادة متعلقة بالفعل نفسه ، فهذه نافذة الوقوع ، وارادة متعلقة بالفاعل ان يفعل ، فهذه غير نافذة التعلق الااذا جامعتها الارادة الاخري ، ولما غفل المعتزلة عن هذا الامر ، وما انكشف لهم هذا السر ، جعلوا للارادة تعلقا واحدا ، وللامر كذلك ، وقالوا لايأمر الحق تعالي الا بما يريد كونه وايجاده ، وقالوا ايمان ابى جهل مأمور به مراد الله تعالى ، فلزمهم تخلف مراد الله تعالى ، بل وقوع مالايريده تعالي فى ملكه ، واما رد الاشاعره على المعتزلة بان الانسان فى الشاهد قد يأمر بما لا يريد وقوعه ، فهو أعلى ماوصلت عقولهم اليه ، ومن قدر عليه رزقه ، فلينفق مما أتاه الله على أن المحققين من الأشاعره ضعفوا قياس الغايب على الشاهد

(الموقف السادس)

كان الحق تعالى لحقيقته يقول انا ، والعبد لجهله يقول انا ، والعبد يقول

هو لشهوده من ربه البعد ، والرب يقول هو لكون ذلك مشهود العبد ، فلما تنفس صبح العناية ، وجعل منادى الهدايه ، وأشرقت الست (١) والخمس (٢) ، باشراق الشمس ، زال الهو من البين ، والتبس انا بانا عينا بعين من غير امتزاج ولا اتحاد ولا حلول ، اذ الكل فى طريقنا وتوحيدنا معزول ، فليس عندنا الا وجود واحد ، هو عين وشرط الثلاثه عند الثلاثه تعدد الوجود والعين ، فلا يكدرون صفوفنا بجعجعتهم ، ولا يروعوننا بعمعمتهم .

(الموقف السابع)

اخذنى الحق عنى ، وقربنى منى ، فزالت السماء بزوال الارض ، وامتزج الكل بالبعض ، وانعدم الطول والعرض ، وصار النفل الى الفرض ، والانصباغ الي المحض ، وانتهى السير ، فانتفى الغير ، وصح الذسب ، باسقاط الاضافات والاعتبارات والنسب ، اليوم اضع انسابكم وارفع نسبى (٣) ، ثم قيل لي مثل قولة الحلاج ، غير ان الحلاج قالها وانا قيلت لى ، ولا أقولها ، وهذا الكلام يعرفه ، ويسلمه اهله ، ويجهله وينكره ، من غلب جهله

(الموقف الثامن)

قال تعالى ، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ، أى ليعرفون باجماع المحققين ، من أهل الله تعالى ويؤيده الخبر الوارد ان فى بعض الكتب المنزلة كنت كنزا مخفيا لم أعرف ، فأحببت ان أعرف فخلقت الخلق خلقا وتعرفت اليهم ، فبي عرفونى ، وقال ، وقضى ربك ان لا تعبدوا الا إياه ، أى حكم فما خلقهم الا ليعرفوه فلابد ان يعرفوه المعرفة الفطرية التي فطر الله الناس عليها فالحق ماجهله أحد من هذا الوجه ، وحكم ان

---

(١) أسماء الجهات (٢) الحواس (٣) وفى نسخة : أرفع أنسابكم وأضع نسبي

لا يعبدوا الا إياه ، فلا يعبدون ابدا سواه لان حكمه نافذ لا يرد، ولا يغالب وانما تفاوتت معرفتهم ، لتفاوت عقولهم ، وانما تفاوتت عقولهم ، لتفاوت استعداداتهم ، والاستعدادات لا تعلل لانها قديمة غير مجعولة ، فهي فيض اقدسى ذاتى ، ما تخللته صفة من الصفات ، ولما تعددت ظهورات المقصود بالعبادة تعددت الملل والنحل ، لان المقصود بالعباده التعظيم ، والذلة والخضوع من كل عابد ليس الا من يملك الضر والنفع ، والعطاء والمتسع ، والرزق والخفض والرفع ، وهذه الصفات فى نفس الامر ليست الا لفرد واحد وهو الحق تعالي ، وهو غيب مطلق ، فكل عابد صورة من شمس وكوكب ، ونار ونور ، وظلمة وطبيعة ، وصنم وصورة خياليه وجن ، وغير ذلك ، يقول فى الصورة التي عبدها انها صورة المقصود بالعبادة ، ويصفها بصفات الآله ، من الضر والنفع ، ونحو ذلك ، وهو محق من وجه ، لولا أنه حصره وقيده ، فما قصد عابد بعبادته للصورة التى عبدها الا الحقيقة المستحقة للعبادة ، وهو الله تعالى ، وهو الذى قضى به الله وحكم ، ولكنهم جهلوا ظهورها المطلق الذي لا يشوبه تقييد ولا حصر ، فجهلوها على التحقيق ، وعرفوها فى الجملة ، وهى المعرفة الفطرية ، فكل من عبد الحق تعالي ما عدا الطائفة المرحومة طائفة العارفين ، انما عبده مقيدا محصورا محكوما عليه لانه عرفه هكذا ، حتى طوائفة المتكلمين ، فانهم حكموا عليه بانه على كذا ، ولا يصح ان يكون على كذا ، وينبغى ان يكون على كذا ، وليس هو على كذا ، فحكموا عقولهم فى الحق والعقل ليس عنده الا التنزيه الصرف ، وتوحيد الشرع الذى جاءت به الكتب والرسل عليهم الصلاة والسلام ، تنزيه وتشبيه ، ولا شك ان المتكلمين من سنى ومعتزلى ، ماحكموا

على الحق تعالى بما حكموا من اثبات وسلب ، الا بعد تصوره بصورة عقلية خيالية ، فان الحكم فرع التصور ضرورة وان قال المتكلم، ليس للحق تعالى فى عقلى صورة، فهو إما جاهل بالتصور ماهو، واما مغالط مباهت، ولذلك تجدهم بعد حكمهم بما حكموا به يقولون كل مايخطر ببالك، فالله تعالي مخالف لذلك،مقصودهم بهذا الكلام تبرؤهم مما قالوا وقولهم هذا أيضا حكم تلزمهم التبرئة منه ، فكل طائفة من الطوائف تحصر الحق تعالى فى معتقدها ، وتنفى ان يكون للحق تعالى تجل وظهور علي خلاف عقيدتها فيه ، وهذا هو سبب انكار المنكرين للحق تعالي ، وتعوذهم منه يوم القيامة ، فقد ورد فى الصحيح ان الله تعالى يأمر ان تتبع كل أمة ما كانت تعبد وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى فى صورة لايعرفونها ، فيقول لهم أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتي يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه ، فيتحول لهم فى صورة أخري يعرفونها فيقولون أنت ربنا الحديث بمعناه، والصور المذكورة فى الحديث والتحول انما هى ظهورها آت للحق تعالى بما يريد ان يظهر به وهى اعدام لاحقيقة لها ولا وجود الا فى ادراك الناظر ، والحق تعالى على ماهو عليه قبل الظهور والتجلي لايلحقه تغيير عما هو عليه كسائر تجلياته فى الدنيا والآخرة ، ولقد صدقوا فى انكارهم له اولا وفى اقرارهم به ثانيا والمتجلى واحد اولا وثانيا ، ولكن تجلي لهم أولا فى صورة ما كانوا عرفوه عليها فى الدنيا، ولا اعتقدوها ولا تخيلوه فيها وما عرفه كل واحد من المنكرين الا محصورا مقيدا بالصورة التي تخيله عليها فى الدنيا ، وحكم عليه بانه لابد أن يكون كذا، ولا يكون كذا وماعرفه أحد منهم مطلقا غير محصور فى معتقد ولا مقيد بصورة لايتجلى بغيرها ،

فلما تجلى بالصورة أي الصورة التي كانوا تخيلوه عليها ، فى الدنيا ، اقروا به انه ربهم وهو تعالى المتجلى أولا وثانيا ، فما عرف أحد من المنكرين المتعوذين الحق تعالى من حيث الاطلاق وانما عرفه من حيث تقييده بصورة معتقده صوّر تلك الصوره بعقله واعتكف عليها يعبدها ولولا اذن الشارع فى تخيل المعبود وقت العبادة لقلنا لافرق بين من ينحت بيده ويصوره وبين من يصوره بعقله ، لكن الشارع اذن فى الصورة الخيالية ، ومنع الصورة الحسية ، وهو الصادق الأمين، قال فى حديث الاحسان ،ان تعبد الله كأنك تراه أى تتخيله كأنه فى قبلتك مثلا ، وأنت بين يديه حتى تتأدب فى عبادته، ويحضر قلبك فيها فالأمر ورد بهذا التخيل ربطا للقلوب فى الباطن ، عن الخوض والتشتيت ، كما ربط الاجسام باستقبال القبلة فى الظاهر ربطا للأجسام عن الالتفات والحركات ، وما أمر هذا المتخيل للحق تعالي ان يقيده عنده ولا يكون عند غيره ، وانه محصور فى قبلته ، ولا يكون فى قبلة غيره ولا أن يحصره فى ذلك المتخيل دون غيره ، من الصور المتخيلات ، فانه تعالى مطلق فى حالة التخيل عن التخيل ، فهو المطلق المقيد لانه عين المطلق والمقيد، فهو عين الضدين والعارفون رضوان الله تعالي عليهم عند هذا التجلى والتحول فى الصور فى الآخرة ساكتون الايتكلمون ولا يعرفونه لاحد كما هم اليوم فى الدنيا ، لأنهم عرفوه فى الدنيا بالاطلاق الحقيقى ، حتي عن الاطلاق لانه الاطلاق قيد وعلموا أنه تعالى المتجلى الظاهر بكل صورة حسية، أو عقلية ،أو روحانية ، أو خيالية ،وأنه الظاهر ، الباطن ، الأول ، الآخر، فما انكروه فى الدنيا ، ولا ينكرونه فى الآخرة ، فى أى تجل ظهر ولهذا قال بعضهم فى العارفين هم غدا كما هم

اليوم ان شاء الله

(الموقف التاسع)

ورد فى صحيح مسلم ان الله تعالي يتجلى لأهل الموقف ويقول لهم أنا ربكم فيقولون له نعوذ بالله منك لست أنت ربنا ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاءنا ربنا عرفناه ، سأل وارد الوقت عن التجلى الذى يكون أولا لأهل المحشر ويستعيذون منه المنزه والمشبه الاالعارفين بالله تعالى ماهو فانه لوكان تجلي تنزيه لاقرت به المنزهة ولو كان تجلي تشبيه لاقرت به المشبهة وليس المعروف الا هاتين المرتبتين فكان الجواب أنه تعالى يتجلى فى ذلك اليوم بتجل جامع للتنزيه والتشبيه، على وجه لاتهتدى اليه العقول، ولا الكشف الآن وما عرف الحق تعالى الا بجمعه بين الاضداد ، بل هو عين الاضداد لا ان هناك عينا جامعة للاضداد ولذا كان لايعرف للحق تعالي فى ذلك التجلى ويقربه الا الطايفة العارفة به الجامعة بين اعتقاد التنزيه والتشبيه فى الدار الدنيا ، وكل ماعداها من الطوايف فانه يستعيذ عن الحق تعالى ثم يتجلى لهم فى معتقداتهم فيه وتخيلاتهم له فى الدنيا فيقرون به ، ويعترفون له ، بالربوبية ، وهو هو المنكور أولا المعروف ثانيا فسبحان الواسع الحكيم

(الموقف العاشر)

قال تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا،هذا توقيف على كمال قدرته وبديع حكمته، وأنه تعالى يخرج الاشياء من اضدادها ، ويخفى الأمور فى اندادها ، حتي لايعرج معرج الا عليه ، ولا يتوجه متوجه الا اليه ،فانه اخرج النار الحارة اليابسة ،من الخضرة الباردة الرطبة ، ولذا قيل

فى معنى اسمه اللطيف انه الذى يخفى الاشياء فى اضدادها ، ولما اخفى ليوسف الملك فى الرق ، قال ان ربى لطيف لما يشاء ، نبه بهذا عباده حتى لا يقفوا مع ظواهر الاشياء وما تعطيه طبائعها وصورها ، وحتي لا يقفوا مع علم ولا عمل ولا حال فان هذه كلها كسائر الأكوان ، يجب عدم الوثوق بها ، والاعتماد عليها ، فان الحق تعالي قد يخرج منها ضد ماتعطيه صورها عادة ، وحتى يعرفوا انفراده تعالى بالخلق والتدبير ، وان فعله تعالي لا يتوقف على الاسباب العادية ولاالعقلية،وانما يفعل مع الاسباب اذاأراد لحكمته ويفعل مع فقدها اذ أراد لقدرته فهو الفعال لما يريد يخرج الخير مما صورته شر ، ويخرج الشر مما صورته خير ، كما هو مشاهد لكم ، فكم أخرج منة من محنة ، ومحنة من منة ، لا إله الا هو الواسع الحكيم

(الموقف الحادى عشر)

قال تعالى ، كتب ربكم على نفسه الرحمة ، وقال وكان حقا علينا نصر المؤمنين ، وقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله مارفع شيئا فى الدنيا الا وضعه ، ونحو هذا من الآى والاخبار الدالة على وجوب اشياء على الحق تعالى فلا يفهم من هذا الحقيقة المعروفة فى العرف ، والوجوب ، الذى يستحق فاعله المدح وتاركه الذم ، حتى يكون الحق تعالى داخلا تحت الحجر والحصر ، تعالى عن ذلك ، وانما الحق تعالي أخبرنا ورسوله صلى الله عليه وسلم بأن هذه الاشياء وأمثالها اقتضتها مرتبته الالوهية اقتضاء ذاتيا لها لامقتضى لها غيرها ، اذ لا يصدر من الحق تعالى شىء الا ولذلك الشىء اسم الهى اقتضى صدور ذلك الشىء كائنا ما كان ، فالألوهية نسبة ومرتبة لها أحكام وخصوصيات لا بد منها لتحقيق المرتبة ، والحق تعالي

مختار فى كل فعل وترك لا مكره له ولا مقتضى ، الألوهية من ألوهيته ، أعني مرتبته كأن يفعل الملك مثلا أشياء من لوازم المملكة ومقتضياتها ، فيرى السوقة أن الملك تكلفها وألزم نفسه ما ليس بلازم عليه ، وما يدرى السوقة أن رتبة المملكة أقتضت ذلك الفعل لذاتها ، لا لمقتض آخر خارج عنها ، ولو ترك الملك ذلك الفعل الذي اقتضته رتبة المملكة لما أكرهه غيره عليه ، ولكن ما تصح له رتبة المملكة بالحقيقة فان المرتبة تعزله فى نفس الأمر لنقص شيء من مقتضياتها ، وخصوصيتها ، ورتبة الألوهية ثابتة لله تعالي عقلا ونقلا ، ظاهراً وباطنا ، فهو يفعل ما تقتضيه ألوهيته من غير اعتبار شيء زايد على ذلك ، وقد تكلم أمامنا محي الدين على هذه المسئلة بغير هذا ، والكل من عند الله تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا

(الموقف الثانى عشر)

قال تعالى ، فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، انما خص الرجال بالذكر دون النساء لأنه تعالى ذكر الغدو والآصال ، وهو كناية عن ملازمة المساجد فى هذين الوقتين ، وهذا لا يكون من النساء غالبا ، والنادر لا اعتبار به ، ولا حكم له ، وقوله لا تلهيهم تجارة والتجارة أعم من البيع والشراء ، يقال فلان يتجر فى كذا وهو جالس فى بيته مثلا معنى أن بيعه وشراءه اذا باع واشترى يكون فيه ، وقد يكون فى دكانه أو سوقه يقصد البيع والشراء ، وما حصل منه بيع ولا شراء بالفعل فهو فى هذه الحالة وفي حالة ملابسة البيع والشراء ، غير ملهي عن ذكر الله ، وليس

المراد خصوص ذكر اللسان وانما المراد ان حركاتهم وسكناتهم كانت لله ، وفى الله وبالله . فكان لهم حضور مع الله تعالى ومراقبة ونية صالحة فى حالة بيعهم وشرائهم وتجارتهم وجميع ، تصرفاتهم وهو المراد بقوله تعالي ، والذين هم على صلاتهم دائمون ، أى يكونون فى جميع أحوالهم وتصرفاتهم ، حاضرين مع الله تعالى مراقبين له كحضورهم معه ، ومراقبتهم له ، فى حال كونهم فى صلاتهم اذ من المعلوم أنهم كانت لهم ضروريات ، لا بد لهم من التصرف فيها ، ولذا قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع ، وما قال لا يتجرون ولا يبيعون ، وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله تعالى على كل أحيانه ، أى حالاته وأوقاته والمراد أنه كان دائم الحضور والمراقبة لله اذ من البين أنه عليه الصلاة والسلام ، كان يأكل ويشرب وينام ويتصرف فى مصالح بيته ومصالح غيرهم من أصناف الخلق

(الموقف الثالث عشر)

قال تعالى ، سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا ، الآية ، كنت مغرما بمطالعة كتب القوم رضى الله عنهم منذ الصبا ، غير سالك طريقهم ، فكنت فى أثناء المطالعة أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم ، يقف أى يقوم منها شعرى ، وتنقبض منها نفسى ، مع ايمانى بكلامهم ، على مرادهم ، لانني على يقين من أدابهم الكاملة ، وأخلاقهم الفاضلة ، وذلك كقول عبد القادر الجيلى رضى الله عنه ، معاشر الانبياء ، أوتيتم اللقب ، وأتينا مالم تؤتوه ، وقول أبى الغيث بن جميل رضى الله عنه ، خضنا بحرا وقفت الانبياء بساحله وقول الشبلي رضى الله عنه

لتلميذه ، اتشهد أني محمد رسول الله ، فقال له التلميذ ، أشهد أنك محمد رسول الله ، ومثل هذا كثير عنهم وكل ما قاله القائلون المأولون لكلامهم ، لم تسكن اليه النفس ، الى أن منّ الله تعالى علي بالمجاورة بطيبة المباركة فكنت يوما فى الخلوة متوجها ، اذ كر الله تعالي ، فأخذ فى الحق تعالي عن العالم ، وعن نفسى ، ثم ردنى وأنا أقول ، لو كان موسى بن عمران حيا ، ما وسعه الا اتباعى على طريق الانشاء ، لا على طريق الحكاية ، فعلمت ان هذه القولة من بقايا تلك الأخذة ، وانى كنت فانيا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أكن فى ذلك الوقت فلانا ، وانما كنت محمدا والا لما صحح لي قول ماقلت ، الا على وجه الحكاية عنه صلى الله عليه وسلم ، وكذا وقع لى مرة أخري فى قوله صلى الله عليه وسلم ، أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وحينئذ تبين لي وجه ماقال هؤلاء السادة ، أعنى ان هذا انموذج ومثال لأنى أشبه حالي بحالهم : حاشاهم ، ثم حاشاهم ، ثم حاشاهم ، فان مقامهم أعلى وأجل ، وحالهم أتم وأكمل ، وكذا قال الشيخ عبد الكريم الجيلى ، كل من اجتمع هو وآخر فى مقام من المقامات الكمالية ، كان كل منهما عين الآخر ، فى ذلك المقام ومن عرف ماقلناه علم معني قول الحلاج وغيره ، انتهى كلام الجيلى رضى الله عنه ، وقبل أن تصدر مني هذه المقالة كنت ثالث ليلة من رمضان متوجها للروضة الشريفة فحصل لي حال وبكاء فألقى الله تعالي فى قلبي انه عليه الصلاة والسلام ، يقول لى أبشر بفتح ، فبعد ليلتين كنت اذ كر الله تعالي فغلبني النوم فرأيت ذاته الشريفة امتزجت مع ذاتى وصارتا ذاتا واحدة انظر الى ذاتى فأرى ذاته الشريفة ذاتى فقمت فزعا مرعوبا فرحا فتوضأت ودخلت المسجد للسلام عليه صلى

الله عليه وسلم ثم رجعت الى الخلوة وجعلت اذكر الله تعالى فأخذني الحق تعالى عن نفسى وعن العالم ثم ردنى بعد ان ألقى الي قوله ، الآن جئت بالحق، الآية،فعلمت ان الالقاء تصديق للرؤيا ثم بعد يوم أخذنى الحق تعالي عن نفسى كالعادة فسمعت قائلا يقول لى ، انظر ماأكننته حتي كننته، بهذه السجعة الجناسيه المباركة فعلمت ان هذه القولة تصديق للرؤيا السابقة والحمد لله تعالى ، وقد أمرنى الحق تعالي بالتحدث بالنعم بالأمر العام لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله، وأما بنعمة ربك فحدث، لأن الأمر له صلى الله عليه وسلم أمر لأمته ، الا ماثبت اختصاصه به ، وأمرني بالخصوص مرارا باشارة هذه الآية الشريفة ، وأما بنعمة ربك فحدث

(الموقف الرابع عشر)

قال تعالي ، اهدنا الصراط المستقيم ؛ ألقى عليّ وأنا فى صلاة الصبح ان الهداية الى الصراط المستقيم جنس لانهاية لأفراده ، لان الحق تعالي أمر عباده بطلب الهداية الي الصراط المستقيم فى كل ركعة من ركعات الصلاة الفريضه والنافله ، وفى غير الصلاة والهداية هى الدلالة على المقصود والصراط المستقيم هو صراط أهل معرفته تعالى ، ومعرفته تعالى لانهاية لها لأن معرفته هي معرفة كمالاته وكمالاته تعالى لانهاية لها ولذا قال بعض العارفين : السير الى الله تعالي له نهاية والسير فى الله لانهاية له ، يشير الي هذا ؛ فالهداية المأمور بطلبها لانهاية لها ، اذ من المحال انه تعالى ما أجاب أحدا من الطالبين للهداية بشيء من الهداية ومحال أنه أجابهم بجميع الهداية ، لأن الأمر بطلب تحصيل الحاصل محال ، فتبين أنه تعالي أجاب بعض الطالبين للهداية ببعض افراد الهداية وأمرهم بطلب الزيادة

منها على الدوام ، ولذا قيل لاهدى الخلق ، وقل رب زدني علما ، والمنعم عليهم هم الذين أراهم الحق تعالي حقائق الاشياء كما هي ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام فى دعائه ، اللهم أرني الأشياء كما هي ، فانكشف عنهم الغطاء ، وتقشع سحاب الجهل ، بطلوع شمس المعرفة لقلوبهم ، فعرفوا الحق والخلق ، معرفة يقين ، لايدخلها شك ، ولا تتطرق اليها شبهة ، حتي صار الغيب عندهم شهادة وهي الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وورثتهم السالكون طريقهم ، والمغضوب عليهم هم الطوائف الذين ماعرفوا معبودهم ولا تصوروه الا بصور محسوسة من نور ، وشمس وكوكب ، ووثن وصنم ، والضالين بمعني الحائرين ، لأن كل ضال حائر ، فهم الناظرون فى ذات الله بعقولهم من حكيم فيلسوفي ومتكلم ، فانهم ضالون حائرون ، فى كل يوم بل فى كل ساعة يبرمون ، وينقضون ويبنون ، ويهدمون ويجزمون بالأمر بعد البحث الشديد والجهد الجهيد ثم يشكون فى جزمهم ثم يجزمون بشكهم ثم يشكون فى شكهم وهكذا حالهم دائما بين أقبال وأدبار ، وهذه حالة الحائر الضال ، وقد نقل عن إمام الحرمين زعيم المتكلمين رضي الله عنه انه قال ، قرأت خمسين الفا فى خمسين الف وخليت أهل الاسلام وإسلامهم وعلومهم وخضت فى الذي نهى الشرع عنه وركبت البحر الخضم كل هذا فى طلب الحق وهروبا من التقليد والآن رجعت الي كلمة عليكم بدين العجايز فالويل لابن الجويني ان لم يدركه الله بلطفه ، ونقل عن فخر الدين الرازى امام المتكلمين انه قال عند الموت ، اللهم ايمانا كايمان العجائز ، ومن شعره يتأسف على ما فاته

نهاية اقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا   سوى ان جمعنا فيـه قيل وقالوا

الى آخر ماقال ، وأنشد محمد الشهيرستاني فى كتابه نهاية العقول وهو كتاب ما ألف مثله متكلم

لعمري لقد طفت المعاهد كلهـا   وسرحت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعا كف حائر   على ذقنه أو قارعا سن نادم

فهؤلاء فحول المتكلمين انظر الي حيرتهم وضلالهم فكيف تكون حالة من دونهم ولهذا ترى طوائف المتكلمين يلعن بعضهم بعضا ويكفر بعضهم بعضا بخلاف أهل الله تعالى العارفين به فان كلمتهم واحدة فى توحيد الحق وأمرهم جميع كما قال تعالي،ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه،وأما الحيرة الحاصلة للعارفين فما هى الحيرة الحاصلة للمتكلمين وانما هى حيرة أخرى حاصلة من اختلاف التجليات وسرعتها وتنوعاتها وتناقضها فلا يهتدون اليها ولا يعرفون بما يحكمون عليها فهى حيرة علم لا حيرة جهل ، فلا تقاس الملايكة بالحدادين وفى قوله المغضوب عليهم ولا الضالين ، تعريف لهم بأنه انما أتى عليهم منهم حيث حول الاسناد الى بناء المجهول ، وما قال الذين غضبت عليهم ولا قال الذين أضللتهم ، كما قال أنعمت عليهم ، فأصل النعمة منه تعالي وهو سببها ، وأصل الغضب من المغضوب عليه وهو سببه ، فما كان أصله وسببه القديم تعالي فانه لا يزول ، وما كان أصله وسببه الحادث فانه يزول ، فافهم ما أومأنا اليـه ففى الآية جبر لكسرهم

(الموقف الخامس عشر)

قال تعالى ، هو الاول والآخر والظاهر والباطن ، المحجوب حال حجابه يعتقد أن له وجودا مستقلا منفصلامن الوجود الحق، اماحادثا كما

هو معتقد المتكلمين ، وأما قديما كما هو معتقد بعض الحكماء كما يعتقد أنه هو الظاهر بالصورة المحسوسة المنسوبة اليه المسماة بزيد أو عمر ، وكما يعتقد أن له صفات مغايرة لصفات الحق تعالى من قدرة وارادة وعلم ونحوها كما يعتقد أن له أفعالا صادرة عنه هو فاعلها أما خلقا أو اكتسابا

ولو كان الأمر على هذا الزعم والتوهم لما بقى للتوحيد أثر ولا للأحديه خبر ولظهر الشرك واستقر ، فاذا رحمه الله تعالى وأزال حجاب الجهل عن عين قلبه ، علم انه لا وجود لعينه لا قديما ولا حادثا وأنه باق فى عدمه وامكانه اذ الممكن من حيث هو لا عين له قائمة وانما هو أمر معقول لانه برزخ بين الواجب الذي لا يقبل الانتفاء وبين المستحيل الذى لا يقبل الثبوت وكل برزخ لا صورة له قائمة ولا يكون محسوسا أبدا والصورة المحسوسة لهذا المحجوب وأمثاله ليست له لأنها لو كانت له لكان هو الظاهر اذ صورة الشيء هى التى يكون بها ظهوره ، ولا ظهور لحقيقة الممكن وعينه لأنها معدومة أزلا وأبدا ، وانما الحق تعالي هو الظاهر بأحكام استعدادات الممكنات والاحكام هى نسب واعتبارات لا عين لها فى الوجود ، فكل ظاهر فهو الحق تعالى من اسمه الظاهر بحكم قوله تعالى ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، محق تعالى بهذه الآية كما قال الشاذلى رضى الله عنه ، الاغيار كلها لأن كل مايصح أن يعلم ويخبر عنه وهو الذى يصح أن يعبر عنه بالشيئية لايخرج عن هذه المراتب الأربع فلا أول الا هو ، ولا آخر الا هو ، ولا ظاهر الا هو ، ولا باطن الا هو ، اذ من المعلوم أن تعريف الجزأين يفيد الحصر وكذا صفاته التي يعتقدها مغايرة لصفات الحق تعالي ليست كذلك وانما هى صفات الحق قائمة بالحق لكنها

لما ظهرت فى مرتبة التقييد تقيدت آثارها اذ المقيد لاتكون آثاره الا مقيدة وبقدر ماينفك هذا المقيد عن أحكام التقييد تنفك صفاته عن التقييد ويظهر الاطلاق فى آثاره اطلاقا نسبيا وأول مراتب الاطلاق النسبي قوله تعالى فاذا أحببته كنت سمعه وبصره الحديث بطوله ومحال ان يكون الحق تعالى سمع غيره وبصره وسائر قواه لأنه تعالى ذات الذات لا تقوم بغيرها ومحال أن تقوم صفاته بغير ذاته تعالى فافهم اشارة الحق فانه السامع والسمع والمسموع والبصير والمبصر والبصر وكذا أفعال المحجوب التى يعتقدها أفعاله ليست كما توهم وانما هى افعاله تعالى بلا واسطة ولا للعبد فيها فى نفس الأمر من حيث صورته العبدية بوجه ولا حال أنها لا تعمى الأبصار ولكنها تعمى القلوب التى فى الصدور

(الموقف السادس عشر)

قال تعالى ،قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والأبصار ، الآية قل للذين صرفوا عقولهم لغير الله تعالى ، وقصروا نظرهم عليه وتعلقوا بالوسائط والأسباب ، وأعرضوا عن مسببها ، وجعلوها عمدتهم وركنهم الذى اليه يأوون ، من يرزقكم يعطيكم ماتنتفعون به من السماء ، يريد ما تنتفع به العقول من العلوم والأسرار والأمور التى لا يهتدي اليها العقل الا بالفيض الآلهى ، والأرض ما تنتفع به الأجسام والنفوس الحيوانية كما قال فى الآية الأخرى ، ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ، يريد رزق العقول والارواح العلويه ، ومن تحت ارجلهم رزق النفوس الحيوانيه ،

ام من يملك السمع والأبصار يتصرف فيهما تصرف المالك لهما ، فتسمع وتبصر الشيء على حقيقته وعلى ماهو عليه اذا شاء إسماعها وإبصارها ويصرفها ويمنعها اذا شاء عدم أسماعها وابصارها ، فلا تسمع ولا تبصر الشيء على حقيقته ، وعلى ماهو عليه وهي موجودة من غير آفة ظاهرة ، الا ترى المحجوبين الجاهلين كيف يسمعون كلام الحق تعالى ولا يسمعونه أعني لايعرفونه واذا انتفت فائدة السمع فقد انتفى السمع لانتفاء المقصود منه ، فقد ملك الحق تعالى سمعه وصرفه عن معرفة المسموع كلام من هو وكذلك يبصرون الحق تعالى ولا يعرفونه ، فانتفى البصر لانتفاء فائدته فقد ملك الحق ابصارهم وصرفها عن معرفة المبصر من هو فتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون

وأي الارض تخلو منك حتى تعالوا يطلبونك فى السماء
تراهم ينظرون اليك جهرا وهم لايبصرون من العماء

بل يتحققون بجهلهم ان المسموع غير كلام الله تعالى ، وما أبصروه غير الحق تعالى ، فسبحان مقلّب الافئدة والابصار ومن يخرج الحى من الميت يخرج العارف بالله تعالى من الجاهل الغافل عنه ، والمؤمن من الكافر أو من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله فى الظلمات فلا نور الا العلم بالله تعالى ولا حياة الا به ولا موت ولا ظلمة الا الجهل بالله تعالى والغفلة عنه ، ومن يدبر يصرف امر الله تعالي الذى هو كلمح بالبصر والعوالم العلويه والسفليه كلها موجودة بأيجاده قايمة به وهو المقوّم لها والواسطة بين الحق تعالي والخلق يستمد من الحق ويمد الخلق فالحق يدبر الأمر، والأمر يدبر الخلق، فسيقولون الله يعني أنك اذا

أوقفتهم على هذه الأمور المتقدمة ومنها ما لا يعلم له سبب ظاهر ومنها ما فيه السبب موجود ولا توجد ثمرته كسماع المسموع على غير حقيقته وإبصار المبصر على غير وجهه بل قد ينتج الشيء ضد ما كانت العادة تقضي به كاخراج الحيّ من الميت والعكس فسيقولون الله فيعترفون بان الله تعالي هو الفاعل المؤثر فقل افلا تتقون اى أفلا تجعلون الله تعالى وقاية بينكم و بين ملاحظة هذه الاسباب والوسائط التى أضلتكم وأصمتكم وأعمتكم وتنظرون مسببها من ورائها وتعلمون أنه لا فاعل ولا مؤثر الا هو تعالى وأنه الفاعل بالأسباب وعند الأسباب وعند فقد الأسباب فذلكم الله ربكم الحق أي الذى رأيتموه مؤثرا من الأسباب ليس هو غير الله تعالي ولا له استقلال بنفسه بل هو الله تعالي من جهة وجوده وفعله اذ ليس الوجود والفعل الا لله تعالي وحده لاشريك له فلو نسبتم الفعل والأثر الى الأسباب على جهة انها وجوه الحق تعالي وذاته ظاهرة فيها من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج لكنتم مصيبين فالله هو الحق الثابت ، وما ذا بعد الحق إلا الضلال أي إلا صور وتقادير وخيالات وأوهام وظلالات لاثبات لها بل وتفني وتتجدد فى كل آن لكونها ليست حقا فأنّى تصرفون استفهام انكارى وتعجب من عمايتهم كيف صرف الله عقولهم عن رؤية الحق حقا والباطل باطلا وكيف شركوا العدم الصرف مع وجود الحق والخيال الزايل مع الحق الثابت فانه تعالى يصرف البصائر والأبصار

(الموقف السابع عشر)

سئل سيد الطائفتين الجنيد رضى الله عنه عن العارف والمعرفة فقال : لون الماء لون إنائه وسكت يريد أن الماء لا لون له وإنما يظهر متلونا بلون

الاناء وكذلك الحق تعالى لاصورة له وإنما يظهر بصورة العارف له فالعارف الكامل هو الذى تظهر فيه صورة الحق تعالى على الكمال لأنه مرآة الحق يرى الحق فيه أسماءه وأوصافه ، فالعارف صورة الحق أعنى صورة العارف الباطنة فظاهر العارف خلق وباطنه حق فصورة باطنه هى صورة الحق تعالى لانه متخلق بأخلاقه متحقق بأسمائه فكل من رأيناه تظهر منه أخلاق الحق تعالى وأوصافه وأسماؤه عرفنا أنه عارف بالله وأن المعرفة وصفه فالعارف بمثابة الاناء والحق تعالى بمثابة الماء ولما كان الماء لالون له وإنما يتلوّن ويظهر بلون الاناء فكذلك الحق تعالى لا صورة له مخصوصة وإنما يتصور ويظهر بصورة العارف له . فهو هو وكل صور العالم آنية لظهور ماء الحق تعالى ولكن ليس كالانسان فانه الآنية الوحيدة فى قبول هذا الظهور وليس المراد من نسبة الصورة الى الحق تعالي إلا أسماؤه لا أن له شكلا مصوراً محدودا تعالي الله عن ذلك وفى الخبر أن الله خلق آدم على صورته فالعارف خليفة الله والخليفة لابد أن يكون ظاهرا بصورة مستخلفه وهى أسماؤه وصفاته واذا نقصه شيء من الصفات فقد نقصه من الخلافة بقدرها والعارفون متفاوتون فى هذا والظاهر بالصفات والأسماء على الكمال هو الخليفة الكامل ولا يكون الا واحدا فى كل زمان وهو الانسان الكامل والآنية الفريدة بالنسبة لجميع المخلوقات . فأشار الجنيد رضى الله عنه الا أن العارف لا يعرف أنه عارف وأن المعرفة نعته إلا اذا ظهر متخلقا متحققا بالأسماء والصفات الآلهية أعنى الصفات والأسماء التى يمكن الظهور بها فى دار الدنيا وأما صفات الربوبية فان أدب الموطن وهى الدار الدنيا يقضى بعدم الظهور بذلك من أجل حكم الحصر والقيد علي صورة العارف الظاهرة المسماة عبدا لمقتضياته

الذاتية اللازمة لصورته الناقصة لئلا يلزم التناقض بين حاله ومقاله وذلك ليس من الكمال فكتمه لاوصاف الربوبية هو الكمال

(الموقف الثامن عشر)

قال تعالى،ولقد آتيناك سبعا من المثانى الخ كل من رحمه الله تعالى وعرفه بنفسه وبحقيقة العالم كله علوه وسفله . وجعل يشتاق الي رؤية عالم الغيب والخيال المطلق وما غاب عن الابصار والحسية من الصور التقديرية والنسب العدمية التي لاحقيقة لها الا الوجود الحق وهى ظهوراته واعتباراته ونسبة العدمية فهو مخطىء غير مصيب سيء الادب وكنت مما رحمه الله تعالي وعرفه بنفسه وبحقيقة العالم على طريقة الجذبة لا على طريق السلوك فان السالك أول ما يحصل له الكشف عن عالم الحس ثم عن عالم الخيال المطلق ثم ترتقى بروحه الي السماء الدنيا ثم الي الثانية ثم الى الثالثة ثم الي العرش وهو فى كل هذا من جملة العوام المحجوبين الي أن يرحمه الله تعالي بمعرفته ويرفع عنه الحجاب فيرجع علي طريقه فيرى الأشياء حينئذ بعين غير الأولى ويعرفها معرفة حق . وهذه الطريقة وإن كانت أعلى وأكمل ففيها طول على السالك وخطرها عظيم فان هذه الكشوفات كلها ابتلاء هل يقف السالك عندها أولا فربما وقف السالك عند أول كشف أو عندالثانى الي آخر ابتلاء واختبار فان كان السالك ممن سبقت له العناية ودام مصمما على طلبته ، ماضيا على عزمته ، معرضا عن كل ما سوى مطلوبه ، فاز ونجا ، وإلا طرد عند ما وقف ، ورجع من حيث جاء ، وخسر الدنيا والآخرة ، ولذا قال فى الحكم ما تبرجت ظواهر المكونات لسالك إلا ونادته هواتف الحقيقة ما تطلب أمامك إنما نحن فتنة فلا تكفر وقال بعض القوم :

ومهما ترى كل المراتب تجتلي عليك فحل عنها فمن مثلها حلنا

فاذا حصلوا على المعرفة المطلوبة حجبوا عند نهايتهم عن هذه الكشوفات وأما طريق الجذبة فهي أقصر وأسلم والعاقل لا يعدل بالسلامة شيأ . والى هذين النوعين يشير قوله تعالي فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى أى ينكشف لكم من هم المهتدون بالوصول الي معرفته تعالي بسلوكهم على الطريق السوي المعتدل الذى لا عوج فيه وهو صراط الله تعالي وصراط رسوله صلى الله عليه وسلم ومن اهتدى أي وصل الي معرفة الله تعالى من غير سلوك ولا شيء على المقامات بل بجذبة آلهية ، وعناية رحمانية ، وهو المراد الذى عرفوه بأنه المجذوب عن إرادته مع تهيء الأمور له فجاز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة والمقابل لهما محذوف وهو الذى ما وصل الى معرفة الله تعالى لا بسلوك ولا بجذبة وقد خطر لى فى بعض الأيام لو أن الله تعالى كشف لى عن عالم الخيال المطلق ودام على هذا الخاطر يومين وحصل لى قبض فكنت أذكر الله فأخذني الحق تعالى عن نفسى ثم القى علي قوله ، لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، الآية ، ففهمت أن الحق أشفق مما حصل لي وفى حالة القبض دعوت في بعض الصلوات وقلت اللهم حققني بحقائق أهل القرب واسلك بى مسالك أهل الجذب فسمعت فى سرى وقد فعلت فتنبهت من غفلتي وعرفت أن ما طلبته إما لم يحضر وقته وإما الحكمة اقتضت عدم حصوله وأنى غالط فى هذا وأن مثلي مثل من دعاه الملك الى حضرته والجلوس معه للمحادثة والمباسطة وهو مع ذلك يتمنى أن لو خرج لمشاهدة دواب الملك وسواسه وخدامه والتفرج فى الأسواق فرجعت الى الله

وسألته أن يحققني بما خلقني لاجله من معرفته وعبودته وكان مثل هذا الخاطر خطر لي وأنا بطيبة المباركة وتوجهت للذكر فأخذني الحق عن نفسي ثم ألقى علي الي قوله ، ولقد أتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ، لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ، الآية ، فلما رجعت الى حسي قلت حسبي حسبي وغاب عني هذا وما تذكرته الا بعد

(الموقف التاسع عشر)

قال تعالى ، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم . من الحكايات المتواترة عند القوم أن عارفا رأى مريدا حزينا ، فسأله عن سبب حزنه ، فقال له المريد : مات استاذى فقال له العارف ولم جعلت أستاذك من يموت : ففى هذه الحكاية أدب عظيم وإرشاد جسيم الى طريق مستقيم . وأكثر المريدين عن هذا فى غفلة يأتى المريد الشيخ وقد تقرر فى أذنه أنه يجب على المريد أن يعتقد فى شيخه الكمال وأنه أكمل أهل عصره وأنه صاحب الهمة الفعاله والبصيرة النافذة وأنه كذا وأنه كذا ، فاذا حضر عند الشيخ وقال له جئت أطلب الطريق الى الله تعالى ، فالشيخ لا يرد من كان هذا قوله كائنا من كان ولو اطلعه الله تعالي على باطن المريد ، بالكشف او الفراسة ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقبل أقوال المنافقين مع اطلاعه على بواطنهم ، وقد يكون المريد كاذبا فى دعواه الطريق الى الله ، أو تكون همته باردة أو يكون الحق تعالى لم يقسم له شيئا فى طريق المعرفة أو تكون له قسمة زمانها بعيد ، أو تكون له قسمة لكن على يد شيخ آخر فيخرج هذا المريد من طريق الشيخ الذي كان دخل تحت عهده ، ويصير يتكلم فى الشيخ ويقول ما هو الا

كـذاب ، ما هو الا نصّاب يأكل أموال الناس بالباطل ، ولو كان شيخا صادقا لحصل لي منـه ماقصدته ونحو هذا فيهلك هلاكا أبديا ان لم يتداركه الله تعالى بالتوبة فلو حضر المريد عند الشيخ وقد عرف واعتقد أن الشيخ إنما هو داع الي معرفة الله تعالى وان الحق تعالى قد قسم الحظوظ والأرزاق المعنويه والحسية فى الأزل وقال ، مايبدل القول لدى ، فلا يزاد لاحد فى قسمته ولا ينقص له منها وانه لا مانع لما أعطى الله ، ولا معطي لما منع ، وان الشيخ باب الله تعالى ، فما تفضل به الله تعالي على المريد وصله على يد الشيخ وخرج له على الباب ومالم يتفضل به الله تعالي لا يقدر الشيخ على اعطائه وان الشيخ طبيب يعرف الخلط الفاسد ، والركن الغالب ، فيأمر المريد بما يصلح الفاسد ويعدل الغالب ويقول له استعمل الدواء الفلاني واترك الغذاء الفلاني وهذه أسباب ان سبق القـدر بنجاحها و نفعها نفعت والا فلا ، كسائر الأسباب لا ان الشيخ يعطي من لم تسبق له قسمة فى الأزل ، او يقدم ماتأخر أو يأخر ما تقدم فان هذا شيء لم يجعله الله تعالى لأحب خلقه ، وأفضل رسله ، وأكرمهم لديه ، فقال له ، انك لاتهدي من أحببت ، وليس لك من الأمر شيء ، أفأنت تنقـذ من فى النار ، وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ، الى أمثال هذا ، وانما الواجب على المريد الكامل أن يكون مع الشيخ الكامل ، كما كان الصديق رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، فانه كان يراه باب الله الأعظم والداعي الى الطريق الأقوم وأنه افضل العالمين ، وسيد المرسلين ، وما كان يعتقد بيده ضرا ولا نفعا ، ولا عطاء ولا منعا ، ولا هداية ولا ضلالة ، ولهذا ثبت يوم موته صلى الله عليه وسلم وخطب خطبته المشهورة فقال من كان يعبد محمدا

فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبـد الله فان الله حيّ لا يموت ، وتلا ، وما محمد الا رسول الآية ، فكل رسول ووارث داع انما دعوا الى الله والله لا يزول ولا يحول بل كل الدعات انما هم ظهورات الحق تعالي وصوره وهو الداعي نفسه لنفسه بنفسه ، فهو الداعي من حيث ظهوره وتعينه بصور الرسل والمشائخ والمدعو من حيث ظهوره وتعينه بصور المريدين ودعوته لنفسه من حيث رتبة الألوهية لا رتبة الأطلاق

(الموقف العشرون)

طلبت من الحق تعالي يجعل لي نورا أكشف به حتى أعرف ما آتي وما أذر فقال لي فى الحين هاهو ذا في الكتاب والسنة فانتبهت حينئذ لقوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم. فعرفت أنه لا نور يرغب فيه الراغبون مثل الاستقامة على الكتاب والسنة لانه تعالى ضمن النجاة فى العمل بهما وماضمنهما فى العمل بالكشف ولذا قال استأذنا أبو الحسن الشاذلي أنه يردعلي الواردفلا أقبله الا بشاهدين عدلين وهما الكتاب والسنة او كما قال وان طوق الشريعة لا يزول عن رقبة عارف ولا مكاشف مادام بدار التكليف

(الموقف الواحد والعشرون)

قال تعالى فى سحرة فرعون، قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون، وقال حكاية عن فرعون ، آمنت أنه لا آله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين انما زاد السحرة ذكر موسى وهارون وما اقتصروا على قولهم رب العالمين لأنهم مأمورون بتصديق موسى وهارون فيما جاء به من

الأوامر والنواهى الزائدة على التوحيد وكل من كان داخلا تحت رسالة رسول أي رسول فلا ينفعه توحيده دون ايمانه بذلك الرسول وانقياده له فانه مأمور أن يوحد لقول الرسول له وحد لا مطلق التوحيد، ففى ذكر السحرة لموسى وهارون اقرار برسالتهما وان توحيدهم هذا اتباع لهما واذعان لما جاء به من التوحيد وغيره كأنهم قالوا فى ضمن ذكر موسى وهارون صدقنا برب العالمين لأمر موسى وهارون وفى ذلك نجاتهم لان التوحيد المجرد عن الايمان برسول انما ينفع من لم يكن داخلا تحت رسالة رسول كقس بن ساعدة الأيادي، وزيد بن عمرو بن نفيل، وأضرابهما وكذا قول فرعون آمنت انه لا آله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل، مراده ببنى اسرائيل موسى وهارون وأتباعهما فهو توحيد واقرار برسالة موسى وهارون واذعان لهما، ولما جاء به وما هو بايمان يأس فانه شاهد كرامة الله تعالى لموسى، وعاين قدرته تعالى: كيف جعلت البحر يبسا فلم ييأس من حصول هذه الكرامة له بأيمانه بموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، وقد نص الله تعالى على أن فرعون آمن ايمانا كاملا بقوله، الآن وقد عصيت قبل فما نعى عليه الا تأخير الايمان فقط لان عصيان فرعون ما كان عن جهل بصحة رسالة موسى وصدقه وانما جحوده استكبارا مع معرفته فى الباطن قال تعالى فى حقه وحق قومه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وأقوى حجة للمخالف فى عدم قبول ايمانه قوله تعالى، فاخذه الله نكال الآخرة والأولى ولقد أعلمنى الحق تعالي أن معناها انه جمع لفرعون فى الغرق نكال الآخرة والدنيا، فلم يبق عليه بعد الغرق نكال فى الآخرة هكذا ألقى الي وقد ذكر أستاذنا محي الدين للآية وجها غير هذا وما كان فرعون مغرغرا حتى لا يقبل

ايمانه فان الغرغرة نفس واحد يخرج ولا يرجع ،وفرعون تكلم بعد الايمان كلمات كثيرة حكاها الله عنه وخاطبه الحق بكلمات كثيره وكون ايمان اليأس غير مقبول انما هو في دفع العذاب الدنيوي سنة الله التي قد خلت في عباده الا قوم يونس لما آمنوا كشف الله عنهم العذاب في الدنيا ولذلك قال في آخر الآية وخسر هنالك الكافرون ، الاشارة للبعيد وهو يوم القيامة أي الذين ماتوا وهم كفار ، لا الذين ماتوا وهم مؤمنون ، وانما لم ينفعهم ايمانهم في كشف العذاب الدنياوي لأنه تعالى جعله لهم تطهيراً لما سلف من الكفر والعناد كالحدود في الدنيا فانها لا ترفعها التوبة وقد شهد عليه السلام لما عز بانه تاب توبة لو قسمت على أهل الارض لوسعتهم ومع هذا رجمه عليه السلام وكيف لا يكون ايمان اليأس مقبولا وقد ورى صلى الله عليه وسلم القوم الذين قتلهم خالد بن الوليد رضى الله عنه وكان خالد صبحهم فجعلوا يقولون صبانا صبانا ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، وقال عليه السلام لأسامة رضى الله عنه ، أقتلته بعد أن قالها ، قال أسامة فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم ، وقال عليه السلام للذي سأله ، أرأيت لو لقيني مشرك وضربني وقطع احدى يدي ثم لاذمني بشجرة وقال لا آله الا الله أقتله ، فقال له عليه السلام ، ان قتلته كنت بمنزلته قبل أن يقولها وكل هذا في الصحيح فمن قال بعدم قبول ايمان اليأس ما أمعن النظر ومن عرف الحق عرف أهله ومن عرف الحق بالرجال تاه في مهامه الضلال وربما يقول الواقف ان هذه المسألة مما لا يعني وانما ذكرتها ليعلم الواقف سعة رحمة الله فلا ييأس ولا يقنط ويظن خيرا فيكون الحق عند ظنه

(الموقف الثاني والعشرون)

ورد في الصحيح عنه تعالى ، قال أنا جليس من ذكرني ، الحديث بكماله فلفظة انا وني يقتضيان أن المراد المجالسة بالذات ومجالسة الحق تعالى الذاتية انما هي اذا ذكره باسماء الذات كالله والهو والحق والاحد وأسماء الضمائر وأما اذا ذكره الذاكر بأسماء الصفات أو اسماء الأفعال وكان قصد الذاكر المعنى الذى دلت عليه لفظة الاسم فلا يكون الحق جليسه الا من حيث ذلك المعنى خاصة لابالذات وكذلك اذا ذكره بالاسم ، الله ، وكان قصد الذاكر معنى من المعانى التي دل عليها الاسم ، الله ، من حيث أنه جامع لجميع معاني الاسماء كما اذا قال يا ألله ارزقني او يا ألله عافني مثلا فان مقصوده من لفظة الله مادل عليه من معنى الرازق والمعافي وكل اسم من اسماء الصفات والأفعال له اعتباران اعتبار من حيث دلالته على الذات واعتبار من حيث المعنى الذى دلت عليه لفظة الاسم ، فأما من حيث الاعتبار الأول فهو عين الذات وعين جميع الأسماء فيصح نعته بجميع الأسماء وأما من حيث الاعتبار الثانى فهو غير الذات وغير جميع الأسماء ومن هذا المعنى الذى أسلفناه قوله تعالى يوم نحشر المتقين الي الرحمن وفدا فحيث لم يكن المتقي جليسا للرحمن فى الدنيا وانما كان جليسا لاسم من أسماء الجلال كالمنتقم والجبار وشديد العقاب ونحوها ومجالسة اسماء الجلال تمنع من اسماء مجالسة الجمال كالرحمن ونحوه وهى التي حملته على التقوى جزاه الله تعالي بحشره الى الرحمن وفدا حتي يرحمه الرحمن ويكرمه وينعمه وقد عقل عن هذا المعنى العارف الكبير أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه فانه سمع قارئا يقرأ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا فقال ياعجبا كيف

يحشر اليه جليسه ولذا قال امام العارفين محي الدين ليس العجب من قول الله هذا وانما العجب من قول أبي يزيد والكمال لله فلهذا نقول: الذي يحشر الى الرحمن مقطوع بنجاته بخلاف الذي يحشر الى الله كما في قوله ، واتقوا الله الذى اليه تحشرون ، فانه بين خوف ورجاء من حيث الأسم ، الله ، جامع لمعاني أسماء الجلال والجمال فيمكن أن يقابل المحشور اليه بأسماء الجمال ويمكن أن يقابله بأسماء الانتقام لايقال أن الأسم ، الرحمن ، كذلك له الأسماء كلها كما قال تعالى ، قل أدعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ، لأنا نقول الاسم الرحمن ولو كانت له الاسماء كلها كما هي منه فانها حين تكون تحت حيطته وفى قبضته لاتخرج الا بنفسه ، وهو الرحمة لأن الدولة والحكم له وأما قوله تعالى ، وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ، الآية فكذلك خافوا من الحشر الى الحضرة الجامعة لأسماء الربوبية كلها ولا يعرفون ما يتلقاهم منها من الأسماء ولو عرف كل واحد أنه يحشر الى ربه الخاص ما خاف لأنه كان معه فى الدنيا وكل واحد من المربوبين مرضي ربه لأن المربوب شأنه طاعة ربه الخاص ، فلذلك هو ربه راض عنه كيفما كان ربه مضل أو هاد أو جبار أو عفوا أو غير ذلك وهذا الخبر الرباني ما جاء على مقتضى خطاب العموم حتى تقبله العقول المحجوبة من غير تأويل وما قبلته الا بضرب من التاويل ولا جاء على ما هو الأمر عليه فى نفسه وحقيقته فانه لو جاء على هذا لقال لا يظن ذاكري أنه غيري فأنا الذاكر والذكر والمذكور والحكمة فى وروده باللفظ الذى ورد به هو قبوله نتأويل المتأولين بخلاف مالو صدعهم بصريح الحق ونفس الأمر فانهم يعجزون عن تأويله فلا يقبلونه وكم من حديث رده

علماء الرسوم لعجزهم عن تأويله وعندهم من علامة وضع الحديث وروده بصفة تخالف العقل ولا يقبل التأويل حتى يجمع بين مقتضى العقل ومقتضى الحديث ، وهؤلاء جعلوا عقولهم أصلا يرجع اليه الكتاب والسنة ، وهذا آخر شيء على المتكلمين فى المتشابهات من الآيات وأحاديث الصفات نعوذ بالله من الجهل الذى صورته صورة علم ولو كان من هذه سبيله عاميا يؤمن بالمتشابهات على مراد الله تعالى ، ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم كالسلف لكان خيرا له وأول من وسع باب التأويل أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه ولكنه ما اتخذه دينا وعقيدة وإنما ألجأه الى ذلك أهل الاهداء والبدع فأنهم يستدلون لبدعتهم من الكتاب والسنة نكلمهم بلسانهم ورد عليهم بسهامهم ولذا قال فى كتابه الأبانه وهو آخر مؤلفاته أن مذهبه فى المتشابهات مذهب أمام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه

(الموقف الثالث والعشرون)

قال تعالى ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، اعلم أن الحق تعالى ، هو الظاهر بهذه الصور المشكلة المحدودة التي هي خيالات لاوجود ولاحقيقة لها الا فى المشاعر الانسانية كما اذا أخذت عودا فى طرفه نار وأردته بسرعة فانك تري دائرة نار لا تشك فيها وكذا أن حركته مستقيما فانك ترى خطا من نار لا تشك فيه بحسك وتخيلك وتحكم بعقلك وعلمك أنه ليس ثمة الا الجمرة التي علي رأس العود فهكذا جميع ما ترى فى الأرض والسماء ليس الا أمر الله الذى هو مجموع صفات الله الظاهر بكل صورة وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر وهذه الصور المشكلة المحدودة فى الأرض والسماء هى أحكام الاستعدادات الممكنة الثابتة فى العلم التي ما شمت رائحة الوجود ولا

تشم أبدا المسماة بالأعيان الثابتة وبالحقائق عند الصوفية وبالماهيات عند المتكلمين والحق الذى هو الأمر الظاهر بها على ما هو عليه من الاطلاق وعدم التقييد بهذه المظاهر والوجود الحق المسمى بالأمر لا يظهر الا بما يقتضيه استعداد كل عين ثابتة وما هي طالبة له من الأحوال ومتأهلة من الأزل والقدم من ايمان وكفر وطاعة ومعصية وعلم وجهل وصلاح وفساد وحسن وقبيح وغير ذلك من الأقوال والأفعال والاعتقادات والصفات فصاحب هذا الشهود اذا بدا له قول أو وفعل يسوءه من صورة لا يقول هذا حق وأنا مستحق لهذا الأمر الصادر من هذه الصورة وانما يرجع الى نفسه ويفتشها والانسان على نفسه بصيرة لأن الفاعل والمتكلم وان كان هو الحق حقيقة من خلف أستار الصور فهو لا يفعل ولا يقول الا ما هو مقتضى العين الثابتة التي تلك الصورة حكاية عنها كحكاية الصور الظاهرة فى المرايا مما قابلها من الأشخاص فأمر الله الذى هو الوجود المفاض على المكونات هو الظاهر وهو الشهادة، وهو المحيط بكل شىء والمخلوقات هى الباطنة وهي الغيب ولكن الحكم دائما للباطن فى الظاهر وللغيب فى الشهادة فحكمت أحكام الاعيان على الوجود الحق الظاهر بما تقتضيه حقائقها فلا يظهر الا بأحكام كائنة ما كانت من نقص أو كمال وهي اعدام لأنها نسب وأعراض وهو تعالى فى هذا الظهور على ما هو عليه من الكمال لا حلول ولا اتحاد ولا امتزاج ومن هنا كانت الحجة البالغة للحق تعالي على الخلق ولا يظلم ربك أحدا لأنهم بطلب استعداداتهم طالبون منه تعالي أن يظهر بأحكام كل عين وما تقتضيه وهذا الاستعداد الكلي غير مجعول فما هو مخلوق ولا هو من فعله فتكون الحجة للخلق وهنا ظلمات مدلهمات تقصر دونها الخطا

وتضل فيها القطا

(الموقف الرابع والعشرون)

قال تعالى ، فاعلم أنه لا إله الا الله المعني أنه لا يستحق العبادة والخضوع والاتصاف بصفات الآله وجه من وجوه الحق تعالى الظاهرة بالمظاهر التي هي أي المظاهر اعدام عند التحقق الا الذات المسمى بالله وذلك أن الحقيقة المسماة بالله واحدة من كل وجه ومع وحدتها فهي ظاهرة وتظهر بما لا نهاية له من الصور ولها في كل صورة وجه خاص بتلك الصورة فهي واحدة كثيرة واحدة بحقيقتها كثيرة بتعيناتها ومظاهرها لحقيقة الله وان ظهرت بكمالها في مظاهرها التي لا تتناهى فهي لا تتجزىء ولا تتبعض ولها في كل مظهر وجه خاص أي ذات ولا يستحق العبادة وجه من تلك الوجوه الظاهرة بالمظاهر الا الذات المسمى بالله لأن غيرها وان كان هو هي فانه لا يسمى الله فانه تعالى لما ظهر بهذه الصور سماها غير أو سوى وانسانا وملكا وعرشا وفلكا وشمسا وكوكبا ونحو ذلك قال تعالى موبخا لعبدة الأصنام قل سموهم يعني الأصنام التي عبدوها فلو سموهم ماسموهم الا حجرا أو شجرا أو نحو ذلك وما سموا معبوداتهم الله أبدا فكل من عبد شيئا غير مسمى الله فهو كافر وان كانت حقيقة ذلك المعبود هي الحقيقة المسماة بالله وما أصاب الحق الا من عبد الذات المسمى بالله الغيب المطلق الذي لا صورة له ولا يعرف منه الا وجوده لا غير من حيث اتصافها الألوهية وماسوى ذلك مما يعده المتكلمون في الذات من علماء الرسوم معرفة فهو الي الجهل أقرب منه الى المعرفة وعلى هذا التفسير يكون الاستثناء ظاهرا فهو بمثابة قولنا لا رجل الا زيد نفينا صفة الرجولية عن كل رجل وان كانت ثابتة له وأثبتناها للذات المسماة بزيد

فقط وأما التفسير المشهود فالاستثناء فيه مشكل ولذا كثر فيه اللغط والاختلاف حتى قال بعض العلماء ينبغي أن يكون الاستثناء فى الكلمة المشرفة قسما برأسه ليس من أقسام الاستثناء المعروفة والذين عبدوا ماعبدوا من دون الله ماقصدوا بعبادتهم الا المظاهر التى حصروا الحق فيها وهي الصور المشهورة لهم وما عرفوا الحق الظاهر بتلك الصور وبغيرها فضلوا وأضلوا

(الموقف الخامس والعشرون)

قال فى الحكم ، لولا ميادين النفوس ماتحقق سير السائرين ، معناه لولا مايكون فيه سير معنوي ويحصل فيه تردد وصعود وهبوط وهي صفات النفس المعبر عنها بالميادين أي المجالات المتسعة والسير فيها بقطع وصلتها وتبديل صفاتها ومحو آثارها وعاداتها والنفس حقيقة واحدة ولكن تعددت باعتبار تعدد صفاتها وتباين مقتضياتها فيقال أمارة لوامة ملهمة مطمئنة ماتحقق سير السائرين أى ماثبت ونسب سير لسائر لأنه ليس هنالك شيء محسوس يسير فيه السالك حتى يقطعه وانما هو سير معنوي فى مجالات معنويه وهي النفوس التى يكون سير السالك فيها وقطعها كناية عن تبديل صفاتها البهيمية بالصفات الآلهية بمعنى أنه يملكها حتى يضع كل وصف فى محله اللايق به ويصرف كل وصف مصرفه وأما محو الصفات بمعنى زوالها بالكلية فهو غير واقع لأنها لو محيت لمحيت النفس رأسا وانعدمت ولا يتوهم متوهم أن السالك سائر الى الله فى مسافة محسوسة وأن الوصول الى الله وصول محسوس فان هذا وهم باطل ، وجهل عاطل ، لأن من هو أقرب للانسان من حبل الوريد ومن الجليس كيف يتوهم السير والوصول اليه لامسافة بينك وبينه تقطعها

رحلتك، وتطويها وصلتك، فلا يصح اطلاق السير الي الله تعالي الاّ بنوع من المجاز وهو أنه لما كان السالك السائر فى ميادين النفوس اذا قطع تلك العقبات المغنوية يصل الى العلم بالله تعالى، صح أن يقال سار الي الله والا لجل ربنا ان يسير اليه أحدا ويصل اليه فانه أقرب اليك من نفسك التي تتخيل مغايرتها لله تعالى وانها سائرة اليه وواصلة

(الموقف السادس والعشرون)

قال تعالى، فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره، الحكمة فى تحجير الأمر باستقبال القبلة فى الصلاة مع قوله فأينما تولوا فثم وجه الله أى ذاته ومع كون التحجير فيه نوع تقييد للمعبود انه ماظهر بغيرها ومع مافى ذلك من التشبه بعبدة الأوثان والأصنام فى الظاهر اذ التوجه فى الصلاة والطواف بها لايقع فى ظاهر الأمر وبادى الرأي الاالى الكعبة وأحجارها هو أنه تعالي لو أطلق الأمر وما حجره وجعل التخيير للمصلين لأدّى ذلك الى التفرقة والحيرة فربما يريد وصل جهة ويريد الآخر أخرى وآخر أخرى فينحل النظام وتخل الجماعة وأساس الدين هو الاجتماع والاتفاق وأيضا تكون حيرة العارفين فى الاطلاق وعدم التحجير أعظم لانهم عارفون ظهور الحق تعالى فى كل مظهر وصورة بوجه خاص والمظاهر متفاضلة بما لا ينحصر فى قبول الظهور والعارف أكثر مشاهدته وتوجهه الى المظهر الذي خواص الوجود فيه أكثر ظهورا وخواص الوجود الحق ماظهرت فى مظهر مثل الانسان الكامل فى كل عصر فلو أطلق الأمر الي العارف ماتوجه الا اليه وهو مجهول المكان فتعظم حيرة العارف

(الموقف السابع العشرون)

قال تعالى «وانه هو أضحك وأبكى» كنت متوجها أذكر الله فى خلوتي فأخذني الحق تعالي عن العالم وعن نفسي فسمعت قائلا يقول ان الله تعالى ماأضحكنا وأبكانا فى الدنيا الا ليضحك لنا الآخرة فلما رجعت الى نفسي علمت أن هذا تسلية وبشارة ، فان السالك السائر تتلون أحواله دائما فتارة قبض وتارة بسط وتارة ضحك وتارة بكا والموجب لذلك مشاهدتان الأولى مشاهدة مامن الله تعالى اليه من الستر عليه والاحسان اليه وأنه عبد الله تعالى وأنه سائر اليه ولحضرة قربه، ولحسن ظنه ، بربه بأنه سيرحمه ويرفع حجبه ويعرفه بنفسه ويجلسه مجلس الرضى مع الأحباب المخصوصين بالقرب والكرامة فهذه مشاهدة توجب الفرح والضحك والانبساط والثانية مشاهده مامنه الى الله تعالى من سوى الأدب والتقصير فى الأوامر وعدم شكر النعم مع التفكر فى حالته الراهنة وبعده من حضرة الاحباب وتراكم الحجب وغلبة النفس والهدى واستيلاء حب الدنيا والشهوات على قلبه فمشاهدة هذه الأمور توجب القبض والحزن والبكا بل توجب ازهاق الروح لمن كانت له همة سنية، ونفس انسانية ، فالسالك لايخلو من هاتين الحالتين أبدا ولا تظهر له من الحق تعالى علامة الرضى وهو الضحك الخالص مادام فى هاتين المشاهدتين فاذا أراد الله تعالى رحمته أظهر له علامة الرضى برفع الحجاب وأدناه من حضرة الأحباب وعرفه بنفسه وخلع عليه من خلع الكرامة، وأنعم عليه بأنواع النعم لأن من عادة الملك اذا ضحك لأحد فعل به أنواعا من الكرامة ويكون المراد بقوله فى الدنيا الحالة القربى من السالك وهى بدايته فى السلوك والسير اذ الدنيا مأخوذه من الدنو وهو القرب

لكونها أقرب الينا من الآخرة ويكون المراد بالآخرة حالة السالك المتوجه حين يرحمه الله تعالي بحلول رضوانه عليه وكشف حجابه لأنها آخرة بالنسبة الى حالته الأولي وما سميت الآخرة آخرة الا لتأخرها بالنسبة الي الدنيا

(الموقف الثامن والعشرون)

قال تعالي، قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ،قال عامة المفسرين الكلمات هى المقدورات لان القدرة تتعلق بكل ممكن ولانهاية للممكنات وعندى من باب الاشارة أن المراد بالكلمات الكلمات الحقيقية جمع كلمة وذلك أن الحق تعالى هو المتكلم من وراء جدار كل صورة ينسب الكلام اليها لأنه لسان كل متكلم وسمعه وبصره كما ورد فى الصحيح ولأنه وجود كل متكلم والكلام تابع للوجود كسائر الصفات فالكلام له تعالى حقيقة ولغيره مجاز والمتكلمون مجازا لانهاية لكلامهم لأنهم بعد دار الدنيا يصيرون الى الدار الأبدية التى لانهاية لها فلا نهاية لكلامهم وليس كلامهم الا كلام الله وانما كان لانهاية له لأنه لم يدخل جميعه فى الوجود فيلزمه التناهي فهو غير محصور بخلاف البحر فانه محصور دخل فى الوجود وكل مادخل فى الوجود فهو متناه فلو كان البحر المتناهي مددا لكلمات ربى الغير المتناهية لنفد البحر وانقضى قبل أن تنفد كلمات ربى لأنها غير متناهية ولو جئنا بمثله مددا أي ولو جئنا ببحر آخر مثله أى مماثل له فى صفاته التي من جملتها دخوله فى الوجود والتناهى مددا أى تقوية له وزيادة فيه لنفد قبل أن تنفد كلمات ربي الغير المتناهية وأيضا كلامه تعالى تابع لعلمه أو هو العلم نفسه تعددت أسماؤه لتنوع ظهوراته فاذا أضيف علمه تعالى الى استماع دعوة

المضطر قيل سميع، واذا أضيف علمه الى رؤية كل شيء قيل بصير، واذا أفاض علما على قلب عبد من عبيده قيل متكلم، ونحو هذا ومعلوماته لانهاية لها فكذلك كلامه لانهاية له.

(الموقف التاسع والعشرون)

كنت بين النائم واليقظان فقيل لي ان الناس يظنون أنهم فى حالة النوم فى خيال وعدم، وفى حالة اليقظة فى وجود حق، وما يدريهم أنهم فى الحالتين فى خيال لاحقيقة له، فانهم فى حالة النوم فى خيال متصل، وفى حالة اليقظة فى خيال منفصل، وحقيقة الخيال فيهما واحدة اذ الخيال المتصل شعبة من الخيال المنفصل والخيال لاموجود ولا معدوم، ولامنفي ولامثبت وجميع ما يدرك بأي آلة من آلات الادراك كانت فهو فى هاتين المرتبتين وليس فى الوجود الحق الثابت الا الله تعالي عزوجل والأرواح والأجسام خيال كلها

(الموقف الثلاثون)

قال لي الحق تعالى: تدرى من أنت؟ فقلت نعم أنا العدل الظاهر بظهورك، والظلمة المشرقة بنورك، فقال لي عرفت فالزم واياك أن تدعي ماليس لك فان الأمانة مؤداة، والعارية مردودة، واسم الممكن منسحب عليك أبدا كما هو منسحب عليك أزلا ثم قال لي أتدري من أنت؟ فقلت نعم أنا الحق حقيقة والخلق مجازا وطريقة أنا الممكن صورة الواجب ضرورة اسم الحق لي هو الأصل واسم الخلق علي العارية والفصل فقال لي أعم هذا الرمز؛ ودع الجدار ينقض على الكنز، حتى لا يستخرجه الا من أتعب نفسه، وعاين رمسه، ثم قال لي الحق تعالى ما أنت فقلت ان لي حقيقتين من حيثيتين أما من حيث أنت

فأنا القديم الأزلي الواجب الوجود الجلي أما الوجوب فمن اقتضاء ذاتك ، وأما القدم فمن قدم علمك وصفاتك ، وأما من حيث أنا ، فانا العدم الذي ماشم رائحة الوجود ، الحادث الذى فى حال حدوثه مفقود فما كنت حاضرا بك لك فانا وجود ، وما كنت غايبا بنفسي عنك فانا مفقود موجود ، ثم قال لي ومن أنا ؟ فقلت أنت الواجب الوجود بالذات المنفرد بكمال الذات والصفات بل تنزهت عن كمال الصفات بكمال الذات فأنت الكامل فى كل حال ، المنزه عن كل ما يخطر بالبال ، فقال ما عرفتني فقلت من غير خوف عقوق ، وأنت المشبه بكل حادث مخلوق ، فأنت الرب والعبد ، والقرب والبعد ، وأنت الواحد الكثير ، والجليل الحقير ، الغنى الفقير ، العابد المعبود ، الشاهد المشهود ، فانت الجامع للمتضادات وجميع أنواع المنافاة فانك الظاهر الباطن ، المسافر القاطن ، الزارع الحارث ، المستهزىء الماكر الناكث ، فانت الحق ، وأنا الحق ، وأنت الخلق ، وأنا الخلق ، ولا أنت حق ، ولا أنا حق ، ولا أنت خلق ، ولا أنا خلق ، فقال حسبك عرفتني واسترني عمن لا يعرفني فان للربوبية سرا لو ظهرت لبطلت الربوبية ، وللعبودية سرا لو ظهرت لبطلت العبودية ، وأحمدنا على أن عرّفناك بنا فانك لا تعرفنا بغيرنا ، اذ لا دليل غيرنا علينا

(الموقف الواحد والثلاثون)

قال الله تعالي ، لا يزال عبدى يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، الحديث القدسي بطوله أخرجه البخارى ومسلم ، هذه رتبة عليا وصاحبها غير كامل لأنه يرى له ذاتا ونفسا قائمة موجودة والحق صفاتها من سمع وبصر ويد ورجل

فنفسه عنده مقرره وأفعاله بالحق تعالى وأعلى منه وأكمل عكسه ، وهو الذى يرى نفسه صفات الحق،فيكون سمع الحق وبصره،وكلامه الى آخره، وهذا وان كان أكمل ممن قبله ففيه بقية نقص فانه ما انعدمت عينه جملة واحدة وأعلى منهما معا من يحصل على الفناء والمحق فانه رجع الى الاطلاق بعد التقييد،ولم يبق له اسم،ولا عين ولا رسم،ونودي عليه لمن الملك اليوم هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ؛ وفى هذا الفناء تحصل الرؤية الحقيقية فانه ما غاب عن العالم وعن نفسه الا برؤية الحق تعالى ، وفي نفس الأمر الرائي والمرئي واحد والتعدد اعتبارى وما عدا هذا مما يقال فيه رؤية فهو مجاز ومن السالكين من يحصل على الفناء والمحو قبل قرب النوافل والفرائض وهو السالك المجذوب بالعناية وقوله: كنت سمعه الى آخر الحديث فيه إيماء الى ما هو الأمر عليه فى حقيقته بأن الحق تعالى هو السامع والسمع والمتكلم والكلام اذ لا يصح أن يكون الحق تعالي صفة يقوم بذات العبد الحادث لأنه تعالى ذات ما هو صفة والذات لا تقوم بذات أخرى فمنطوق الحديث غير مفهومه لأن منطوقه اثبات عين العبد وتقررها ومفهومه نفي عين العبد ومحوها وانه ليس هنالك الا الحق تعالى هو العين والصفة وهو الظاهر بأحكام عين العبد الثابتة فى العلم والعدم،اذ العبد معدوم أبدا كما هو معدوم أزلا وانما هو عبارة عن الأحكام العدمية التي ظهر الوجود الحق بها لا غير ولا حلول،ولا اتحاد كما يفهمه العميان،ولا تأويل كما يقوله أصحاب الدليل والبرهان، وسمى الحق تعالى نفسه فى هذا الظهور وهذه المرتبة عبدا وهو العزيز الحكيم ولا يسأل عما يفعل ، ويدل قوله تعالى كنت سمعه انه تعالى سميع بذاته بصير بذاته الى آخر الصفات ولا يفهم من قوله كنت

سمعه الى آخره انه لم يكن كذلك ثم كان وانما المراد رفع الحجب عن هـذا المتقرب بالنوافل حتى يشاهد الأمر على ما هو عليه فى هذه المرتبة وهذا الظهور لا أنه حدث ذلك بعد أن لم يكن فوقها مراتب كما ذكرنا فهـو المتـكلم منك لأنه لسانك ، وهو السامع لأنه سمع مخاطبك ، فهو المتكلم والسامع من كل متـكلم وسامع ، فتحت اشارة هـذا الحديث الربانى بحور ذاخرة ، ترجع العقول عنها حائرة، كأنها حمر مستنفرة ، فرت من قسورة

(الموقف الثانى والثلاثون)

قال تعالى، واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان ، اعلم أن الحق تعالى لا يعطي احدا مايطلبه بلسان مقاله الا اذا وافق طلب لسانه طلب استعداده ، فاذا خالف طلب الاستعداد طلب اللسان فلا يعطي تعالي الا ماطلبه الاستعداد كائنا ما كان ذلك الطالب وذلك المطلوب فلو طلب القصار تبييض وجهه ماأجابه الحق لأن استعداده يطلب خلافه وهو تسويد وجهه ، ولو طلبت شقة الـكتان مثلا تسويدها ماأجاب الحق سؤالها لأن استعدادها يطلب خلاف ذلك،وهو تبييضها،والانسان قد يكون له استعداد الطلب باللسان ومايكون له استعداد قبول المطلوب فاذا سأل أحد من الحق تعالى شيئا ولم يعطه إياه،فانما ذلك لـكون استعداده طلب خلافه وليس له استعداد لقبول ذلك المطلوب والافتعالي الحق أن يمنع أحدا عن بخل فالآية الـكريمة وان كانت مطلقة فى ظاهر اللفظ فهي مقيدة بطلب الاستعداد وسؤاله فان مدار الأمر كله على الاستعداد للقبول سواء طلب أو لم يطلب والاستعدادات الـكلية قديمة لم يتعلق بها جعل ، وانما حصلت بالفيض الأقدس الذاتي فالحق تعالى حكيم لا يعطي أحدا شيئاهو غير طالب

له باستعداده فيكون مستعدا لقبوله فلو عمد الملك مثلا الى خزاين السلاح فأعطاها العلماء لطلبهم اياها منه، وعمد الى خزاين الكتب ففرقها على الجند لطلبهم اياها منه ، ما كان حكيما لأن العالم غير مستعد لاستعمال السلاح والحرب ولو طلب السلاح بلسانه ، والجندي غير مستعد لفهم الكتب ولو طلبها بلسانه ، والله عليم حكيم .

(الموقف الثالث والثلاثون)

سمعت المؤذن في المسجد الحرام يتلو على المناره قوله تعالى : ان الله لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فعجبت من هذه الاخبار لرسوله صلى الله عليه وسلم مع تأكيده بان، ثم ألقى الحق اليّ ان المقصود بهذا الخطاب والاخبار العامة الجاهلون بالحق ، وأما العارفون فانهم عرفوه تعالى عين كل شيء في الأرض والسماء فكيف يخفى عليه شيء في الأرض والسماء وهل تخفى عليه عينه فهذا الخطاب بمنزلة قوله انا عالم بذاتي ولا يخفى عليّ شيء من ذاتي وهذا غير مفيد للعارفين شيئا لم يكن عندهم، وجل الحق تعالى عن الخطاب بغير فائدة فتعين أن المقصود بهذا الاخبار العوام لأن تأكيد الخبر لايكون الا لمنكر أو متردد ، والرسول صلى الله عليه وسلم وورثته ماوقع منهم تردد فضلا عن الانكار

(الموقف الرابع والثلاثون)

قال تعالى ، فولّ وجهك شطر المسجد الحرام ، الآية ، اعلم أنه لا وجود الا الوجود الواحد الحق تعالى والمسمى عالما ومخلوقات مظاهرة من أول مخلوق الى آخر مخلوق ، فحق بلا خلق لايظهر ، وخلق بلا حق لايوصف بالوجود ، والوجود الحق واحد لايتعدد ولايتغير ولا ينحصر

ولا يحد ولا تقيده الأكوان والمظاهر ومظاهره متعددة متغيرة منحصرة مقيدة فيظهر فى مظهر بالعلم لأنه حكم استعداد ذلك المظهر فيسمى المظهر عالما ، ويظهر فى مظهر بالجهل فيسمى ذلك المظهر جاهلا ، ويظهر فى مظهر بالقهر فيسمى ذلك المظهر قاهرا ، لأنه حكم استعداد ذلك المظهر ويظهر في مظهر بالذل فيسمى ذلك المظهر ذليلا مقهورا ، لأنه حكم استعداد ذلك المظهر ويظهر فى مظهر بالمعبود فيسمى المظهر معبودا ، لأنه حكم استعداد ذلك المظهر ، ويظهر فى مظهر بصورة العابد فيسمى المظهر عابد الكون ، ذلك حكم استعداد ذلك المظهر والحق ماعرف الا بجمعه الأضداد ، فكل المتضادات فى العالم هو جامع لها بل هو عين الأضداد كلها وانما يظهر فى كل صورة بحكم استعدادها وبما هو من أحوال عينها الثابتة فى العلم والعدم وعليه فالحق تعالي ظهر فى الصورة المسماة بالكعبة بصورة المعبودية ، وهو المعبود وان وقعت العبادة للكعبة فى الحس ، كما أنه ظهر في الصورة المسماة بمحمد بصفة العابدية وهو العابد وان ظهرت العبادة من الصورة المحمدية ، فى الحس والعقل ، فسمى نفسه عابدا فى مظهر لظهوره فيه بصفة العابد ، وسمى نفسه فى مظهر معبودا لظهوره فيه بصفة المعبود إذ المسمى مخلوقا ليس هو الا أسماؤه تعالى ظهرت بذلك الشكل وتلك الصورة والأسماء أمور عدميه فظهورها فى التحقيق ظهور ذاته السارية فى كل مخلوق من غير سريان ولكن الذات باطنة هنا لظهور التعدد فى الأسماء ومقتضى الوحدة بظهور الأسماء فهي باطنة حال ظهورها وقد نقل عن الشيخ الأكبر أنه قال مظهرية الكعبة أفضل من مظهرية محمد صلى الله عليه وسلم ، فان صح النقل عنه فوجهه ماذكرناه من مظهرية العابدية والمعبودية لاغير ولا يلزم

منه فضل الكعبة ولا هو مذهب الشيخ ولا غيره من العارفين

(الموقف الخامس والثلاثون)

قال تعالى ، فاعلم أنه لا إله الا الله ، فالحق تعالى انما أمر عباده بمعرفة مرتبته ذاته وهي الألوهية وما أمرهم بمعرفة ذاته التي هي الغيب المطلق والوجود البحت بل نهاهم عن طلب ذلك ، قال تعالي ، ويحذركم الله نفسه وقال صلى الله عليه وسلم تفكروا فى آلاء الله ولا تتفكروا فى ذاته فما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم الا بمعرفة الألوهية التي هى مرتبة الذات وظهور الصفات لأن الأثر ليس الا للصفات وان كانت لا عين لها وانما هى مراتب للذات ومعرفة الأثر توصل الى معرفة المؤثر كما قيل ، البعرة تدل على البعير ، فالذات من حيث هو هو لا يدرك حسا ولا عقلا ولا كشفا ، بخلافها من مرتبة الألوهية فانها تدرك حسا وعقلا وكشفا ، والمتكلمون فى التوحيد العقلي خلطوا الأمر ، وحيروا الفكر ، وخبطوا خبط عشواء فى ليلة ظلماء ، فكلامهم ان كان فى الذات البحت فالذات لا كلام فيها بنفي ولا اثبات ، وان كان فى مرتبة الذات وهي الألوهية فهي لا حجر عليها ولا حصر ولا تقييد لها فالذات البحت لا خبر عنها ولا وصف ولا اسم ولا حكم ولا رسم المخبر عنها صامت ، والناظر اليها باهت ، فان المطلق بالاطلاق الحقيقي لا يصح الحكم عليه بشيء والا انقلبت حقيقته وصار مقيدا ، وقلب الحقائق محال ومرتبة الألوهية مطلقة مقيدة فهى جامعة للضدين مطلقة من حيث أنها لا حصر ولا حد لظهوراتها فلا ينفي عنها للتعين والظهور بشيء من الصور الحسية أو العقلية أو الخيالية ولا التحول فى الصور ولا النزول والمجيء والهرولة والجوع والعطش

والمرض ولا الجمع بين الضدين كالأولية والآخرية، والظاهرية والباطنية، وكونه فى الأرض السابعة ومستو على العرش وموجود فى كل مكان ومع كل مخلوق وقائم علي كل نفس، ونحو هذا مما ورد فى الكتاب والسنة وأما كونها مقيدة فمن كونها هي الظاهرة بكل مظهر، المتعينة بكل تعين، وما ظهر شيء من الأشياء ولا تعين الا منها وهى فى حال تعينها وتقييدها بالمظاهر مطلقة فتقييدها عين اطلاقها ولولا اطلاقها ما ظهرت بالمظاهر التى لانهاية لها مع وحدتها وعدم تجزأتها فمرتبة الاطلاق لايحكم عليها بشيء ومرتبة التقييد والظهور لاينفي عنها شيء، جاء فى الكتب أو على السنة الرسل عليهم السلام أو أذنوا فيه أو فى مثله وكل من حصر الحق فى معتقد ونفاه عما عداه فهو جاهل بالله، كائنا من كان وبالخصوص اذا ظن التقييد اطلاقا كالمتكلمين فلا ضد للحق تعالى فينافيه ويناويه؛ ولا مثل له فيشبهه ويدانيه، من حيث الذات، فمن نظر فى قول المتكلمين الحق تعالى، لايكون كذا وليس هو كذا فلا يدري كلامهم أهو فى مرتبة الذات البحت الغيب المطلق الذي لا يعلم منه سوى وجوده لأننا لما عرفنا مرتبة الألوهية علمنا أن وراءها شيئا لايدرك وتعلق الحكم بالنفي والاثبات فى هذه المرتبة محال، لأن مالايدرك بشيء من آلات الادراك ولا يتصور، لايصح الحكم عليه اذ المطلق لايعلم منه الا نسبه واعتباراته أو كلامهم فى مرتبة الذات المطلق وهى الألوهية التى جاءت الكتب المنزلة، والرسل المرسلة، فى أوصافها بالمتضادات وبحيطتها بأنواع المنافاة وبتعينها بكل التعينات، وتشبيهها بأنواع التشبيهات، فاذا أردنا ماوصف الحق به نفسه علي مايليق بكبريائه وما قبلناه وأجريناه على ما يوافق عقولنا وأولناه وخضنا

بأفكارنا فيما وصفته به رسله الذين هم أعرف الخلق به تعالى، كنا جاهلين بل كنا غير مؤمنين بكلام الله وكلام رسله بل مؤمنين بما حسنته عقولنا وأدت اليه أفكارنا نعوذ بالله أن نكون من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

(الموقف السادس والثلاثون)

قال تعالى، وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله، هذا اخبار منه تعالى انه ماأرسل رسولا من رسله الا ليطاع أي الا ليطيعه كل من أرسل اليهم المصدق والمكذب، والمهتدي به والضال، وذلك أما طاعة الأمر الظاهر، وأما طاعة المشيئة الباطنة، واذا أرسل الحق تعالى رسله ليطاعوا فلا يكون غير الطاعة أبدا بل لا يتصور خلاف الطاعة وكل رسول لابد أن يهتدي به بعض من أرسل اليهم، ويضل به بعض، فانه أرسل لبيان الطاعتين معا، قال تعالى، في حق القرآن العظيم، يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا، وما أطيع رسول الطاعة الظاهرة بحيث اهتدى به كل من أرسل اليهم ولا عصى بحيث ما اهتدى به أحد ولا بد لكل رسول من هذين الأمرين، ولمن أرسل اليهم من الطاعة بهذين الحكمين، وظهور الضلالة والهداية فيهم فالمهتدي أطاع الأمر الظاهر والضال أطاع الأمر الباطن وكلا الأمرين أرسل الرسول بهما لأن رسالته لتبيين الرشد من الغي فحيث كان ضلال الضال مستورا وتبين بسبب الرسول كان ظهور ضلاله طاعة للرسول من هذا الوجه لأنه لا بد من ظهور الهدى والضلالة بالرسول فكأن الرسول أرسل بذلك فظهور الضلالة طاعة له، وقوله باذن الله أي بعلمه يعني أن الواقع من طاعة كل رسول بهذين الأمرين وظهور أثر هذين الاسمين، الهادي، والمضل، واقع

بعلمه وارادته تعالى، وجل ربنا أن يقع فى ملكه مالا يعلمه ولا يريده أومعنى باذن الله بأعلامه أي لا بد من طاعة كل رسول باظهار الهدى والضلالة وهذا باعلام الله وأخباره وخبره على وفق علمه والخبر على وفق العلم لا يكون الأصدقا وأما كون اللام فى «ليطاع» لام العلة أو لام العاقبة والصيرورة وكون الطاعة طاعة الأمر الظاهر فقط فمما يأباه التحقيق

(الموقف السابع والثلاثون)

قال تعالى ، وانه لذكر لك ولقومك ، وانه أي القرآن لذكر لك تذكر ربك بتلاوته،وتتعبد بترديده،ولقومك، أمتك، مجازا ولا شك أن تلاوة القرآن ذكر لله بل هو أجل الاذكار عند العارفين بالله تعالى فقط في كل الأوقات خلافا لمن قال أنه أفضل الأذكار الا في الأمكنة والأزمنة التى ورد الأمر فيها باذكار مخصوصة وخلافا لمن قال انه أفضل الأذكار الا فيما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس وفيما بين صلاة العصر والمغرب الثاني وانه لذكر لك ولقومك بمعنى مذكر يذكرك وقومك أمتك مجازا العهد القديم الذى أخذه الله على الأرواح يوم ألست بربكم فان القرآن وسائر الكتب المنزلة انما نزلت لتذكّر العباد بذلك العهد القديم الذى أخذ عليهم بالاقرار بالربوبية والتوحيد. الثالث،وانه لذكر لك ولقومك، بمعنى تذكّر أنت بالقرآن ويذكّر به قومك أي العرب، على ظاهر اللفظ مادام يتلى فيذكّر به الرسول، لأن معجزته الدائمة الناطقة بتصديقه، وتذكر به العرب لأنه نزل بلسانها ولغتها. الرابع وانه لذكر لك بمعنى مذكر، ولقومك أمتك مجازا أي وعظ وواعظ ولا يخفى أن القرآن الكريم أعظم واعظ وأفضل وعظ لما اشتمل عليه من الوعيد والزجر والتخويف والتحذير بل ماتعلم واعظ وعظا

الا منه ولا تكلم مذكر الا بلسانه،الخامس وانه لذكر لك ولقومك العرب خاصة بمعنى شرف لك ولقومك أما شرفه صلى الله عليه وسلم بالقرآن فلكونه معجزته لاعجاز الخلق عن أن يأتوا باقصر سورة من مثله ولما فيه من الأخبار بالمغيبات والأنباء عن الامم البائدة، والقرون الخالية، واما شرف العرب بالقرآن وهم قومه صلى الله عليه وسلم فلكونه نزل بلسانهم الذى به يتكلمون ولغتهم التي بها يتحاورون، وألزم الخلق جميعهم من انس وجان أن يتلوه بهذا اللسان فى كل زمان ومكان

(الموقف الثامن والثلاثون)

قال تعالى، فى الحديث الربّاني، انا عند ظن عبدي بي، الى آخر الحديث هذا الحديث تلقيته تلقيا روحانيا غيبيا بزيادة لفظة المؤمن بعد لفظة عبدي والرواية المعروفة فى الصحيح اسقاط لفظة المؤمن وما أدري هل وردت رواية به أم لا، والمراد بالظن هنا الاعتقاد الجازم كما فى قوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم لأن الظن القوي كالعلم والمعنى انه تعالى عند اعتقاد كل معتقد بل هو عين الاعتقاد لجميع عقائد الخلق على اختلافها الحق عندها أي عينها فهو على مااعتقدوا فيه، سواء كانت حقا فى ظاهر الشرايع أو باطلة غير أن من وافقت عقيدته ظاهر الشرع فعقده صحيح ظاهراً وباطنا، ومن خالف عقده ظاهرا الشرع فالحق عند عقده باطنا لا ظاهرا، وهو مبطل آثم وانما كان الحق تعالى عند ظن كل معتقد لأنه ليس هناك غير له، فهو المعتقد والمعتقد فيه والعقد وجه آخر فى المعني من ظن واعتقد جازما أن كل محسوس ومعقول ومتخيل هو الحق الظاهر فى هذه المحسوسات والمعقولات والمتخيلات فالحق عند ظنه أي هو كذلك تعالي فهو عين الاشياء بحقيقته المتعينة والاشياء كلها

اعـدام باطلة ، وخيالات عاطلة ، وان جزم وظن أن الحق تعـالى مغاير لـكل محسوس ومعقول ومتوهم ومتخيل فالحق عنـد ظنه أي هو كذلك بحقيقتـه المطلقـة وان ظن جازما ان الحق تعالي محسوس ، غير محسوس ، معقول غير معقول ، متخيل غير متخيل ، فهو كذلك جامع للتنافى والتضاد ، بل هو عين التنافى والتضادد ، قابل لصفات الوجوب والامـكان ، ولمـا يتجلى الحق تعالي لأهل المحشر بعد ما ينكرونه ويتعوذون منـه ، كما فى الخبر يتجلى بصورة كل معتقد اعتقده الخلائق فيه من أول معتقد الي آخر معتقد من هذه الأمة المحمدية حتى يقر الخلائق كلهم بأنه ربهم ويعرفونه ، لأن العلامة التي يقولون أن بينهم وبين ربهم علامة ليست الا الاعتقادات التي يعتقد كل معتقد أن ربه كـذا وليس كذا فيتجلى الحق فى ذلك الزمان الفرد بما يعتقده فيه كل واحـد من الجن والانس ولو بقى واحـد ماتجلى له بمعتقـده ما عرفه ولا أقر له بأنه ربه وذلك لا يكون والله واسع علـيم ، وقوله ، فليظن بي ما شاء ليس الأمر على ظاهره أمرا ، ولا هو للتخيير والاباحة ، وانما المراد أنه الحق تعالي قابل لـكل معتقد ولولا تجليـه تعالى لذلك المعتقـد فى صورة ما اعتقـده ما كان ذلك الاعتقاد لأن من العقـائد والظنون ما نهى الشارع عنهـا وان كان الأمـر باطنا كما قلنـا لحـكمة هو يعلمها والله لا يأمر بالفحشاء وليست الفحشاء الا ما نهى الشارع عنها اذ لا حاكم الا هو عندنا ولذا قال آخر الحديث ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، فالخير ظن الاطلاق ، والتنزيه فى التشبيه ، والتشبيه فى التنزيه ، كما نزلت به الـكتب ، وأخبرت به الرسل ، عليهم السلام ، والشر ظن التنزيه فقط أو التشبيه فقط فـكلا الفريقين اعور ، والـكامل يبصر بعينين ، مشاهـد

للحقيقتين ، عارف بالحضرتين ، حضرة الاطلاق والتنزيه ، وحضرة التقييد والتشبيه ، فهو ينظر الاطلاق فى التقييد ، والتقييد فى الاطلاق ، والتنزيه فى التشبيه ، والتشبيه فى التنزيه ، فى آن واحد لا يحجبه هذا عن هذا ، ولا هذا عن هذا

(الموقف التاسع والثلاثون)

قال تعالى ، بل هم فى لبس من خلق جديد ، وورد فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل مرتين على صورته فرآه قد سد الافق اعظم صورته ، وورد فى أخبار كثيرة أن جبريل كان يدخل عليه صلي الله عليه وسلم فى حجرة عائشة رضى الله عنها ويجلس معه فيها ، وفى بعض الأخبار أن جبرائيل واسرافيل جلسا معه صلى الله عليه فى الحجرة ، ومن المعلوم أن الحجرة كانت صغيرة جدا وقد تكلم علماء الرسم فى كون جبريل تارة يسد الأفق وتارة تسعه الحجرة مع اسرافيل وهو مثله فى العظم وجاؤا فى ذلك بما لا يجدي ولا يزيد الواقف عليه الا حيرة بل كلام ماله مستند ، ولا عليه معتمد ، وتكلفوا وتعسفوا وما علموا ان العالم كله العرش وما حواه من الصور سواء كانت الصور حسية أو عقلية أو خيالية فهي أعراض والمقوّم لها والقائمة به هو الوجود الاضافى المسمى بنفس الرحمن وبالأسامي الكثيرة فهو كالجوهر لها وكما أن العرض المعروف عند المتكلمين لا يبقى زمانين عند الاشاعرة يتجدد فى كل آن يذهب ويخلفه مثله أو ضده فكذلك هذه الصورة المحسوسة التى هي أعراض عند أهل الله تعالى العارفين به وبحقائق الأشياء وهى جواهر عند الجاهلين بالله تعالي وبحقائق الأشياء لا تبقي زمانين ففي كل آن يخلع النفس الرحماني الذي هو مقوّم للصور صورة

ويلبس أخرى أما مثل الأولى أو مخالفة لها هكذا على الدوام وهذه الصورة المحسوسة هي عند التحقق نسب واضافات واعتبارات وهى أحكام الأعيان الثابتة فى العلم والعدم المعدومة أبدا وأزلا يظهر بها نفس الرحمن المسمى أيضا بأمر الله الذى هو كلمح بالبصر ولا بقاء لها ولا ثبات لا سيما الملائكة الكرام فانها أرواح مجردة : مالها صورة مخصوصة لازمة ، ولما كان استعداد جبريل يقتضى الظهور بهذه الصور العظيمة مرة ، الصغيرة أخرى وذلك فى نظر المدرك فقط بارادة جبريل ظهر نفس الرحمن بهذا الاستعداد تارة هكذا وتارة هكذا وهو جبريل حقيقة فى كل صورة وكل ظهور والصور التي يخلعها النفس الرحماني تنعدم فى الحس كما هي معدومة فى نفس الامر آن لبس خلافها أو ضدها، وأما آن لبس مثلها فانه لا يدرك انعدامها الا بكشف صائب،أو عقل ثاقب،فالصور لا بقاء لها زمانين على كل حال لأنها أعراض فالصور التى هي جبريل مع كثرتها وصغرها وكبرها واختلافها هي أحكام عين جبريل الثابتة فى العلم والظاهر بها هو نفس الرحمن وأمر الله الظاهر بأحكام كل عين سواء العين المسماة بجبريل وغيرها من سائر المخلوقات المقدرات ومن استعداد جبريل وأحكام عينه تعدد صوره واختلافها وهكذا جميع الملائكة والروحانيين من جن وولي متروحن وانى قد بينت الحق فى هذه المسأله وان كانت لا تقبلها العقول لانها فوق طورها فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

(الموقف الأربعون)

قال تعالى ، وشهد شاهد ، الآية سأل بعض الأصحاب عن الأفضلية بين الملك وخواص البشر وذكر اختلاف أهل الظاهر والباطن وما ورد

على كل دليل بحيث ماسلم دليل من معارضة ونقض واحتمال ، واستغرب اختلاف أهل الباطن من حيث أنهم أهل شهود وكشف فالشيخ الأكبر قال بفضل الملك والشيخ الجبلي فضل خواص البشر فأجبته بأنه لاغرابة فى اختلاف العارفين فى معلوم لاتعلق له بمعرفة الله وتوحيده وانظر الى قصة موسى والخضر عليهما السلام ، وهما ماهما ، يقول موسى ، لقد جئت شيئا نكرا ، شيئا إمرا ، ويقول الخضر ، مافعلته عن أمرى ، فأراد ربك ، وقول الخضر لموسى في هذه القصة نفسها أنت على علم علمك الله لا ينبغي لي أن أعلمه وأنا على علم علمنيه الله لاينبغي لك أن تعلمه وقوله مانقص علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص هذاالعصفور بنقرته من البحر ، وفى صبيحة تلك الليلة توجهت الى الحق تعالي فى كشف هذه المسألة فأخذنى الحق عن العالم وعن نفسى والقي الى قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ، فلما رجعت الى الحس فهمت من اشارة الآية الكريمة أن الشاهد الذى شهد فى هذه المسألةهو الشيخ الأكبر على مثله فى البشرية والجنسية يعني الكمل من البشر وشهادته عليهم الملائكة بثبوت الأفضلية من جهة واعتبار فآمن يعني الشيخ الأكبر بما أشهده الحق من ثبوت الأفضلية للملك باعتبار ، ومن وجه واستكبرتم يعني استكبر من قال بأفضلية خواص البشر على الملك مطلقا وما أظن الشيخ الجبلي يقول بأفضلية خواص البشر على الملك مطلقا فان للملك فضلا بالتوسط بين الحق وخواص البشر بالوحي والألهام وان كان للكمل من خواص البشر تلق من الوجه الخاص بلا واسطة ملك والأكثر بواسطة الملك وان لخواص البشر الكاملين فضلا بالجمعية الكمالية والمظهرية لجميع الأسماء الخلافية وليس

للملك هذه الجمعية ثم بعد رأيت الشيخ الأكبر ذكر فى الباب الثامن والخمسين وثلاثمائة مثل هـذا وقال فى كتابه ما لا يعول عليه ما نصه الكشف الذي يؤدي الي فضل الانسان على الملائكة أو فضل الملائكة على الانسان مطلقا من الجهتين لا يعول عليه فكلامه هذا وماذكره فى الباب المتقدم ذكره نص فى أن قوله يفضل الملك على خواص البشر انما هو بوجه واعتبار لا مطلقا والحمد لله على الموافقة

(الموقف الواحد والأربعون)

قال تعالى ، فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، الحكمة فى الأمر بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند ارادة قراءة القرآن وعدم الأمر بذلك عند ارادة الصلاة أو الصوم أو الذكر أو غير ذلك من سائر العبادات هو أن القصد الأول بالقرآن بيان الأحكام من حلال وحرام ووجوب وخطر ، وذكر قصص الأنبياء وأخبار الأمم البائدة ، والقرون الماضية ، مع ذكر الجنة والنار وما أعد لأهلهما ، من الكرامة والاهانة ، والوعد والوعيد ، فكأن قارئه لا يقصد منه غالبا الا معرفة ماذكر فأمر لذلك بالتحصين من الشيطان لئلا يضله عن طريق الرشاد ويزيغه عن القصد فيما يقصد معرفته علي مراد الله تعالى فان القرآن العزيز كما قال فيه تعالى ، يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ، ولهـذا نرى جميع الفرق الأسلامية الثلاث وسبعين تأخذ أدلتها والحجج لمذاهبها مع تباينها من القرآن العظيم وماذلك الا لأعجازه وخروجه عن طوق البشر بخلاف سائر العبادات فليس المقصود منها عند التلبس بها اذا كانت جارية على مراد الله منافى آدائها الا مجالسة الحق تعالى والخلوة به مع صرف النظر عن كل مخلوق ولنسيان كل سوي

والاشتغال بمشاهدة من ليس كمثله شيء ، والغيبة عن الجنة والنار ، والملك والملكوت ومن كانت عبادته على هذا الوجه فما للشيطان عليه من سبيل فهي حصنه من الشيطان ، فتبين من هذا أن المقصود الأغلب من قراءة القرآن أحكام الله تعالى ومخلوقاته والمقصود من سائر العبادات ، الله عينه ، ولهذا ترى العارفين بالله وبطريق السلوك اليه يسلكون مريديهم بالأذكار وسائر نوافل الخيرات ولا يأمرونهم بالتلاوة الا قدر الحاجة لأن تلاوة القرآن للمبتدي الجاهل بالله تعالى لاتجديه غالبا فى رفع حجبه ، والترقي الى المراتب العلية والعارف الكامل يتلوه على طريق لايهتدي اليها غيره فيستخرج منه الأسرار والعلوم والمعارف والفوائد التي تحار العقول فيها

(الموقف الثاني والأربعون)

قال تعالى، ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب،قال رب اغفرلي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ،انك أنت الوهاب، كان سليمان عليه السلام قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة تحمل كل واحدة منهن بفارس يجاهد فى سبيل الله؛ فقال له صاحبه قل ان شاءالله فلم يقل ان شاءالله فلم تحمل منهن الا واحدة جاءت بشق انسان،الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه والمراد بصاحبه الملك،وتركه عليه السلام قول ان شاء الله كان نسيانا وبعد ماصدر منه هذا وكان ما كان كشف الله عن عينه الثابتة فرأى أنه سيحصل له ملك زيادة على ما كان له من الملك وأنه لا يحصل لأحد من بعده مثله بشرط سؤاله لذلك فأناب ورجع عن مراده واستغفر من تمني مالا علم له بحصوله وان كان تمني خير ودعا ربه أن يهب له ملكا لا ينبغي لأحد من

بعده لا حسدا لغيره ولا رغبة فى الملك ولا تحجيرا على الله تعالى ولكن المقام أو الكشف اقتضى هذا السؤال فان الحق تعالى يعلم الأشياء على ما هي عليه حيث كان العلم تابعا للمعلوم فما كان من الممكنات يحصل بشرط أو سبب أو شروط أو أسباب ، يعلمه تعالى بشرطه أو سببه وما كان يحصل لا عن شرط ولا سبب يعلمه كذلك فاستغفاره عليه الصلاة والسلام ما كان عن ذنب وانما كان من تمنيه ورغبته فيما لا علم له بحصوله وتركه ان شاء الله لا غير وهذا لا يوجب استغفارا فى حق غير الأنبياء ولكن مقام النبوة الأسني اقتضى الاستغفار من مثل هذا فحسنات الأبرار سيئات المقربين وسمي الحق تعالى ولادة شق الانسان لسليمان عليه السلام فتنة له حيث كان الأمر ضد رغبته وخلاف أمنيته فانه تمنى مائة فارس تجاهد فى سبيل الله فكان الجسد الذى ألقاه الله على كرسى سليمان هو شق الانسان الذى ولد له وعبّر تعالى عن ولادة الشق بالقائه على الكرسي حيث كان ذلك بسبب سليمان عليه السلام وقرن الحق تعالى قصة فتنة سليمان مع قصة سؤاله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده حيث كانت القصة الثانية كالتسلية له عليه السلام ولا يخفى عن أرباب البلاغة العارفين برشاقة الكلام ورقة المعانى ما فى هذه الألفاظ من المناسبة

(الموقف الثالث والأربعون)

قال تعالى، كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، كل من يسمع ذكر الحجاب من غير العارفين يتوهم أن هناك حجابا ومحجوبا ، ومحجوبا عنه كما هو المتبادر من جوهر اللفظ وهذا وهم باطل لأنه ليس ثمة الا الحق تعالي والخلق أعني مرتبة الوجوب والامكان ولا واسطة بينهما فالخلق حجاب عن نفسه باعتباره

ومحجوب باعتبار ،فهو محجوب من حيث أنه حين حصول المعرفة بالله والعلم به يكون الخلق هو العارف العالم لا غيره ومن حيث أنه لا واسطة بين الحق والخلق وقد كانت المعرفة معدومة والعلم منتف ثم حصلت المعرفة والعلم فهو الحجاب وهذا من أعجب ما يسمع وأغرب مايعلم بل عند التحقق مسمى الحجاب لا عين له موجودة ، لا حقيقة ولا مجازا ، اذ لا حجاب الا الجهل والجهل عدم العلم لان تقابله مع العلم تقابل العدم والملكة واذا رحم الله عبدا بمعرفته لا يجد حجابا ولا يعرف كيف كان هذا المانع من المعرفة بالله ولا كيف زال ولا كيف حصلت المعرفة لانه يجد نفسه ماارتحل عن مكانه ولا دخل عليه شيء من خارج بل هو هو فمن أين جاءت هذه المعرفة وحصل هذا العلم وكان هذا الاتساع الباطني فسبحان القاهر الحكيم الذي يحجب بلا حجاب ويعلم بلا معلم ويستتر بلا ستر ويظهر بلا ظهور وأما ماورد في الخبر ان لله سبعين حجابا من نور ، رواه أبو الشيخ زاد الطبراني، وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما ادركه بصره من خلقه فالمراد بالحجب هنا المظاهر العظيمة والتعينات الفخيمه التي هي حجب على نفسها وعلى غيرها ، وليس المراد خصوص هذا العدد وانما المراد التكثير فالحجب النورانية هي الحقايق الغيبية والحجب الظلمانية هي الحقايق الكونية وكلها متفقة في الحجابية بمعنى أنها سترت المحجوب لاأنها سترت الحق تعالى عن ذلك وقوله لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره كل من رأيناه تكلم على هذا الحديث من العارفين رأيناه جعل ضمير بصره عائدا على الحق تعالى والذي ألقاه الحق عليّ انه عايد على ماوقعت عليه ماوهي واقعة على المخلوق إذ الحق تعالى ليس بمحجوب وبصره يدركنا بلا ريب وانما

نحن المحجوبون وأبصارنا لاتدركه فاذا أراد تعالي رفع الحجاب وكشفه عن أحد من مخلوقاته وليس الا الجهل و واجهته السبحات الوجهية أحرقت خلقيته ، فزالت حجابيته ، وثبتت خفيته وفى الحجاب رحمة لبعض الخلق وفى كشفه رحمة لبعضهم كما قال بعض التراجمه

فلو أنى ظهرت بلا حجاب لتيمت الخلايق أجمعين
ولكن فى الحجاب لطيف معنى به تحيي قلوب العاشقين

فالممتنع هو كشفه عن الجميع فلا تحرقه السبحات الوجهية لاعن البعض وعند ماتحترق الخلقية وتبقى الخفية يبصر الحق نفسه بنفسه اذ الخلق محترق منتف وجعل صلى الله عليه وسلم نسبة الأبصار الينا وهو المبصر والمبصر حقيقة فأحرقت سبحات وجهه المخلوق الذي يريه تعالى نسبة الأبصار اليه ففني فاحترقت خلقيته وانمحقت فرآه ومارآى الحق الا الحق تعالى

(الموقف الرابع والأربعون)

روى مسلم فى صحيحه ، أنه صلى الله عليه وسلم مر بقوم يؤبرون النخل فقال لهم لو لم تفعلوا لصلحت، الحديث، فليس المراد من هذا أنه عليه السلام يريد منهم ترك الأسباب العاديه التى أجرى الحق تعالى عادته بها فى مخلوقاته اذ الرسل عليهم السلام والعارفون انما يأمرون برفع حكم الأسباب لا برفع عينها بل يأمرون بأثبات عينها من حيث أن الأسباب وضعها وأثبتها الحكيم العليم بما يجريه ويثبته سبحانه فمن طلب رفع العوايد الجارية والأسباب العادية فقد أساء الأدب وجهل وكيف يدعي المعرفة لله والوصلة به والصحبة له من يطلب رفع العوايد ومعروفه وصاحبه الحق تعالي هو الذي وضعها ومن شرط الصحبة الموافقة فمن طلب رفع ذلك فهو منازع وليس بمواصل ولا

صاحب بل هو الى العناد أقرب فالذي يثبت العادات والأسباب على وجه لا يناقض التوحيد هو العارف بالله لأنه يشهد الحق تعالى فيها اذ كل شيء من الاشياء هو تجل من تجلياته تعالى وانما المراد أنه عليه السلام أراد أن يذيهم على باطن الحقيقة ونفس الأمر وهو أن هذه الأسباب العاديه والصورة المشهودة لا تأثير لها فى شيء مما جرت به العادة أنه يوجد عندها وانما الحق تعالى هو الفاعل لذلك فهو المؤثر بوجهه الخاص الذي له تعالى في كل مخلوق لأنه تعالى له فى كل مخلوق حتي الذرة وجه خاص لا يشاركه غيره فيه، به يكون التاثير وانما ستر تعالى فعله بصور مخلوقاته رحمة بخلقه، وتقديسا لجنابه، فمراده عليه السلام بقوله لو لم تفعلوا لصلحت أن يكونوا مشاهدين للحق الفاعل الحقيقي عند ملابسة الأسباب معتمدين عليه لا على الأسباب لا أن مراده عليه السلام منهم ترك الأسباب اذ لا بد من الأسباب وجوداً، والغيبة عنها شهوداً، وقوله عليه السلام لما طلعت النخل شيصاً أنتم أعرف بدنيا كم، كلام خرج منه مخرج الأعراض عنهم حيث مافهموا مراده بقوله لو لم تفعلوا لصلحت وحملوه على ترك التأبير وليس هو المراد وإنما المراد أنه تعالى يفعل الأشياء عند الأسباب وعند عدم الأسباب وهو التوحيد الحقيقي ولا يفهم من قوله أنتم أعرف بدنياكم إنه عليه الصلاة والسلام جاهل بأمور الدنيا حاشاه من ذلك فانه عليه السلام كغيره من سائر الأنبياء عالمون بأمور الدنيا والدين وما أرسلهم تعالى الا ليعلموا الناس مصالح معاشهم ومعادهم ويرشدوهم الى ماجهلوه من ذلك فأظهر لهم عليه السلام التقرير على عادتهم حيث فاتهم فهم مراده وما فهموا الا ترك السبب جملة واحدة وليس هو المراد وقد تكلم أمام العارفين محيي الدين وصاحب الابريز علي هذا الحديث بغير ما ألقاه تعالي

الي والكل صواب از شاء الله فان الكل من عند الله

(الموقف الخامس والأربعون)

قال تعالي، هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض، المعنى لاخالق إلا الله لأن الاستفهام الانكاري نفي فلا أحد غير الله يقدر على ايجاد شيء من الأرزاق الحسية والمعنوية الا الله تعالى وإن كانت الأسباب حاضرة متهيئة فالسماء والأرض سببان ومحلان لوجود الأرزاق وهما موجودان حاضران ولا يقدر الا الله على إخراج الارزاق منهما وكذا سائر الأسباب والمسببات عنها واذا كان لايقدر أحد غير الله تعالي علي ايجاد المسببات مع حضور أسبابها وتهيأها فهو عن خلق السبب أعجز والرزق الذى يخرجه الله من الأرض هو ما به قوام الأجسام والرزق الذى ينزله الله من السماء هو رزق الأرواح والعقول وهو ما به قوامها في العلوم والأسرار وفى قوله يرزقكم من السماء والأرض اشارة الى اعتبار الوسائط والأسباب مع نفي التأثير عنها فانه قال منها وما قال بها فهو تعالى يوجد المسببات عند أسبابها حكمة واختيارا ، لاعجزا واضطرارا ، الا اذا اعتبر السبب من جهة الوجه الآلهى والسر الرباني الذى قامت به صورة ذلك السبب فيكون التأثير حينئذ عند السبب وبه كما هو مذهب المحققين من أهل الله بمعنى أنه كالآلة للنجار مثلا والفاعل هو الصانع لاالآلة

(الموقف السادس والأربعون)

قال تعالى، كل من عليها فان، الجار والمجرور متعلق بمحذوف أى استقر عليها أى الأرض ولا تدخل العلويات لأنها ليست بمستقرة على الأرض، والمستقر علي الارض المحكوم عليه بالفناء هو الصور الأرضية التي تدبرها

الأرواح العلوية والفنا هنا ضد الوجود وان كان فى غيرهذا المحل ضدالبقاء والمراد أنها فانية فى الحالة الراهنة وان حصل الشعور بوجودها فهو شعور مخالف لمافي نفس الأمر وهذاالشعورمن غلطات الحس والعقل ولهماغلطات كثيرة بعضهم ينسبها الى الحس، و بعضهم ينسبها الى العقل،لأنه الحاكم وهذا هو الحق فهذا الشعور والحكم فى جملتها لأن قوله فانٍ اسم فاعل وهو حقيقة فى الحال اتفاقا ولا يعدل عن الحقيقة الا عند التعذر أي تعذر الحمل عليها وقوله ويبقى وجه ربك،وجه الحق تعالى ذاته باعتبار قيوميته تعالي على كل موجود أي يبقى العلم بوجهه الذى هو وجوده وذاته تعالى حين يرتفع اللبس وتظهر الحقيقة ويتبين أن كل شيء قيل فيه سوى وغير فهو فانٍ باطل معدوم في الحال والاستقبال ، اذ لا وجود الا الوجود الحق فى الحال والاستقبال،ولا يتوهم متوهم أن الآية تدل على أن ماعلى الارض له وجود فى الحال وانما يفنى فى ثاني حال فانه وهم باطل وانما مثل هذا قول القائل من العارفين حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل يعني يفنى الشعور والظن الذى كان يظن أنه علم بوجوده لا أنه كان وجودا وانعدم وفني لانه قال لم يكن أى لم يوجد مع الشعور ،والظن الباطل بانه وجود فهو عدم فى آن الشعور بوجوده فاذا ارتفع الحجاب الذي هو الجهل لاغير فلا يقع العيان ، الا على فقدالأعيان، يعني اذا حصلت المعاينة الحقيقية الموافقة لما فى نفس الأمر فلا تقع الا على فقد الأعيان أي عدم ما كان يتوهم أنه أعيان ثابتة مغايرة للوجود الحق تعالى فليس الا الوجود الحق الظاهر بالمظاهر التي هي خيال ووهم

انما الكون خيال وهو حق في الحقيقة

كل من قال بهذا حاز أسرار الطريقة

وقد وافقت السوفطائيه على كون كل محسوس من العالم خيالا ليست له حقيقة فلو قالوا كقول العارفين العالم خيال وباطنه حق ثابت أي هو حق في صور خيالية لأصابوا الحق ويحتمل أن يكون الضمير في عليها عائدا على معهود ذهني، ومقرر علمي، وهو حقيقة الأمكان أي كل من سلك على طريقة الامكان صح وثبت مروره على حقيقة الممكن فهو فانٍ هالك حالا لا وجود له، وحينئذ يشمل حكم العدم في الحال كل ممكن من المظاهر العلوية كالأرواح المجردة والصور المثالية والأجسام والمعاني وكل ما يسمى غير أو سوى كان الله ولا شيء معه وكان هنا تامه: أي الله وجود ولا شيء معه بوجود وهذا الوجه والاحتمال يشمل كل ممكن كما قلنا بخلاف الأول فانه خاص بمن على الأرض فيحتاج الى دليل آخر على عدم كل ممكن فى الحال الحاضرة ومن المعلوم أن الأمكان الذي هو حقيقة كل ممكن لاعين له قائمة وانما هو أمر معقول لأنه برزخ بين الوجود المطلق، والعدم المطلق، الذى هو المحال، والبرزخ لايكون الا معقولا فلو كان محسوسا ما كان برزخا اذ حقيقة البرزخ هو الأمر المعقول الحاجز بين الشيئين لايكون عين واحد منهما ولا خارجا عنهما

(الموقف السابع والأربعون)

قال تعالى، وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون، الحكمة فى تكليف العباد بالتكاليف الشاقة والزامهم بالأوامر والنواهي والتحجير عليهم هو أن العبد وان كان يسمى ممكنا لنسبة مجازية أورثته هذا الاسم فله نسبة حقيقية الى الربوبية والحق تعالى أراد بظهوره فى المسمى خلقا وعبدا أن يرى جميع أسمائه فيهم وأن يعرفوه ويعبدوه فلو تركهم مطلقين ماأمرهم ولا نهاهم ولا

حجر عليهم لما ظهرت فيهم جميع أسمائه ولتعلقوا بما فيهم من الربوبية ونسوا إمكانهم، وما جعل الحق تعالى لهم عينين ظاهرة وباطنة الا لينظروا بالعين الباطنة نسبتهم الباطنة، وبالعين الظاهرة نسبتهم الظاهرة، الامكانية فهما غفلوا عن واحدة من النسبتين هلكوا، وحيث كانت النسبة الباطنة التي هي الربوبية غالبة وحاكمة جاءت الأوامر الآلهية، والنواهي والتكاليف القهرية ملازمة لهم ماداموا فى هذه الدار التى هي دار الغفلة والنسيان والحجاب حتى يبقوا واقفين عند ماخلقوا لأجله ملتزمين لآداب العبودية ولا يتعلقوا بما فيهم من الربوبية حيث كان مراد الحق تعالى منهم اظهار نسبة العبودية والغيرية فى هذه الدار فاذا انقلبوا الى الدار التى مراد الحق تعالى منهم فيها اظهار نسبة الربوبية أزال عنهم الحجر وحط التكاليف وجعلهم يقولون للشيء كن فيكون، وأحل عليهم رضوانه فأمنوا سخطه ولا لذة أحلى وأعظم من لذة الأمن، ولحكم أخرى منها مالايجوز ايداعه بطون الأوراق

(الموقف الثامن والأربعون)

وردفى خبر متواتر متداول بين القوم، وان ضعفه الحفاظ من علماء الرسم، من عرف نفسه عرف ربه، يعني من عرف نفسه التي هي ربه المقيد عرف ربه الذي هو نفسه المطلق، فان حقيقة النفس هى الروح، وحقيقة الروح هو الحق، تعالى، واتحدهنا الشرط والجزاء والفرق بينهما التقييد والاطلاق، أعني اتحادهما معنى لا لفظا فان كانت النفس لاتعرف بل هي مجهولة أبدا فكذلك الرب لايعرف أبدا، اذ المعلق على الممنوع ممنوع، بل الرب تعالى أحق وأولى بعدم تعلق المعرفة به، فمعرفة الرب مشروطة بتقدم معرفة النفس والتقديم رتبي لازماني اذ ليس في هذا المقام زمان، فلا مساء عند ربك

ولا صباح، والقضية الشرطية لا تقتضي وجود المقدم بل ولا امكانه، لئن اشركت ليحبطن عملك، وهو لا يشرك بل لا يتصور منه الاشراك ومن يقل منهم إني آله من دونه فذلك نجزيه جنهم ولا يتصور من الملائكة دعوى الألوهية وان كانت النفس تعرف من وجه دون وجه وباعتبار، لا من وجه واعتبار فكذلك الرب يعرف من وجه واعتبار دون كل الوجوه والاعتبارات ولذا ورد في الخبر، أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه، وورد أيضا أنا اعلمكم بالله واشدكم منه خشية؛ فالناس متفاوتون في معرفة نفوسهم كلهم متفاوتون في معرفة ربهم بما لا يكاد ينحصر ولا يدخل تحت ميزان

(الموقف التاسع والأربعون)

قال تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله، محبة الله تعالى من حيث الذات الغنية عن العالمين التي لا تطلب العالم ولا يطلبها محال لأن المحبة لا تكون الا لمناسبة ولا مناسبة بين الخلق والذات البحت ولا ارتباط بوجه ولا حال فعلم بهذا أن العبد لا يحب الذات من حيث هي هي لأن مالا يسمى ولا يوصف ولا يعلم لا يحب: والذات تشهد ولا تعلم؛ ومرتبة الصفات تعلم ولا تشهد، فمرتبة الصفات، وحضرة النسب والاضافات، هي المحبوبة لجميع المخلوقات فما أحب محب الا حضرة الجمال، ونعوت الافضال، كالانعام والافضال، والرحمة والغفران، ونحو ذلك؛ وعند التحقيق ما أحب محب الا آثار صفات الجمال بل ماأحب الا نفسه ومن هنا قال محققوا العارفين لا يكون انس بالذات العلية أبدا لعدم المناسبة والمجانسة، وانما يكون الانس ببعض الاسماء الجمالية، وقد أشار صلى الله عليه وسلم الى أن الذات البحت الغيب المطلق، لا تتعلق بها محبة أحد بقوله أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، رواه

الترمذي والحاكم؛ فارشد عليه السلام الى أن محبة الله تعالى لا تكون الا من هذا الوجه وهو كونه منعما رحيما ستارا الى نحو ذلك. وهي مرتبة الصفات، وفى قوله تعالى: فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه. وفى قوله، ان كنتم تحبون الله، اشارة الى أن متعلق محبة العبيد(١) انما هي مرتبة الألوهيه لا غير، كما قلنا، وعليه فالحكاية المشهورة بين القوم عن أبى سعيد الخراز رضي الله عنه أنه اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله شغلتني محبة الله عن محبتك، فقال له صلى الله عليه وسلم، يامبارك محبة الله هي محبتي؛ يامبارك معناه يامغفل، يريد شغلتني محبة المظهر الروحي العلوي عن محبة المظهر الجسمي الأرضي فأجابه عليه السلام بأن الظاهر فى المظهرين واحد لا تعدد فيه ولا تغاير فالمحبوب فى المظهرين واحد ولا يضرك تغاير المظاهر وتعددها حيث كان الظاهر المحبوب فيها واحد لا يتجزىء ولا يتبعض اذ المظاهر كلها اعدام والعدم لا يحبه عارف ولا يشغل باله به عاقل فمن أحب الظاهر فى المظهر الروحي فقد أحب الظاهر فى المظهر الجسمي وليس الظاهر فى جميع المظاهر العلوية والسفلية الا الصورة الرحمانية؛ المسماة بالحقيقة المحمدية، وكل ما قيل فيه أرواح وأجساد ومثال وخيال ليس ذلك بشيء ثابت وإنما هي تقادير وتصاوير، قدرها الحق لظهور صورته ولا وجود لها لا قديم ولا حديث وانما الوجود للحق تعالى وحده كما قيل

مراتب بالوجود صارت　　حقائق الغيب والعيان
وليس غير الوجود فيها　　بظاهر والجميع فان

كأنه عليه السلام قال لأبى سعيد الشيء الذى قلت أنه رسول الله وأنك

---

(١) وفى نسخة العبد

مشغول عن محبته ليس هو بشيء مغاير لله تعالى الذى قلت شغلتك محبته بل هو هو فالرسول عليه السلام مرتبة ظهور الحق تعالى : وهذه المرتبة واسطة لجميع الظهورات ،ومنها تفرعت فهى ينبوعها وهيولاها

(الموقف الخمسون)

قال تعالى: فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، اعلم أن نسبة الفعل الصادر فى بادىءالرأي من المخلوق جاءت متنوعة فى الكتاب والسنة ، فمرة جاءت نسبة الفعل الى المخلوق،ومرة الى الله تعالي،ومرة الى الله تعالى بالعبد، ومرة الى العبد بالله تعالى ، فأما نسبته الي الله فمن جهة أنه الوجود الحق والفاعل الحقيقي، وأما نسبته الى المخلوق فمن جهة أنه مصدر الفعل فى الحس، وأما نسبته الي الله بالمخلوق فمن جهة أنه آلة الفعل كآلة النجار والحداد،والفاعل هو الصانع لا الآلة،وأما نسبته الى المخلوق بالله فمن جهةأن المخلوق مظهر وتعين للحق،والحق غيب والمخلوق شهادة وفعل المخلوق فى الحقيقة سواء كان حيوانا أو إنسانا أو ملكا أو غير ذلك ،هو فعل الله تعالى،وفعل المخلوق من حيثية واحدة ولا حلول ولا اتحاد اذ سم المخلوق انسانا أوغيره شامل لظاهره وباطنه.وباطنه باعتبار هو الوجود الحق،وظاهره باعتبار هو الصورة المحسوسة، التى هى أحكام الاستعدادات الثابتة وأحوالها وهي معان ظهرت فى صورة محسوسة كما تتصور المعاني يوم القيامة وفي البرزخ صورا محسوسة تتكلم وتوزن كما ورد فى الأخبار الصحيحة فمن كان شهوده مقصورا على الحس قال الفعل للعبد ، ولا بد يعني الصورة الظاهرة المحدودة المقدرة ، ومن كان شهوده مقصورا على أن الكمال والقدرة على الفعل ، لايكون الا لله تعالي ، قال الفعل لله تعالى ولا بد يعني الأمر الغيبي ولا مدخل للصورة

المشكلة المحسوسة الا من جهة الكسب وكلا الطائفتين يرى أن الحق تعالى مباين للعبد ومنفصل عنه ، فيلزمه،ولا بد ان الحق فى جهة من جهات العبد لا محيص له عن ذلك ومن كان كاملا عارفا بالحقائق ذا عينين: قال الفعل للحق تعالى من حيث هو فعل العبد ، وفعل العبد من حيث هو فعل الرب ، اذ ليس فى نفس الأمر الا الوجود الحق الظاهر باحكام الأعيان الثابتة التي هي نسب الوجود واعتباراته تستر بها وتسمى باسم العبد والمخلوق ووصف بأوصافه فى هذه المرتبة، وهذا الظهور ومن عجيب أن الظهور تستر والتستر ظهور وفى هذا المجلي عميت العقول،فتباينت مداركها وأخطأت فى كل ما تقول ، من قدري وجبري وكسبي وجزء اختياري فلا طائل تحتها عند السير والتحقيق ودفع التشغيب والتفريق،وقد قال أمامنا واستاذنا أبو حامد الغزالي،إن مسألة نسبة الفعل الصادر فى العبد الى الله تعالى أو الى العبد لا يرفع أشكالها شرع ،يعني الأدلة الشرعيه ولا عقل ولا كشف ونحن والمنة لله رفع عنا أشكالها بالكشف مع أننا نعلم يقينا أن كشف الشيخ أتم وأعلى بما لا نسبة بيننا وبينه والله أعلم بمطمح نظر الشيخ

(الموقف الواحد والخمسون)

قال تعالى، وننشئكم فيما لا تعلمون، الآية، انه يوجد فى كلام سادات القوم رضوان الله عليهم لفظة الانسلاخ كما يوجد لفظة المعراج التحليلي ومعني اللفظتين واحد وإيضاحه هو أن يعلم أن كل ما يطلق عليه إسم موجود فى أي مرتبة من مراتب الوجود كان ليس هو الا الحق تعالى ظاهرا ومقيدا بحسب تلك المرتبة التي حصل الظهور فيها فهو الظاهر فى ملابسه اللبسية المتعين بأسمائه القدسية،والظهورات والتعينات والتقيدات كلها أمور اعتبارية

عقلية لا وجود لها خارج العقل كسائر الأمور المصدرية ولما ظهرت حقيقته المطلقة مقيدة في بادئ الرأي والوهم والآن فهي مطلقة حالة الحكم عليها بالتقييد ولا يكون العارف كاملا حتى يشهد الاطلاق في التقييد، والتقييد في الاطلاق، في آن واحد، انحجب من حيث تقييده عن نفسه، من حيث اطلاقه، فاشتاق المطلق الى الاتحاد بالمقيد والى هذا يشير سلطان العاشقين بقوله :

فكلي لكلي طالب متوجه وبعضي لبعضي جاذب بالاعنة

فأرسل الرسل لذلك وشرع الشرايع وأمر باستعمال الأدوية والأسباب المعينة على دفع الحجب المسدولة على المقيد بالوهم والخيال حتى يتحد المطلق بالمقيد الاتحاد النسبي المعروف عند أهله وليست الأسباب الرافعة للحجب الا الأدوية التي ركبتها الرسل عليهم السلام والكل من ورثتهم بأمره تعالى من العبادات والأوامر والنواهي والرياضات والمجاهدات ثم ليعلم ثانيا أن صورة كل شيء كائنا ما كان حقا أو خلقا هي ما به ظهور ذلك الشيء وتعينه من غيبه النسبي فالأجسام صور الأرواح والأرواح صور الأعيان الثابتة، والأعيان الثابتة صور الاسماء الآلهية، والأسماء الآلهية صور الذات العلية، الغيب المطلق فلولا الأسماء التي هي كالصور للذات الغيب البحت ما ظهرت الذات ولا عرفت، ولولا الأعيان الثابتة التي هي صور ومظاهر للأسماء الآلهية ماظهرت الأسماء ولا تعينت ولولا الأرواح التي هي صور الأعيان الثابتة ماعرفت الأعيان الثابتة ولولا الأجسام التي هي صور الأرواح ما عرفت الأرواح ولاظهر لها أثر، فاذا استعملت حقيقة من الحقائق المقيدة الأدوية التي جاءت بها الرسل عليهم السلام على وجه مخصوص وكيفية معروفة عند أهل هذا الشان حصل له علم ضروري كسائر الضروريات

بأن هـذا الجسم ليس هو بشيء حق له حقيقة وثبوت وإنما هو خيال ووهم كسراب بقيعـة تراه شيئا محسوسا فاذا حققتـه وجدت لاشيء ، وكما إذا أخذت عودا على رأسه جمرة نار وأدرته بسرعة فانك تراه دائرة من نار محسوسة عندك لاتشك فيها،فاذا أمعنت النظر فيها بعقلك حكمت أنه ليس ثمة الا الجمرة التي على رأس العود ولا دائرة هناك أصلا وكذا إذا حركته مسـتقيما ترى خطا من نار ولا شيء غـير الجمـرة فكل مايدركه الحس من الصور والأجسام فهو مثل دائرة النار والخط لاحقيقـة له الا فى المدارك وحينئذ يصير الجسم عنده ليس بشيء يعتد به ويعول عليـه ويرى فى ذلك الشـهود ، وذلك العـلم أنه روح فاذا داوم على التوجه والأقبال على الله ودأب على ذلك حصل له علم وشعور بأن هـذا التعين الروحي مثل التعين الجسمي لاحقيقة له ويرى أن حقيقته الخفية إنما هي عينه الثابتة فى العلم القديم وحينئذ يصير فى علمه وشعوره عينا ثابتة ثم بعد هذا يحصل له علم بأن حقيقته إنما هي الأسماء الآلهيه وحقيقته الخفية ، هي الذات العلية لأن الاسم عين المسمى ما هو بشيء زايد على ذات المسمى الا فى التعقل والى هذه الملابس الوهمية والخيالات المتخيلة يشير ابن الفارض بقوله:

اذا ماأزال اللبس لم يبق غـيره ولم يبق بالأشكال أشكال ريبـة

والبها يشير الشيخ الأكبر بقوله:

جل الآله الحق أن يبدو لنـا فردا وعيني ظاهـر وبقائي
واذا أردت تعرفا بوجوده قسّمت ماعندى على الغرماء
وعدمت من عيني فكان وجوده فظهوره وقف على إخفائي

يريد تحليل النشأة العنصرية،والغرماء هم العناصر الأربعة ، الماء والتراب.

والنار، والهواء، فان السالك مادام مقيدا بهذا الهيكل لا يعرف الله تعالى فانه لا يعرف الله الاّ الله فاذا تجرد السالك من كل تعين جسمي وروحي وقلبي وفني وصل الى العلم بالله تعالى وتحصل له علوم وأسرار ماكانت تخطر له ببال وبعد هذا إما أن يمسكه الحق عنده أو يرده فيلبس ملابسه الأول التي كان خلعها فيلبسها لكن على غير اللبس الأول ففي اللبس الأول حق ظهر بخلق باطنه حق، وظاهره خلق، وفى اللبس الثانى حق ظهر بحق فهذا هو الانسلاخ والمعراج التحليلي وان اختلفت العبادات عنه وكل واحد عبّر بما حصل عنده فانه ما سلك اثنان على طريق واحدة من كل الوجوه ولولا القهر الآلهي ماعبرت عن هذا فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، وبعد ما كتبت هذا الموقف القى الحق تعالى عليّ فى الواقعة قوله تعالى، ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا، والحمد لله رب العالمين

(الموقف الثاني والخمسون)

قال تعالى: قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها، الزكاة الطهارة وتزكية النفس تطهيرها من دعواها ماليس لها نفسها وكفها عن غصب كمالات غيرها والتحلي بها حتى تترك جميع الدعاوى الكاذبة لأن النفس تدعي الوجود مع الحق تعالى وهي فاجرة كاذبة فى ادعائها وغصبت الكمالات التابعة للوجود من العلم والقدرة والاختيار والفعل والترك فتحلت بها وادعتها وهى فاجرة فى دعواها لأن الوجود وكل كمال تابع للوجود فهو خاص بالحق تعالى لاشريك له فى ذلك فمن عرف أنه العدم الظاهر وتحقق أنه لا علم ولا قدرة ولا فعل ولا اختيار له، وأنه محل لفعل الحق تعالى فهو الفاعل فيه وبه فهو الذى زكى نفسه وطهّرها من الجور والفجور ومن لم يعرف هذا وادعى خلافه فهو الذى

دسّى نفسه وقد خاب من دسّاها ، والدس ستر الشيء وتغطيته فمن ادعى له وجودا مع الحق تعالى فقد ستر عدمه بوجود الحق تعالى وكذا من ادعى له كمالا من علم وقدرة واختيار فقد ستر عجزه وجهله وضعفه بعلم الحق تعالى وقدرته وقوته ومن ادعى ماليس فيه افتضح،اذا حصحص الحق واتضح

(الموقف الثالث والخمسون)

قال تعالى ، والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، أي الذين بارزوا أنفسهم بالمجاهدات والرياضات فينا بسبب الوصول الينا والي جنة معرفتنا ومشاهدتنا لنهدينهم ، لنعرفهم سبلنا الطرق الموصلة الينا ، فانهم ما جاهدوا فى غيره لا دنيا ولا آخرة ، ثم ليعلم أن دخول جنة المعارف والمشاهدة خلاف دخول جنة اللذايذ المحسوسة ، فجنة المعارف والمشاهدة دخولها غالبا بالكسب والمجاهدة ، كما قال ، والذين جاهدوا فينا ، أي جاهدوا أنفسهم بسببنا ، ثم تقسم بالوهب والجود الالهي والاستعداد ، ودخول جنة اللذات المحسوسة يكون بالرحمة ، ثم تقسم بالأعمال ، كما ورد فى الخبر . ادخلوها برحمتي،واقتسموها بأعمالكم ، والحكمة فى هذا الاختلاف ان جنة اللذات المحسوسة يستحقها كل مؤمن ولو بعد حين ، بحسب الوعد الصادق ، فلو منعها مؤمن دون مؤمن لدخل النار وخلد فيها ، إذ ليس هناك الا داران وهما ضدان فلهذا كانت الرحمة العامة سببا فى دخولها ، وأما جنة المعارف فانها مخصوصة بقوم مخصوصين من خواص المؤمنين ، أصحاب المجاهدات والرياضات ، فاذا لم يدخلها بعض المؤمنين دخل جنة اللذات المحسوسة ، ولو دخل المؤمنون كلهم جنة المعارف والمشاهدة فى الدنيا ، ما دخل أحد من المؤمنين النار يوم القيامة ، وقد سبق العلم القديم

والارادة الازلية ، بدخول طائفة من عصاة المؤمنين النار ثم يخرجون بالشفاعة ، ومما يجب اعتقاده أنه لا بد من نفوذ الوعيد فى طائفة من عصاة المؤمنين

(الموقف الرابع والخمسون)

قال تعالي ، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ، ليعلم أن حال أهل جنة المعارف والمشاهدات ، مخالف لحال أهل جنة اللذات المحسوسة ، فى الدنيا والآخرة ، لأن أهل جنة المعارف الآلهية أشهرهم الحق أولا ، أنفسهم كغيرهم ، فشهدوها فاعلة تاركة مختارة ، ولهذا تراهم فى بداياتهم يعاقبون أنفسهم اذا حصل منها تقصير ، ويشكرونها إذا وفت بالعمل فى زعمهم ، ولولا شهودهم أن لهم فعلا وتركا وقدرة ما فعلوا بها ذلك ، سأل بعض العارفين ، مريدا لبعض المشايخ ، فقال له ، بما يأمركم شيخكم ، فقال المريد ، يأمرنا بالأعمال ورؤية التقصير فيها ، فقال له العارف ، أمركم بالمجوسية المحضة ، هلا أمركم بالأعمال والغيبة عنها بشهود مجريها الى آخر القصة ، ثم اذا رحمهم الله وفتح لهم الباب ودخلوا جنة المعرفة والمشاهدة عرفوا أنهم ليس لهم من الأمر شيء ، من حيث ظاهرهم ومن حيث أنفسهم ، وشهدوا الرهبة والمنة فيما كانوا يشهدونه صادرا من أنفسهم ، كما شهدوا المنة والوهب الصرف أخيرا فغابوا عن أنفسهم وعن العقل والوهب واستغرقتهم مشاهدة الواهب فاصطفاهم الحق لنفسه ، واختارهم لمجالسته ، وأما أهل الجنة المحسوسة فان الحق أشهدهم أيضا كسبهم واختيارهم ، فهم يعملون الصالحات وينسبونها لانفسهم ، قاصدين الوصول الى الجنة المحسوسة غافلين عن جنة المعارف والمشاهدات فأبقاهم الحق تعالي

على غفلتهم فى الدنيا وفى البرزخ وفى الحساب وفى حال دخول الجنة الى وقت الرؤية فى الكثيب الأبيض ولذا يقول لهم الحق تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون فنسب الفعل فى ذلك الوقت اليهم تقريرا لغفلتهم وجهلهم ويقول لهم اقتسموها بأعمالكم كما ورد فى الخبر ، كل هذا تمشية لدعواهم السابقة حتى أن منهم من يقول له الحق تعالى ادخل الجنة برحمتي ، فيقول لا بل أدخلها بعملي ، ففى ذلك الوقت ما كشف لهم الغطاء ولا زال عنهم الحجاب فهم واقفون مع أنفسهم ونسبة العمل اليها واما قوله تعالى ، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ، اذا حمل على الميت انما هو كشف عن بعض المغيبات دون بعض ولا يرفع الحجاب بالكلية وتقع اليقظة التامة الا بعد رؤية الحق تعالي فى الكثيب لأن الناس فى الدنيا نيام بالنسبة الى اليقظة الحاصلة بعد الموت فى البرزخ ، وهم نيام فى البرزخ بالنسبة الي اليقظة الحاصلة فى البعث والحساب ، وهم فى الحساب نيام بالنسبة الي اليقظة الحاصلة فى الجنة ، وهم نيام بعد دخول الجنة بالنسبة الى اليقظة الحاصلة عند رؤية الحق تعالى ، الرؤية الخاصة فى الكثيب وانما فعل الحق تعالي مع هؤلاء هذا الأمر لأنهم ما طلبوا بالأعمال الا الجنة المحسوسة وما تشوقوا لجنة المعرفة والمشاهدة ولا سمت همتهم اليها وما كان مطلوبهم الا ما تشتهيه الأنفس لا ما تشتهيه الأرواح ولا يظلم ربك أحدا وكانت جنة المعرفة والمشاهدة لقوم مخصوصين دون عامة المؤمنين ، والجنة المحسوسة لعامة المؤمنين ، لأن جنة المعرفة والمشاهدة يدخلها أهلها فى الدنيا قبل الموت الحسي ، وبعد الموت المعنوي ، ومحال أن يدخل النار من دخل جنة المشاهدة والمعرفه ، وقد سبق العلم القديم والارادة الأزليه بدخول بعض المؤمنين النار ثم يخرجون بالشفاعة ،

فجنة المعرفة والمشاهدة مثل لا آله الا الله ، فلو وضعت كلمة التوحيد فى الميزان ما دخل مؤمن النار ، وانما توضع فى الميزان حسنات المؤمنين غير كلمة التوحيد ، ولا توضع كلمة التوحيد فى ميزان الا فى ميزان صاحب السجلات خصوصية فلهذا كانت جنة المعرفة والمشاهدة مخصوصه بقوم مخصوصين ، وهم الذين أراد الحق تعالى بقوله فأولئك يبدل الله سيئآتهم حسنات

(الموقف الخامس والخمسون)

قال تعالي ، ان ما تدعون لآت وما أنتم بمعجزين،ماموضوعه للعموم، فكل وعد ووعيد آت الموعود به ولا حق خيرا كان أو شرا فى الدنيا والآخرة طلبه أو هرب منه بمعنى أن ماقدر لكل انسان،أو عليه وسبق العلم القديم والارادة الازليه بلحوقه به فهو واصل لامحالة فلا يقدر أحد ان يعجز المقدور ويسبقه بحيث لا يلحقه ما قدر له أوعليه سواء طلبه أولم يطلبه وسواء هرب منه او استقبله

(الموقف السادس والخمسون)

قال تعالى ، إنما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ، فقوله قولنا يريد أنه متكلم وهو عبارة عن توجه آلهي يحصل به سماع المأمور بالتكوين فيكون لنفسه بما فيه من الاستعداد ، وليس للحق تعالى الا الأمر ، ولما كانت فائدة الكلام ونتيجته هى أيصال ما في نفس المتكلم ومراده الي المخاطب السامع أخبر الحق تعالى أنه متكلم بمعنى أن له صفة الكلام وحقيقته وهو إيصال مافي إرادته تعالى ونفسه الى من يريد أمره أو نهيه أواخباره أو تبشيره أو تحذيره مما يحصل عرفا بالكلام فلا مناسبة بين كلام الحق تعالي

وكلام المخلوقين الا من هذا الوجه الواحد وهو ايصال مافي نفس المتكلم الى السامع ، وكلام الحق تعالى على نوعين باعتبار بغير واسطة مشهودة ، ويسمى الهاما أو القاء ونحو ذلك وبواسطة مشهودة وهي المظاهر الروحانية ويسمى وحيا وكلام الحق اذا كان بغير واسطة مشهودة لا يدرك سامعه له كيفية ولكن يجد السامع له مراد الحق تعالي منه مقررا عنده من غير ادراك كيفية من الكيفيات التي تكون لكلام المخلوقين ، وكلام الحق تعالى يسمعه الأنبياء، وللاولياء منه نصيب ، ولكن أذواقهم فى السماع مختلفة متباينة فليس ذوق النبي كذوق الولي فبين ذوقيهما مابين رتبتيهما وإنما اختص موسي عليه السلام باسم الكليم من بين سائر المكلمين لذوق اختص به موسى عليه السلام لا يعلمه الا هو ، كذا قال شيخنا محيي الدين باخبار موسى عليه السلام له بذلك والذي ألقاه الحق الى أن اختصاص موسى بالتكليم دون غيره من المكلمين لكون كل من كلمه الحق تعالى لا يكلمه الا فى باطنه بحيث لا يسمع الحاضرون تكليم الله اياه ، وموسى كلمه الحق بحضرة السبعين الذين اختارهم من قومه وكلهم سمعوا تكليم الحق وخطابه لموسى عليه السلام وليعلم أنه كما أن الوجود للحق تعالي خاصة وليس لغيره وجود مستقل لا قديم ولا حادث وانما لغيره تعالى النسبة للوجود فكذلك توابع الوجود من كلام وعلم وقدرة وإرادة ليست لغيره تعالى فهو الوجود من وراء حجابية كل موجود والعالم من وراء حجابية كل عالم والمتكلم من وراء حجابته كل متكلم ونحو ذلك فالوجود وتوابع الوجود اذا نسبت لغير الحق تعالى فهي مجاز وفي الحقيقة ليس كلامه تعالى سوى ظاهر علمه، وجميع صفاته ترجع الي علمه ولا ينفصل بعضها من بعض الا فى العبارات لتفهيم المعاني المتواضع

عليها ، فاذا أضيف علمه الى دعوة المضطر قيل سميع ، واذا أضيف علمه الى رؤية كل شيء قيل بصير ، وإذا أوصل مافى نفسه من أمر أونهي أو أخبار وأفاض ذلك علي المراد إيصاله اليه قيل متكلم ، وكما أن للحق تعالي الظهور بالصور كذلك هو المتكلم بها ،قال تعالى،فأجره حتى يسمع كلام الله،و كلامه صفته ، وصفته لاتقوم بغير ذاته أى حتى يسمع كلام الله بمظهرية رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهو كلام الله من حيث أنه كلام رسول الله من حيثية واحدة فافهم والا سلم تسلم ، ولاتنكر تندم ، اذا كشف الساق والقدم ، وكما ان ظهور الحق تعالى بالصور حادث فكذلك كلمانه لأن كلماته أفعاله وأفعاله حادثة وأعني بكلماته مخلوقاته المخاطبة بكن لا نفس الكلام الذي هو صفته وصفاته تعالي اذا نسبت الى مرتبة الاطلاق تكون مطلقه فيتعلق علمه وكلامه بالواجب والممكن والمستحيل وتتعلق قدرته وارادته بكل ممكن وسمعه وبصره بكل مستعد لأن يرى ويسمع واذا نسبت الي مراتب التقييد لاتظهر الا مقيدة فيتعلق العلم ببعض المعلومات والقدرة ببعض المقدورات وقس على هذا

(الموقف السابع والخمسون)

رأيت فى بعض المرائي أني جالس فى قبة بيضاء وأنا أتكلم مع أشخاص لاأراهم فتكلمنا فى قول القطب عبدالسلام بن بشيش (١) رضي الله عنه واجعل الحجاب الأعظم حيات روحي وروحه سر حقيقتي، فقلت لهم ، سأل الشيخ بهذا أن يكون الحجاب الأعظم وهو الحقيقة المحمدية والتعين الأول المسمي بالأسماء الكثيرة بحسب اعتباراته ووجوهه ، حياة روحه أي اجعلني به حيا

«١» لعله مشيش

على الكمال لا مطلق الحياة ، لأن الروح مستلزم للحياة ولا عكس فكل روح حي وليس كل حي له روح ومطلوب الشيخ ومقصوده أن يكون روحه مظهرا كاملا ومجلي تامّا للروح الكل الذي هو الحجاب الأعظم والحقيقة المحمدية إذ كل روح انما هو من الروح الكلي المحمدي ولكن لا على الكمال الا أرواح الكل الحاصلين على رتبة الكمال ، من الورثة المحمديين فانه ينطبع فيه كانطباع الطابع فى الشمع ونحوه فقال لى واحد لم أر شخصه، فعلى هذا يماثل المنطبع فيه مع الطابع فقلت له ، هيهات المنطبع حقيقة وأصل ، والمنطبع فيه مجاز وفرع ، فانا نقول فى الحق تعالى حي وفي زيد حي وأين حياة الحق تعالى من حياة زيد ، ونقول ، في زيد عالم وفى الحق تعالى عالم وأين علم الحق تعالى من علم زيد فان تباين حقيقة كل واحد من الموصوفين بالصفة الواحدة مؤذن بعدم المشابهة بينهما فى النسبة كما اذا ضرب نور الشمس فى حائط من كوة مثلا فنقول ظهرت الشمس في الحائط وأين الشمس من شعاعها الظاهر فى الحائط وقوله وروحه سر حقيقتي يريد الشيخ رضي الله عنه روح الحجاب الأعظم فالضمير عائد عليه وروح الشيء مابه قوامه وروح الحجاب الاعظم هو الذات الغيب المطلق البحت الذي لا يعبر عنه بعبارة ولا تتطرق اليه اشارة اذ الحجاب الأعظم هو غاية معرفة العارفين ، ونهاية السائرين، غير أنهم علموا أن وراء هذا الذي أدركوه شيئا من حقيقته وصفته نفسه أنه لا يعرف ولا يدرك منه سوى وجوده لا غير فكان ادراك العجز عن ادراكه ادراك إذ العلم انكشاف المعلوم على ما هو عليه فحينئذ ظهر لي واحد منهم وقبل يدي وليعلم أن كثيرا من أهل الرياضات والمجاهدات على غير طريق الانبياء وصل الى الروح الكلي فظن

أنه هو حقيقة الحقائق وأنه ليس وراءه مرمى فكفر ورجع من حيث جاء ولهذا يقول بعض سادة القوم ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا مارجعوا يعني الوصول الي الذات الغيب المطلق اذ ليس وراء الله مرمى وأما مرتبة التعين الأول والحقيقة المحمديه والحجاب الأعظم فوراءه مرمى وهو الله من حيث أنه اسم مرتجل علم على الذات الغيب المحض لاشيء فيه من الوصفية

(الموقف الثامن والخمسون)

قال تعالي : للذين أحسنوا الحسني وزيادة ، المراد أحسنوا لأنفسهم وأحسنوا دخلوا حضرة الاحسان ، فان الحق تعالى لا يحسن أحد اليه ولا يسيء ، كما قال : من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ، والاحسان هو الحضور مع الله تعالى فى الأعمال الصالحة ، وهو يستلزم إخلاص العمل من كل شوب ، وفسَّر صلى الله عليه وسلم الاحسان كما فى الصحيح فى حديث سؤال جبريل عليه السلام فقال هو أن تعبد الله كأنك تراه ، يعني العبادة على الحضور فالعبادة الخالصة من الشرك الخفي : لاتكون الاّ لمن دخل حضرة الاحسان وقد وعد الله تعالي ، ووعده الحق ، فانه لا يخلف الميعاد من عبده كأنك تراه بالحسنى أي المعرفة والشهود اللايقين بهذه الدار والزيادة وهي المعرفة والشهود اللايقان بالدار الآخرة فان الشهود هناك أتم ، والمعرفة أكمل ، لا أن الشهود يتبدل والمعرفة تتغير ، فان صاحب الشهود والمعرفة فى الدنيا ، يكون فى الآخرة كما هو فى الدنيا ، كما قال بعض العارفين ، هم ، يعني العارفين فى الآخرة كما هم فى الدنيا إن شاء الله ، وان كان الحجاب مصاحبا فى الدارين لأن رداء الكبرياء لا يرتفع عن وجهه تعالى لا دنيا ولا آخرة ، كما ورد فى الصحيح وليس بين القوم

وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ، ورداء الكبرياء هو أول التعينات ، وهو الحقيقة المحمدية ، وقوله صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله كأنك تراه تعليم لدخول حضرة الاحسان واذن فى تخييل الحق تعالى بالحضور مع العابد وأنه فى قبلة المصلي وبينه وبين القبلة ، وأنه يناجيه كما فى صحيح الأخبار ، فاذا أراده الله تعالى لقربه وأزال الحجاب عن عين بصيرته ، صيّره الى حالة لا يعبر عنها لسان ، ولا تخطر لعاقل بجنان ، منها أن يرفع عنه الكاف من كأن وحينئذ تصير حضرة الاحسان فى حقه فيها نوع سوء أدب ، لما فيها من الحصر والتقييد بالنسبة الى ما صار اليه وحسنات الأبرار سيئات المقربين وإنما أمر صلى الله عليه وسلم ، ورغب فى حضرة الاحسان ، تعليما وتدريجا وتدريبا لما هو أعلى وأقدس وأعلي وأنفس وهو صلى الله عليه وسلم سيد المعلمين ، وأحكم العالمين

(الموقف التاسع والخمسون)

قال تعالى ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، من أراد أن ينظر الى تبشير الحق تعالي عباده بسعة رحمته وأخبارهم تلويحا بل تصريحا لمن عقل بعموم عفوه ، وشمول مغفرته ، فلينظر فيما جعله الله فاتحة لكلامه تعالى المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وخاطب به كل من بلغه فانه أخبر تعالى أنه الملك يوم الدين أي ملك الجزاء بعد أن أخبر تعالى أن الحمد له على الحصر والاختصاص ، أو الاستحقاق وهو بمعني جنس الحمد إن كانت اللام لاستغراق أفراد الجنس أو حقيقة الحمد ، ان كانت اللام للحقيقة والماهية والحمد هو الثناء علي المحمود بصفاته الجميلة ، وليست الأصفات الجمال كالحلم والعفو والستر والرحمة والكرم والإحسان لا صفات الجلال

كالانتقام وشدة البطش والغضب، فان الحمد عليها من كونها صفات كمال فالحمد عليها نسبي ثم اخبر تعالي، أنه رب العالمين ، والرب هو المصلح لكل ما أضيفت اليه تربية فيربيه الى أوان حصول ثمرته المقصودة منه ، وبلوغ نتيجته ، والقصد الأول من خلق المخلوقات معرفة الحق تعالي قال تعالي ، وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون أي يعرفون لأن العبادة فرع المعرفة وثمرتها، وقال تعالي فى الخبر المتداول بين القوم ، كنت كنزا مخفيا فاحببت أن أعرف فخلقت خلقا وتعرفت اليهم فعرفوني بى، فمعرفته تعالى حاصلة لكل مخلوق من وجه وهي معرفة الفطره وغير حاصلة لمخلوق أي مخلوق كان من وجه وهي معرفة الكنه ، وحاصلة لبعض دون بعض من وجه ، وهذا الوجه الحاصل لبعض دون بعض، من لم يحصل له فى الدنيا حصل له فى لآخرة، ولو كان لاعلي الكمال فمن حصلت له المعرفة في الدنيا فهو سعيد في الدنيا والآخرة ومن لم تحصل له المعرفة الا فى الآخرة فهو سعيد فى الآخرة والكل تحصل له فى الآخرة فالكل حاصل على الثمرة المقصودة من ايجاده فالكل سعيد فى الآخرة والشقاء الحاصل للبعض فى الآخرة انما هو مثل الشقاء الحاصل للبعض فى الدنيا ، بالامراض والفقر ، وسائر الآلام الزايلة بضدها ، أو بالموت ثم أخبر تعالى ، أنه الرحمن الرحيم بصيغة المبالغة افادة للتكثير بمعنى أنه تعالى كامل الرحمة بحيث لا يشوبها نقص، يرحم عباده بسبب وبغير سبب كما أوجدهم ، بلا سبب غير رحمته فلا سبب لرحمته عباده الا رحمته فمن رحمته ايجادهم ، ومن رحمته إسعادهم ، ثم أخبر تعالى أنه مالك يوم الدين بمعنى مالك الجزاء فيجازى كل أحد بما يريد مجازاته به ومن المعلوم ضرورة أن الحق تعالى أرشدنا وندبنا فى كتبه وعلى السنة رسله ، عليهم الصلاة

والسلام، الى العفو والصفح والستر فيما بيننا ومدح فاعل ذلك، ووعده بجزيل الأجر، بل جعله تعالى واجبا عليه ، فقال، فمن عفا وأصلح فأجره على الله، وعلى من صيغ الوجوب ، ومحال أن يأمر تعالي باستعمال مكارم الاخلاق ، ويندب الي الاحسان ثم لا يفعل ذلك هو مع عباده ولا يعاملهم به تعالى عن ذلك اذ لا أحد أحب اليه المدح من الله تعالي ، كما ى الصحيح ، ولا سيما والحكمة التي وضع لاجلها تعالى العقوبات والحدود التى شرعها لنا فى الدنيا لاصلاح ديننا ودنيانا ، وابقاء لعمارة الدار الدنيا الي أجلها الموعود ، زالت فى الآخرة ، وما بقيت لها فائدة يرجع منها نفع للمخلوقين بعد حصول القصاص فيما بينهم، واستيفاء كل ذى حق حقه وقد أخبر الحق تعالى، أنه يوقف عباده يوم القيامة ويحاسبهم ويأخذ للمظلوم من الظالم ولا يضيع حق أحد ، وهو الصادق فيما أخبر ، وكل هذا الرحمة فيه أغلب للغضب ، والحلم أكثر من العقوبة وفى الخبر الصحيح ، أن الله تعالى يصلح بين عباده يوم القيامه فلا تزال الرحمة فى حال الحكم وبعد الحكم بين الخلائق ، تغالب الغضب وتسابقه، حتى تمحو أثره وتنسى خبره فتشمل السعادة وتعم الرفادة ، ولا شك أن الحق تعالي مالك يوم الدين سواء كان المراد بيوم الدين يوم الجزاء فى الدنيا والآخرة أو الآخرة فقط ، فهو فى الدنيا يملكه بوسائط وأسباب وحجب وهو الفاعل المالك من ورائها ، لأن الدنيا مبنية على الحكمة وفى الأخرة ترفع تلك الحجب وتهتك تلك الأستار ، لأن الآخرة مبنيـة على اظهار القدرة فيشهد كل فعل للواحد القهار

(الموقف الستون)

قال تعالى ، وكبّره تكبيرا ، أي تكبيرا بالغا فى الفخامة والضخامة

غاية ما يتصور، وانما أمر المصلى بقول ، الله أ كبر ، عند دخوله في الصلاة ، وعنـد انتقالاته فى الركوع والسجود والرفع منه ، الى تمام الصلاة لكونه أمر بأن يعبد الله كأنه يراه وأن يعتقد أن الله تعالي فى قبلته، وانه مطلع عليه يراه ، وانه بينه وبين القبلة ، وانه يناجيه ، وأمثال هذا مما ورد فى الأخبار الصحيحة، وكل هذا يستلزم التخييل والتصوير لامحالة، وكل مصل بل مخلوق يتصور معبوده ويتخيله بمعنى أنه يعتقد فى معبوده أنه كذا وليس كذا وهذا هو التصور والتخيل فلما كان الأمر هكذا وعلى ما ذكرنا، أمر المصلي وغير المصلي أن يقول الله أ كبر ، بصيغة المفاضلة أي مسمى الله فى مرتبه اطلاقه اكبر وأعظم من أن يتخيل أو يتصور أو تحوم حوله حماه شائبة تقييد بجهه أو صفة ، أو يحصره نعت أو اعتقاد فانه ليس كمثله شيء ، وكما نفت هذه الآية الكريمة المثلية ، نفت الضدية فلا مثل له تعالى فيدانيه ، ولا ضد له فيناويه ، بل هو المطلق حتى عن الأطلاق ، لأن الأطلاق تقييد له بالاطلاق ، وانما ضرورة التعبير أحوجت الى ذكر الأطلاق ونحوه من الألفاظ الضرورية فالمفاضلة اذاً علي بابها بمعني أنه تعالى فى مرتبة اطلاقه ، أكبر منـه وأعظم فى مرتبة تقييـده ، وهو هو فى المرتبتين لاغير من غير تغيير يلحقه ولا تحويل فهو المطلق فى آن تقييده المقيد فى آن اطلاقه كما أنه الأول فى عين آخريته ، الآخر فى عين أوليته ، الباطن فى عين ظاهريتـه ، الظاهر في عين باطنيته ، ولما كان الحق تعالى فاعلا لأفعالنا فى مرتبة التقييد جاءت صفة المفاضلة في الـكتب المنزلة ، وفى السنة المفضلة ، كقوله تعالي ، أحسن الخالقين ، خير الرازقين ، نعم القادرون ونحو هذا ، وفى السنـة الله أفرح بتوبة عبـده ، الحديث بطوله ، ونحوه كثير فكل هـذا باعتبار مرتبـة

الاطلاق والتقييد فهو مفضل على نفسه باعتبارين كمسالة الكحل عند النحاة وإنما أمر الشارع صلى الله عليه وسلم بحضرة الاحسان للتعليم والتأنيس فاذا دخلها العبد ، وأراد الله رحمته رحمة كاملة رفعه منها الى رؤيته تعالى فى كل جهة ، حيث لاجهة بل يرى حقيقته هو لا جهة لها فيرى الحق فى الخلق ، والخلق فى الحق ، من غير حلول ولا اتحاد ولا زندقة في هذا ولا إلحاد ، وانما هو توحيد محض ، ورفض للشرك ودحض ، ومن ذاق عرف ، ومن جهل لج وما أنصف، ولو سلم كان له أسلم

لايعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

اللهم زدني علما بك ، فأنت خير مسئول ، وأكرم مأمول ،

(الموقف الواحد والستون)

قال تعالي ، والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، أخبر تعالى أنه يدعو عباده من أنس وجن فى الحال والاستقبال الى دار السلام ، بمعنى السلامة وهى الرحمة المحضة العامة التي تعم العباد كلهم بعد نهاية الغضب الآلهى يدعوهم فى الحال بألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام الى الأعمال والأقوال والاعتقادات الصالحة التى هي أسباب نيل السلامة ، بمعنى الرحمة الكاملة الخالصة من غير أن يتقدمها شوب غضب ، ويدعوهم فى الاستقبال الى نيلها بالفعل ، ثم أخبر تعالي ، أنه وان دعا الجميع في الدنيا بمعني دعائهم الى الأعمال ، واتباع الرسل فيما أرسلهم به ، فقد فرق بينهم بحكمته وإرادته فيهدي من يشاء هدايته وهم المؤمنون الى صراط مستقيم أي طريق قريب الوصول سهل الممشى الي السلام ، فيصلون اليها من غير مشقة ولا تقدم غضب، ويضل من يشاء وهم الكافرون العاصون للرسل عليهم السلام،

فلا يصلون الى الرحمة الكاملة الاَّ من طريق غير مستقيم بعيد،وبعد نفوذ الغضب الآلهي، وهم الذين قال تعالى فى حقهم،أولئك ينادون من مكان بعيد، من الرحمة المحضة ، الى الرحمة المحضة ، فانها لاتنالهم الا بعد حين

(الموقف الثانى والستون)

قال تعالي ، وما أمر نا الا واحدة كلمح بالبصر، اعلم أن كل ما يقع اليه الادراك من محسوس ومعقول ومتخيل ، فهو متغير متجدد فى كل نفس ، يوجد ويعدم ، اذ كل مدرك فهو صورة قائم بغيره كقيام العرض بالجوهر عند علماء الكلام وذلك الغير المقوّم لتلك الصورة هو نفس الرحمن،وأمر الله وحقيقة الحقائق وله أسماء كثيرة بحسب اعتباراته والكون كله العرش وما حوى من عالم الأرواح وعالم المثال وعالم الأجسام أعراض ونفس الرحمن مقوّم لها وهي قائمة به ، قال بعضهم ماالكون الاّ عرض ، سيان فى ذلك الجوهر والعرض، ولولا أن هذه الصور المدركة بأي مدرك كان من أنواع الادراكات اعراض ماصح انقلاب العصا حية،ولا العرجون سيفا،ولاصح مسخ اذ لو كانت هذه الصور المدركة هى حقائق الاشياء ماصح انقلابها ، لأن قلب الحقائق محال،فحقيقة الأشياء غير هذه الصور المدركة بل حقيقة كل شيء هو المقوّم لصورته، وهو غير مدرك بالحس بل يدرك بالحس ولا يعرف أنه هو لأنه لايتميز عن الصورة ولا تتميز عنه وإذا صح أن كل ما يتعلق به الادراك مطلقا صورة بمعني عرض قائم بغيره فهو لا يبقى زمانين بل زمان وجوده عدمه كما تقول الأشاعرة من المتكلمين ، العرض لايبقى زمانين ، وقال بعدم بقاء الصور الجسمية زمانين قوم من الحكماء قديما عقلا والقوم رضي الله عنهم قالوه كشفا فكل صورة مطلقا لا يقع عليها

ادراك أي ادراك كان إلا اذا تميزت عند المدرك ، لأن موجودية الأشياء تابعة للادراكات لا غير عن الوجود العام المفاض عليها المقوّم لها ، وزمان تميزها حيث يتعلق الادراك بها هو زمان عدمها لأنه ما حصلت على اسم الموجود الا بملابسة الوجود الحق الظاهرة فيه وبه من غير حلول ولا اتحاد فاذا تميزت عنه فى المدارك المدركة حصلت على العدم بمثابة الصوره المرئية فى المرآة فمهما نظر الناظر الصورة فى المرآة لا يرى المرآة فانعدمت المرآة فى نظره وانعدمت الصورة لأن المقوّم لها هو المرآة ولو بقيت الصورة فى ظنه وفى خياله فهي معدومة فى المرآة موجودة فى خياله فهو يراها فى خياله ويظن أنه يراها فى المرآة أعني زمان انعدامها، وأيضا الوجود الحق تعالي من حيث هو غني عن العالمين، فهو ظاهر بذاته الأحدية لذاته ووحدته تطلب عدم الكثرة لأن مقتضى الأحدية اعدام الكثرة ، وأسماؤه تعالى تطلب ظهورها بظهور آثارها وهو مقتضى الكثرة فالكون دائما بين مقتضى الأسماء وهو ظهور الكثرة وان كان ظهور الكثرة بظهور الأسماء بآثارها هو ظهور الذات فى الحقيقة حيث أنها اعدام ونسب لا قيام لها بدون الذات ولهذا كان الحق تعالى ظاهرا باطنا ، أولا آخرا : من حيثية واحدة ، وجهة متحدة، ولا يفهم من تمثيلنا بالجوهر والعرض المعروفين عند المتكلمين أن العالم والمقوّم له مثلهما من كل وجه ؛ وإنما هو للتقريب اذ لا يشترط فى التمثيل التساوي من كل وجه وأكثر الناس يعلمون هذه المسألة ولا يعلمون أنهم يعلمون ، لأنك إذا قلت للمنطقي مثلا ما حقيقة الانسان فيقول الحيوان الناطق ، فتقول له الحيوانية والناطقة جوهر أو عرض ؛ فيقول عرض عند المحققين ، فكأن الانسان الذى هو أعظم الجواهر وأشرفها وأجمعها لحقائق

الأجسام عندهم عرضا تجري عليه أحكام الأعراض، اذن ولا بد، وكذا، تقول للطبيعي العلوية غير العرش والكرسي والأطلس وتلك الثوابت والسفلية المشهودة والغير المشهودة من أي شيء هي مركبة؟ فيقول لك، من العناصر الأربعة وهي التراب والماء والهواء والنار، فتقول له والعناصر الأربعة من أى شيء هي مركبة؟ فيقول لك التراب مركب من البرودة واليبوسة، والماء مركب من البرودة والرطوبة، والهواء مركب من الحرارة والرطوبة، والنار مركبة من الحرارة واليبوسة، فتقول له وهذه الطبائع الأربعة جواهرا وأعراض فيقول هى أعراض فكانت الجواهر والأجسام كلها مركبة فى الأعراض تجرى عليها أحكام الأعراض ولا بد

(الموقف الثالث والستون)

قال تعالى، فتمثل لها بشرا سويا، ورد فى صحيح مسلم تجلى الحق تعالي لأهل المحشر، وتحوله فى الصور، وفي الصحيح المتواتر أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى جبريل في صورة دحيه ويعرفه أنه جبريل والصحابة يجزمون أنه دحيه وهذا هو التجلي الذي ينكره علماء الرسوم المحجوبون على العارفين رضي الله عنهم ورموهم بالحلول والاتحاد ولو أنصفوا ما أنكروا ماجهلوا لأن الحكم على الشيء تصويبا وتزييفا فرع تصوره وهم ماتصوروا التجلي والشهود على ماهو عند القوم رضوان الله عليهم، فما رد علماء الرسوم الا باطلهم الذي تصوروه في أنفسهم، تصوروا باطلا وردوا باطلا، اذ القوم رضي الله عنهم لا اثنية عندهم ولا يقولون بوجودين قديم وحادث حتى يتحد أحدهما بالآخر أو يحل فيه، فحقيقة الوجود عندهم واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ ولا تتبعض، وهي مابه وجدان الشيء وتحققه التحقق الذي له بالذات، فالاشياء كلها من عالم

الأرواح والأجسام وعالم المثال والمعاني، المجرّدة العقلية ، لا تظهر ولا تتعين الا بظهور الوجود الحق فيها ، من غير حلول ولا اتحاد ولا اتصال ، ولا انفصال ، كما أن الوجود الحق لا يظهر ولا يتعين الا بمخلوقاته ، ومثال ذلك ، ولله المثل الأعلى ، العالم إذا لم تكن الشمس مشرقة عليه ، وظاهرة لديه ، كان كالعدم لا وجود له في الأعيان ، ولا يتميز بعضه عن بعض ، فاذا أشرقت عليه الشمس ظهر الأعيان ، وتحقق وجوده وتميز بعضه عن بعض وظهور نور الشمس في أجزاء العالم ليس بحلولها فيه ولا اتصالها به ولا انتقالها ، ولا بتغيرها عما كانت عليه ؛ ولا بانفصال بعضها عنها ، ولولا أجزاء العالم ماظهر نور الشمس ولا تعين ، ولو قدرنا ارتفاع العالم وعدمه وكذا الوجود الحق تعالى ، لا وجود لمخلوقاته إلا باشراق نوره عليها ولا ظهور له ولا تعين الا بها وظهور نور الشمس وإشراقه على أجزاء العالم يختلف بحسب صفاتها وقوابلها واستعداداتها وهو شي واحد غير متعدد ، ولا متجزىء ، ولا متلون ، وانما عددته ولونته اجزاء العالم بحسب صقالتها ، وكثافتها ودنسها ، وشفافتها ، فتجلى الوجود الحق على العالم كله واحد لا فرق بين جليل وحقير ، وصغير وكبير ، ولكن لا يظهر في صورة الا بحسب قابليتها ، مثال آخر للتجلي والشهود الذى دلت عليه الآي والاحاديث ، الشمع اذا صورت منه صورة إنسان أو حيوان ثم أحضرت لدي جماعة فيهم عقلاء وجهال وصبيان ، فالجهال والصبيان لا يقع إدراكهم الا على الصورة ، ولا يتأملون الا فيها ، وفى تخطيطها وتشكيلها ، واعضائها غافلون عن الشمع الذي هو مادتها وبه قامت وظهرت حتى صارت تتعلق بها الادراكات الحسية ، وأما العقلاء فانهم ينظرون الصورة كما ينظروها غيرهم ، ويتعدى نظرهم الى الشمع الذي قامت الصورة به وتعينت ، ويعرفون أن

الصورة من حيث هي لولا الشمع أظهرها ماظهرت ولا وقع عليها إدراك ، لأنه لو كان لها وجود مستقل منفصل عن وجود الشمع ، لكان يصح أن تنفصل عن الشمع وتبقى على ظهورها وتتعلق الادراكات بها وذلك محال ، فثبت أن الوجود والظهور للشمع وانظهر بالصورة أي متلبسابها فالظاهر هو والصورة خيال ، اذا فتشتها لاتجدها شيئا مع إطلاق الحقيقة الشمعية وتقييدها بالصورة وبتلك الهيئة والشكل والتخطيط ، فلو فرض أن الحقيقة الشمعية تكيفت بكيفية إرادية من عدم الظهور بتلك الصورة المخصوصة ، وظهورها بصورة أخرى أو بعدم الظهور مطلقا إنعدمت تلك الصورة التي كان ظاهرا بها ، مع بقاء الحقيقة الشمعية على حالها من غير تغيير ولا زيادة ولا نقص ، ولا يصح أن يقال الصورة حلّت فى الشمع ولا اتحدت به ولا امتزجت ، لأن هذه الأمور إنما تقال على شيئين مستقلين بالموجودية ، وليس الا شيء واحد وهو الشمع مثلا والصورة ليست بشيء ، والقوم رضوان الله عليهم لا يثبتون الوجود الا لشيء واحد وهو المقوّم القائم على العالم جميعه جواهره وأجسامه وأعراضه ، والعالم كله أعراض عندهم بمعني أنه كالعرض القائم بالجوهر عند المتكلمين ، ولو أدركنا الصور بحواسنا تتكلم وتفعل أفعالا مختلفة فانما ذلك لتعلق إدراكنا بالصور دون نفوذ الى بواطنها وحقايقها التي الصور فيها بمثابة العرض فى الجوهر ولو عرفنا حقيقه الأمر لعرفنا أن الأفعال كلها للحقيقة المقوّمة للصور لأن الافعال والكيفيات كلها تابعة للوجود وقد ثبت أنه لا وجود الاّ للحقيقة المقومة للصور والصور عدم متخيل وجوده غير أن الصور ظهرت لظهور الوجود الحق متلبسا بها اذ ظهوره بلا صورة متخيلة محال لأنه لا صورة له فظهرت به وظهر بها

مع عدمها ولا يقال فى الصورة أنها عين ماقامت به لأنها عدم والمقوّم لها وجود ولا يكون العدم عين الوجود ، ولا أنها غيره لأن الغيرين عند المتكلمين أمران وجوديان ، وليس الا وجود واحد لاقديم ولا حادث ، وإذا قيل أنها غير فهي غيرية اعتيادية لا حقيقية ، وكذا أن قيل أنها عين بمعني أن الظاهر عين المظهر فهو مجاز أيضا لأنها شؤنه فى مرتبة التعين الأول ، فلا يقال أنها عين ولا غير وان قيل فى مرتبة الظهور إنها أحكام الاستعدادات أعني الصور ومايتبعها من الأحكام زيادة إيضاح ، أن الأعيان الثابتة هي حقايق الممكنات فى العلم ولا وجود لها أزلا وأبدا وإنما لها الثبوت ولو وجدت لكان قلبا لحقيقتها وقلب الحقائق محال فكل ممكن له حقيقة وماهية فى العلم وليست غير العلم ولا العالم لأن علمه عين ذاته عند المحققين فاذا أراد الحق تعالى ان يظهر باحوال عين من الأعيان الثابتة ، ويظهرها ، توجه بارادته وكلامه على تلك العين الثابتة فكانت هذه الصورة المحسوسة ، وهي معان اجتمعت فكانت منها صورة قائمة بنفسها في بادىء الرأي والتخيل وهى نسبة بين الوجود الحق وبين عينها الثابتة التى كان التوجه اليها من الوجود الحق والنسب كلها أمور اعتبارية لاموجودة ولا معدومة فوجودها إنما هو في اعتبار المعتبر مادام معتبرا وفى عقل المتعقل كسائر الأمور المصدرية ، فهي مثل الصورة الظاهرة فى المرآة ، فلولا المرآة والمتوجه على المرآة ماظهرت الصورة فى المرآة ، والصورة خيال لاحقيقة له وإنما نسبنا الوجود للصورة مجازاً لكونها ماظهرت الا بتوجه المتوجه على المرآة وهو الوجود فالعالم كله بما فيه من الصور الحسية والخيالية والعقلية ، ظل لأعيانه الثابتة من جهة الصور المقيدة وظل للوجود الحق من جهة الوجود وتوابع الوجود من

الأفعال والادراكات ، فقاصر النظر الجاهل الذى لايرى الا الظل يتوهم أن الافعال الصادرة من ذي الظل هي للظل فقط ، حيث ماتعدى نظره الى ذى الظل ، وأما من يرى ذا الظل حيث نفذ نظره من الظل اليه فانه يعلم الأمر على ماهو عليه ويعرف أن ذا الظل هو الفاعل الأفعال كلها والظل تابع له لا استقلال له بشيء أصلا

(الموقف الرابع والستون)

قال تعالى ، إنّا كل شيء خلقناه بقدر ، قرىء بالرفع فى غير المشهورة وهي قرآءة أبي السماك ، اعلم أنه ليس للحق تعالى ذات ولمخلوقاته ذوات مستقلة قائمة بأنفسها لم يجدها أبدا ، وإنما ذات الحق تعالى هي عين ذوات المخلوقات من غير تعدد ولا تجزئة ، لذاته تعالي ، وذوات المخلوقات هى عين ذات الحق تعالى لا على أن للحق ذاتا وللمخلوقات ذوات ، ثم اتحدت ذوات الحق بهم أو امتزجت أو حلت فيهم ، فان هذا محال وليس بمراد بل بمعني أن ذاته تعالى التي هي وجوده المقوّم للمخلوقات ، القائم عليها هي عين ذوات المخلوقات أي هي أي ذوات المخلوقات عبارة عن ظهور الوجود الحق متلبسا باحكام استعدادات المخلوقات أى اعيانها الثابتة فى العلم والعدم أزلا وأبدا وهي نسب الوجود الحق واعتبارات واضافات ، ولا عين لها فى الوجود الحق ولكن لما كان الشأن أنه لا حكم الا لباطن فى ظاهر ، ولا أثر الا لغيب فى شهادة حكمت أحكام الاستعدادات الثابتة علما ، المعدومة عينا ، على الوجود الحق ، الظاهر بأحكامها ، وصارت الأحكام والأوصاف لها فيه مع عدميتها ، فذاته تعالي وجود حق قديم قائم بنفسه وذوات المخلوقات كلها هى الوجود الحق الظاهر بأحوال أعيانها الثابتة الحادثة الظهور القديمة بالعلم ، والظاهر

بها الذي قامت به الوجود الحق القديم فهو تعالى ذاتنا من حيث ظهور صفات أعياننا وأحوالنا به حاكمة عليه في الاتصاف بها ، ونحن ذاته من حيث ظهوره بنا فهو ظاهر بنا وإن كنا عدما ، وذات الشيء ما به ظهوره ولا يقدح فيما ذكرناه التعبير بنحن ، وهو لا ضرورة التفهيم أحوجت الى ذلك ، فليس إلا ذات وحقيقة واحدة اذا ظهرت بالتأثير والفعل وصفات الكمال كانت آلها ، وإذا ظهرت بالانفعال والتأثر وصفات النقص كانت خلقا وعبدا والعين واحدة وكذلك الصفات ، ليس للمخلوقات صفات مغايرة لصفات الحق تعالى ، فصفاته المطلقة المتعلقة بكل ما يصح تعلقها به هي عين صفاتنا المقيدة التي تتعلق ببعض ما يصح تعلقها به دون بعض ، وصفاتنا المقيدة هي عين صفاته المطلقة ، فقدرته المطلقة تتعلق بكل ممكن ، وقدرته المقيدة بنا تتعلق ببعض الممكنات دون بعض ، وعلمه المطلق يتعلق بكل واجب ومستحيل وجائز ، وعلمه المقيد بنا المنسوب الينا يتعلق ببعض المعلومات دون بعض ، فمن حيث الاطلاق هي صفات الحق تعالى ومن حيث التقييد هي صفات

ان الانسان ما أعطى التحكم فى العالم بما هو انسان وانما أعطى ذلك بقوة آلهية إذ لا تحكم فى العالم الا صفة حق لا غير وهى للانسان ابتلاء لا تشريف ولو كان التحكم فى العالم تشريفا بالنسب الحاكم الى عدل ولا الى جور ولا ولى الخلافة فى العالم الا أهل الله تعالى بل ولي الله التحكم فى العالم من أسعده الله به ومن أشقاه من المؤمنين والسلاطين والأمراء نواب القطب ومن استمدادهم فمن قبل المدد بحاله كان صالحا حكما عدلا ومن كان من السلاطين والأمراء غير صالح غير المدد ورده الى استعداده فكان جائرا ظالما كالمطر ينزل من السماء عذبا فراتا فاذا وصل الى الأرض غيرته الارضين كذا الى طبائعها وردته الى استعداداتها فمنه ما يصير مالحا ومنه زعاقا ومنه حامضا الى غير هذا من طبائع الارضين ومنه ما يبقى على حاله ببطن أرض انتهى

الخلق وهي هي فى الحالتين والنسبتين وإنما تميزت بالاطلاق والتقييد والمطلق عين المقيد فى الخارج وان كان غيره فى الاعتبار والتعقل والتقييد والحدوث، إنما حصلا للصفات باضافتها الى الخلق وكذا أفعال المخلوقات هي أفعاله تعالى، وأفعاله أفعال مخلوقاته، ولذا ورد فى الكتاب والسنة نسبة الأفعال الى الحق تارة ونسبتها الى المخلوقات تارة، ونسبتها الي الحق تعالى بالخلق تارة، والى الخلق فالحق تارة، فافهم واحذر أيها الواقف على هذا، ترمينا بحلول أو اتحاد، أو زندقة، أو الحاد، فنحن بريئون من فهمك الأعوج، وعقلك الأهوج

(الموقف الخامس والستون)

قال تعالى، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، قدطول المتكلمون من علماء الرسوم الحديث فى الثواب والعقاب من حيث أن فعل العبد بقضاء الله وقدره وإرادته وسبق علمه فما للعبد حيلة فى التحول عن مراد الله تعالى فيكون العقاب ظلما علي وهمهم حتي أدي النظر فى هذا الى الاختلاف والتشعب بين المسلمين، فقالت طائفة، الخير فعل الله، والشر فعل العبد، وقالت أخرى، العبد يخلق أفعاله الاختيارية، فجعلت لله تعالى شركاء لا يحصون عددا، وقالت طائفة بالكسب ولم يفهم أحد حقيقته على اليقين حتى ضرب به المثل فى الخفاء وهو فى الحقيقة إسم بلا مسمى، ولفظ بلا معنى، وقالت طائفة بالجزء الاختياري وهو كالذى قبله فان محصل كلام القائل به يرجع الي أنه معنى اعتباري لا وجود له الا في اعتبار المعتبر مادام معتبرا وكيف يكون مالا وجود له فى الخارج علة للموجود فى الخارج عندهم وعلى مذهبهم، الى غير ذلك من المقالات المذكورة فى كتب علماء الكلام، ولو كشف الله تعالى

الغطاء عن بصائرهم لعلموا ، أن الثواب فضله ورحمته ، لأن الرحمة بها الايجاد والأمداد والثواب واما العقاب والجزاء على سيء أفعالنا فانما جاء من قبلنا فاننا لما كنا عند أنفسنا موجودين ، بعد أن كنا معدومين تخيلنا أن لنا وجودا حادثا مستقلا مباينا للوجود الحق تعالى ، وتوهمنا أن لنا صفات مباينة لصفات الوجود الحق ، من قدرة وإرادة ، وعلم وإختيار ، وأننا نفعل إذا أردنا ، ونترك إذا أردنا ، فعاملنا الحق تعالى حسب تخيلنا ، وخاطبنا بذلك في ، كلامه ، وبألسنة رسله ، فقال افعلوا واتركوا ، وهو يعلم أنه لا فعل لنا ولا ترك ، وانه الفاعل تعالي وحده ، ورتّب تعالى الثواب والعقاب على وهمنا هذا ، والثواب منة منه تعالى ، وفضل ، فما جاءنا الشر الاّ من قبلنا ،ما ولا حملنا ما حملنا الاّ بجهلنا ، قال تعالى ، إناّ عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، الآية ، يعني تعالى أنه عرضها عليهن عرضا لا إلزام فأبين وخفن من حملها لأنها عارفة بالله تعالى فطرة وما طرأ عليها حجاب ، وعرفت أن حمل الأمانة يستلزم الحجاب الذى هو سبب المخالفة ، ودعوى الاستقلال بالوجود والفعل والاختيار ، وإن كان حمل الأمانة على الكمال والتمام ، يقضي بحاملها الى شرف ما يبلغه سوأه من المخلوقات ، فاختارت هى السلامة كما قيل

وقائلة مالى أراك مجانبا ... أمورا وفيها للتجارة مربح
فقلت لها مالي بربحك حاجة ... ونحن اناس بالسلامة نفرح

وحملها الانسان ، لأنه كان ، أي وجد ظلوما ، حيث أنه وضع الشيء فى غير محله بدعواه الوجود لنفسه مع توابع الوجود من قدرة ، وارادة ، وفعل ، واختيار ، جهولا بنفسه ، أي حقيقته التي بها هو هو ، فانه ماعرفها

ولو عرف نفسه لعرف ربه ، ولوعرف ربه من غير أن يطرأ عليه حجاب ، كما عرفته السموات والأرض ما حصل عليه ضرر ولا لحقه عذاب ، ولا ألم ، فلو فرضنا مستحيلا وأنه لم يمكن فى نوع الانسان الاّ عارف بالحقيقة ، وبما هو الأمر عليه ، ماجاء للانسان تعب ولامشقة ، ولا كانت منه مخالفة أمرولانهي ، ولا يقال أن في نوع الانسان عارفين بالحقيقة ، فلمَ كان ما كان ، لانّا نقول المقصود والمراد ، بهذا العموم وأما الفرد النادر فلا حكم له ولا اعتبارية

(الموقف السادس والستون)

قال تعالى ، وإن من شيء الاّ يسبح بحمده ، شيء أنكر النكرات وكل مسبح فهو عالم ناطق ، بنطقه مدرك ، وعلى هذا فكل مايطلق عليه اسم موجود فى أي مرتبة من مراتب الوجود ، كان سواء كان وجودا عينيا خارجيا أو ذهنيا خياليا ، أووجودا لفظيا ، او وجودا خطيا ، وجميع المحسوسات والمعاني فانه يوصف بجميع الأوصاف من حياة ، وعلم ، وقدرة ، وارادة ، وسمع ، وبصر ، وكلام ، وغير ذلك ، لأن هذه الأوصاف والأحوال تابعة للوجود فحيثما كان الوجود كانت هذه الأوصاف لازمة له ، لأنه ماصح شيء من الأشياء الاتصاف بالوجود الاّ بعد اقتران الوجود العام المفاض على الممكنات بأحوال ذلك الشيء وانصباغها بالوجود ، فوجود كل شيء أي شيء كان هو تعين الحق تعالى الذي هو الوجود ، وظهوره بأحوال ذلك الشيء وصفاته : قال تعالى ، استعينوا بالصبر والصلاة ، وقال ، وإياك نستعين ، أي لاتستعينوا الاّ بي فدل على أنه هو الوجود الحق ، وهو الصبر والصلاة ، ولكن ظهور آثار صفات الوجود الذى اتصفت به الموجودات

ونسبت اليه متباين متفاوت ، بحسب استعدادات الموجودات وقبولها ، لظهور آثار الصفات عنها،فانه ليس قبول الجماد هو استعداده كقبول النبات، ولاقبول النبات كقبول الحيوان ، ولا قبول الحيوان كقبول الانسان ، ولذا قال إمامنا وشيخنا محيي الدين ، الحروف أمة من الأمم مخاطبة مكلفة ولا يكلف الا من يدرك ، ولا يدرك الا من يعقل ، ويسمع ويعلم ويتكلم ، وقد حصلت لنا حكايات فى هذا الباب مع الجمادات

(الموقف السابع والستون)

قال تعالى ، ألا إن أولياء الله ،الآية، جمهور المحققين من أهل الله تعالي على أن الولاية مكتسبة والاكتساب افتعال،وهو طلب الشيء بقوة واجتهاد، وعليه فالعمل لأجل تحصيل الولاية التى معناها القرب من الله تعالى برفع الحجب واخلاص العبودية اليه،وصدق التوكل عليه والانحياش،ظاهرا وباطنا اليه ليس بعلة قادحة فى العبادة ، وفى قوله تعالي : لا يزال العبد يتقرب اليّ بالنوافل ، الحديث ، إيماء الى ماذكرنا فان المتقرب تفعل أى يطلب القرب ومن المعلوم ضرورة ان الاخلاص فى الأعمال واجب باجماع ، واجمع أهل الله تعالى، انه لايصح الاخلاص لأحد الآ بعد موت النفس ، واجمعوا على أن موت النفس لايكون الا بعد معرفة حقيقتها التى هي شرط فى معرفة ربها ، فمن البعيد ان يكون هذا القصد والطلب علة قادحة فى العبادة لان ما لايتوصل الى الواجب ، الآية ، فهو واجب وأما إذا قصد بالعمل الولاية التى معناها ظهور الخوارق والكرامات وانتشار الصيت واقبال الخلق ، فهذا لايشك أحد انه علة بل شرك ، وعليه يحمل قول من قال ، لا يصل أحد الى الله مادام يشتهي الوصول اليه ، وعندى على ما ألقاه الحق تعالى

الى أن بداية الولاية بمعنى التوفيق لطلبها موهبة لأنها حال والأحوال مواهب ووسطها اكتساب ، لأنه جد وإجتهاد ، وارتكاب أهوال ، ورياضات ومجاهدات ، وآخرها ولا آخر ، ونهايتها ولانهاية ، مواهب ، والقرب من الحق تعالى قرب معنوي ؛ وليس ذلك الا برفع حجاب الجهل والا فالحق أقرب الينا من حبل الوريد ، فما بعّدنا الا الجهل ، ولا قرّبنا الا العلم ، وقوله تعالى : فاذا أحببته كنت سمعه ، الحديث ، اي ازلت عنه حجاب الجهل ، فعرف الأمر على ماهو عليه ، وهو ما بينه في آخر الحديث ، لأنه حدث شيء لم يكن ، وانما المراد أنه رفع الحجاب عن المتقرب بالنوافل أي الطالب القرب من الله تعالى فكان ما كان ، وهذه المرتبة أول مراتب الولاية

(الموقف الثامن والستون)

قال تعالى ، قال رب أرني أنظر اليك ، الآية ، قد أكثر الناس الكلام في هذه الآية من علماء الرسوم والعارفين ، أهل الوجد والشهود والذي ورد به وارد الحق تعالى عليّ أن موسى عليه السلام رأي علو مقامه عند ربه بسماع كلامه وغير ذلك فحمله ذلك علي طلب رؤية خاصة وهي رؤية تضمحل فيها الحجب ، الا حجابا لاتتصور رؤية الحق بدونه مع بقائه عليه الصلاة والسلام عند حصول هذه الرؤية على حالته وصحة بنيته ، وموسى عليه السلام وكل عارف يعلم أن رؤية الحق تعالى تلزمها الحجب ، أما كثيرة ، وأما قليلة ، وأما لطيفة ، واما كثيفة ، ومن المحال رؤية الحق تعالى بلا حجاب ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولكن الرائين متفاوتون في كثرة الحجب ، وقلتها ، وكثافتها ولطافتها ، فالعقل الأول يرى الحق من وراء حجاب واحد ، والنفس الكلية

تراه من خلف حجابين وهكذا ، وما رؤية محمد صلى الله عليه وسلم كرؤية غيره من الأنبياء ، ولا رؤية بعض الانبياء ، كرؤية باقيهم، فانه تعالى أخبر أنه رفع بعضهم فوق بعض درجات ، وليس ذلك الا بزيادة العلم به، ولا رؤية الأولياء كرؤية الأنبياء، ولا رؤية بعض الأولياء كرؤية البعض الاخرين، فان كل راء للحق تعالى انما تكون رؤيته بحسب استعداده ، والاستعدادات متباينة متفاوتة، فلا يشبه استعداد استعدادا وهذا هو الواسع العظيم، وانظر قصة المريد الذى قيل له ، هلا ذهبت تنظر أبا يزيد، فقال، لا حاجة لي أن انظر أبا يزيد ، فاني أنظر الحق تعالى، ثم اتفق ذهاب هذا المريد الي أبي يزيد، فلما وقع بصر المريد على أبي يزيد خرّ ميتا، فقال أبو يزيد ، كان هذا المريد صادقا فى رؤيته الحق تعالى ، ولكن كان يراه على حسب استعداده : فلما وقع بصره عليّ رأى الحق تعالى بحسب استعدادى ، وبما هو متجل به عليّ فلم يقدر فمات فلما سأل من ربه ما سأل ، أجابه الحق تعالى ، بأنه لا يقدر على الرؤية حسب سؤاله لا هو ، ولا ما هو أقوي منه شدة ، وأشد بنية ، كالجبال التي هى صخر فتجلى الحق تعالي ، للجبل ولموسى ، فما استقر الجبل ، ولا ثبت موسى ، فتدكدك الجبل ، وخر موسى صعقا ، جسما وروحا ، وقد ورد فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال ، إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق ، فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدرى أصعق فأفاق قبلي ، أم جوزى بصعقة الطور ، وصعق القيامة للأرواح ، وانما كان الدك للجبل ، والصعق لموسى ، لان استعدادهما لا يقوي على هذه الرؤية المخصوصة التي سألها موسى صلى الله عليه وسلم ، فقوله لن تراني ، يعني لا تطيق رؤيتي على الحالة التي سألتها من قلة الحجب ولطافتها

وبقائك على حالتك من غير تغيير فالمنفي هو الرؤية المقيدة المخصوصة بما ذكر، وأما الرؤية فهي ثابتة حاصلة له عليه السلام، ولولا حصول الرؤية له ما خر صعقا، فسؤاله مقبول من جهة حصول الرؤية، وغير مقبول من جهة حصول الصعقة، وفساد البنية، وتغيير النظام، وما أمر الحق تعالي، موسى عليه السلام، بالنظر الي الجبل الا تسلية وإعلاما بالمعاينة، إن عدم الثبات، واضمحلال التركيب، عند هذا التجلي المخصوص ليس خاصا به، بل هو له، ولمن هو أشد واقوى بنية، ومن زعم أن موسى عليه السلام، لم ير الحق تعالى، وان الجبل رآه، اذ لا يمكنه انكار رؤية الجبل له تعالى، لأن الآية نص فى اثباتها للجبل: فقد جعل الجبل أكرم على الله تعالى من موسى، وكفى بهذا جهلا وتوبة من موسى عليه السلام، إنما كانت من سؤاله ما لم يؤذن له فيه، ولا يقوى عليه: ومقامه السامى يقضي أن هذا سوء أدب مع الحق تعالى، وحسنات الأبرار سيئات المقربين، وإيمانه إنما كان بانه لا يرقى أحد فوق استعداده فى رؤية الحق تعالى، وأوليته فى هذا الايمان بالنسبة الى ملته، وأهل شريعته: الذين هو رسولهم

(الموقف التاسع والستون)

قال تعالي: إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، الآية، ورد الوارد أيام السلوك بهذه الآيات فعلمت ان المراد من هذا الالقاء، الحث على المجاهدة والرياضة: فانه حصر الايمان بانما فى المجاهد بماله ونفسه، والمراد من طريق الاعتبار الجهاد الأكبر الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام، لأصحابه الكرام، رجعتم من الجهاد

الأصغر ، الي الجهاد الأكبر ، أي بذلوا جهدهم وطاقتهم فى طلب معرفته تعالى ، والوصول اليه مستعينين على ذلك بأموالهم أي ببذل ما زاد على حاجتهم من أموالهم فى وجوه البر وأنواع الخيرات لأن السالك إذا كان له مال زائد على ضروراته ، تعين عليه إخراجه فى وجوهه ولا تغنيه مجاهدة نفسه بغير إخراج المال الزايد فى أنواع المجاهدات والرياضات ، قيل لذي النون رضي الله عنه ، إن فلانا له مال كثير ولا يخرج منه شيئا فى وجوه البر ، وهو يصوم النهار ، ويقوم الليل ، فقال ، مسكين ترك حاله ودخل فى حال غيره ، يريد أن السالك الى الله أول حالاته أن يقول بفاضل ماله هكذا وهكذا فى عباد الله تعالى ، وانفسهم أي جاهدوا مستعينين بأنفسهم فان النفس مطية السالك فى سيره الي الله تعالى ، ونعمت المطية لمن وفقه الله وهداه رشده في سبيل الله ، أي فى طريق الوصول الى الله تعالى ، ومعرفته ولولا وجود النفس ماسار سائر الى حضرة الحق ولا وصل اليها فهي الحجاب على العبد وهي موصلة الى ربه ووسيلته اليه ، وأولئك هم الصادقون فى محبة الله ومحبة الوصول الي حضرة قربه ، فاذا ظهرت على مدعى محبته تعالى والسلوك اليه ، علامة الصدق وهي بذل ماله ونفسه تحقق صدقه فى دعواه محبته تعالى ، ومن ادعى ذلك بلسانه ولم تظهر عليه العلامة فهو إما كذاب وإما دنيء الهمة ، ضعيف العزمة ، وإنما قدم الجهاد بالمال على الجهاد بالأنفس ، لأن الانسان فى الغالب قد يجود بجهاد نفسه بالصيام والقيام وأنواع الرياضات والمجاهدات ، ولا يقدر يجود بماله لما جبل عليه الأنسان من الشح اذ الشح صفة نفسية للانسان ، قال تعالى ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، وذلك لأن وجوده الذي هو به هو

مستعار من غيره وهو الحق تعالى ، فهو أبدا يجب أن يأخذ ولا يعطي ، أتعلمون الله بدينكم ، الهمزة للاستفهام الانكاري ، ومعناه النهي والدين من معانيه الجزاء كما في مالك يوم الدين ، فيجب على السالك ان لا يطلب جزاء على سلوكه وأعماله وان طلب فانما يكون طلبه على وجه الذلة واظهار الحاجة والافتقار مع تفويض الأمر اليه تعالى فيما يريد ويختار ، فان مطلوب الحق من عباده ترك الاختيار معه فاحرى من السالكين كما قيل على طريق الترجمة

مرادي منك نسيان المراد　　اذا رمت السبيل الى الرشاد

فربما طلب السالك شيئا يراه خيرا له من غير تفويض فكان فيه هلاكه وشره ، فكأنه تعالى ، يقول للسالكين ، لا تعلموني بجزائكم ، ولا تخبروني بحاجتكم وحالكم ، فاني عليم بما في السموات والأرض اعلم كل مخلوق ومايصلحه ومايطلبه لسان استعداده وما تقتضيه الحكمة في حقه ، بحيث لو اطلع كل سائل عليها لكان راضيا بما أعطيته من خير وشر ، ونفع وضر ، ولو اطلع على باطن الحقيقة والأمر قبل السؤال ماسأل الا ما أعطاه الحق كائنا ما كان بل لا يعطى الحق مخلوقا شيئا خيرا أو شرا الا وهو سائل لذلك بلسان استعداده ، وان خالف لسان نطقه لسان استعداده ، فانه قد يكون السائل مستعدا للسؤال باللسان النطقي ولسان استعداده يسأل ضده

(الموقف السبعون)

قال تعالى ، والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ، الآية ، ورد بهذه الآية بعد التي قبلها فعلمت من هذه الالقاء بشارة الحق تعالى

للسالكين إذا صدر منهم شيء مما نهوا عنهم من طلبهم الجزاء وتعيينه ، والتحكم على الحق تعالي ، وعدم تفويض الخيرة اليه ، ثم تابوا الى الله ورجعوا اليه بما أمرهم من ترك طلب الجزاء ، وعدم التحكم عليه لأن النهي عن الشيء أمر بضده على خلاف عند الأصوليين وآمنوا أي صدقوا بأن الله يغفر لهم ما وقع منهم بحسب وعده الصادق ورحمته الواسعة : وهذا إيمان خاص ، ماهو الايمان الذى يعصم الدماء والأموال ، فان ذلك شرط في صحة الأعمال كلها ومتقدم عليها .

(الموقف الواحد والسبعون)

قال تعالي ، وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، الآية ، ورد الوارد بهذه الآية بعد التي قبلها ، فعلمت أن الامر بجهاد النفس وقتالها هو على وجه مخصوص ، وحد محدود ، ووقت معين ، وهو أن لا يكون الا في سبيل الله أي لأجل معرفة الله وادخال النفس تحت الأوامر الآلهية ، والاطمئنان والاذعان لاحكام الربوبية ، لا لشيء آخر من غير سبيل الله كمن يجاهد نفسه بالرياضات الشاقة لأجل طلب جاه عند الملوك ، أو لصرف وجوه العامة اليه ، أو حصول غنى أو نحو ذلك ، من الحظوظ النفسية ، وقوله : الذين يقاتلونكم ، أي قاتلوا النفوس التي ما اطمأنت ولا أذعنت ، ولا سكنت تحت الأوامر الآلهية ، مادامت على حالتها من عدم الاذعان واظهار العصيان فاذا تركت العصيان والقت السلاح ، وصارت تبادر لامتثال الأمر والنهي ، فاتركوها ولا يجوز حينئذ جهادها كالكافر الحربي اذا أذعن لأداء الجزية يحرم قتاله بعد ذلك ، كما قال تعالى ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وقال تعالي ، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، ولهذا ترى العارفين رضوان

الله عليهم ، لما اطمأنت نفوسهم وسكنت تحت الأمر والنهي، واذعنت لا داء ما عليها من حق الحق والخلق، تركوها من غير جهاد ووضعوا عنها إصرها والأغلال التي كانوا يحمّلونها إياها، في وقت جهادهم وبدايتهم، حتى قال سيد الطايفة الجنيد ، من رآني فى بدايتي قال صديق ، ومن رآني في نهايتي قال زنديق، وصاروا أول خير واحسان يفعلونه مع أنفسهم ، فانها أقرب اليهم ، والأقربون أولى بالمعروف ، ثم يتعدون بالاحسان الي الأقرب فالأقرب ، أبدأ بنفسك ثم بمن تعول ، كما هي سيرة كمّل البشر وهم الرسل والانبياء عليهم السلام، وقوله، ولا تعتدوا، نهى عن قتال النفس على غير الحد المشروع وعن التجاوز والتفاني فى ذلك كمن يجاهد نفسه بالرهبانية ، وبامور نهى الشارع عنها وفى الخبر لا رهبانية فى الاسلام ، ومن رغب عن سنتي فليس مني ، وكما يفعل بعض المشايخ الجهال بالطريقة والشريعة ، يأمرون المريد بالصيام فاذا كان قرب الغروب ، أمروه بالفطر حتى لا يكون له حظ فى الأكل ولا في الأجر، ففى اتباع السنة قولا وعملا وحالا ، أعظم جهاد للنفس فلا أشق على النفس وأتعب لها من امتثال الأوامر ظاهرا وباطنا، واجتناب النواهي كذلك ومخالفتها عند طلب الشهوات الغير الضرورية

(الموقف الثاني والسبعون)

قال تعالي، الا أنه بكل شيء محيط، وقال، وهو بكل شيء عليم، اعلم أن الاحاطة تقتضي تحديد المحاط به من جميع وجوهه وجهاته، والعلم هو ادراك المعلوم على ماهو عليه فلذا تقول الحق تعالي يعلم ذاته ولا يحيط بها ، لأن ذاته تعالى غير متناهية فلو قلنا أنه يحيط بها لانقلب العلم جهلا ، تعالى الحق عن ذلك ، لأنه حينئذ تعلق بها على خلاف ما هي عليه من عدم التناهي

ولا نقص فى قولنا، يعلم ذاته ولا يحيط بها بل هو الكمال فالجهل على الحق تعالى محال، لأن الجهل إدراك الشيء على غير ما هي عليه حقيقة ذلك الشيء، واحاطته بالذات العلية محال لأن الاحاطة تستلزم التناهي، والتناهي على الحق تعالى محال ، لا يقال التناهي وعدم التناهي مشعر بامكان التبعيض والتجزئة وذات الحق تعالي واحد من كل وجه وحدة حقيقية ليس فى مقابلة كثيرة لأنّا نقول المراد بعدم التناهي فى حق الذات الوجود الحق عدم تناهي ظهوره بالمظاهر وتعينه بالأسماء والصور التي هي أثار الأسماء أو هي الأسماء عينها ، والظهور والتعين ممكن من حيث هو، والممكنات التي هي متعلقات العلم والقدرة لا نهاية لها باجماع المتكلمين والحكماء وأهل الله تعالى ، فلو تناهى ظهور الذات بظهور الاسماء والصفات بظهور آثارها فى الممكنات لتناهت الممكنات ، المعلومات المقدورات ، وهو محال ولذا يقال ذات الحق تعالي قابل للوجوب والامكان : فالوجوب ثابت للذات الوجود الحق من حيث هو والامكان من حيث الظهور والتعين بالممكنات وماذكرناه من عدم إحاطة العلم بالذات الوجود الحق المراد به العلم الذي هو شأن من شئون الذات ونسبة من نسبها وصورته، ومظهره العقل الأول وهو الذي يعبر عنه القوم رضي الله عنهم بظاهر العلم وهو المكني عنه بقاب قوسين، وهو غاية معراج الرسل غير محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم، فان غاية معراجه أو أدنى فا وبمعني الواو ، لأن تعلق هذا العلم بما تعلق به هو عين وجود المعلوم في الخارج فلا يتعلق بما لا يتناهى لان كل موجود في الخارج متناه وأما العلم الذاتي الذي هو عين الذات من كل وجه فهو محيط بالذات لأنه عينها مع عدم تناهيها بل لا يقال فى الشيء انه محيط بنفسه ولا غير محيط ، قيل لي

ليلة بالمسجد الحرام،الحق تعالى ماعرف الاّ لكونه عين الضدين قلت نعم ، هو كذلك ، فقيل لي وكذا هو محيط بذاته مع عدم تناهيها على ما يليق به وما عرف الله الا الله ، وهذه المسألة كثر الخوض فيها وحارت فيها أهل العقول وأهل الكشف ، وبما ذكرنا يحصل الجمع بين قول إمام الحرمين ، بالاسترسال الذي انكره عليه أهل زمانه كافة ، وبين قول الفخر الرازي ، بحدوث التعلقات لو كان المتكلمون يقولون بالعلم الذي هو عين الذات من كل وجه،وهو غيب،وبالعلم الذي هو ظاهر هذا الغيب وهو عين الموجودات الخارجية وبه تعينت وفيه ومنه

(الموقف الثالث والسبعون)

قال عليه الصلاة والسلام، رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الاكبر، أخرجه البيهقي ، وفى رواية ، رجعتم خطابا لأصحابه الكرام رضوان الله عليهم،وفى رواية رجعنا من الجهاد الاصغر الى الغزوة الكبرى، يريد صلى الله عليه وسلم بالجهاد الاصغر جهاد الكفار بالابيض والاسمر ، وبالجهاد الاكبر جهاد النفس بالتزكية والتخلية والتحلية ؛ وإنما سمى عليه السلام جهاد الكفار بالأصغر؛ مع أن فيه إهلاك النفس وتفويت الحياة الحاضرة رأسا إذ الغالب علي من انغمس فى العدو، ورمى نفسه بينهم الموت الاّ القليل النادر ، ولذا ما عرف بالشجاعة وذكر بالاقدام مع كثرة المقاتلين إلا القليل وانما سمى عليه الصلاة والسلام جهاد النفس بالاكبر، مع أن الغالب فيه عدم تفويت الحياة الحاضرة بالموت، وإنما فيه تفويت راحة وشهوات، وتهذيب اخلاق، وتبديل احوال ذميمة، بأخلاق جميلة،فأما ان يكون ذلك لكون جهاد العدو الكافر لايكون خالصا مخلصا من الشوائب المفسدة والحظوظ

المبعدة الا بجهاد النفس وتهذيبها وتزكيتها والا فلا يخلص جهاد لمجاهد، بل ولا عمل من الأعمال الصالحة مادامت النفس حية متلطخة بالخبائث، فجهاد النفس أكبر لكونه شرط فى صحة جهاد العدو الاكبر والشرط مقدم فهو أكبر من المشروط لأن قبوله وصحته بوجوده مربوط وأما ان يكون عليه الصلاة والسلام سمى جهاد العدو الكافر أصغر، باعتبار مقتحميه الخائضين فيه. فانه ليس كل من قاتل مجاهدا حقيقة لأن مصابرة العدو تكون من البر والفاجر، بل ومن المنافق والكافر، وانظر جوابه عليه الصلاة والسلام للذي قال له يارسول الله الرجل يقاتل حمية، والرجل يقاتل ليرى مكانه، والرجل يقاتل ليذكر، الحديث، وهو فى صحيح البخاري، فأجاب عليه الصلاة والسلام بأن من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو في سبيل الله فهؤلاء أصناف تلبسوا بالجهاد ظاهرا وليس المجاهد حقيقة الا واحدا فما كل مقاتل للعدو الكافر سعيد ولا كل مقتول فيه شهيد، وقضية قزمان الواردة فى الصحيح أكبر دليل، وأما جهاد النفس الذي سماه صلى الله عليه وسلم أكبر فهو جهاد مخصوص، بقوم مخصوصين، اهتدوا بأنوار الهداية، وسبقت لهم من الحق العناية، فلا يخوض غمرات هذا الجهاد الا موفق سعيد، يمشى على الأرض حيا وهو شهيد، ففي الحديث إشارة إلى أن جهاد الكفار لا يميز المقتول عند الله تعالى، المرضي من المغضوب عليه الشقي، بخلاف الجهاد الأكبر فانه عنوان السعادة والسبب فى حصول الحسنى والزيادة فلا يتلبس به إلا مؤمن تقي، وصديق صفي، فهو لهذا أكبر، وأما أنه عليه الصلاة والسلام سمي جهاد الكفار أصغر، لكون جهاد الكفار وقتلهم ليس مقصورا للشارع بالذات إذ ليس المقصود من الجهاد إهلاك مخلوقات الله وإعدامهم، وهدم بنيان الرب تعالى وتخريب بلاده فانه

ضد الحكمة الآلهية. فان الحق تعالى ماخلق شيئا فى السموات والأرض وفى مابينهما عبثا. وماخلق الجن والانس إلا لعبادته، وهم عابدون له عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله، وإنما مقصود الشارع دفع شر الكفار وقطع أذاهم عن المسلمين لأن شوكة الكفار إذا قويت أضرت بالمسلمين فى دينهم ودنياهم، كما قال تعالى، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع، الآية وقال تعالى، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، واهلاك المفضول للابقاء على الفاضل، عين العدل والحكمة كقطع العضو المتآكل مع عصمته للابقاء على البدن كله فلو فرض أنه لايلحق المسلمين أذى من الكافرين ماأبيح قتلهم فضلا عن التقرب به الى الحق تعالى، ولذا لايجوز قتالهم قبل الدعوة الى الاسلام، ثم الى الجزية فان أطاعوا بالجزية حرم قتالهم وماذلك إلاّ أن السلامة من شرهم وأذاهم صارت محققة ولذا لايجوز قتل النساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ولا الرهبان بخلاف جهاد النفس وتزكيتها فانه مقصود لذاته إذ فى جهادها تزكيتها، وفى تزكيتها فلاحها، ومعرفة ربها والمعرفة هي المقصودة بالحب الآلهي في الايجاد، وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون قال ابن عباس الا ليعرفون إذ العبادة فرع عن المعرفة ولا ريب أن المقصود لذاته أكبر من المقصود لغيره

(الموقف الرابع والسبعون)

قلت للحق تعالى، لي القدم بالعلم ولك الحدوث بالظهور والحس، فانت القديم وأنا القديم وأنت الحادث القديم وأنا الحادث القديم فما الذي تميزت به مني، وانفصلت به عني، فقال لي قدمك بي، وحدوثي بك، فالقدم ووجوب الوجود لي بالذات ولك بالغير والحدوث وجواز الوجوب لك بالذات ولي

بالغير فلذا تميزت مرتبتي بالربوبية ، ومرتبتك بالعبودية ، والمراتب حافظة المنازل، فلا يلتبس عال بسافل

(الموقف الخامس والسبعون)

قال تعالى. مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان، فالبحران الشريعة والحقيقة والبرزخ بينهما العارف ، فلا تبغي الشريعة على الحقيقة ولا الحقيقة على الشريعة ، فهو دائما بين ضدين ومشاهدة نقيضين، ينفي ويثبت وينفي عين ما أثبت، لا يستقر به قرار، ولا تطمئن به دار، متحرك ساكن، راحل قاطن، فهو كطائر يطير من غصن الى غصن ، والذي طار اليه هو الذي طار عنه، يشاهد الشريعة بقوله تعالى، اعملوا فسيرى الله عملكم. ويشاهد الحقيقة بقوله ، لا يقدرون على شيء مما كسبوا. ويشاهد الشريعة بقوله ، فخذوهم واقتلوهم، ويشاهد الحقيقة بقوله، فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم. ويشاهد الشريعة بقوله، ليس لك من الأمر شيء، ويشاهد الحقيقة بقوله ، ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله، ويشاهد عبوديته بقوله، ان كل من في السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا ويشاهد ربوبيته بقوله، انّا كل شيء خلقناه بقدر، في قراءة الرفع فلذا العارف بين نارين نار الشريعة ونار الحقيقة، بل بين شقتي طاحون كل واحدة تدفعه الى الأخرى، فالشريعة تطالبه بالحقيقة وبالشريعة، والحقيقة تطالبه بالشريعة وبالحقيقة ، وهذا هو الابتلاء الذي أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله ، أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل

(الموقف السادس والسبعون)

ورد وارد غيبي بالمسجد الحرام بسؤال ونصه الايمان بالجنة والجحيم والعذاب الحسي، والنعيم من ضروريات الدين، المعروفة عند جميع المسلمين ،

فمن جحد ذلك فهو كافر باجماع، ومن المعلوم البين، الواضح المتعين، أن البنية الانسانية والنشأة الآدمية مركبة من صورة هي عظم ولحم وحواس ظاهرة وباطنة وأعضاء يدان، ورجلان، وعينان، وأذنان، ولسان، ونحو ذلك، وروح حيوانية شهوانية سفلية، هي محل الشهوات والصفات البهيمية، وروح قدسية علوية هي العالمة من هذه الصورة، وهي المدركة للخطاب، المقصودة به وبالجواب، فهل تقولون المعذب هو الأعضاء والحواس: كيف والحق تعالى يقول، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون: ويقول، شهد عليهم سمعهم وأبصارهم، والشاهد الصادق يكرم ولا يهان، فكيف يعذب بالنيران، أم تقولون المعذب هو الروح البهيمي الحيواني الشهواني، كيف وهو غير مدرك، ولا عالم بالأوامر الشرعية، ولا مقصود بالخطاب، ولو كان مقصودا بالتكليف لكانت الحيوانات العجم داخلة تحت هذه التكاليف التي نحن مكلفون بها، ولا قائل به من علماء المذاهب اذ الروح الحيواني غاية مبلغه طلب الملائم للطبع ولا خبر له بما وراء ذلك، أم تقولون المعذب هو الروح القدسي العلوي المخاطب المجاوب، كيف والحق تعالى يقول: ونفخت فيه من روحي قل الروح من أمر ربي: فكيف يعذب روح الله وأمر الله مع هذه الاضافة المؤذنة بأعظم تشريف، وأكبر تكريم: أجيبوا مأجورين واذيلوا حيرة المتحيرين، فكان الجواب أن جواب هذا السؤال لا يجرى به قلم وإنما يكون من قلب الي قلب، ومن فم الى فم

(الموقف السابع والسبعون)

قال تعالي حكاية عن يعقوب عليه السلام، يا بني لا تدخلوا من باب واحد، الآيات، هكذا فليكن تعليم المعلمين، وتأديب المؤدبين، أمرهم أولا

باستعمال الأسباب لميل الطبيعة اليها، وايناس النفوس بها، ثم أمرهم بالتوكل حالة ملابسة السبب، وهذا هو الكمال، وإنما عكس بعض مشايخ الصوفية اليوم حيث أنهم يأمرون تلامذتهم بالتوكل ثم إذا ثبت قدمهم فى مقام التوكل ردوهم إلي الأسباب لأن أولئك قريبون من النور النبوي، والصفاء الفطري، فعلاجهم بهذا أقرب وأسهل وأسرع في الترقي من تقديم التوكل فانه يحتاج الى تعب شديد ومعالجة قوية، والناس فى هذا الامر ثلاثة: متسبب، صرف نظره مقصور على السبب وقوته وضعفه فهو أعمى: ومتوكل صرف معرض عن الأسباب ظاهرا وباطنا وهو صاحب حال لا يقتدى به، ولا يحتج عليه، ومتسبب بظاهره، متوكل بباطنه، يده فى السبب، وقلبه متعلق بخالق السبب، ظاهر لظاهر، وباطن لباطن، وهذا هو الكامل الناظر بعينين، واعلم أن الأسباب كلها حجب وأستار دون وجه الحق وهو الفاعل من خلف أستارها مايظن العميان أنه أثر الاسباب وناشيء عنها، وسواء فى ذلك الأسباب العادية أو العقلية، أو الشرعية، من الأوامر والنواهي لأن معنى المأمورات افعل كذا، فيكون سبب دخولك الجنة، ومعنى المنهيات لا تفعل كذا فيكون سبب دخولك النار، والشرائع كلها من لدن آدم الى محمد صلوات الله وسلامه عليهم إنما جاءت باعتبار الأسباب العادية والشرعية، اذ هي مقتضي الحكمة ومن أسمائه تعالي الحكيم، وترك الاسباب مقتضى القدرة، ومن اسمائه تعالى القادر، والوقوف مع أحد الاسمين تعطيل للآخر والمعطل هالك والكمال فى اعتبار الاسمين على وجه لا يناقض التوحيد، وافراد المولي بأنه الفعال لما يريد فيعتبر الاسم الحكيم بالتلبس ظاهرا بالأسباب الشرعية والعادية، ويعتبر الاسم القادر بالتعلق به باطنا والغيبة عن الأسباب

بشهود مسببها ومجريها، واعتقاد عدم تأثيرها في شيء ما الاّ بوجوهها الخاصة بها فانها من هذا الوجه هي هو، وهذه طريقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والكمّل من ورثتهم ولا يلتفت الى أصحاب الأموال فان أحوالهم حاكمة عليهم، وقاهرة لهم، ومن العجب أن المواظبة على الأسباب الشرعية التي قلنا أنها حجب وأستار، دون الحق على وجه مخصوص وطريقة معروفة عند أهلها، تكون سببا لرفع حجابيتها مع بقاء عينها فالذى يرفع حكمها لا عينها، فان عينها مأمور باثباتها ومن هنا ترى العارفين أهل الوجود والشهود يتلبسون بالأسباب العادية والشرعية كلها لا فرق بينهم وبين عوام المؤمنين فى ظاهر الأمر وبادىء الرأي ولكن فى الباطن بينهم ما بين السماء والأرض، والمشرق والمغرب، لأن من كوشف بالفاعل الحقيقي الذي تصدر منه الافعال وعرف حقيقة المكلف والمكلف وحكمة التكليف، والعلة الغائية منه ليس كالجاهل بذلك، هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؛ وهل يستوي الأعمى والبصير، أم هل تستوى الظلمات والنور، وهذا هو السور الذى ضرب بين عوام المؤمنين والعارفين بالله، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، فالعارفون تتلبس ظواهرهم بالأوامر والأفعال الشرعية ويعلمون أنهم ظروف لاجرائها، لا فاعلون لها، فلذا لا يرجون بما ينسب اليهم من الأفعال حصول خير، ولا دفع شر، فهم ناظرون به الى قلوبهم عاكفة ليس إلاّ عليه قد يئسوا من خير غيره، وآمنوا من شره، فنالوا بذلك أعظم راحة، ونعما دائمة مستباحة، وقفوا على حقيقة الاسمين الظاهر والباطن فعرفوا أنه لا ظاهر إلا هو، ولا باطن إلا هو وكل شيء اما ظاهر وإما باطن وأما عامة المؤمنين وأعني بعامتهم صلحاءهم من العباد والزهاد وعلماء الظاهر فهم فى تعب وعناء ومشقة وضنا

لظنهم الذي أرداهم أن أفعالهم المخلوقة فيهم تجلب لهم نفعا، وتدفع عنهم ضرا وإذا فاتهم سبب حزنوا لفوته لتحققهم بفوات مسببه عندهم يفعلون ما يفعلون معتقدين أن لهم وجودا حادثا مستقلا ، مباينا للوجود الحق وثانيا له وهذا عام في جميع طوائف المؤمنين الا الطائفة المرحومه بمعرفته تعالي وأن لهم قدرة علي الفعل والترك ان كانوا معتزلة، وإن لهم كسبا إن كانوا أشعرية أو جزاءا اختياريا ان كانوا ماتريدية، والكل قلوبهم في أكنّة وفي آذانهم وقر وعلى أبصارهم غشاوة ولو نوّر الله بصائرهم، وفتح أسماعهم وأبصارهم، علموا أنهم لا وجود لهم لا قديما ولا حادثا واتبرؤا من إدعائهم الوجود إذ هو الصنم الأكبر والشرك الأعظم الذى لا يقبل معه عمل الاّ بفضل الله تعالى ورحمته

إذا قلت ماأذنبت قالت مجيبة　　　وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

فليس لشيء مما يقال أنه غير الحق وجود أصلا ، وإذا انتفى الوجود انتفى كل شيء من الصفات والأحوال والأفعال، فانها توابع الوجود لازمة له

(الموقف الثامن والسبعون)

قال تعالى ، وهو معكم أينما كنتم ، الخطاب إنما جاء على ما يتخيله أكثر العباد من أن لهم وجودا مستقلا مباينا للوجود والحق ، ومغايرا له ، فمشي الحق تعالي دعواهم وتركهم على ما تخيلوه ، فقال لهم ، ان كنتم كما توهمتموه فهو معكم ، أينما كنتم فاحذروه وراقبوه ، في كل مكان ، وأما في نفس الأمر فمسمى الخلق مالهم مع الحق رتبة المعية ، وإنما لهم التبعية ، فمسمى الخلق عند من يثبته كالظل بالنسبة الى ذي الظل ، وهو الشاخص ولا يقال في مسمى الظل انه مع الشاخص وإنما يقال الظل تابع للشاخص إذ المعية لا تقال الاّ علي شيئين مستقلين بالموجودية ، والمسمى خلقا وعالما لا وجود له

استقلالا، وإنما له التبعية وكالصوت والصدا ، فهما شيئان فى الحس ، وشيء واحد فى نفس الأمر ، وكل ما يقال فيه غير الله تعالى وهو العالم جميعه ، أعلاه وأسفله ، فهو عدم لو اعتبر مجردا عن الوجود الحق ، لأنه لو كان لغير الله وجود فلا يخلو إما أن يكون وجوده قديما أو حادثا . ولا قديم إلاّ الوجود الحق ، باجماع من أهل الملل والحكماء فانهم وإن قالوا بالقدم الزماني فهم مجمعون معنا على أنه لا قديم بالذات إلاّ الوجود الحق تعالى ولا جائز أن يكون حادثا ، لأنه لو كان حادثا لكان إما جوهرا أو عرضا ، ولا جائزا أن يكون جوهرا ، لأن الجوهر لا توصف به الجواهر ، والأعراض والوجود وصف لهما ولا جائز أن يكون عرضا لأن العرض لا بد له من مقوّم وهو الجوهر ، والجوهر معدوم قبل اتصافه بالوجود ، والمعدوم لا يكون مقوّما للعرض الموجود وهذا البرهان للواقفين مع عقولهم وأما أهل الشهود فقد أغناهم الله عن إقامة البرهان إذ هذا عندهم من الضرورات وعليه فلا يجوز السؤال عن العالم هل هو قديم أو حادث ، لأن القدم والحدوث بعد ثبوت الوجود ، والعالم ما صح له وجود ، ولا يقال فى المعدوم هل هو قديم أو حادث فانه سؤال فاسد

(الموقف التاسع والسبعون)

ورد فى الخبر، من سرته حسنته وساءته سيئته فهو المؤمن، رواه الترمذي وهذه صيغة حصر، حصر عليه الصلاة والسلام الايمان فى الموصوف بها لأن غيره أما جاحد مكذّب ، وأما عارف مشاهد مكاشف ، صار الغيب عنده شهادة فلا يطلق عليه اسم المؤمن الاّ بالمجاز فهذا تعريف للمؤمن فمن كان بهذه المثابة فهو مؤمن ، أي مصدق بالغيب من أخبار الشارع بنسبة الأفعال

الى من صدرت عنه من العباد فى باديء الرأي وأثابتهم وعقوبتهم، عليها وأما غير المؤمن وقد قدمنا أنه يشمل الجاحد والعارف المكاشف، فالعارف وهو الذي كشف الله له عن حقيقة الأمر فعرف نفسه فعرف ربه فانه لا تسره حسنته ولا تسؤه معصيته ؛ ولو قدرعليه قتل الف نبي ما تغيّر ولا حزن الدية على القاتل ، ولو بشر بالقطبانية الكبرى ما سرّه ذلك ولا تغيّر له فانه عارف بانه ليس له من الأمر شيء ، فهو وإن شارك المؤمن فى تصديق الشارع فيما أخبر به من المغيبات ، فقد زاد على مطلق المؤمن وصار ما كان غيبا شهادة له فالعارف لا يرى له حسنة ولا سيئة الا بالنسبة الشرعية التي هي لحكم لا يعلمها الا الله تعالي ، أو من أطلعه الله تعالي من خواص عباده فالشريعة جامعة للّب والقشر، والحقيقة لب فقط

(الموقف الثمانون)

ورد فى الصحيح ، لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، يريد عليه الصلاة والسلام ، بطريق الاشارة ، أنه لا يصح ولا يستقيم لمن فتح الله عين بصيرته ، وأراه سريان الأحدية بلا سريان ، وقيام القيومية على كل ذرة من ذرات الوجود ورؤية الوجود الحق تعالى فى كل شيء من غير حلول ولا اتحاد أن يهجر شيئا من المخلوقات بان يحتقره ويزدريه ويجعله كالشيء اللقي فان هذا لا يصح من عارف مشاهد كان ما كان ذلك المخلوق حيوانا أو غيره وعلى أي دين كان وعلى أي ملة ونحلة حصل فانها كلها شعائر الله ، ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ، أي من يعظّم مخلوقات الله التي هي شعائره ، فان ذلك التعظيم من تقوى أهل القلوب ، وهم أهل الشهود ، روي أن عيسى عليه السلام ، مر عليه خنزير ، فقال له ، عم صباحا ، وما قال تعالي

فانها من تقوى أهل العقول ، ولا من التقوى ، ولكن مع هذا الشهود وعدم الهجرة لشيء ، والاحتقار له والاعراض عنه ، لا بد من الجهاد ، والنية أى المجاهدة والقصد أي الجمع بين شهود الحقيقة واجراء أحكام الشارع من قتال مخالفي دين الاسلام،حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وتغيير المنكر شرعا ، وتحسين ما حسّنه الشرع ، وتقبيح ما قبّحه حكمة وعدلا ، لأنه تعالى قال لهذا العارف المشاهد ، على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، اذا وجدتني متلبسا بأحوال أهل الكفر فاضرب عنقي ، واذا رأيتني متلبسا بأحوال أهل العصيان فازجرني ، وأقم الحدود عليّ مع الشهود والمعرفة ، وهذا أصعب شيء يكابده العارفون

(الموقف الواحد والثمانون)

ورد فى الحديث الصحيح ، ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ، الحديث ، نزوله تعالى كناية عن تجلية وظهوره ، فان التجليات كلها تنزلاته تعالي من سماء الأحدية الصرفة الى أرض الكثرة، وسماء الدنيا كناية عن مظهر الصورة الرحمانية التى يظهر بها الكامل ، وهو فرد واحد فى كل زمان لا يتعدد ، وهي الصفة الجامعة لصفات الجمال كلها ، من رحمة ولطف ، وستر وحلم ، وجود وعطاء ، ونحو ذلك ، وهذا التجلي فى هذا الوقت المخصوص هو للعباد والزهاد ، والمتوجهين بالأعمال ، ولهذا كني عنه بسماء الدنيا لأنها قبلة الداعين ، وأما العارفون فتجليه لهم دائم لا يختص بزمان ولا مكان ، إذ الحق تعالي متجل من الأزل ، الي الأبد ، لا يزيد تجليه ولا ينقص ، ولا يتغيّر ، وهو تعالى على ما هو عليه قبل نسبة المتجلي اليه ، والاختلاف والتعدد والحدوث المنسوب الى التجلي ، إنما هو

للمتجلي له بحسب القوابل والاستعدادات ، ففي كل آن يحصل للمستعد تجل بحسب استعداده وقابليته ، فالماء حقيقة واحدة تختلف صوره باختلاف القوالب من أنواع النباتات والفواكه والزروع والأواني ، وإنما خص هذا التجلي بالثلث الآخر لأنه وقت قيام المجتهدين ، وزمان توجه المستغفرين ، والتائبين والداعين

(الموقف الثاني والثمانون)

ورد في الخبر ، من لم يشكر الناس لم يشكر الله ، رواه الامام أحمد والترمذي، يريد عليه الصلاة والسلام ، أن الذي لا يشكر الناس حيث رآهم ، غيراً وسوًى ، واعتقد وهماً وتخيلا ، ان الحق تعالى مباين لهم ومنفصل عنهم ، وانه في السماء ، أو فوق العرش فقط لم يشكر الله حيث أنه ما عرفه ، وكيف يشكره من لم يعرفه لأنه تعالى ما عرفه من عرفه الاَّ في مراتب التقييد والظهور والتعين ، والناس وجميع المخلوقات والأسباب والوسائط مظاهره وتعيناته ونسبه واعتباراته فانها آثار أسمائه وصفاته ، بل هي عين أسمائه إذ ليست الصور المحسوسة المشهودة كائنة ما كانت ، روحانية أو مثالية أو جسمانية ، الا أسماء الحق تعالى وهي معان اجتمعت فحصلت منها هيئة اجتماعية فكانت صورة محسوسة كما تقول اجتمعت البردوة واليبوسة ، فكانت صورة التراب ، واجتمعت البرودة والرطوبة فكانت صورة الماء ، مثلا ، والعالم كله هكذا ، الناس وغيرهم ، ومتعلق الخطاب والحدوث والأمر بالكون هو هذه المعاني لتصير هيئة اجتماعيه فتصير صورة محسوسة ، فمن عرف الله والناس هذه المعرفة كان شكره للناس شكرا لله اذلا أثنية في الوجود ، ومن هنالك كان الفعل الصادر من

الناس وجميع المخلوقات بداهة وضرورة وهو فعل الله تعالى شرعا وعقلا، فأين الله وأين الناس لمن يعقل ، أفدي من يعقل عني بنفسي ، وأجعله فوق رأسي ، قال إمام العارفين محي الدين عند ما تكلم على نسبة الفعل الى الله والي المخلوقات من، الأسباب والوسائط فمن الناس من قال عندها ولا بد، ومن الناس من قال بها ولا بد،ونحن وأمثالنا يعني من المحققين الذين هم أعلا رتبة في المعرفة من العارفين نقول عندها وبها، وايضاحه أن كل شيء له وجهان وجه الى الحق ، وهو حق من هذا الوجه وهو وجه الرب الذي لا يفنى وهو المراد بقوله ، كل من عليها فان ويبقى وجه ربك،ووجه الي سببه الذي ظهر عنه وهو الفاني العدم الباطل وقد نفى الحق تعالى التأثير عنه في هذا الوجه ،بقوله إنما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ، فاذا رأيت العارف يشكر مخلوقا ويثني عليه ويعظمه ويلحظه فمن هذه الحيثية فلا تظن أنه يرى الناس وسائر المخلوقات كما تراهم أنت ،وإن بينهم وبين الحق تعالى بونا معاذ الله ، ومن هنا صح ما أخبر به تعالي في قوله فأينما تولوا فثم وجه الله وهو معكم أينما كنتم ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ، فاعرف الحق واحذر الغلط والسلام

(الموقف الثالث والثمانون)

قال تعالى ، وأما بنعمة ربك فحدث ، هذه الآية الكريمة القيت عليّ بالالقاء الغيبي مرارا عديدة لا أحصيها ولا يخفى ماقاله فيها عامة أهل التفسير ومما ألقى عليّ فيها أن من المراد بالنعمة هنا نعمة العلم والمعرفه بالله تعالي والعلم بما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من المعاملات والأمور المغيبات ولا شك أن هذه النعمة أعظم النعم واطلاق النعمة علي غيرها

مجاز بالنسبة إليها والمراد بالتحدث بها ، انشاؤها وبثها لمستحقيها المستعدين لقبولها إذ ما كل علم يصلح لكل الناس ولا كل الناس يصلح لكل علم بل لكل علم أهل، لهم استعدادا لقبوله ، وهمة والتفات الى تحصيله ، أو يكون المراد إظهار النعمة بما هو أعم من القول والفعل كما فى الخبر ان الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثر نعمته عليه فاذا كانت النعمة مما يظهر بالفعل أظهرها بالفعل وإذا كانت مما يظهر بالقول أظهرها بالقول والتحدث بها على حد ما قيل فى الحمد العرفى أعم من أن يكون باللسان والجنان والاركان ومن بعض نعم الله عليّ أني منذ رحمني الله تعالي بمعرفة نفسي ما كان الخطاب لي والالقاء عليّ الا بالقرآن الكريم العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،تنزيل من حكيم حميد ، والمناجاة بالقرآن من بشائر الوراثة المحمدية فان القوم أرباب هذا الشأن قالوا كل من نوجى بلغة نبي فهو وارث ذلك النبي صاحب تلك اللغة،ومن نوجى بالقرآن كان وارثا لجميع الأنبياء وهو المحمدي لأن القرآن متضمن لجميع اللغات ، كما أن مقام محمد صلى الله عليه وسلم متضمن لجميع المقامات،ومنها اني لما بلغت المدينة طيبة،وقفت تجاه الوجه الشريف بعد السلام عليه صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه الذين شرفهما الله تعالى بمصاحبته ، حياة وبرزخا ، وقلت يا رسول الله عبدك ببابك ، يا رسول الله كلبك باعتابك ، يا رسول الله نظرة منك تغنيني ، يا رسول الله عطفة منك تكفيني ، فسمعته صلى الله عليه وسلم ، يقول لي أنت ولدي ومقبول عندي بهذه السجعة المباركة وما عرفت هل المراد ولادة الصلب، أو ولادة القلب ، والأمل من فضل الله تعالي أنهما مرادان معا فحمدت الله تعالى ، ثم قلت في ذلك الموقف اللهم حقق هذا السماع برؤية

الشخص الشريف ، فانه صلى الله عليه وسلم ضمن العصمة فى الرؤية فقال (من رآني فقد رأى الحق فان الشيطان لا يتمثل بصورتي وما ضمن العصمة فى سماع الكلام ثم جلست تجاه القدمين الشريفين معتمدا على حائط المسجد الشرقي أذكر الله تعالى فصعقت وغبت عن العالم وعن الأصوات المرتفعة فى المسجد بالتلاوة والأذكار والأدعية وعن نفسي، فسمعت قائلا يقول هذا سيدنا التهامي فرفعت بصري فى حال الغيبة فاجتمع به بصري وهو خارج من شباك الحديد من جهة القدمين الشريفين، ثم تقدم الى الشباك الآخر وخرقة الى جهتي فرأيته صلى الله عليه وسلم فخما مفخما بادنا متماسكا غير أن شيبه الشريف أكثر ، وحمرة وجهه أشد ، مما ذكره أصحاب الشمائل، فلما دنى مني رجعت الى حسي فحمدت الله تعالي ثم جعلت أذكر الله تعالى فصعقت كالأولى ، فورد عليّ قوله تعالي اذا دعيتم فادخلوا واذا طعمتم فانتشروا فلما رجعت الى حسي حمدت الله تعالى ونظرت فى الآية الكريمة، فوجدتها مشتملة على أنواع من البشائر، فانّ إذاً تفيد التحقيق فهي فى قوة، قد دعيتم، ودعيتم مبني للمجهول يشمل دعا الحق تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم والأمر بالدخول بعد الدعوة فيه غاية التكريم والتشريف، وإذا طعمتم إخبار بأن الدعوة للاكرام والانعام والاطعام ،وقوله فانتشروا أمر بمعنى الاذن فى الانتشار بعد الاكرام ، وفى الأخبار بأن الدعوة للاكرام وبالاذن فى الانصراف بعد حصول الانعام غاية العناية ونهاية الكرامة ثم توجهت أذكر الله تعالى فصعقت أيضا ، فألقى علي قوله تعالي ، أدخلوها بسلام آمنين ، فلما رجعت إلى حسي حمدت الله تعالى على تكرار البشارة ثم توجهت إلى الذكر أيضا فصعقت ، فالقى علي قوله تعالي ، وبشر الذين

آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ، فلما رجعت الى حسي حمدت الله تعالى وعلمت أن قدم الصدق هو صلى الله عليه وسلم ، وأنه أمرني أن أكون واسطة في ابلاغ هذه البشارة الى أمته، ثم زدت متوجها في الذكر فصعقت أيضا ، فألقى علي قوله تعالى ، قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، فلما رجعت الى حسي حمدت الله تعالي وعلمت أنه أخبار بان هذه النعم الحاصلة ما هي جزاء علم ولا عمل ولا حال ولا هي باستحقاق وإنما هى فضل وامتنان ثم زدت متوجها في الذكر فصعقت أيضا. فالقى علي قوله تعالى ، قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبّت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ، فلما رجعت الى حسي حمدت الله تعالى على ما في هذه الآية من البشائر والأسرار ثم زدت متوجها في الذكر فصعقت أيضا فالقى علي قوله تعالى ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون، فلما رجعت الي حسي حمدت الله تعالى وقلت : لا أنكر شيئا من آيات الله والعبد معترف بفضل مولاه عليه ، ثم قمت الي محل عزلتي فدخل عليّ شيخ من أهل الطريق فقال لي اذا أردت أن تتوجه الى رسول الله صلي الله عليه وسلم، فاجعل بينك وبينه واسطة من الأكابر مثل عبد القادر الكيلانى أو محي الدين الحاتمى ، أو الشاذلي ، وأمثالهم فقلت له حتى أستأذن سيدى ومولاى الذى أنا فى أعتابه فتوجهت أذكر الله تعالى فصعقت ؛ فالقى على قوله تعالى ، النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فلما رجعت الى حسي حمدت الله تعالى ، وعند مارجع عندي ذلك الشيخ قلت له إن سيدي ومولاي ما أحب أن تكون بينى وبينه واسطة وأخبرني أنه أولى بي من كل أحد حتى من نفسي ثم وثم وثم

وكان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وأول ما فتح لي في عالم الخير والنور اجتمعت فى الواقعة بالخليل عليه السلام في المطاف وكان فى مجلس حافل وهو يحكي قصة تكسير الأصنام ورأيته فى السن الذي كان فيه ذلك الوقت ، إذ يقول الله تعالي ، قالوا سمعنا فتى يذكرهم فما رأت عيني أجمل منه ، كيف ورسول الله صلي الله عليه وسلم شبّه جماله به ، فقال ، ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولده به فعلمت أنه يكون لى بعض إرث منه فى محبة الخلق ، فانه القائل ، واجعل لي لسان صدق فى الآخرين ، فأجاب الله سؤاله فاجتمعت على محبته أكثر الملل والفرق وليس هذا لأحد غيره من سائر الرسل عليهم السلام

(الموقف الرابع والثمانون)

كنت مع أهلي فى لحاف وأنا فى مشاهدة فصعقت فكلمني الحق تعالى وقال لي ، اني أنا الله لا آله الا أنا الرب المبارك ، فحصل لي بعد الرجوع الى الحس فرح وعرفت منه بشارة وأي بشارة

(الموقف الخامس والثمانون)

ورد في الصحاح ولا يبعد أن يكون فى الاحاديث المتواترة أن هذا القرآن أنزل علي سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه ، قد تكلم الناس علي هذا الحديث قديما وحديثا ، ذكر الأمام السيوطي رضي الله عنه منها نحو الأربعين قولا ، ومنها مالم يبلغه بلا شك وأكثر الناس عليه كلاما على طريق أهل العرفان العارف بالله عبد العزيز الدباغ الفاسي فانه أبدع وأتى بما لم يسبقه اليه غيره ، وكل ما قيل فى معني هذا الحديث فصواب وأصوب ، وحق وأحق ، فان الكل من عند الله تعالى ومن تجلياته اذ كلام الحق تعالى

وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم بحر ذاخر، ماله ساحل، فكل مافهمه الخلق فى كلام الله تعالى و كلام رسوله صلى الله عليه وسلم الذي هو كلام الله على لسانه،لأنهماينطق عن الهوى،ان هو الا وحي يوحى،هو مراد ومقصود وان خالف الحق ظاهرا، فانه كما قال يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا،فالضلالة مقصودة ومايطلق عليه اسم الخطأ مقصود فالكل عطاءالله كلاً نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا. ومن المرادلله ولرسوله فى الكلام مالم يهتدوا اليه ولا بلغوه،والذي ألقاه الحق تعالي عليّ من معاني هذا الحديث العظيم الشأن ومن اشاراته المعجوز عن استيفائها بالبيان، ان من المراد بالاحرف الحقيقية اذ الاحرف عند الطايفة العلية ثمانية أنواع أحرف حقيقية، وأحرف عالية، وأحرف روحانية،وأحرف صورية،وأحرف معنوية، وأحرف خيالية، وأحرف حسية لفظية، واحرف خطية، والمراد من الاحرف الحقيقية الامهات السبعة والاصول الكلية، العلم، والارادة، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، والحياةالتى هي شرط فى اثبات الجميع، ولايصح إثبات شيء بدونها، أخبر عليه الصلاة والسلام أن هذا القرآن وهو النظم المعجز المنزل عليه صلى الله عليه وسلم انزل مستوليا ومستعليا استعلاء دلالة على متعلقات هذه الأحرف التي ذكرناها وهى أمهات الأسماء والصفات فكل مدلولاتها ومتعلقاتها يدل عليها القرآن العظيم، وتؤخذ منه، ولذا ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال، ماحرك طائر جناحيه الا وجدنا ذلك فى كتاب الله تعالى، وترى العارفين يستخرجون العلوم والأسرار والاخبار بالمغيبات الآتية من القرآن، وجميع العلوم المتداولة ماخوذة من القرآن، ويهدي اليها هداية بينة، وجميع الثلاثة والسبعين

فرقة يأخذون الأدلة والحجج لمذاهبهم من القرآن وهذا من جملة وجوه اعجازه وخروجه عن طوق البشر كيف لا وهو تعالى يقول ، مافرطنا فى الكتاب يعني القرآن، من شيء، فكل مايطلق عليه اسم شيء فهو فى القرآن العظيم إما صريحا وإما اشارة ، إما ضمنا وإما التزاما ، والشيء أعم من الموجود، والمعدوم عند أهل اللغة ، ولذا قالوا ، ان نكر النكرات شيء ثم موجود لأجل هذا الجمع العظيم سمي بالقرآن من القرء وهو الجمع، اذ القرآن الكريم ليس هو الاظاهر علم الحق تعالى ولا ريب أن علمه تعالى محيط بالكليات والجزئيات، فالقرآن محيط بالكليات والجزئيات، فانه أمر الله المنزل كما قال تعالى، ذلك أمر الله أنزله اليكم، وأمره صفته المحيطة بكل شيء القائمة على كل شيء ، وتختلف وجوه دلالات القرآن على متعلقات الأحرف باختلاف وجوه قراءاته من زيادة ونقص ، وتقديم وتأخير، ورفع ونصب، وخفض وسكون ، فانها الأحرف الصغار وكل وجه يتفرع الي وجوه منها أصول ومنها فروع ومنها ملزومات ومنها لوازم بينة ، ومنها غير بينة ، ومنها لوازم اللوازم وهكذا والحق تعالي بجوده يفتح على كل واحد ويعطيه مما أحاط به القرآن مدلولاته ما يستحقه ، ويطلبه استعداده ، أما هدى وأما ضلالة، أما رشدا وأما غيا ، والاحاطة بجميع ما أحاط به القرآن محال ، فلذا قال عليه الصلاة والسلام ، فاقرأوا ما تيسر منه، أي من مدلولاته والعلوم التي تضمنها فهو أمر بالدالّ وإرادة المدلول لأن القرآن كله يسر، كما قال ، ولقد يسّرنا القرآن للذكر ، فليس منه يسر وغير يسر بل تعدد أوجه القراءة تيسير، كما ورد فى الحديث اقرأني جبريل على حرف واحد فاستزدته فزادني الي سبعة ، والذي منه يسر وغير يسر ، هي متعلقات الأحرف السبعة التي ذكرناها

قبل ولا يتيسر لأحد شيء الا ما هو مستعد له قوله ولا تختلفوا الى آخر الحديث، أي لا تجعلوا ما يفتح الله به على بعضكم في الفهم فيه خلافا قادحا في القرآن،وموجبا للشك فيه حتى يؤدي ذلك الي الشك فى أصل الدين ، ولهذا اختلفت الصحابة رضوان الله عليهم وكذا من بعدهم من أهل الفضل والعلم وما جعلوا ذلك إختلافا فى الدين ولا كفر بعضهم بعضا وما حصل للخلق كلهم من معلوماته تعالى التي هي متعلقات صفات الامهات الأصول الا كما قال الخضر لموسى عليهما السلام، ما نقص علمي وعلمك،أي ما تعلق به علمي وعلمك من علم الله أي معلوماته الا كما نقص هذا العصفور بنقرته من هذا البحر ، فهذا إشارة الى ما أشار اليه هذا الحبر العظيم الشأن

(الموقف السادس والثمانون)

قال تعالى :والشمس وضحاهاوالقمر اذا تلاهاوالنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها، هذه الأشياء المقسم بها هي كناية عن بعض مراتب تجليه، وتعين تنزله وتدليه، وهي مراتب كلية فما أقسم الحق تعالى في الحقيقة الا بذاته لأن المراتب والتنزلات كلها أمور اعتباريةلاوجود لها إلا فى اعتبار المعتبر ما دام معتبرا، فكل المراتب والتعينات والتنزلات من أول مرتبة وتعين وتنزل وهو الحقيقة المحمدية، الى آخر تعين وتنزل،وهو الصورة الانسانية،إنما هي إعتبار وتعين وظهور وتنزل لا وجود لها خارج العقل،كسائر الأمور المصدرية، فهي لا موجودة ولا معدومة ، فهي خيال لا حقيقة لها ،غير الوجود الحق الذي به ظهرت كما قيل.

مراتب بالوجود صارت حقائق الغيب والعيان

وليس غير الوجود فيها بظاهر والجميع فان

فالوجود ليس الا للذات العلية، وكل ماقيل فيه مرتبة وتعين وسوى وغير ، فهو اعتبار ونسبة وإضافة لاغير ، فقوله ، والشمس وضحاها ، هو قسم بمرتبة الأحدية وهو أول المجالي فهو مجلي ذاتي ليس للأسماء ولا للصفات ولا لشيء من المكونات فيه ظهور ، فهو ذات صرف مجرد عن الاعتبارات الحقية والخلقية ، وان كان الجميع موجودا فيها ولكن بحكم البطون فنسبة الواحد الى ذاته نسبة واحدة هي عين أحديته لا واحديته ونسبته الي الثاني هي واحديته فالأحدية هي تجليه تعالى لذاته بذاته اذ لاغير فى هذه المرتبة فان لفظ الأحد ينفي أن يكون هناك اعتبار غير وسوى ، فلا يحتاج فى أحديته الى تعين يمتاز به عن شيء إذ لا شيء فهو الوجود بشرط لا شيء ولا حظ للمخلوقات من هذه المرتبة الا الاعتبار والتعقل لأن هذه المرتبة مرتبة الكنه لا ينكشف لأحد ولا يدرك بحس ولا عقل ، ومن طلب معرفته من هذا الوجه طلب المحال لأن الذى لاتعين له بوجه من الوجوه لا يعرف ووجهه ووجه الكناية عن هذا التجلي بالشمس وضحاها ، إن الشمس تدرك بها الأشياء ولا تدرك هي ، ولا يظهر معها نور من أنوار الكواكب ، وكذلك الأحدية فهي ماحية للأنوار ، ممحقة للآثار ، فهي مرتبة اللاثقين فما للخلق من ملك ورسول وولي في هذه المرتبة الا الايمان بالغيب فانهم لما وصلوا بالكشف والنظر بالبصائر الي التعين الأول عرفوا أن وراءه شيئا لا يعرف منه الا وجود لاغير اذالوجود المجردعن الظهوربالغير والتعين بهلا يعرف ولا ينعت ولا يوصف لأنه الذات الغنية عن العالمين وهذه المرتبة فى الحق والتحقيق

هي حقيقة الحقائق، وان كانت هذه التسمية أطلقها القوم على الوحدة المطلقة، والحقيقة الكلية، وقد وصل بعض الرهبان والبراهمه وغيرهم من أهل الرياضات والمجاهدات على غير سبل الرسل عليهم السلام الى العقل الأول، فظنوا أنه هو حقيقة الحقائق، وأنه لا شيء وراءه فخسروا وباءوا ورجعوا من حيث جاءوا، وقوله، والقمر اذا تلاها، هو كناية عن المرتبة الثانية والتعين الأول المسمى بالروح الكلي وبنفس الرحمن وبالوجود الاضافى وبالحقيقة المحمدية، وببرزخ البرازخ، وله أسام كثيرة ويعبر عنه بالوحدة المطلقة، وذلك أن الوجود إذا أخذ بشرط لا شيء فهو الأحدية وإذا أخذ بشرط كل شيء فهو الواحدية، واذا أخذ مطلقا لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء، فهو الوحدة فالوحدة منشأ الاحدية والواحدية لأنها عين الذات من حيث هي، أي المطلق الذي يشمل كونه بشرط لا شيء أو بشرط شيء، والوحده اذا اعتبرت من حيث هي هي، لا تغاير الأحدية بل هي عينها، والوحدة هنا لا تتعقل فى مقابلة كثرة ولا يتوقف تحققها على تصور ضد لها، وهذا الوجود الاضافى المشترك بين جميع الموجودات، المتعين بها، هو عين الوجود الباطن المجرد عن التعين والظهور، ولا يغايره الا بالاعتبار كالتعين والتعدد الحاصل بتعدد المظاهر، وهي كلها أمور عدمية لا وجود لها الا بالاعتبار، والحق تعالى فى هذه المرتبة مرئي للرائين، معروف للعارفين، لأنها مرتبة اسمه تعالى الظاهر وهو محجوب مجهول للغافلين، فهم يرونه ولا يعرفونه وهذه المرتبة أول ظهور الله تعالى من كنز الخفا ومعرفة القوم رضوان الله عليهم، وغاية وصولهم اليها، وبها يتغزلون فى أشعارهم وعنها يكنون بليلي وسعدى، والبرق والنسيم، والخمر والكاس، وهي الظاهرة فى سائر الخلق وهي أمر الله

كما قال ذلك أمر الله أنزله اليكم وقال ، ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي، أي الروح أمر ربي ، فمن بيانيه وهو الذي صدر عن الله بلا واسطة، وهو نور محمد صلى الله عليه وسلم، فما صدر الا بمشافهة الأمر العزيز وهو، أي الأمر العزيز، السبب الثاني بالاضافة الي الوجود المطلق فان الوجود المطلق هو الله حيث لا تعين، وقد صدر هذا الأمر المذكور بصورة النور المحمدي عنه تعالى، فهو التعين الأول لأنه تعالى ظهر بعلمه في هذا التعين من غير تمييز شيء من شيء فالله سبب ظهور الأمر القديم ، في حضرة النور الكريم ، وقام النور في تعينه بالأمر القديم فهو أي الأمر الكريم سبب ثان بالاضافة الى الله ، فالنور الأول المذكور هو التعين الثاني باعتبار قيامه بالأمر والتعين الثالث باعتبار نزوله في عالم الخلق فهو ثلاث مراتب وهو واحد وكون الأمر ظهر بالنور المحمدي ، فهو السبب الأول باعتبار الاضافة الى الوجود المقيد ، وهو النور المحمدي المتعين ، في عالم الخلق ووجه الكناية عن هذه المرتبة والتعين بالقمر هو أن القمر واسطة بين الشمس والأرض فهو يستمد النور من الشمس ويمد الأرض به ، وكذا هذا التعين الأول فانه يستمد من الوجود الباطن الأحدي الذاتي، ويمد العالم أعلاه وأسفله بما يفيضه الحق تعالى عليه فله وجهة الى الحق، ووجه الى الخلق، ولهذا سمي ببرزخ البرازخ لأن البرزخ جامع بين الطرفين لا يكون غيرهما ولا عينهما فمن وجهه الذي للحق هو حق، ومن وجهه الذي للخلق هو خلق، فهو حق وخلق ولا حق ولا خلق وهو بالنسبة الى الوجود الأحدي فقير مستمد قابل ، وبالنسبة الى العالم غني ممد فاعل، وكذا القمر من وجهه الذي للشمس مستمد قابل ومن وجهه الذي للأرض ممد فاعل ، والتعينات

والظهورات كلها ممكنـة حادثة ، والمتعين والظاهر قديم واجب ، ولهـذه المرتبة قدم باعتبار ، وحـدوث باعتبار آخر ، وقوله ، والنهار إذا جلاّها ، هو كناية عن المرتبة الواحـدية وهو التعين الثـاني وهي اعتبار ، الذات من حيث انتشار الأسماء والصفات منها ، ووحـدتها لها مع تكثرها بالصفات فالواحد إسم الذات بهذا الاعتبار ، فهي مجلى ظهرت الذات فيه صفة والصفة ذاتا فظاهر كل من الاسماء والأوصاف عين الآخر ، فهي بهذا الاعتبار حيث ظهرت فى شيء من أسمائها أو صفاتها أو مؤثراتها ، فذلك الشيء عينها وهي عينه ، وكل شيء مما ظهر فيه الذات بحكم الواحديه فهو عين الآخر وإلى ذلك أشرت فى بعض القصائد التوحيديه فقل عالم ، وقل آله ، وقل أنا ، وقل أنت ، وهو ، لست تخشى به ردا ووجه الكناية عن هذه المرتبة بالنهار هو أن النهار تظهر فيه وبه الأشياء ويتميز بعضها من بعض وكذلك هذه المرتبة ، فان اليها تستند الآثار كلها نهي المجليه للمرتبة التي قبلها كما أن النهار مجلي ومظهر للشمس وأيضا هذه المرتبة هي عبـارة عن علم الحق تعالى بذاته ، وبجميع أسمائه وصفاته ، وبجميع حقائق مكوناته ، على التفصيل وقد كان علمهـا فى المرتبة التي قبلهـا وهي الوحـدة المطلقة اجمـالا لا تتميز الذات من الصفات من حقائق المكونات ولا يتوهم متوهم ان قولنـا اجمالا أن العلم الاجمـالي موجب للجهل كما عليـه جمهور المتكلمين بل هو تعالى بعـلم الأشياء كما هي ، المفصلة تفصيلا ، والمجملة إجمالا ، فلو قيل العلم المتعلق بالأحديه وبالوحـدة علم تفصيلي ، للزم الـكذب والمناقضة ، لأن قولنا الأحديه والوحدة ينافي هـذا ، فالعلم المضاف الى مرتبة الوحدة يسمي علما إجماليـا لاتصاف معلوماته بالاجمال ، وأما العلم نفسه فلا يوصف من

حيث هو انكشاف ، وظهور بالأجمال والتفصيل لأنها من لوازم الكم ولا كم ، ولا كيف ، وقد زل هنا عالم كثير ، وعالم كبير ، وقوله ، والليل إذا يغشاها ، هو كناية عن الطبيعة الكثيفة ، والتعين بالأجسام العنصرية المظلمة الظاهرة في المعدن والنبات ، والحيوان والجان والانسان ، لأن العالم الجسماني الطبيعي محل الظهور الآلهي الكمالي ، إذ لولا الكثيف ، ماعرف ولا سمع خبر للطيف ، فظهور الحق تعالى بالأجسام أكمل من ظهوره بالأرواح ، ولذا قيل ظهور الحق تعالى ، أجهل الناس وأعظمهم انقيادا للأمور الطبيعية والنفسانية أتم من ظهوره في اعلم الناس وأعظمهم تحقيقا بالأمور الروحانية ، إذ عالم الشهادة أكمل من عالم الغيب ، وعالم الغيب أشرف من عالم الشهادة ، فالشرف بقلة الوسائط ، والتمام بكثرتها ، ووجه الكناية عن هذه المرتبة بالتجلي بالليل ، هو أن الليل أصل للنهار ، وقال تعالى ، وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ، وكذا الأجسام الطبيعية لكثافتها وحجابيتها سبب وأصل لظهور الأرواح الجزئية وتعينها من الروح الكل ، كما قال تعالى ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ، فالطبيعة تفعل الصور على الدوام ، والروح يفيض الأرواح شمس ونهار ، فقوله ، والليل إذا يغشاها ، أي التعين بالأجسام العنصرية الشبيه بالليل يغشى التعين السابق الشبيه بالنهار ، لأنه روح نوراني ، وقوله ، والسماء وما بناها ، هو كناية عن مرتبة التعين بالأرواح ، لأن الأرواح سماء الأشباح ، ولها العلو ، وهو في الحقيقة ونفس الأمر روح واحد عددته الصور المنفوخ فيها ، كما عددت الطاقات والأبواب ، والخروق والأماكن الشمس ، وحقيقة الشمس واحدة ، فالروح حقيقة واحدة لايتعدد ، ولا يتبعض ولا يتجزأ

ولهذا ماورد في القرآن العزيز ، إلامفرداً فاذا اعتبر الروح مع الأجسام المدبرة اسم مفعول تعدد بتعددها مجازا لاحقيقة ، وكما تسلم أن كل جسم له روح واحد يدبره مع تعدد أعضاء الجسم وقواه الظاهرة والباطنة ، وتباين آثار القوي وهو في كل قوة الفاعل للأثر المنسوب الى تلك القوة كذلك يلزمك أن تسلم أن العالم كله له روح واحد يدبره على تعدد أنواعه وأشخاصه من الذرة الى العرش والفعل والتأثير له فى كل ماينسب الى العالم من الأفعال والتأثيرات ووجه الكناية عن هذا التعين بالسماء هو أن السماء لها العلو والشرف الحسي والمعنوي ، وأنها منبع الأنوار ، ولها الفاعلية بما فيها من الكواكب والأملاك ، وكذلك الأرواح مع الأجسام ، وكما أن السماء بما فيها ، تدبر الأرض وما فيها ، من معدن ونبات وحيوان ، من غير اتصال ، ولا امتزاج انتقال ، كذلك الارواح تدبر الأجسام المتعلقة بها من غير حلول ولا اتصال ، ولا امتزاج ، وأمر الروح لايدرك الا بالكشف ، ولا يدرك بالعقل أبدا ، وكل كلام العقلاء فيه من حكيم ومتكلم خطأ ، وقد عزمت ان أكتب فيه شيئا ماعلمت أحدا سبقني اليه فصعقت ، فالقي عليّ قوله تعالى ، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ، فتأدبت واقتديت بمن قبلي ، فانهم الأدباء مع الله ، الناصحون لعباد الله ، وكلام القوم فيه ، إنما هو إيماء وتلويح ، وإشارة وتلميح ، وما ذلك الا لبعد منالها ، وعظم أشكالها ، فهو القديم الحادث ، الواجب الممكن ، الموجود المعدوم ، الحامل المحمول ، ليس له ند ، ولا مثل ، ولا ضد ، وقوله والأرض وما طحاها ، هو كناية عن التعين بالنفس الكلية المنبعثة من العقل الأول ، كانبعاث حواء من آدم ، وهي المسماة باللوح

المحفوظ ، وهي الحاوية لتفصيل ما أجمل في العقل الأول من العلوم ، فالعقل يدفع ما يفيض عليه الى النفس ، والنفس تدفع الى ماتحتها ، بحسب تقدير العزيز الحكيم ، الى أن يصل الى العناصر ، الى المعدن ، الى النبات ، الى الحيوان ، الى الانسان ، فالنفس الكلية اذا أقبلت على الجسم يسمى اقبالها نفسا ، والعقل الكلي إذا أفاض على الجسم يسمى اقباله عقلا ، فالنفوس من فيض النفس الكلية ، والعقول من فيض العقل الكلي ، وللنفس وجه الى العقل الأول ، ووجه الى الطبيعة ، لأن الطبيعة لها ثالث رتبة فى الايجاد ، ووجه الكناية عن هذه المرتبة والتعين بالأرض هو ان الأرض لها صفة الانفعال عن الأمور السماوية ، وكذلك النفس لها رتبة الانفعال عن العقل الأول ، والأرض محل لما يتكون فيها ، وكذلك النفس محل لما يتفصل فيها من علوم العقل المجملة فيه ، فقوله ، طحاها ، كناية عن تفصيل العلوم ونـدها فيها ، وقوله ، ونفس وما سوّاها ، هو كناية عن مرتبة التعين بالنفس الجزئية الانسانية وهي مخلوقة من نور واجب الوجود لذاته ؛ ولهذا وجد فيها من الكمال جميع ما للحق تعالى ، ووصفت بجميع صفاته : ماعدا الوجوب بالذات ؛ وحوت من النقائص جميع ما كان في الوجود فجمعت صفات الحق والخلق فحقيقة النفس الروح ، وحقيقة الروح الحق تعالى ، ولذا ورد فى الأثر ، من عرف نفسه عرف ربه ، فاذا نظر العارف الي نفسه وجدها الروح الأعظم القايم بظهور الذات الآلهية المحيطة بكل شيء ، ومن جملة الأشياء العرش وما حواه ، ولذا قال العارف الكبير أبو يزيد رضي الله عنه ، لو أن العرش وما حواه الف الف مرة فى زاوية من زوايا قلب العارف ماأحس به ، فاذا نزلت الروح الى عالم الأجسام

الطبيعية وأخلدت اليها مسخت نفسا ، والنفس الغافلة بيت الشيطان ، والنفس من حيث هي ، لا خبث فيها ، فهي طاهرة قدسية ، وإنما هي منفذة للخبث بالعبد ، فتنزل في كل هيكل على حسب مايليق به ، وتدبره بما هو مكتوب له وعليه من الأزل ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، ومنها ماهو مطيع للروح ، ومنها عاص ، فالمطيع يسمى عالم الجبروت ، وهي التي لاخبث فيها لأنها بهذه الاعتبار هي الروح التي هي أمر الله المنفوخ في الاجسام الانسانية ، والمد للأجساد الحيوانية ، وهو وجه النفس الى الملكوت ووجهها الذي الى الملك هي العاصية التي نزلت الى أسفل سافلين ، فقد دنّست بدنس أوانيها ، كالماء الطاهر ينزل في الأواني النجسة فشرّع الله تعالى الشرايع وأرسل الرسل ، لتطهر النفس من خباثتها ، وتتزكى من رذالتها ، فتعود روحا كما كانت ، وأنه لايتم لها هذا إلا باتباع الرسل قولا وفعلا وحالا ، ولا يصح لها هذا أيضا إلا بجذبة آلهية ، وخطفة ربانية ، أو بالسلوك على يد شيخ عارف ، والحاصل أن جملة الانسان روح وعقل و نفس ، فالروح واحد يتعدد بتعدد الأعضاء ، فهو واحد كثير ولايدبر الجسم والعقل هو نور الروح ، وهو يدبر الجسم بأمر الروح والنفس ، هو نور العقل وهي بمنزلة الخادم للعقل فان كمل كملت النفس وبالعكس ، وجملة هذه الثلاث أمر واحد وهو أمر الله ، وقولنا في هذه المراتب تعين الحق تعالى بكذا لايفهم منه الحصر والتقييد ، وإنما الحق فى كل تعين قابل للحكم عليه بأنه متعين ، مع العلم بأنه غير محصور في التعين وإنه من حيث هو هو غير متعين حال الحكم عليه بالتعين فهو مطلق فى آن تقييده ، مقيد فى آن إطلاقه ، فهو تعالى على ما تقتضيه ذاته من الاطلاق والتعين والتجلي

والاستتار ، لا يتغير ولا يتحول ، ولا يلبس شيئا فيترك غيره ولا يخلع شيئا فيأخذ سواه بل هو على ما هو عليه ، أزلا وأبدا ، وإنما هـذه التعينات والتغيرات والتحولات في الصور ، وفي النسب، والاضافات ، والاعتبارات ، إنما هو بحسب ما يتجلى به علينا ، ويظهر به لنا وهو فى ذاته على ماهو عليه من قبل تجليه وظهوره

(الموقف السابع والثمانون)

روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال ، إن الله لا ينظر الى أجسادكم ولا الى صوركم ، وإنما ينظر الى قلوبكم ، فمن بعض مادل عليه هذا الخبر من المعاني أنه تعالى لا ينظر بمعني لا يبالي ولا يتوجـه بنظر خاص نظر عناية فهو تعالى يرى ويبصر جميع الاشياء حال عـدمها ، وحال إيجادها ، ولـكنه لا ينظر اليها بمعنى يتوجه اليها توجها خاصا بنظر مخصوص ، ورؤية مخصوصة ، بخير أوشر إلا إذا أراد ذلك وهو معنى الحديث الآخر إن شاء الله كذا وكذا نظارة فى اليوم الى القلب ، وقوله ، الى أجسادكم يعني إذا كان الجسد مثلا فى المسجد والقلب فى السوق ، أو فى الضيعة ، أو كان الجسد فى أحـد الاماكن الشريفة ، مكة أو المدينة ، أو بيت المقدس ، والقلب فى غيرها من المشرق أو المغرب فلا ينظر الله تعـالى الى الجسد بمعنى أنه لا يبالي به حتى يتوجه اليه بالنظر الخاص والرؤية الخاصة ليفيض عليه من خيراته ، وأنواع كرامته وتجلياته ، وقوله ، ولا الى صوركم ، يعني لا يبالي بها إذا كانت جميلة كاملة ، أو كانت قبيحة ناقصه ، فانه تعالى ما رتب على ذلك خيرا ولا شرا ، ولا ثوابا ولا عقابا ، ولا كرامة ولا اهانة ، إذ الانسان ما حصل له الشرف على جميع المخلوقات بحسن شكله وصورته ، فان الصورة في الحائط أو الورق

مثله ، ولا بكبر جسمه ، فان الفيل أكبر منه ، ولا بشجاعته ، فان الأسد أشجع منه ، ولا بكثرة نكاحه فان أخس العصافير أكثر سفادا منه ، فما كان له الشرف الا بانسانيته وهي قلبه

عليك بالنفس فاستكمل فضائلها فأنت بالقلب لا بالجسم إنسان

ولذا قال ، وإنما ينظر الى قلوبكم ، لأنها هي الانسان الحقيقي وهي محل تجلي الحق تعالى وهي التي وسعته بالعلم والمعرفة والظهور بالأسماء والصفات ، كما قال تعالى ، ماوسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن ، ولا يسعه تعالى إلاّ علمه ، فالقلب هو علم الحق تعالى ، فافهم وتفطن للرمز المرموز ، والسر المكنوز ، فمعني نظره تعالى للقلوب إنها هي التي يبالي بها ، ويتوجه بالنظر الخاص اليها ، للاسعاد والاكرام بالعلوم وأنواع الكرامة أو الاشقاء والابعاد والحجاب ، وأنواع الاهانة فلايقبل الحق تعالى الأعمال الصالحة إلا تبعا للقلوب ، ولا يعاقب على الأعمال السيئة الا مع القلوب ، فان القربان لا تكون قربة الاّ مع النية ، إنما الأعمال بالنيات ، وهي القصد بمعني حضور القلب المستلزم لحضور الرب ، وكذلك السيئات لا تكون سيئة حقيقة في الدنيا والآخرة الاّ مع القلب ، ولذا ورد في الصحيح ، رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه ، يعني رفعت المؤاخذة عليه من جهة الحق تعالى لعدم معية القلب وان كانت تسميتها سيئة ، والمؤاخذة بها في الدنيا حاصلة ، وفي قوله تعالى ، قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم الا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ، أشارة الى هذا أي قال الملك الحق تعالى لأخوة يوسف الجوارح ، ائتوني باخ لكم بنيامين القلب من أبيكم

الروح الكلي الجامع بينكم فى النسب ألا ترون أني أوفي الكيل لمن جاءني بمطلوبي منه فأعطيه حقه وأتفضل عليه بمالا قيمة له فأن لم تأتوني أيها الجوارح به بنيامين القلب الذي هو مطلوبي ومحل نظري منكم فلا كيل لكم عندي ولا تصلون الى مطلوبكم مني اذا لم أصل الى مطلوبي منكم فمعنى لا كيل لكم عندي أي لا تستحقون ولا تستأهلون العلوم والأسرار حيث ليس لكم استعداد لحملها وإنما المستعد المتأهل لها بالقوة القلب ، وكذلك الآية قبلها وهي قوله تعالي ، الملك إئتونى به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين ، قال ، اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ، وكذلك مكنّا ليوسف فى الأرض ، أي قال الملك الحق للجوارح الموكلين بالسجن وهو الجسم الطبيعي ائتوني بيوسف القلب استخصله اجعله خالصتي ومحل سري وغيبتي ، وارفع عنه الحجاب ، وأكشف له النقاب ، وأخصه برؤيتي ، وابسط يده فى مملكتي ، فلما كلّم الملك الحق يوسف القلب كلام تأنيس وبشارة من غير حرف ولا صوت ولا إشارة ، قال له ، إنك اليوم حين رفع الحجب وزوال البين ، واتحاد العين بالعين ، لدينا مكين ثابت المنزلة متمكن فى مرتبتك الرفيعة ، أمين على أسرارنا ، فعيل بمعني مفعول ، فلما سمع يوسف القلب الخطاب ، وذاق لذته ، وطرب وطاب ، وشره وطمع ، مثل الكليم ، لما سمع قال ، أجعلني متصرّفا فى أعطياتك ؛ وخليفة على خزائن كنوز النفوس الأرضية ، أتصرف فيها بامرك ؛ وعلى مقتضي إرادتك وحكمتك ، إني حفيظ لها من الفساد ، أمنعها ممن يختلسها ويغتالها ، من شيطان وهوى ودنيا ، عليم بأحوال العطية والمعطي ، فلا أعطي من لا

قال المؤلف رحمه الله ان هذا الوارد الذى انتهى قد و رد عليه وهو فى لوندره

يستحق فأظلم العطية ، ولا أمنع من يستحق فاظلمه ، ولا أعطيه فوق مايستحق فاظلم نفسي بتضييع الوزن والعدل ، فأجابه الملك الحق ورده من حضرة الملكوتية الربانية ، الي حضرة الملك متصرفا في النفوس الانسانية على ما سبقت به القسمة الأزلية وتعلق العلم القديم فقال ، وكذلك مكنّا ليوسف القلب الكامل فى أرض النفوس

(الموقف الثامن والثمانون)

قال تعالى : قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل إياه تدعون ، فيكشف ما تدعون اليه ان شاء ، وتنسون ماتشركون : هذه الآية الكريمة نعي وبرهان في الرد على المشركين الذين جعلوا لله أندادا وشركاء فى الألوهية والتماس النفع منهم عند عامة المفسرين وعندنا وعند أهل طريقنا هي نعي ورد علي من جعل لله تعالى شريكا مطلقا فى الألوهية وفى الوجود والصفات ، قل يا محمد لهؤلاء المحجوبين الذين جعلوا المخلوقات وجودا مستقلا حادثا أوقديما ، وجعلوا لها صفات مغايرة لصفات الله تعالى من قدرة وإرادة وغيرهما، فأداهم ذلك إلى أن قالوا إنه إذا نزل بنا ما لا يقدر على دفعه المخلوق فانا ندعو الله اليه واذا نزل بنا غير ذلك من مهماتنا ومصالحنا فانا ندعو غير الله اليه من مخلوقاته ، أرأيتكم أخبرونى إن أتاكم نوع من أنواع عذاب الله الخارجة عن طوق المخلوق كالزلازل والخسف والريح العاصفة ، أو أتتكم الساعة وهى القيامة والحشر للحساب : أغير الله تدعون : أي أيكون لكم مدعو مغاير لله تعالى في هاتين الحالتين ، وفي هذين الوقتين ، أم تدعون الله الذي تخيلتموه مباينا للعالم ومغايرا له وتنسون ما تشركون ، أي تنسون شرككم وهو جعلكم

للمخلوقات وجودا مستقلا مغايرا للوجود الحق فلا شك أنهم يقولون ماهو معتقدهم من مغايرة وجود الحق لوجود الخلق، إذ الحق تعالى عندهم لا يظهر فى مظاهر ولا يتعين بتعين ، ان كنتم صادقين ، ان بمعنى لو ، أي لو كنتم صادقين لعلمتم وقلتم انكم لا تدعون إلا الله تعالى فى جميع الأحوال والأوقات فان المخلوقات من جن وإنس وملك وغيرهم ، مظاهرة هو الظاهر لا غير ، والصدق مطابقة الخبر للواقع والكذب ضده، فالصادق هو العارف الذي يقول المدعو لكل أمر وفي كل وقت وحال ، هو الله تعالي والمخلوقات مظاهرة من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج، كما قال، يا أيها الناس أنتم الفقراء الي الله، ونحن افتقارنا إلى بعضنا ، فافتقارنا ليس الا اليه ، وبعضنا مظاهره وتعيناته لا غير ، والكاذب هو الجاهل الذي يقول المدعو فى حال ووقت هو الله ، والمدعو فى حال ووقت غيره بل إياه تدعون ابطال لما تخيلوه ، واضراب على ما توهموه ، وحصر لدعائهم فى كل وقت وحال في الله تعالى فيكشف ما تدعون اليه مما قل أو جل إن شاء فانه لا مكره له تعالى ولأن الغالب علي من كانت حالته الجهل بالله عدم إجابة دعائه لأنه تخيل الله تعالى بعيدا عنه فى السماء أو فوق العرش لا غير فيكون الله تعالى بعيدا عن إجابة دعائه جزاء وفاقا لأنه عند ظن عبده به

(الموقف التاسع والثمانون)

قال تعالي، وما أرسلناك الا رحمة للعالمين، اعلم أنه ليس المرادمن إرساله رحمة للعالمين هو إرساله من حيث ظهور جسمه الشريف الطبيعي فقط ، وان قال به جمهور المفسرين وعامتهم فانه من هذه الحيثية غير عام الرحمة لجميع العالمين ، فان العالم اسم لما سوى الحق تعالى، بل المراد إرساله من حيث حقيقته

التي هي حقيقة الحقائق ومن حيث روحه الذي هو روح الأرواح فان حقيقته صلى الله عليه وسلم هي الرحمة التي وسعت كل شيء وعمت هذه الرحمة حتى أسماء الحق تعالى من حيث ظهور آثارها ومقتضياتها بوجود هذه الرحمة ، وهذه الرحمة هي أول شيء فتق ظلمة العدم، وأول صادر عن الحق تعالى بلا واسطة وهي الوجود المفاض على أعيان المكونات، وقد ورد في الخبر، أول ماخلق الله نور نبيك ياجابر،ولهذه الحقيقة المحمدية أسماء كثيرة باعتبار كثرة وجوهها واعتباراتها، واذكر طرفا منها ليكون نموذجا لمالم أذكره، فان كثيرا من الناس الذين يطالعون كتب القوم رضوان الله عليهم ، حين يرون هذه الأسماء الكثيرة يظنون أنها لمسميات متعددة، وليس الأمر كذلك وإنما هي مثل السيف والصارم ، والقضيب والهندواني ، والأبيض والصقيل والمحذد ، ونحو ذلك لمسمى واحد منها التعين الأول للحق تعالى ، ولذا قيل في حد الحقيقة المحمدية إنها الذات مع التعين الأول، ومنها القلم الأعلى، ومنها أمر الله، ومنها العقل الأول ، ومنها سدرة المنتهى ، ومنها الحد الفاصل ، ومنها مرتبة صورة الحق ، والانسان الكامل بلا تحديد ، ومنها القلب ، ومنها أم الكتاب ، ومنها الكتاب المسطور ، ومنها روح القدس ، ومنها الروح الأعظم ، ومنها التجلي الثاني ، ومنها حقيقة الحقائق ، ومنها العما ، ومنها الروح الكلّي ، ومنها الانسان الكامل ، ومنها الامام المبين ، ومنها العرش الذي استوى عليه الرحمن ، ومنها مرآة الحق ، ومنها المادة الأولى ، ومنها المعلم الأول ، ومنها نفس الرحمن ، بفتح الفاء ، ومنها الفيض الأول ، ومنها الدرة البيضاء ومنها مرآة الحضرتين ، ومنها البرزخ الجامع ، ومنها واسطة الفيض والمدد : ومنها حضرة الجمع ، ومنها الوصل ومنها مجمع البحرين ،

ومنها مرآة الكون ، ومنها مركز الدائرة ، ومنها الوجود السارى ، ومنها نور الأنوار ، ومنها الظل الأول ، ومنها الحياة السارية فى كل موجود ، ومنها حضرة الأسماء والصفات ، ومنها الحق المخلوق به كل شىء ، إلى غير ذلك ، مما يطول ذكره فأما وجه تسميته بمرتبة الحق والانسان الكامل بلا تعديد فلأن صورة الحق هي صورة علمه بذاته ، وصورة العلم صورة نسب علمه ، وصورة نسب علمه عبارة عن تعينات وجوده التي هي أحواله من حيث تعددها ، وعينه من حيث توحدها ، وأما وجه تسميته بالحد الفاصل فلأنه فاصل بين ما تعين من الحق وما لم يتعين وهو مجلي لما تعين منه ، ولا بد من هذا الحد الفاصل ليبقى الاسم الظاهر وأحكامه على الدوام ، إذ لولاه لطلب التفصيل الرجوع الي الغيب ، والاجمال إذ الأشياء تحن الي أصولها وأما وجه تسميته بسدرة المنتهى ، فلأنه هو البرزخية الكبرى التي ينتهي اليها سير الكمل وأعمالهم وعلومهم وهى نهاية المراتب الاسمائية ، وأما وجه تسميته بالقلب ، فلمعان كثيرة منها أنه لباب العالم وزبدة الموجودات أعاليها وأدانيها ، وقلب الشيء خلاصته ومنها أنه سريع التقلب ، كما قال كلمح بالبصر ، ومنها أنه قلب دائرة الوجود ونقطتها ، ومنها أنه قلب المحدثات وعكسها ، بمعنى أن نور قديم آلهي ، بخلاف الممكنات وأما وجه تسميته بالعقل الأول فلأنه أول من عقل عن الحق تعالى أمره بقوله «كن» أوجده تعالى لا في مادة ولا مدة ، عالما بذاته ، علمه ذاته لا صفة له ، فهو تفصيل علم الاجمال الآلهي وقد ورد فى خبر ، أول ما خلق الله العقل ، وأما وجه تسميته بأمر الله فلأنه الكلمة الآلهية الجامعة الشاملة ، والكلام صفة المتكلم ، وصفته تعالى عين ذاته ، وهو أمر واحد قال تعالى ، وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ، فأفرد وقال ألا الي

الله تصير الأمور، فجمع فهو أمر واحد وأمور كثيرة وقال اليه يرجع الأمر كله فتأكيده بكل يقضي بتعدده، لانه لا يؤكد بها الا ذو أجزاء وما ذاك الا باعتبار المعدودات لا باعتبار ذاته، وأما كونه كلمح بالبصر فلأنه، أي أمر الله لا صورة له وهو الظاهر بكل صورة حسية، أو عقلية، أو خيالية، أو مثالية، والصور لا بقاء لها أكثر من آن واحد لأنها أعراض والعرض لا يبقى زمانين، وهذا هو الخلق الجديد دائما، الذي الناس في لبس منه، وأما وجه تسميته بالقلم الأعلى فمن حيث التسطير والتدوين، إذ هو كاتب الحضرة الآلهية، وقد ورد في خبر، أول ما خلق الله القلم، وأما وجه تسميته بالحق المخلوق به كل شيء فلأنه ليس هو الا ظهور الحق وتعينه فهو حق والظهور والتعين عدم، فهو خلق، ولما ظهر الحق تعالي به جعله شرطا وسببا لوجود كل موجود بعده الى غير نهاية، وفوض الحق اليه أمر المملكة كلها فهو يتصرف فيها بارادته تعالي، وأما وجه تسميته بحضرة الأسماء والصفات، فلأنه تعالى لما اقتضى لذاته إيجاد العالم، اقتضى هذا الاقتضا المذكور انقسام الذات العلية، الى طالب ومطلوب، وحاضر ومحضور، ولا شيء إلا الذات وحدها، وكل أمرين متقابلين لا بد أن يكون بينهما أمر ثالث، ليتميز كل منهما عن الآخر، فظهرت حضرة الأسماء والصفات من بين هاتين الحضرتين القديمتين، حضرة الطالب والمطلوب، والحاضر والمحضور، فوصف بها الطالب باعتبار المطلوب، والمطلوب باعتبار الطالب، فظهر المطلوب على صورة الطالب، باعتبار اتصافه بهذه الأوصاف مع تباين الطالب والمطلوب بالنظر الى ذات كل منهما وإن كانا ذاتا واحدة فى الحقيقة، فحقيقة الاقتضا الذاتي هو طلب الذات حضورها عندها بطلب

هو عين ذاتها ، مثل اقتضائها لأوصافها وإلاّ كانت أوصافها حادثة ، لأنها مطلوبة لها وأوصافها قديمة أزلية ، وأما وجه تسميته بأم الكتاب ، فلأن الوجود مندرج فيها اندراج الحروف فى الدواة ، ولا تسمى الدواة باسم شيء فى أسماء الحروف وكذلك أم الكتاب لايطلق عليها إسم الوجود ولا العدم ، فلا يقال أنها حق ولا خلق ، ولا عين ولا غير ، لأنها غيرمحصورة حتى يحكم عليها بحكم ، ولكنها ماهية لاتنحصر بعبارة الا ولها ضد تلك العبارة من كل وجه وهي محل الأشياء ومصدر الوجود ، فالكتاب هو الوجود المطلق وهذه الحقيقة ، كالذي تولد الكتاب منها فليس الكتاب الا أحد وجهي هذه الحقيقة اذ الوجود أحد وجهيها ، والعدم هو الوجه الثاني ، فلهذا ماقبلت العبارة بشيء لأنه مافيها وجه الاّ وهى ضده ، وأما وجه تسميته بالكتاب المسطور فلأنه الوجود المطلق على تفاريعه وأقسامه ، واعتباراته الحقية والخلقية ، وهو مسطور أي موجود مشهود ، وأما وجه تسميته بروح القدس فلأنه الروح المقدس عن النقائص الكونية فهو روح لا كالأرواح ، لأنه روح الله كما قال ، ونفخت فيه من روحى ، وروح الله ذاته فالوجود كله قائم بروح الله الذي هو ذاته ، فروح الله قديم ما سواه تعالى محدث ، فالانسان مثلا له روح مخلوق به قامت صورته ولذلك الروح المخلوق روح آلهي قام به ذلك الروح ، وهو المعبّر عنه بروح القدس ، وأما وجه تسميته بالروح الأعظم ، فلأنه روح الأرواح ، إذ الأرواح الجزئية لكل صورة جسمية ، أو روحية ، أو عقلية ، أو خيالية ، أو مثالية ، إنما هي فائضة منه وتسميتها أرواحا جزئية مجاز إذ لاجزء ، ولا كل ، ولا بعض ، ولا معدود ، إلا بحسب الصور لاغير كما عددت الأماكن ، والأزمان ،

والأبواب، والطاقات، والخروق الشمس، وهي حقيقة واحدة، وأما وجه تسميته بالتجلي الثاني، فبالنسبة الى التجلي الأحدى الأول، إذ هذا التجلي الثاني به وفيه ظهرت أعيان الممكنات الثابتة التي هي شؤون الذات لذاته تعالى وهو التعين الأول بصفة العالمية والقابلية، لأن الأعيان الثابتة معلوماته الأول الذاتية القابلة للتجلي الشهودي، وللحق بهذا التجلي تنزل من الحضرة الأحدية الى الحضرة الواحدية، بالنسب الأسمائية وأما وجه تسميته بحقيقة الحقايق فلأن كل حقيقة آلهية، أو كونية، إنما تحققت به، إذ هذه الحقيقة لاتتصف بالحقية، ولا بالخلقية، فهي ذات محض لاتضاف الى مرتبة فلا تقتضي لعدم الاضافة وصفا ولا أسماء ولذا قال أمامنا محي الدين، المعلومات ثلاثة، الحق تعالى، والعالم، ومعلوم ثالث، لايوصف بالوجود، ولا بالعدم، ولا بالحق، ولا بالخلق، ولا بالحدوث، ولا بالقدم، ولا بالوجوب، ولا بالامكان، فاذا وصف به الحق فهو حق؛ وإذا وصف به القديم فهو قديم، وإذا وصف به الحادث فهو حادث، وهكذا وأما وجه تسميته بالعما فلأن العما فى اللغة السحاب الرقيق، ورد فى الخبر، كان ربنا فى عماء مافوقه هواء، وماتحته هواء، يعني لاصفة حق، ولا صفة خلق، على أن ما نافية، ويصح أن تكون ما موصولة، أي الذي تحته هواء؛ وفوقه هواء، بمعني أنه يصلح أن يكون حقا، وأن يكون خلقا، فالعما مقابل للأحدية ولا يصح أن يكون العما هو الأحديه لأن الأحدية حكم الذات فى الذات بمقتضى التعالي وهو البطون الذاتي الأحدي والعما حكم الذات بمقتضى الاطلاق، فلا يفهم منه تعال ولا تدان فالأحدية صرافة الذات بحكم التجلي، والعما صرافة الذات بحكم الاستتار، فالعما هو الممكنات

والظاهر فيها هو الحق والعما هو الحق وسمي الحق لأنه عين نفس الرحمن والنفس مبطون فى المتنفس ، بمعني أنه باطن المتنفس فظهر ، فالعما هو الاسم الظاهر وأما وجه تسميته بالنور فلأنه ورد ، أول ما خلق الله نور نبيك ياجابر ، والنور نوران ، نور الحق وهو الغيب المطلق القديم ، ونور العالم المحدث وهو نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي خلقه الله من نوره ، وخلق كل شيء منه ، فهو كل شيء من حيث الماهية ، وكل شيء غيره من حيث الصورة ، كما أنه هو نور الحق من حيث الماهية وغير نور الحق من حيث الصورة ، وورد فى بعض الأخبار ، أنا من ربي والمؤمنون مني ، وإنما خص المؤمنين للتشريف وإلا فكل الخلق منه مؤمنهم وكافرهم ، ولهذا كان الكمّل يشهدونه فى كل شيء على الدوام حتى قال المرسي رضي الله عنه ، لو احتجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ماعددت نفسي من المسلمين ، فالمراد بعدم الاحتجاب دوام شهود سريان حقيقته فى العالم كله لاشخصه الشريف ، وإني أيام مجاورتي بالمدينة المشرفة كنت ليلة فى صلاة الوتر قرب الحجرة الشريفة ، فطرأ عليّ حال فسالت دموعي واشتعلت نار محبة رؤيته صلى الله عليه وسلم فى قلبي ، فقال لي فى الحين ألست تراني فى كل شيء ، فحمدت الله ولايفهم مما ذكرناه حلول ولا تجزية ، ولا جزئية فان معنى ايقاد السراج من نور سراج آخر أن الأول أثر فى الثاني فظهر الثاني على صورة الأول بل الثاني عين الأول ظهر فى فتيلة ثانية من غير انتقال عن الأول ، وهذا غاية ما قدر عليه أهل الوجدان فى التفهيم فافهم السر واحذر الغلط ، وإذا عرفت فاحمد الله ، والا آمن به على مراد أهله وذوقهم فانهم الفرقة الناجية وأما وجه تسميته بمرآة الحق فلأن الحق تعالى رأى نفسه فيها إذ

الحق شاء أن يرى ذاته فى صورة كون جامع ، فظهر بذاته فى الحقيقة المحمدية، وقدّر الصور كلها فيها كما هي في علمه فقامت له نفسه فى صورة المغايرة، مقام المرآة من غير انفصال ولا تعداد، لأن الصورة فى المرآة ليست الا صورة الناظر فيها ، المتوجه عليها، وليست هي صورة الناظر بعينها، فلما نظر الحق اليها ظهر كل ما في الصورة الالهية فى تلك المرآة التي هي نفس الحق فى الحقيقة، والحقيقة المحمدية فى الخلق الأول، وحقايق العالم فى حضرة التفصيل، فنظر الحق فيها فرأى نفسه ظاهرا فيها بجميع معلوماته من غير حلول ولا اتحاد فخاطب معلوماته التي كساها حلة وجوده، بكن، فكانت لا نفسها وفى الحقيقة ماخاطب إلا نفسه بنفسه ، وأما وجه تسميته بمرآة الكون فلأن الأكوان وأحكامها وأوصافها لم تظهر الا فيه، وهو مختف بظهورها كما تختفي المرآة بظهور الصور فيها وأما وجه تسميته بالظل الأول فلأنه هو الظاهر بتعينات الأعيان الممكنة وأحكامها ، التي هي معدومات ظهرت بما نسب اليها من الوجود فستر ظلمة عدمها ، النور الظاهر بصورها ، وصار ظلا لظهور الظل بالنور وعدميته فى نفسه قال تعالى ، ألم تر الى ربك كيف مد الظل ، أي بسط الوجود على الممكنات وأما وجه تسميته بمجمع البحرين فلأنه مجمع بحري الوجوب والامكان ، أو باعتبار اجتماع الأسماء الالهية والحقائق الكونية فيه وأما وجه تسميته بالمادة الأولى أى هيولي الكل فلأنه أول مخلوق تعين فى الحضرة الغيبية وتفصل منه جميع ما فى العالم الكبير والصغير ، من جليل وحقير، فهي هيولي العالم أي المادة المتقدمة على الموجودات، التي هي موجودة فى كل الموجودات ، ولا تخلو عنها صورة فى العالم كما تقول الفلاسفة فى الهيولي وهي الجوهر الذي

تتركب منه الأجسام عندهم لأن الله خلق الأشياء ، منها ما خلقه من غير سبب متقدم عليه في الايجاد وليس الا المادة الأولى التي ظهرت عن حضرة اللائقين وجعلها سببا لجميع المخلوقات وأما وجه تسميته بظاهر الوجود فلأن الوجود منقسم بالاعتبار الى ظاهر وباطن، فباطن الوجود هو الغيب المطلق الذي لا يسمى ولا يوصف ، وأما ظاهر الوجود فهو ظهور الوجود الحق باعيان الممكنات ،أعني أحكامها وصفاتها، وهو الوجود الاضافي أي المضاف الى الممكنات ، وأما وجه تسميته بالعرش الذي استوى عليه الرحمن فلأنه مظهر لجميع الأسماء من جلال وجمال، فاستوى عليه كما يعلم لا كما نعلم نحن ، ولأن العرش محيط بالعالم في قول ، أو هو جملة العالم في قول ، والمخلوق الأول وهو الحقيقة المحمدية يشبه العرش في وجه الاحاطة وقد ورد في خبر، أول ما خلق الله العرش ، وأما وجه تسميته بمركز الدائرة ، فالمراد بالدائرة الأكوان كلها، والمركز هو القطب الذى تدور عليه كقطب الرحي الذي هو ماسك لها،ولولا استقامته مااستقامت على وزن واحد. فلأنهم نظروا الى كل خط يخرج من النقطة الى المحيط ،فالنقطة هي محط فخذ البيكار الأول، والمحيط هو محط فخذ البيكار الثاني ، وله شعبتان لحمل المداد التي تكون عنه صورة الدائرة لكنه لا يدور الا على الفخذ الأول الراكز على أمر واحد من غير استدارة ولا مداد فيه ، لكنه يمد ما فيه المداد بالاستقامة على حركته الدورية فلهذا يخرج كل خط مساويا لصاحبه الذى قبله والذى بعده، لأن الدائرة كلها نقط وخطوط متصل بعضها ببعض ، فنقطة المركز تقابل كل نقطة من نقط الدائرة بكلها ، وكل نقطة من نقط الدائرة هي عين نقطة المركز باعتبار انفرادها ومقابلتها اياها، فهي محيطة بكل نقطة من هذا الوجه

وليست هي نقطة من نقط الدائرة باعتبار استدارتها واتصالها بما قبلها وبما بعدها، فهي في هذا الوجه مغايرة لكل نقطة فاعتبر ذلك في الحق تعالى فالدائرة دائرة الأكوان واتصال بعضها ببعض، والمركز إشارة الى سكون الأمر وهو الحقيقة المحمدية تحت القضاء والقدر، وتنفيذ ما أراد الله بعباده، وأما وجه تسميته بالوصل فلأنه يصل الأشياء الكثيرة بعضها ببعض حتى تتحد، ولأنه الواصل بين البطون والظهور، وأما وجه تسميته بواسطة الفيض والمدد فلأنه هو الرابط بين الحق والخلق بمناسبته للطرفين، فله وجهان هو في أحدهما حق، وفي الآخر خلق. وأما وجه تسميته بنفس الرحمن فلكونه شبيها بالنفس الخارج في الجوف المختلف بصورة الحروف مع كونه هواء ساذجا في ذاته ونظرا الى الغاية التي هي ترويح الأسماء الداخلة تحت الاسم الرحمن عن كربها وهو كمون الأشياء وكونها بالقوة كترويح الانسان بالنفس وكذا الحقايق الكونية لانعدام أعيانها واستهلاك الجميع، أعني النسب والشؤون الآلهية والكونية في الوحدة الذاتية، وأما وجه تسميته بالفيض الأول، فلأن الحق تعالى أبرزه من حضرته قبل كل شيء وأفاضه على عين كل شيء، فظهر كل شيء ممتدا منه بسبب فيضانه عليه، وحملهم على هذه التسمية أنهم رأوا الأجسام بيوتا مظلمة فاذا غشيها نور الحقيقة المحمديه أشرقت وأضاءت بالأنوار الفاضية من هذه الحضرة التي هي من حضرات الحق تعالى، وأما وجه تسميته بالدرة البيضاء فلأنه محل تجلي الحقيقة الآلهية والتجلي في الشيء الصافي الذي ماخالطه شيء من الأدناس أقوى وأرقى مايكون، وقد ورد في خبر، أول ماخلق الله درة بيضاء. الحديث بطوله وأما وجه تسميته بمرآة الحضرتين، فلأنه محل ظهور حضرة الوجوب بظهور

الأسماء والصفات جميعها فيه ومحل ظهور حضرة الامكان بظهور الممكنات، كلها صورها وأوصافها وأحكامها فيه، فهو مرآة لعين الذاتَ ولما تعين فيها وبها، ونسبة ما تعين لما لم يتعين نسبة ما يتناهى الى ما لا يتناهى ، وأما وجه تسميته بالمعلم الأول فباعتبار أنه أول موجود ظهر فى الغيب باعتبار نشأته الباطنة ، وهو الروح الكل وأول معلم ظهر فى الارشاد باعتبار نشأته الظاهرة، فعلّم الملائكة الأسماء كلها وما علم الأسماء الا من نفسه بأن كشف الحق له عن ذاته فوجدها مجموع الأسماء، فالحقيقة المحمدية مجموعة صورة آدم الظاهرة والباطنة

وإني وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معني شاهد بأبوتي

وأما وجه تسميته بالامام المبين، فلأنه فصّل الموجودات وبيّن أعيانها بظهوره فيها ، كما بيّن الحبر الحروف والكلمات، وأما وجه تسميته بالروح الكل ، فلأنه مشتق من الريح وحكمة المناسبة أن الريح ليست له صورة يعرف بها الاّ من حيث مروره على الأشياء فيحركها، وكذلك الروح يهب فى مطلع الأحدية الي مرتبة الأسماء والصفات، فيحمل منها العلوم والأسرار وينزل الي عالم العناصر والصور والأعيان المفصلة فيحركها على حسب قوابلها واستعداداتها، وينفذ الروح فيها ذلك على حسب مراد الله تعالى إذ هو أمر الله القائم على جميع الخلق كلمح البصر ، والروح يتردد دائما بين شعائه أي أثر نوره الصادر عنه كصدور الشعاع الصادر من قرص الشمس ، والمراد بالشعاع الصادر عن الروح العقل والنفس وسائر القوى الروحانية ، وبين ضيائه أي نوره الكلّي الذي هو الأصل كقرص الشمس والمراد به هنا وجود الحق المحيط بالروح الكل، فلذلك نقول الروح له وجهان، وجه الي

أصله وهو الحق، ووجه الى فرعه وهو الخلق، فيأخذ الأمر من الحق، ويكتبه بقلم العقل فى لوح النفس، فتقرأه الأعضاء أقوالا وأعمالا، وانما قيل فيه كلّي لأنه قائم على جميع الصور ومحيط بها، فأهل الله ينظرون بعلمهم فيجدون العالم كله أرواحا مقدسة، وأسرارا مستترة، وأما وجه تسميته ببرزخ البرازخ فلأنه لا يغاير حقيقة الواجب، ولا الممكن فهو جامع بين الطرفين إذ حقيقة البرزخ أنه الحاجز بين الشيئين، لا يكون عين واحد منهما ولا غيرهما، ولا يكون الا معقولا فاذا كان محسوسا فليس ببرزخ وهو الخيال، وهو الوهم، وهو الذي تصير اليه الأرواح بعد الموت، فالكلم ثلاث، كلمة جامعة لحروف العقل والتأثير التى هي حقائق الوجوب، وكلمة جامعة لحروف الإنفعال والتأثر، وهي حقيقة العالم، وكلمة جامعة بينهما، فاعلة منفعلة، متأثرة مؤثرة، وهي هذه الحقيقة الكلية، وأما وجه تسميته بالوجود الساري فلأنه لولا سريان الوجود الحق فى الموجودات بالصورة التي هي منه، وهي الحقيقة المحمدية ما كان للعالم ظهور، ولا صح وجود لموجود، لبعد المناسبة وعدم الارتباط، فما صح نسبة الوجود للموجودات الاّ بواسطة هذه الحقيقة: وأما وجه تسميته بالانسان الكامل فلأن كل إنسان كامل من حيث صورته الظاهرة والباطنة، مظهر له وللوازمه وأما وجه تسميته بالخزانة الجامعة فلأنه كناية عن علم الله تعالى بأسمائه وبحقائق العالم، فكل ماخرج من الغيب فمحله هذه الخزانة الجامعة، وأما وجه تسميته بالصورة الرحمانية فلأنها الصورة الظاهرة لذاتها، الحاصلة فى الاجتماع الأول الاسمائي فهي صورة الرحمن، لأن مدلوله من له الرحمة العامة ولا شيء كذلك الاّ هذه الصورة، فالرحمن إسم لهذه الصورة الوجودية من حيث ظهوره لنفسه، كما أن الله

تعالى من حيث أنه مشتق، لا من حيث أنه مرتجل، إسم لرتبة الألوهية الجامعة للحقائق، ويكفي هذا القدر من ذكر أسماء هذه الحقيقة المحمدية لمن فهم فانها بحر لا ساحل له، ولهذا ورد في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم، لا يعلم حقيقتي غير ربي، وقال العارف الكبير، أعجز الخلائق، فلم يدركه منا سابق، ولا لاحق، يعني العلم بحقيقته

(الموقف التسعون)

قال تعالى، وإن الله قد أحاط بكل شيء علما، اعلم أنه ما كان جهل الا بسبب التمايز، ولا كان علم الا بسبب الاتحاد، فكلما كثر ما به التمايز عظم الجهل، وكلما كثر ما به الاتحاد عظم العلم، وإذا انتفى التمايز رأسا انتفى الجهل رأسا، وليس هذا إلا للحق تعالي فانه ما علم الأشياء علما كاملا بحيث لا تتصور فيه شائبة جهل، الا من علمها من ذاته بذاته لا بصفته ولا من غيره وليس ذلك إلا هو تعالي فانه لما علم ذاته علم الأشياء من علمه بذاته، وعلم عين ذاته أعني باطن العلم لا ظاهر العلم، والحق تعالى من حيث الذات الغيب المطلق، ليس داخلا في الأشياء فلا تطلق عليه الشيئية في مرتبة إطلاقه، حتى يحيط به علم غيره أوعلمه أعني ظاهر العلم فان حقيقة الشيء هو ما يصح أن يعلم ويخبر عنه، والحق تعالى من حيث الذات والكنه والاطلاق لا يصح أن يعلم ولا أن يخبر عنه، فان الذات لا تعلم لأطلاقها ولو علم المطلق لانقلبت حقيقته، وقلب الحقايق محال، فالمطلق إذا علم ليس ذلك العلم علما بحقيقته وإنما هو علم بوجوهه واعتباراته لاغير، فالحق تعالى يعلم ذاته ولا يحيط بها، أعني بالذات الغيب المطلق، وأعني بالعلم ظاهر العلم، فانه أتى بالاسم الله الذي هو إسم لمرتبة الألوهية، أعني الله المشتق لا المرتجل، ولا نقص

فى هـذا بل عين الـكمال والتنزيه ، وأما مرتبة التقييد التي تعلم ولا تشهـد خلاف الذات فهي مرتبة الا لوهية ، فانه يعلم ذاته المقيدة بصفات الا لوهية ويحيط بها علما ، بمعنى أنه يعلم وجود ذاته المطلقـة واعتباراتها لاحقيقتها ، وهو فى هذه المرتبة داخل فى الأشياء التي أحاط بها علمه ، وهي المسماة بظاهر الوجود وبالأسامي الـكثيرة ، وكل مادخل الوجود فهومتناه تصح الاحاطة به ، وفى هذه المرتبة دخل فى الأشياء واليه الاشارة بقوله تعالي ، قل أي شيء أكبر شهـادة قل الله ، فمن عرف هـذا الموقف حق المعرفة ، زالت عنه إشكالات كثيرة فى عدة مسائل أكثر الناس الخوض فيها ، وكذا موقف ، إلا أنه بكل شيء محيط السابق فالعـلم حقيقة واحـدة لاتتجزأ ولا تتعدد وكل معلوم له حقيقة واحدة ، فما يعلم من كل معلوم إلا الوجوه والاعتبارات ، فتعدد العلم ونسبة الـكثرة اليه إنمـا هو بحسبها لاغير ، فاذا تعلق علم زيد مثلا بعشرين وجها لحقيقة من الحقايق ،وتعلق علم عمرو بعشرة يقال علم زيد أكثر من علم عمرو ، والحدود الموضوعة للأشياء إنما هي وجوه لها واعتبارات ولوازم ، فلا تعلم الحقائق بالحدود فافهم ترشد والسلام

(الموقف الواحد والتسعون)

قال تعالى ، وما أمرنا الا واحدة ، أمر الله تعالى هو كلمتـه الـكلية وهو الصورة الرحمانية التي استوى بها على العرش ، فهي فى العرش واحدة كما قال ، وما أمرنا إلا واحـدة ، يعني كلمة واحـدة جامعة لجميع الحروف والـكلمات ، لأنها السارية فى كل حرف وكلمة ، ثم لما تنزلت هذه الـكلمة الي الـكرسي صارت كلمتين بمعنى ذات صـفتين متقابلتين مزدوجتين ، وهما المكني عنها بالقدمين أعني الصفتين المتقابلتين حق وخلق ، خبر وحكم ،

وظهرت الزوجية بعد أن كانت الكلمة واحدة فى العرش ، إذ الكرسي زوج للعرش ، ومن الكرسي ظهر التعدد والمقابلة فى كل الأشياء حتى فى الأسماء الآلهية ، قابض وباسط ، ومعطي ومانع ، ومحي ومميت ، والمسمى واحد ، كما كان حسن وقبيح ، وطاعة ومعصية ، وخير وشر ، وصحة وفساد ، وحق وباطل ، وقيل (١) الكرسي ليس الا شيء واحد كله حق ، وحسن وخير ، فأصل القدمين عبارة عن الأسماء المتضادة المخصوصة بالذات وأسماء الذات المتضادات لها آثار فى المخلوقات ، فقد يراد بالقدمين هما معا الصفات الذاتية المتضادة وآثارها وقد تخص المتضادات ، من أسماء الأفعال لأن الصفات الذاتية فوق أسماء الأفعال وقد ورد فى خبر ، رده علماء الظاهر ورسموه بالوضع ، حيث أنهم ماوجدوا له تأويلا حتى تقبله عقولهم وقبله الساده العارفون بالله وهو ، رأيت ربي فى صورة شاب أمرد له وفرة ، وعلى وجهه فراش من ذهب ، وفى رجليه نعلان من ذهب ، الحديث

(الموقف الثاني والتسعون)

قال تعالى ، واذكر ربك إذا نسيت ، الذكر المأمورية ههنا هو ذكر القلب لاذكر اللسان فانه جعله ضداً للنسيان ، والنسيان محله القلب فقط لأن شرط الضدين اتحاد محلهما وذكر اللسان ضده الصمت عن الذكر وذكر القلب المأمور به هو استحضار صورة العلم بالله الذي حصل له ، كلما غفل جدد ذكرها فى قلبه ولا تضره غفلته فان العلم له الثبوت بخلاف الايمان فانه قد يزول فاذا زال الايمان الذي هو سبب السعادة خلف السعادة ضدها وهي الشقاوة ، وأما العلم فانه لايزول ولا تؤثر فيه الغفلات فانه لا يلزم العالم الحضور

---

(١) لعله قبل

مع علمه فى كل نفس لأنه وال مشغول بتدبير ماولاَّه الله عليه فيغفل عن كونه عالما بالله تعالي، ولا يخرجه ذلك عن نعته بأنه عالم بالله تعالى مع وجود الضد فى المحل من غفلة أونوم ، فانه لاجهل بعد علم وأعني بالعلم علم القوم رضوان الله عليهم الحاصل من التجليات الربانية، والالهامات الروحانية ، وأما العلم الحاصل عن النظر العقلي بالأدلة الفكرية ، فمثل هذا لايسمى عند القوم علما لتطرف الشبه على صاحبه فينقلب الدليل عنده شبهة، وقد تكون الشبهة عنده دليلا ، وإن وافق العلم فالعلم الحقيقي باسم العلم مالايقبل صاحبه الشبه ولا يطرأ عليه تغيير ، وليس ذلك الاّ علم الأذواق الحاصل بالتجليات، وليست الغفلات خاصة بالأصاغر ، بل تكون حتى للأكابر ، فهي عامة فى بني آدم حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولكن العارفين بالله متفاوتون فى زمان الغفلات بحسب مقاماتهم ، وانظر قوله صلى الله عليه وسلم أنه ليغان على قلبي الحديث فانه صلى الله عليه وسلم ، كان مكلفا بأعباء الرسالة وخطاب الناس على قدر عقولهم ومراتبهم ، وتبليغ الشرائع اليهم ، وهذا وإن كان من أعظم القربات ، وأجل العبادات ، فليس هو كخلوته بربه وانقطاعه اليه ، ولهذا قيل الولاية أفضل من الرسالة ، يريدون ولاية الرسول أفضل من رسالته ، لا الولاية مطلقا لأن ولايته هي وجهه الى الله تعالى ولها يقول صلى الله عليه وسلم ، لي وقت مع الله لايسعني فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، وأما رسالته فهي وجهه الى الخلق ولها يقول صلى الله عليه وسلم أنه ليغان على قلبي فالمشاهدة ثابتة له صلى الله عليه وسلم فى جميع أحواله كما قالت عائشة رضي الله عنها فى وصفه صلى الله عليه وسلم أنه كان يذكر الله فى جميع أحيانه ولكن المشاهدة تختلف أنواعها ، والقلب وإن كان أمره عظيما وخطره جسيما وكان لا أوسع

منه ، فكذلك هو لا أضيق منه ، إماوسعه فانه وسع الحق تعالى كما قال تعالى ، ماوسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن ، وأما ضيقه فانه لا يقدر على الجمع بين شيئين فى الآن الواحد ، وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا ، عسى من الله واجبة ؛ والمراد أنه تعالى يرفعه الى مقام أعلى مما كان فيه فى الوقت أو ينقله من تدبير هذه النشئة الطبيعية العنصرية الى قضاء الحضور مع الله على الدوام أو الى نشأة تجامع الحضور مع الله دائما كنشأة الملائكة عليهم الصلاة والسلام

(الموقف الثالث والتسعون)

قال تعالى ، إنّا كل شيء خلقناه بقدر ؛ اعلم أن الشيئية شيئيتان شيئية ثبوت ، وشيئية وجود ، فشيئية الوجود حادثة وهى المراد المعنية فى قوله تعالى ، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ؛ أي موجودا ، وشيئية الثبوت هي عبارة عن استعداد الممكن وقبوله للظهور بالوجود الحق وظهور الوجود الحق به ، فانه لولا قبوله ما حصل ماحصل . الا ترى المحال لما لم يكن له استعداد ولا قبول للمظهرية ولا للظهور ما كان له وجود وهذا الاستعداد والقبول للممكن قديم غير مجعول فما تعلق به أثر للقدرة القديمة كما أن العدم السابق على الوجود ليس من أثر القدرة القديمة فشيئية الثبوت قديمة وهي المرادة والمخاطبة ، بقوله إنما قلنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ؛ كان المأمور ثابتا معدوما فسمع الخطاب فامتثل الأمر بالكون فكان ، فما اثبت الحق تعالى لنفسه الا الأمر بالكون وأما الكون فمن الشيء المأمور لنفسه إذ أمر المعدوم الصرف الذي لا ثبوت له ولا استعداد للكون ، وخطابه بالكون محال لا سيما من الحكيم العليم فمتعلق الامر والحدوث والخلق والتكوين إنما هو الصورة

وهي الهيئة الاجتماعية الحاصلة من اجتماع الأسماء فمعني كن أقبل اتصافك بوجودي وظهوري بك فتكون مظهر الي لا أنك تكون موجودا ، فالأمر والمأمور والآمر واحد عندالتحقق والتغاير بينهما اعتباري ليس بشيء زائد على الهيئة الاجتماعية للأسماء الآلهية التي تلك العين الثابتة صورتها العلمية، فالتكوين عين المكون اسم مفعول ،وعين المكون اسم فاعل، فالحق تعالى اذ توجه توجها خاصا العين من الأعيان الثابته التي قلنا أنها صور الأسماء الآلهية للايجاد بمعني المظهرية للوجود الحق، وتوجهه تعالى عينه وعين ماتوجه اليه ، انصبغ الوجود الحق بأحوال تلك العين الثابتة وبما لها من الاستعداد للصفات التي تعرض لها حالا بعد حال الي الأبد فيظهر الوجود الحق منصبغا بصفاتها والعين نفسها باقية فى العدم والثبوت ، وتنصبغ تلك العين بالوجود الحق صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة فيحصل لها الشعور بنفسها ، وعند ما حصل لها الشعور بنفسها نظرت فى مرآة الوجود الحق ، الذي هو نور السموات والأرض ،ونور كل شيء فنظرت نفسها في النور فظنت أن الذي رأته فى مرآة الوجود من صورتها شيء آخر ، وإنها حصلت على وجود خارجي غير الوجود العلمي ،وليس الأمر كذلك وإنما الذي رأته وظنته وجودا خارجيا هو الوجود الحق الظاهر بأحكامها واستعداداتها ، وأماهي فما شمت رائحة الوجود أزلا وأبدا ، كان الله ولا شيء معه ، أي الله موجود ولا شيء معه فى الوجود أزلا وأبدا ، اذ حد الأعيان الثابتة إذا حدها من حدها هي حقائق الممكنات في العلم الآلهي، ويسميها المتكلمون الماهيات، كما يسميها أهل الله أيضا الاستعدادات والحقايق العلمية، فلو كان لها وجود خارج العلم لانقلبت حقيقتها وقلب الحقايق محال، فحقيقة كل شيء أي شيء كان، هي نسبة معلوميته

فى علم الحق تعالى من حيث أن علمه عين ذاته ، فافهم الأمر على أصله ، وأكتمه إلاّ من أهله ، المستعدين لقبوله ، المتهيئين لتحصيله ، وإن خالفت ندمت ، إذ ما كل مايعلم يقال وأنهم يكذبونك ، ولا يمكنك إقامة دليل على صدق دعواك ، فان الأمور الوحدانية لايمكن حدها ، ولا إقامة دليل عليها ، حتى فى الأمور العادية العامه فى الخلق ، كالفرح والغم ، والخوف والخشوع ، ونحوها فلا يمكن توصيلها الى الغير أبدا ، ولا سبيل لها إلا الذوق ، وإذا أخذها المؤمن بحسن ظنه بالمخبر ، يحصل له فرقان بينه وبين الجاهل بها ، ولكن لامثل ذوقها

(الموقف الرابع والتسعون)

قال تعالى ، وإنا لموفّوهم نصيبهم غير منقوص ، نصيب كل مخلوق وهو مقتضى حقيقته واستعداده الذي لا يزاد عليه ولا ينقص منه ، وهو معنى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، ولكل مخلوق استعداد هو نصيبه من الحق تعالى ولا يشبه إستعدادا آخر من كل وجه أبدا ، وسبب هذا الاختلاف هو الوجه الخاص الذى لكل مخلوق من الحق تعالى ، فان لكل مخلوق حتى الذرة إسما خاصا لا يشاركه فيه غيره من سائر المخلوقات ، وهو فى الحقيقة حقيقة ذلك المخلوق ، إذ ما تميز عن سائر المخلوقات ، الآية ، والله واسع عليم ، فلا تكرار فى الوجود أبدا فالاستعداد هو الطالب المجاب ، والداعي الذى لا يرد دعاؤه وهو المراد بقوله ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، إن كان المراد الاجابة بالمطلوب قال في الداعي للعهد ، وهو الداعي الذى يقبل دعاؤه ولا بد وليس ذلك إلا الاستعداد فالاستعداد مجاب وافقه اللسان أو خالفه ، أولا وافقه ولا خالفه ، وهو معني ماورد فى الصحيح ، كل ميسر لما خلق له ، فوجه القصار مثلا استعداده السواد

عند مقابلة الشمس وهو نصيبه من الحق تعالى ، فلابد أن يسوده سأله بلسانه أو لم يسأله ولو سأل البياض ماأجيب على سبيل الفرض ، وإلا فهو لا يسأل البياض فلا يسأل إلا السواد لأنه حقيقته ومقتضي ذاته،ولا يمكن للشيء أن يقول يارب اجعلني غير أنا فانه محال والشقة بيد القصار ، كذلك نصيبها من الحق تعالى البياض ، وهو استعدادها وحقيقتها كما قلنا فى القصار سواء ، أما إجابة الحق تعالى لكل داع إذا قال يارب بقوله لبيك ، أو تعويضه أمرا آخر مما دعا به كماورد فى الاخبار فما هومقصود الداعي وكلامنافى مطلوب الداعي بعينه فهو الذي قلنا لا يحصل الا بالاستعداد ، فدعاء اللسان مجردا عن الاستعداد لا أثر له فى الاجابة بالمطلوب البتة ، كيف يكون الدعاء اللاحق ، سببا فى القضاء السابق ، والسبب لابد أن يكون موجودا قبل المسبب عنه ضرورة ، فما أمر الحق تعالى عباده بالدعاء وجعله الشارع صلى الله عليه وسلم ، مخ العبادة إلا تعبدا واظهارا للفاقة والحاجة التي هي صفة ذاتية لكل ممكن،فربما غفل الممكن عن صفة ذاته لعوارض تعرض له فيكون الدعاء مذكرا له بأصله ، قال فى الحكم العطائية ، الدعاء كله معلول مدخول ، الا ما كان بنية التعبد والتقرب ، فهو مقبول ، ونحن نقول الحق تعالي ، علم الأشياء أزلا علي ما تكون عليه أبدا بشرط ، أو سبب ، أو أسباب ، أو شروط ، أو بغير ذلك وهذا لا يقدح فيما قلنا ، اذ السببية الحقيقية أنما هي منه تعالى ويرجع ذلك الي الاستعداد الذي عليه الأعيان الثابتة كما ورد ، من القضاء رد القضاء بالدعاء ، وهذه من مقامات الحيرة أمرنا بالدعاء فان دعونا يقول لنا لم تدعون ، جفت الاقلام وطويت الصحف ، تدعون أو لا تدعون لا يكون الا ما سبق ، وان لم ندع توعدنا وتهددنا ، قل ما يعبأ

بكم ربي لولا دعاؤكم ، وقال إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم وآخرين ، قيل المراد بالعبادة هنا الدعاء ورضي الله تعالى عن الشيخ الأكبر إذ يقول ، يشير الى ما قلناه من الحيرة

اذا قلت يا ألله قال لما تدعو ‏ ‏ ‏ ‏ وإن أنا لم أدعو يقول ألا تدعو

لقد فاز باللذات من كان أخرسا ‏ ‏ ‏ ‏ وخصص بالراحات من لا له سمع

وهذه الحالة من سر القدر الذي لا يطلع عليه الا النادر الفرد ، وأما القدر نفسه فما علمت هل يطلع عليه أحد أولا ، وقد سألت الله تعالى أن يجمعني بواحد من أكابر العارفين حتي أسأله عن مسائل فالقى عليّ في الحال ، أليس العارف مظهرا وواسطة من جملة الوسائط التي أوصل بها العلم الى من شئت ، فقلت بلى ، فقال ، الواسطة ما هي محصورة في العارف ، اسألني العلم أعلمك كيف شئت وبمن شئت ، وإذا ما علمتك فاعرف أنه ليس من نصيبك ولا لك استعداد لقبوله ، ولو أعطيتك على الفرض ما قبلته ولرددته ، فانه لا أمنع عن بخل ، ولكن علما وحكمة ، فلست أنا المانع بل أنت لعدم قبولك واستعدادك

(الموقف الخامس والتسعون)

قال تعالى ، إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلاجناح عليه أن يطوف بهما ، المعني بطريق الاشارة والمفهوم بحاله للعموم ، الصفا ، بمعنى تصفية النفس حتى يزول شرها وجماحها الى الصفات الذميمة ، والأخلاق اللئيمة ، وهو المسمى بالمجاهدة والرياضة ، فالمجاهدة بالأفعال الظاهرة ، والرياضة بالأمور الباطنة ، أي ارتياض النفس وتركها للصفات البهيمية المرذولة شرعا وطبعا ، وهي التي سماها صاحب أحياء علوم الدين ،

بالمهلكات ، كالحسد ، والغضب ، والريا ، والسمعة ، والكبر ، والبخل ، ونحوها وليس المراد اعدام هذه الصفات ونحوها بالكلية بحيث لا يبقى لها أثر فانه محال ، إذ حقيقة الانسان معجونة بهذه الصفات ، وقلب الحقائق محال ، ومن اعتقد محوها رأسا من أهل الرياضات والمجاهدات فقد غلط ، وكنا نقول بهذا تقليدا لمن قال به ، ولما أطلعنا على حقيقة الأمر رجعنا إذ لو انعدم الحسد مثلا ما كان تنافس في الفضائل ومحاسن الخلال ، ولو انعدم الغضب ما كان جهاد ولا تغيير منكر ، ولو انعدم بذل المال ما كان الذي يقول بما له هكذا وهكذا في عباد الله ، وكالكذب في الحرب ونحو هذا ، وإنما المراد تذليل النفس وقمعها على الاسترسال وقهرها ، حتى تكون تحت حكم الشرع واشارة العقل ، فان الخصال المذمومة لها مصارف عيّنها الشارع لتصرف فيها ، ومواطن عيّنها لها فما تبقى معطلة فما هي مذمومة مطلقا ، وإنما هي مذمومة في موطن وحال ، محمودة في موطن وحال ، ولما كانت الصفات تبدل مصارفها لا هي ، قال سيدنا في الفتوحات ، باب التوبة ، باب ترك التوبة ، الرجا ترك الرجا ، الخوف ترك الخوف ، ونحو ذلك فحمدها وذمها تابع للشرع والعقل واليه الاشارة بقوله تعالى ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين ، فالهوى ميل النفس الى ما يلائمها وما كل ما يلائمها مذموم بل منه مذموم ومحمود ، فالمذموم منه هو الذي يكون بغير هدى من الله ، أى بغير هداية وتعيين من الشارع ، والمحمود هو الذى يكون بهداية الشارع ودلالته وإشارته وهى المصارف التي عيّنها الشارع ، فالحسد مثلا مذموم وقد عيّن الشارع مصرفه فقال ، لا حسد إلاّ في اثنتين ، رجل أعطاه الله مالا فسلطه

على هلكته فى الحق ، ورجل أتاه الله حكمة فهو يعمل بها ويعلّمها الناس وكذا الحرص مذموم ، وعيّن الشارع مصرفه وهو الحرص على أفعال الخير لئلا تفوته ، قال عليه الصلاة والسلام ، للذي خاف فوات الجماعة فاسرع ، زادك الله حرصا ولا تعد ، وكذا الغلظة والفظاظة فانها مذمومة ، وعيّن الشارع لها مصرفا ، فقال تعالى ، وجاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ، وكالغضب فانه مذموم ، وعيّن الشارع مصرفه فى الجهاد وتغيير المنكر ، كان صلي الله عليه وسلم لا يغضب لنفسه ، فاذا انتهك من محارم الله شيء لم يقم لغضبه شيء ، وكالريا فانه مذموم ، وقد عيّن الشارع مصرفه وهو مرآة الله بأن يعمل ليراه الله فانه مشتق من الرؤية ، فمثل الريا السمعة وقس على هذا ، وكذا الخصال المحمودة هي مذمومة فى بعض المواطن والأحوال كالصدق فى القول ، مثلا فانه مذموم فى بعض المواطن قال تعالى ، ليسأل الصادقين عن صدقهم ، شبه الغيبة والنميمة ومدح الانسان نفسه بقصد الترفّع والنصيحة فى الملأ فانها مذمومة وكذا من يجبه الناس فى وجوههم بما يكرهون فانه مذموم ، ولو كان حقا ، وقس على هذا ، والشارع هو الميزان من مسكه فى يده لا يظلم ولا يظلم ، ووقوف النفس عند ماحده الشرع والعقل عسير جدا ، إنما يحصل بتذليل النفس وحملها على مكروهها حتى تطمئن وتنقاد وتستسلم من غير منازعة ، وقوله والمروّة بينها وبين المروءة مناسبة فى الاشتقاق إذ المروة الحجارة البيضاء والمروءة بياض العرض والاتصاف بالمحامد ، يقال أبيض العرض إذا كان ذا مروءة ، والمراد تحلية النفس وتزيينها وتبييضها بمكارم الأخلاق ومحاسن الخلال ، وجماعها حسن الخلق ، قال صلى الله عليه وسلم إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وهي التي سمّاها صاحب

أحياء علوم الدين بالمنجيات وهي أضداد المهلكات قوله من شعائر الله ، أي من دين الله المعروف عند الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم فمن حج البيت قصد معرفة الله تعالى والقرب منه برفع الحجب عن عين بصيرته ، أو اعتمر قصد الأجور والدرجات الجنانية والدخول في زمرة الصالحين أهل السجادة والمحراب ، فانه قال تعالى ، وذلك جزاء من تزكى ، بعد قوله فأولئك لهم الدرجات العلى ، والقصد الى معرفة الله تعالي بالكشف والعيان فرض عين كالقصد الى الحج ، والقصد الى الجنة ، والدرجات كالقصد الى سنة العمرة ، فهي دونه بل من قدم الاحرام بالعمرة قبل الحج في أشهر الحج ، لزمه هدى عقوبة له حيث آخر ما هو الأهم الأكد ، وكذا إذا قرن بين الحج والعمرة لزمه هدى عقوبة له لأن الافراد أفضل عند بعض الأئمة وهو إشارة الى افراد القصد الى معرفة الله تعالى دون تشريك ، وأما المحرم بالعمرة في غير أشهر الحج فلا هدى عليه وفيه إشارة الي أن من كان عاجزا عن طلب الوصول الى مقامات العارفين بالله تعالي وعلومهم لعدم استعداده فهو معذور في قصد الأجور والدرجات كالذى قدم العمرة في غير أشهر الحج لعجزه عن مشاق الاحرام مع طول المدة فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، أي يجب عليه أن يطوف ويسعى بين هذين المشعرين اللذين هما أعظم أركان الطريق والسلوك الى الله تعالى ، بالتخلية والتحلية ، فهما أساس الخير للعارف والعابد ، وليس المراد كما هو الظاهر أنه لا حرج عليه في السعي بينهما بل المراد أنه يجب عليه هذا الفعل ولو كان المراد رفع الحرج عن فاعل هذا لقال ، فلا جناح عليه أن لا يفعل ، وإنما قال ، فلا جناح عليه أن يفعل ، وهذه الآية الكريمة ، ألقيت علي مع ما ذكرته فيها بالحرم المكي أيام

المجاهدة والحال غالب على صاحبه وكل إناء يرشح بما فيه

(الموقف السادس والتسعون)

قال تعالى ، قل إن الهدي هدي الله ، أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ، بالنصح لأمته ، وأن يخبر المسترشدين الطالبين الهداية الى معرفته تعالى والوصول اليها والحصول عليها ، بأن الهداية لا يشوبها شيء من الزيغ والزلل والضلال والحيرة ، هي هداية الله تعالى ، لا هداية غيره . إذ هذا التركيب في الآية مؤذن بالحصر والهدى والدلالة الى معرفته تعالى ، إما دلالة حق ، وإما دلالة خلق ، لا ثالث لهما ، فأما هداية الحق فهي الهداية الموصلة للمطلوب من غير ضلال ولا انحراف ، وليست هداية الله تعالى الا فيما جاءت به الرسل عليهم السلام من التوحيد والأوامر والنواهي ، وقبول ذلك منهم سواء قبله العقل أو لم يقبله ، فاذا عمل المؤمن على ذلك حينئذ يعلّمه الله تعالى من عنده علما ويهديه الي معرفة ما كان قبله تقليدا ، قال تعالى واتقوا الله ويعلّمكم الله ، وقال في الخضر عليه السلام ، آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علما ، وذلك بالتجليات الذوقية ، والافاضة الربانية ، فيعرفه بما أنكرته العقول مما أخبرت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، عن ربها ووصفته به ، ولا أصدق من الحق ولا أدل منه على نفسه ، وأما هداية الخلق ، فهي هداية العقول ، وهي إما أن يكون فيها زيغ أو ضلال وحيرة ، وأما أن يكون فيها خروج عن المقصود جملة واحدة ، فهي أما مهلكة وأما ناقصة ، اذ غاية معرفة العقل التنزيه عن صفات المحدثات بأنه ليس كذا وليس كذا ، وما هي هذه المعرفة المطلوبة منا ، وإنما المطلوب منا معرفة طريقة الرسل عليهم السلام بل الواجب تنزيه الحق تعالى عن معرفة العقول ، فانها حصرت الآله الحق تعالى وحدته

وحجرت عليه ، وكل محدود محصور وكل محصور مقهور ، كيف وهو تعالى القاهر فوق عباده جل أن يدخل تحت حكم عقل وتصور خيال ، فالذي ظنه العقل تنزيها هو غاية التشبيه بالمحدثات وهذا الافراط فى التنزيه العقلي ، أورث جهلا عظيما لمتبعيه ، وأوقعهم فى أبعد ما يتصور من البعد عن معرفة الله تعالى ، ومعرفة تجلياته لعباده فى الدنيا والآخرة ، على أن التنزيه لا يحتاج اليه المؤمن إلا لرد على مشبه إن كان ، فان لم يكن هناك مشبه ففيه من سوء الأدب ما فيه إذ الحق تعالى نزيه لنفسه ، وانما ينزّه من يجوز عليه ما نزه عنه وهو الحادث فحينئذ يكون للتنزيه طعم : فقال الشيخ الاكبر رضي الله عنه

فمنزه الحق المبين مجوز ما قاله فمرامه تضليل

وإذا فكر المنصف فى قول المنزه ، الآله الحق ، ليس بأعمى ، ليس بأخرس ، ليس بأصم ، ليس بعاجز ، ليس بمجبور ، علم ما في هذا من البشاعة

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل هذا السيف خير من العصا ، فالنفي لا يكون إلاّ فى ممكن الثبوت فيرد عليه النفي فينفيه ، وإذا ورد على ما ليس بممكن الثبوت ولا للرد على من يعتقده كان لغوا من الكلام ، وإن كان صدقا وليس فيما أدرك العقل من صفات الآله صفة ثبوتية بل كلها فى التحقيق صفات تنزيه ، تنفى أضدادها والحق تعالى ما نزه نفسه فى كتبه وعلى ألسنة رسله الأَّ ردا على معتقد ذلك فى الآله الحق فالآله الذي أرسل الرسل عليهم السلام ، وأمرنا بمعرفته ما هو الآله الذي عرفه العقل بنظره واكتسابه تلك المعرفة من الدلائل المأخوذة من المحسوسات ، فان علم العقل كله من الحواس لأن آله الرسل كما أنه ليس كمثله شيء ، ولا يشبه شيئا ، ولا يشبهه شيء ،

هو موصوف بأن له وجها ، ويدا ويدين وأيديا ، وعينا وأعينا ، ويمينا ، وأنه يضحك ويبشبش وينزل ، ويجيء ويهرول ، ويتردد ، وانه مستو على العرش ، وأنه في السماء وفى الأرض ، وأنه معنا أينما كنا ، إلى غير ذلك فهو منعوت بهذه النعوت كلها ، وهي معروفة فى لسان العرب المخاطبين بها ، ولا يمكن أن يخاطبوا بما لا يعرفون ولا يفهمون ، فهذه النعوت معقولة المعني ، مجهولة النسبة الي الآله ، فالتنزية الحقيقى هو أن تثبتها له ولا تنفيها عنه ، فنقول يهرول ويسعى ، ويجيء وينزل ، ولا تؤول ولا تشبه ، كما قال مالك رضي الله عنه ، الاستوا معلوم ، والكيف مجهول ، وإذا حصحص الحق ، وتبين الأمر ، وانكشف السر ، ظهر أن التجلي الآلهي فى أعيان الممكنات ، هو الذي أعطى هذه النعوت فلا شاهد ولا مشهود ، الا الله تعالى ، قال تعالى ، وشاهد ومشهود ، أتري أنه أقسم بغيره ، لاوالله ما أقسم الا بذاته ، ومثال الحق تعالى ، ولله المثل الأعلى ، فى هذا مثال ملك ، كان لا يعرفه أحد من رعاياه لشدة احتجابه بحيث لا يمكن أن يصل اليه أحد ، ولا يراه من قريب ولا بعيد ، ثم أراد رفع الحجاب والتعرف لرعاياه والاتصال بهم ، فصار يواجههم ويحادثهم ، الي أن صار يمشي فى الأزقة مع الناس ، وزاد فى التنزّل الى أن صار يحضر الأسواق يبيع ويشتري ، كل هذا ليعرفوه ويعرفوا حوائجهم اليه من غير واسطة ، وهم فى كل هذا ينكرونه وكلما زاد فى التنزّل اليهم ، والتعرّف لهم ، زادوا جهلا به لما يعرفونه من شدة حجابه وعزته فى سلطانه ، وقالوا لا يمكن أن يكون هذا هو الملك ولا يصل الى هذا الحد فى التنزّل الى الرعايا والقرب منهم ، فجاء العقلاء منهم وقالوا يمكن أن يكون هذا هو الملك ، فان الملك يفعل ما أراد ولا أحد يحجر عليه ويمنعه

ويرده عن مراده ، وهذا الذي فعله من التنزّل والتقرب من رعاياه هو من كماله ومحاسن خلاله : لا ينقص ذلك من مرتبته عند العقلاء شيئا مما هو واجب للملك من الطاعة والاحترام ، والعقلاء في المثال هم الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فالاله الجامع بين التنزيه والتشبيه هو آله الرسل الذي أمرنا بمعرفته ولا يعرف العقل آلهه هكذا ، فآله العقل آله آخر منزه عن الاطلاق ، لا يقبل نعتا من نعوت التشبيه ، فاذا آمن العقل بآله الرسل عليهم الصلاة والسلام : فأما تسليما وتفويضا كما هو مذهب السلف ، فانهم فوّضوا من غير تأويل ولا حيرة ولا منازعة ، وإما على كره واستسلام ، كما هو شأن المتكلمين ، ولا يزال العقل الغير المؤيد بنور الايمان الغالب على نور العقل في اضطراب وحيرة ومنازعة عن قبول أوصاف آله الرسل ، فان وجد سبيلا الى إحالتها الى ما تعطيه معرفته فعل واستراح لظنه أن ذلك هو المطلوب وهيهات هيهات ، ما أبعد المؤولين من معرفة الآله تعالى ، وإن لم يجد سبيلا لذلك بقي على اضطرابه وحيرته ، فان رحمه الله بما شاء مما يزيل اضطرابه رحمه ، وإلاّ بقي على ذلك حتي يلقي الله تعالي وهو الذي نتكلم فيه مع العقل إنما هو الألوهه وهي مرتبة للذات ماهي عين الذات ، كالخلافة والسلطنة للخليفة ، والسلطان ، وأما الذات فلا كلام فيها للعقل ولا يصل اليها بآلاته أبدا ، ولكن من جهة الفيض الرحماني والتعريف الربّاني ، تهب على العارفين منها نسمات ، لأن الذات لا تعقل ، والكلام فيما لا يعقل محال ، وكل من رام ذلك رجع خاسئا وهو حسير .

(الموقف السابع والتسعون)

قال تعالى ، وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا ، أي سئل الذين

جعلوا أنفسهم وقاية لربهم من نسبة الشر والقبح اليه ، وهم العارفون بربهم ماذا أنزل ربكم ، أي ما فعل فيكم وفى سائر مخلوقاته ، وكل واقع فهو نازل من حضرة الجمع التي هي حضرة من حضراته تعالى كما قال ، وإن من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزّله الا بقدر معلوم ، قالوا خيرا ، أي فعل وأنزل خيرا إذ كل واقع مما صورته شرا وخيرا ، ونفعا أو ضير ، فهو خير علي الحقيقة ، وذلك من وجوه شتى ، فما ظاهره شر كالكفر والبلايا والمحن ، فهو خير لمن نزل به ، وان كان شرا بحسب ظاهره وبحسب غير النازل به ، إذ الواقع النازل بكل انسان هو مقتضى حقيقته التى بها هو هو وهو ، طالب لذلك النازل به بلسان استعداده الذى هو أفصح من لسان مقاله ، ولو نزل به ضد ذلك لرده وتأذى به وما قبله فالاستعداد هو الأصل والأسباب الخارجية تابعة له وهو أزلي قديم غير مجعول ، فالنازل بكل انسان هو من لوازم عينه الثابتة ، وتأثير القدرة تابع للارادة ، والارادة تابعة للعلم ، وصفات الحق غير داخلة تحت الزمان ، ولكن هكذا هو الأمر ، والعلم تابع للمعلوم ، تبعية رتبة لا تبعية زمان ، بمعني أن تسميته ما اقتضت تبعيته المعلوم ، أعني مادام المعلوم فى حضرة العلم الذي هو عين الذات من كل وجه واعتبار لم يوصف بالوجود الخارجي ، وأما بعد الوجود الخارجي وتعلق العلم الذي يعبر القوم عنه بظاهر العلم ، كان المعلوم حينئذ تابعا للعلم إذ الوجود الخارجي ظل وحكاية لهذا العلم الذي يسمى بظاهر العلم ، كما أن العلم الذاتي حكاية للمعلوم وهو معنى تبعيته ، والمعلوم هو ذلك الذي لا يتبدّل ولا يتغيّر ولا ينقلب ، إذ لو تغير لكان جهلا تعالي الله عنه ، فالنازل بكل إنسان لازمه وحقيقته وليس الواقع النازل بشيء زائد عليه أو خارج عنه ، فالظاهر عين الباطن ،

والغيب عين الشهادة ، لا يكون هنا ما ليس هناك ، وكل ما هنالك يكون هنـا ، ولا يقول شيء يارب لم جعلتني أنا ، فهلا جعلتني غيري ، فانه غـير معقول وبهـذا كانت الحجة البالغـة له تعالي على مخلوقاته ، ولولا هـذا ما كانت له الحجة ، وإليه يشير حديث ، كل ميسّر لما خلق له ، وحديث ، إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنـة فيما يبدو للناس حتي لا يبقى بينـه وبين الجنـة الا شبر أو ذراع فيسبق عليه الكتاب ، الحديث بطوله ، فليس فى هذا الكتاب إلاّ الاستعداد الذي عليه ذلك المعلوم ، وعمل المستعـد للنار بعمل أهل الجنـة ، والعكس هو استعـداد جزئي لذلك العمل فلا ثمرة له كاستعداد الانسان لطلب شيء بالدعاء أو بالسعي فيه ولا استعداد له لقبول المطلوب ، بحيث لو أعطيـه لرده وكرهه أخيرا ، وحديث ، إعملوا ولا تتـكلموا ، هو كسائر الحـكم المودعة فى الاسباب ، فقـد يوافق ذلك الاستعداد وقد لا

(الموقف الثامن والتسعون)

قال تعالى ، وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ، لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إذ كنا فاعلين ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولـكم الويل مما تصفون ، أي ما كان فعلنا فى خلق السموات والأرض وما بينهما فعل اللاعبين الذين لا ثمرة فى أفعالهم ولا فائدة ترجع من فعلهم لا لهم ولا لغيرهم ، بل ماخلقناهما إلا طبق المصلحة ونهاية الحكمة ، فلا ذرة فى السموات والأرض إلا وهي ناطقة بملء فيها ، شاهدة بما فيها ، فى الحـكم والمصالح التي لا يحيط بها إلا خالقها ويصح أيضاماخلقنا ماذكر لاعبين ، أي ما كان فعلنا فى ذلك فعل اللاعب الذي يصور أشخاصا وأشباحا

لا حقيقة لها ، ولا طائل تحتها ، مثل اللعبة المسماة بخيال الظل ونحوها فانها أشخاص وأشباح تقبل وتدبر ، فى رأي العين ولا حقيقة لها ، فليس خلق السموات والأرض وما بينهما هكذا ، خلافا للسوفسطائيين القائلين ، العالم خيال لا حقيقة له ، وللحساسيه القائلين ، ليس وراء المحسوسات شيء يصح أن يدرك ، بل القول الحق أن صور العالم وأشباحه وراءها حق ، فهي حقة بذلك ، وإن كانت فى الظاهر خيالات ، فهي حق ، لا لعب ولا لهو ، كما قال فى الآية الأخرى ، وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، فهي حق بذلك الحق المخلوقة به ، إذ المخلوق بالحق حق ، قال إمام العارفين محي الدين

إنما الكون خيال   وهو حق فى الحقيقة
كل من قال بهذا   حاز أسرار الطريقة

ويدخل فى قوله وما بينهما ، جميع أفعال العباد فهي كلها حق لا لعب فيها ولا عبث إذ هي أفعاله تعالي وإذا اطلق العبث على بعض افعال العباد فبالنسبة الى من صدرت عنه وإلا فهي بالنسبة اليه تعالي لا تخلو عن حكم ثم أخبر تعالى أنه وإن خلق السموات والأرض وما بينهما كما ذكر فليس ذلك بواجب عليه ، ولا متحتم لديه ، كما تقول البراهمة ، والمعتزلة من وجوب فعل المصلحة عليه تعالى بل له أن يفعل كلما أراده جوزته العقول أو أحالته ، فقدرته مطلقة التصرف نافذة الحكم فى كل ما أراد ، ليس عليها تحجير ولا يلحقها عجز ، كما قال لو أردنا أن نتخذ لهوا أي نخلق خلقا من أنواع ما أحالته العقول علينا ، وحجرته عن قدرتنا ، لاتخذناه من لدنا أى من جهة قدرتنا فانه لا يعجزها شيء أردناه ، لكننا ما أردناه كما قال ، ولو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء

فأخبر أن هذا المحال العقلي الذي هو أعظم محال يتصور ، هو ممكن تحت قدرته يفعله لو أراده فأدخله تحت لو ولا يدخل تحتها إلاّ ممكن في نفسه وأما قوله لم يلد ، فهو إخبار بأن هذا ما كان ولا يكون ، وما أخبر أنه لا يدخل تحت قدرته ، وإنه عاجز عنه لو أراده ، وقد قال الحافظ بن حزم بقولنا هذا ، فنسبه الشيخ السنوسي الى الكفر ، وما كان ينبغي له ذلك ، وابن حزم قال به علي طريقة المتكلمين لا على طريقتنا ، ثم ذكر تعالى نوعا من أنواع المحال العقلي وهو تحصيل الحاصل فانه من أجلاها فأخبر أنه يفعله بل هو فعله في كل آن فرد على الدوام ، وعبّر بالمضارع استحضارا لهذه الأعجوبة عند العقل وهو قوله ، بل نقذف الخ الآية ، فبل اضراب عما تخيلته العقول من استحالة هذا وتحجيره على القدرة الآلهية ، نقذف نرمي بالحق النور الوجودي الاضافي الساري في كل موجود وذلك كناية عن اقتران الوجود الحق بالعين المراد إيجادها على الباطل العدم الذي كان وصفا لتلك العين فيدمغه فيهلكه ويذهبه كما يهلك المضروب في دماغه ، كناية عن السرعة بمعني يهلك النور الحق العدم الباطل ولا يبقى له حكما في تلك العين ، ويصير الحكم للوجود الحق فيصير الوجود الحق وصفا لها ، بعد أن كان العدم الباطل وصفا لها ، فاذا هو أي العدم المكني عنه بالباطل زاهق ، أي ذاهب الحكم ، بعد أن كان ثابت الحكم في تلك العين ، حيث كان وصفالها فاذا فجائية ، هو زاهق إذ لا يجامع الحق الباطل كما لا يجامع النور الظلمة ففي الآية تحصيل الحاصل إذ العدم معدوم لذاته فاذهابه تحصيل لما هو حاصل ، وفعل لا مفعول له ، والعدم قبل اتصاف العين بالوجود كان له وجود في علم الواصف ، فانه ما حكم على العين بالعدم إلاّ بعد التصور فللعدم وجود في هذه المرتبة ، فصح الرمي عليه ، والازهاق له

بما ذكرنا ، وكل من زعم أن الله تعالى لا يقدر علي المسمى محالا فما عرف الله ، بل ماشم لمعرفته رائحة ، فهو قادر علي إيجاد المحال إذا أراد ، ومن المحال العقلي إجتماع الضدين فى محل واحد فى آن واحد ، وذلك موجود فى حركة الأفلاك التي هي ضمن الفلك الأعظم محدد الجهات ، فانها تتحرك عند علماء الهيئة حركة طبيعية من المغرب الي المشرق ، والفلك الأعظم يحركها حركة قسرية من المشرق إلى المغرب ، فكل فلك له حركتان على هذا طبيعية ، وقسرية فى آن واحد ، وهذا محسوس فى الحيوان كالنملة مثلا ، إذا كانت علي شقة الطاحون العليا ، وكانت حركتها ضد حركة الطاحون ، فانها تجتمع لها حركتان قسرية واختيارية ، وأكثر أمور البرزخ والآخرة مما تحيله العقول ، قال تعالى ، فى حق الشهداء ، أحياء عند ربهم يرزقون ، ونهانا أن نظن أنهم أموات والحس يشاهدهم أمواتا ، ولا شك عنده في ذلك فالقائل أموات ، صادق شاهده الحس ، والقائل أحياء صادق شاهده الايمان ، بصدق الله تعالي فى أخباره فهم أحياء أموات فى حالة واحدة ولو لم يجتمع الموت والحياة ماصدقا ، وكذا سؤال القبر من هذا المعني ، وكذا الفعل الصادر من العبد ببادئ الرأي هو فعل الله تعالى وفعل العبد ، فالعقل والشرع يثبتان الفعل لله تعالي وحده ، والحس والشرع يثبتان الفعل للعبد ، وكلا الأمرين يصدق القائل بهما ، ويجب الايمان بهما معا ، ونحن ليس كلامنا مع من يقول نسبة الفعل الى الله غير نسبته الي العبد وكذلك يوم القيامة هو علي الكافر مقدار خمسين ألف سنه بنص القرآن وعلى المؤمن مقدار صلاة ركعتي الفجر بنص الحديث ، وخص الركعتين بالفجر لأن الامر ورد بقصر القراءة فيهما ، وكذلك تجد الأعمال ووزنها وهي أعراض يوم القيامة ، بل الأعراض هي اليوم متجسدة قبل يوم القيامة ، والناس يشهدونها

ولا يعرفونها ومن الناس من ينكر تجسد الأعراض حتى في يوم القيامة، ومن الناس من يقول بها هنالك وينكرها هنا

(الموقف التاسع والتسعون)

قال تعالى، ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين، الجهاد هنا أعم من الجهاد الاصغر الذي حدّه عند الفقهاء، قتال مسلم، كافراً لإعلاء كلمة الله ومن الجهاد الأكبر الذي هو جهاد النفس والهوى باتيان المأمورات، واجتناب المنهيات، وارتكاب مشاق الرياضات والمجاهدات، الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم لاصحابه، رجعنا من الجهاد الأصغر الي الجهاد الاكبر، أخبر تعالى فى هذه الآية، إن فاعل ما ذكر انما يفعله لنفسه، أي حقيقته التي بها هو هو، وهي الحقيقة السارية فى كل إنسان التي قال فيها صلى الله عليه وسلم، من عرف نفسه فقد عرف ربه، وهي المسماة بالبرزخ وبالصورة الرحمانية، وبمرتبة الأسماء والصفات، وغير ذلك من الأسماء بحسب مالها من الوجوه والاعتبارات، فهذه المرتبة هي مرتبة الألوهية وهي الطالبة للعباد بحقيقتها وهي المقتضية لعبادتهم وهي الربوبية، الطالبة المربوبين وليست هي الذات وإنما هي مرتبة كسائر المراتب والحكم والفعل، والتأثير لها لا للذات، ولا عين لهذه المرتبة ولا لغيرها من المراتب زائدة على الذات، فالالوهية تعلم ولا تشهد، والذات تشهد، ولا يحاط بها ولا تعلم، وأكثر المتكلمين أو كلهم والعابدين من غير أهل الله العارفين لا يفرقون بين الذات والمرتبة، فاشارة الآية الكريمة الى أنه لا يعبد عابد ولا يتقرب متقرب الا الى مرتبة الألوهية والربوبية التي هي منشأ العالم جميعه المقتضية لايجاده ولكل ما يصدر عنه، فان الألوهية تطلب مألوهاً وعابدا، قال تعالى، كفى بنفسك

اليوم عليك حسيبا ، فنفس كل إنسان هي الحسبية عليه ، المحصية لا فعاله ، وهي غير نفسه المامورة فى مقام الفرق وهي هي فى مقام الجمع وإسقاط الاعتبارات ، وأما الذات العلية عينها فهي غنية عن العالمين لا تتعلق بها عبادة عابد ، ولا معرفة عارف ، ولا تعطي ولا تمنع ، ولا تضر ولا تنفع ، ولا تطلب مخلوقا ولا مربوبا ، ولا عابدا ولا عارفا ، حتى يعبدها و يتذلل اليها ، فهي غنية حتى عن أسمائها ، الطالبة لظهور آثارها بظهور العالم ، وهي المسماة بالأحد وبالله ، ومن هنا قال من قال فى اسم الله انه علم مرتجل لا صفة ولا مشتق من شيء ، حيث كان علما على الذات الذي لا يوصف ولا يعلم ، ولا يحد ولا يرسم ، وفى الحديث ، ليس وراء الله مرمى ، يعني أنه فوق المراتب كلها ، وليس فوق المراتب كلها الا الذات ، وهذه الآية تدل على هذا ، فالأمر الآلهي ماورد الا بعبادة الصفة للصفة وهي عبادة المربوب لربه ، والمألوه لآلهه كما قال ، وما أمروا الا ليعبدوا آلها واحدا ، وكل ما ورد فى القرآن من الأمر بالتوحيد والعبادة إنما هو لهذه المرتبة ، وهي مرتبة الألوهية لا للذات ، وأما من قال فى اسم ألله انه صفة أو مشتق من كذا أو كذا ، فقد جعله لمرتبة الألوهية ، وو روده فى القرآن يحتمل الوجهين ، وقول من قال لايجوز التخلق بالاسم ، الله ، يريد الأول وقول من قال يتخلق بالاسم ، الله ، فانه كسائر الأسماء يريد الثاني ، فمن قال من العابدين أصلي أو أصوم ، أو أفعل كذا قياما بحق الله أو الأحد لم تقبل عبادته إن قصد الذات الغنية عن العالمين ، فان الذات لا تقبله والاحدية ترمي به فانها بحقيقتها تنفي أن يكون معها غيرها من عابد أو عارف ، فالذي يعبد الأحد والله إن كان علما على الذات لا تصح له عبادة ، فهو يعبد فى غير معبد ، ويعمل فى غير معمل ،

الا رجالا من خاصة الخاصة ، فان عبادتهم ذاتية لأنهم لما تجلت لهم نفوسهم وعرفوها ، رأوا استفادة وجودهم من غيرهم فاعطتهم رؤية أنفسهم العبادة الذاتية لا عبادة المرتبة كغيرهم ، لأن معرفتهم شهودية ماهي علمية كغيرهم وهم الزنادقة الذين قال فيهم الجنيد رضي الله عنه ، لا يكون الصديق صديقا حتي يشهد فيهماية صديق ، بانه زنديق ، ومن تساق على هذا المقام وليس من أهله هلك ، ومن قال أصلي أو أصوم ، أو أفعل كذا قياما بحق الربوبية والعبودية ، قبلت عبادته والسعيد الجامع بينهما ، واحذر أن تظن بنا أننا ممن يحرّف الكلم من بعد مواضعه ، وانما المفهوم من الآية بحاله ولكن هذه اشارات ، تظهرها أنوار المعارف والتجليات على القلوب

(الموقف المائة)

قال تعالى ، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، انظر إلى هذا التأكيد فى الآية ، الرافع لكل تجوّز ومجاز ، فالحق تعالي لما أراد الظهور لذاته من حيث الاطلاق بذاته ، من حيث التقييد والمطلق ، عين المقيد جعل نورا بمثابة المرآة ثم تجلى فى ذلك النور فانطبعت الصورة الالهية فى ذلك النور انطباع الصور فى المرايا ولله المثل الأعلى ، وصورة الشيء مجموع أوصافه لا عين ذاته ، والترتيب حكمي لا زماني فانه لا زمان هناك ، ولكن للتفهيم ، وسمي الحق تعالى هذا النور والمنطبع فيه حقيقة محمدية ، وروحا كليا ونحو ذلك فالمتوجه على المرآة هو الحق تعالي ، والمنطبع فى المرآة حقيقة محمدية ، وصورة رحمانية ، فالمتوجه علي المرآة والصورة فى المرآة والمرآة شيء واحد ، اذ ليس الاّ وجود واحد هو وجود الحق تعالى ، فليس للمرآة ولا للصورة في المرآة وجود مغاير للوجود الحق المتوجه علي المرآة فمن كان نظره واعتباره الي أن

هذه الصورة ظهرت به بعد أن لم تكن ظاهرة ، قال بحدوثها ، ومن كان نظره واعتباره إلي أنه ليس هناك غير الوجود المتوجه علي المرآة وهو الحق تعالي ، قال بقدمها ، فالحقيقة المحمدية هي تعيّن الحق لنفسه بجميع معلوماته ونسبه الآلهية والكونية ، فهي الحق اذ التعين أمر اعتباري لا عين له ، فليس هناك الا المتعين ، قال تعالى ، قل الروح من أمر ربي ، هو أمر ربي الصادر بالأمر وهو كن ، فهو عين كن اذ كلامه عين علمه ، وعلمه عين ذاته ، فالحق واحد من كل وجه لا يتبعض ولا يتجزأ ، ولذا كان الحق تعالى فى كلامه الكريم تارة يجعل نفسه نائبا عن محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول ، ولنبلونكم حتي نعلم المجاهدين منكم والصابرين ، أي يعلم محمد ويقول فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين ، أي يعلم محمد وتارة يجعل محمدا نائبا عنه ، فيقول إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، ويقول ، من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ويقول ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وقال تعالى ، رسول من الله ، وورد فى الخبر عنه صلي الله عليه وسلم ، من رآني فقد رأى الله يعني رؤية حقيقية ، صلى الله عليه وسلم فلا مغايرة إلاّ بالاعتبارات العدمية كالاطلاق والتقييد ، ومن هنا قال بعض الأكابر ، الوجود الحق تعالى ، ظهر في الحقيقة المحمدية بذاته ، وظهر فى سائر المخلوقات بصفاته ، يريد أن الحقيقة المحمدية ظهرت بالتجلي الذاتي موصوفة بجميع صفات الحق تعالى ونسبه الآلهية والكونية ، وفوّض اليها تدبير كل شيء يوجد بعدها فهي المتصرفة فى معلوماته تعالي ، حسب إرادته ومشيئته تعالى ، فتستمد من العلم وتمد الخلق فما صدر عن الله تعالى بغير واسطة الاّ هذه الحقيقة وكل ما عداها حتي العقل الأول إنما كان بواسطتها وإن كان الحق تعالي له الخلق والأمر فهي الظاهرة

فى الأشياء وهي السارية فى الوجود ، ومن مشاهد سريانها فى الموجودات قال من قال لو احتجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ طرفة عين ما عددت نفسى من المسلمين

(الموقف المائة وواحد)

قال تعالى ، سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ، أخبر تعالى فى هذه الآية ، إنه أسرى بعبده محمد بجسده وروحه ليريه من آيات الأفاق بعد أن أراه آياته فى نفسه ، كما قال تعالى ، سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم ان ما رأوه هو الحق لا غيره ، وهذه حالة المرادين المجذوبين ، المصطفين يريهم آيات الأنفس قبل آيات الآفاق ، خلاف المريدين ، ثم أخبر تعالى أنه أي محمدا هو السميع البصير ، فعيل بمعنى مفعول ، أي كل ما أبصره وسمعه محمد فى اسرائه هو محمد من حيث حقيقته فانها هيولى العالم وحقيقة الحقائق ، وهو الانسان الأزلي وهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، كما أن الحق تعالى له هذه الصفات فان الله تعالى لما أوجد حقيقته ، قال له أعطيتك أسمائي وصفاتي فمن رآك رآني ، ومن علمك علمني ، ومن جهلك جهلني ، غاية من دونك أن يصلوا الي معرفة نفوسهم منك ؛ وغايه معرفتهم بك العلم بوجودك ، لا بكيفيتك وكذلك أنت معي لا تعرفني الا من حيث الوجود ، فحقيقة محمد هي المشهودة لاهل الشهود ، وهي التي يتغزلون بها ، ويتلذذون بحديثها فى أسمارهم ، وهي المعنية عندهم بليلي وسلمى ، وهي المكني عنها بالخمر ؛ بالشرب والكاس ، والنار والنور والشمس ، وبالبرق ونسيم الصبا ، والمنازل والرسوم والربا ، هي

نهاية سير السائرين ، وغاية مطلوب العارفين ، وبعد ما كتبت هذا الموقف خطر في بالي أنه إذا وقف عليه بعض من لم يكشف له سر الحقيقة المحمدية ربما يقول ما قال الحافظ بن تيميه رحمه الله تعالى ، لما وقف علي شفاء عياض ، لقد تغالى هذا المغيربي ، ثم نمت فقيل لي في المنام زد ، وهي نار موسى وعصا موسي ، ونفس عيسى ، الذي كان يحيي به الموتى ويبريء الأكمه والأبرص فلما استيقظت زدتها

(الموقف المائة والاثنين)

قال تعالى مخاطبا لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ، وإنك لتهدي الى صراط مستقيم ، وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ، اعلم أنه لا تناقض بين هاتين الآيتين في نفس الأمر والحقيقة ، وإنما يظهر التناقض بينهما ببادىء الرأي عند من لا يعرف مرتبة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن عرف كيف هو صلى الله عليه وسلم من ربه استراح وما اعتاص عليه مثل هذه ، وتوضيحها أنه صلى الله عليه وسلم ، كان حريصا على هداية عباد الله تعالى ، وايمانهم وانقيادهم لطريق نجاتهم كما أخبرنا تعالى عنه ، عزيز عليه ما عنتم ، أي عنادكم ، حريص عليكم ، وقال له مشفقا عليه ، لعلك باخع نفسك ، أي قاتلها ان لا يكونوا مؤمنين ، فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ، وهو صلى الله عليه وسلم ، في هذا الحال متخلق بأخلاق ربه ، متحقق بها ، فانه تعالى يحب الايمان والهداية لجميع عباده ، كما قال ، ولا يرضى لعباده الكفر أي لا يحبه لهم ، وإنما يحب لهم الايمان والهداية ، وان تشكروا يرضه لكم ، فلا يفهم أنه صلى الله عليه وسلم أحب غير ما أحب الله تعالي ، أو أراد غير ما

أراده،فان المحبة غير الارادة وإذا كان الولي الذى هو قطرة من بحره الذى لانهاية له ، يصل عند نهاية كماله الى أن تتحد إرادته بارادة الله تعالي ، فلا يريد غير ماتعلقت به الادارة القديمة ، وإن كرهذلك شرعا أو طبعا ، أو أحب ضده شرعا أو طبعا ، ولهذا يقول للشيء بسم الله ،بمعني كن فيكون ، وما ذلك إلا لاتحاد إرادته بارادة الحق تعالى ، وقالوا حقيقة الكامل هو الذى لا يمتنع عن قدرته ممكن كما لا يمتنع عن قدرة خالقه محال ، خزائن الأمور فى حكمه ومفاتحها بيده، ينزل بقدر مايشاء.فكيف به صلى الله عليه وسلم الذى هو البرزخ بين الحق والخلق ، له وجه الى الحق ، ووجه الي الخلق ؟ بل هو الوجه الواحد فانه لا ينقسم وهو الحق المخلوق به فهو على بصيرة من ربه فيما يحب أو يريد فهو المنفذ لمراده تعالى فى عباده من ضلال وهدى ، وكفر وإيمان ، من حيث حقيقته فهو مظهر العلم القديم والارادة الأزلية،فلا إرادة له إلا إرادة الحق تعالى وإرادته تعالى تابعة لعلمه فلا يريد إلا ماعلم والعلم لايتبدل ولا يتغير إذ لو جازعليها ذلك ما كان علما ، وانقلاب الحقايق محال فمعلومات الحق تعالي هي صور أسمائه ومحال تغير الأسماء فان ماثبت للذات من التنزيه هو ثابت للأسماء ، وقوله ولكن الله يهدى من يشاء هو إثبات لما عساه إن يتوهم من وقوع شيء بغير إرادته تعالي وقدرته، وقد قال ذلك بعض الفرق الضالة ، ونقول نحن:لا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ماأراد الله تعالي،ولا يحب إلا ماأحبه الله تعالى،وهو الواسطة بين الحق والخلق ، ولا شيء إلا وهو به منوط ، ولولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط ، فهو مظهر مرتبة الصفات التي لها الفعل والتأثير، وقوله وهو أعلم بالمهتدين ، أى هو تعالى أعلم العالمين من رسول وملك ، وولي بالمهتدين ،

أى الذين لهم استعداد الهداية وطلبها من حيث حقائقهم ، ولهم قبولها إذ الحقائق العلمية بمثابة الشخوص والأعيان الظاهرة ظلالها ، وما كان فى الشاخص من عوج ، أو استقامة ، أو طول أو قصر ، أو رقة ، أو غلظ ، مثلا يظهر فى ظله ولا بد،فغيره تعالى إذا أطلعه الله تعالى على الاستعدادات وهي الأعيان الثابتة فى العلم ، فهذا الغير كان ما كان ماعلمها إلاّ من علمه تعالى وهو تعالى علمها حيث لاتعين لها لافى العلم ولا فى العين ، ولكن لها صلاحية التعيين فى العلم والعين وقوله ، وانك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله وهو صراط النجاة ، ففي الآية إثبات لما قلنا من نيابته صلى الله عليه وسلم ، فى الهداية وغيرها وخلافته الكبرى ، وإنه الهادى من يشاء بهداية الله تعالى إذ حصول الهداية لكل مهتد إما بواسطة العقول أوواسطة الرسل عليهم الصلاةوالسلام،وكلاهما بواسطته صلى الله عليه، سلم، فانه النور الأصلي الذيمنه كل نور وحقيقة كل حقيقة،فقوله ، إنك لاتهدى من أحببت من حيث أنكغير وسوى، وإنكرسول مخلوق كما هو رأى المحجوبين ، وفى نظرهموهو نظر ابليس حيث قال ، لرسولالله صلى الله عليه وسلم ، اسمك الهادى وليس لك من الهداية شيء،واسمه هو الأبعد المضل وليس له فى الضلالة شيء ، وذلك لجهله عدو الله بحقيقة محمد كما جهلحقيقة أبيه آدم ، وقوله ، وإنك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله من حيث حقيقتك فانك التعين الأول ، والمظهر الكامل ، والخليفة المفوض ، فأثبت له مانفاه عنه لأن محمداً صلىالله عليه وسلم ، ليس له وجود مع الحق تعالى ، وإنما هو ظهور الحق تعالي لنفسه بنفسه فهو كناية عن علم الحق تعالى بنفسه، فهاتان الآيتان مرتبتان في المعنى وان تباعدتا فىرسم المصحف

الكريم ، ومساقها إنك لاتهدي من أحببت ، وإنك لتهدى الى صراط مستقيم ولكن الله يهدي من يشاء كما قال ، وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمي ، نفى الرمي عن محمد ، ثم أثبت الرمي لمحمد ، ثم أثبت الرمي الذي أثبته لمحمد الي الله تعالى ، فكانت قوة الكلام أن الرامي هو الله تعالى ، وهو المدعو بمحمد صلى الله عليه وسلم ، عند أهل الحجاب وهنا نفى الهداية عن محمد : ثم أثبت الهداية لمحمد ، ثم أثبت الهداية التي أثبتها لمحمد ، الي الله تعالى ، فكانت قوة الكلام الهادي هو الله تعالي وهو المدعو بمحمد صلى الله عليه وسلم : ولا يفهم عنا إلاّ أهل طريقتنا إذ لا يفهم عنك إلاّ من أشرق فيه ما أشرق فيك ، وتقول العامة ، لا يفهم كلام الأخرس إلاّ أمه

(الموقف المائة والثالث)

قال تعالى، الله نور السموات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح فى زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ، أخبر تعالي فى هذه الآية الكريمة أن الله الاسم الجامع لجميع الأسماء من حيث الاسم ، النور نور السموات والأرض أي وجودها وقيومها ومظهرها اذ بالنور ظهر ما كان فى ظلمة العدم مستور فلولاه ما أدرك شيء ولا تميز شاخص من فيء ، فالنور سبب ظهور الكائنات التي من جملتها الأرض والسموات ، كما هو فى الحس اذا كانت ظلمة الليل تكون الأشياء كأنها معدومة بالنسبة الي المبصرين ، فاذا ظهر النور ظهرت الأشياء ويميز بعضها

من بعض حتى قال بعض الحكماء فى الألوان أنها معدومة فى الظلمة، والضوء شرط فى وجودها ، وإنما خص السموات والأرض بالذكر لأن السموات محل الروحانيات ، والأرض محل الجسمانيات ، والكل مستنير بنور واحد ، لا يتجزأ ، ولا يتبعض ، ولا ينقسم ، ولما كان النور المحض لا يدرك ، كما أن الظلمة المحضه لا تدرك تجلي النور على الظلمة ، فأدركت الظلمة بالنور ، وأدرك النور بالظلمة وهو معنى قول القوم ، الحق تعالى ظهر بالمخلوقات وظهرت المخلوقات به ، قال الشيخ الأكبر ، فلولاه ولولانا ، لما كان الذى كانا ، خلق بلا حق لا يوجد ، وحق بلا خلق لا يظهر ، وليعلم أن الحق تعالي فى ظهوره لذاته بذاته ، غير متوقف على المخلوقات ، فانه من حيث الذات غني عن العالمين ، وهو غني حتى عن أسمائه ، من حيث الذات يتسمى لمن ويوصف لمن ، وليس الا الذات الأحدية الغنية ، ولكن فى ظهوره بأسمائه وصفاته ، بظهور آثارها هو مفتقر الى المخلوقات ، قال الشيخ الأكبر ، الكل مفتقر ما الكل مستغني ، يعني الحق والخلق ، ولا نقص فى افتقار الأسماء الي مظاهرها بل هو عين الكمال الأسمائي الصفاتي ، إذ افتقار المؤثر من حيث إسمه مؤثر الى الأثر ، من حيث هو أثر عين الكمال ، لأجل امتياز الأسماء بعضها عن بعض ، فانه لا تميز لها الا بآثارها ، والأسماء من الوجه الذي يلي الذات هي غنية عن العالمين ، أيضا ، فانها من ذلك الوجه عين الذات ، ولهذا كان كل إسم يوصف ويسمى بجميع الأسماء كالذات ، وقد رأيت فى بعض المشاهد رفع لى سجل عظيم منشور ومكتوب فى سطر منه الاسم، ثم ينعت بجميع الأسماء بعده فى ذلك السطر الى آخر الأسماء ثم سطر آخر فيه اسم آخر منعوت كذلك بجميع الأسماء

الى آخرها ، وهكذا الى تمام التسعة والتسعين ، وأما الأسماء فى الوجه الذي يلي العالم فهي مفتقرة الي العالم ، بمعني طالبة لآثارها ، وكل طالب مفتقر الى مطلوبه ، فالسموات والأرض وجميع الكائنات التى نورها الاسم النور ، هي ظلال الأسماء والصفات ، والذي ظهر عليه هذا الظل هي الأعيان الثابتة فى الحضرة العلمية ، إذ لا بد للظل من شيء يظهر عليه كالأرض والماء مثلا ، فالنور يظهر الظل ، والشاخص يرسمه ، فالشاخص هو مرتبة الأسماء والصفات ، والنور هو الوجود الفائض على الممكنات ، ثم أخبر تعالى من يسأل ويقول هل هذه هي الانارة الحاصلة للأرض والسموات وجميع الكائنات مباشرة أو بواسطة ، وهل باتصال أو اتحاد أو امتزاج ، بما ضربه فى المثل بالمشكاة والزجاجة والمصباح ، بأن الانارة من غير اتحاد ولا امتزاج ولا اتصال ، وان هذه الانارة بواسطة الحقيقة المحمدية ، التى هي التعين الأول وبرزخ البرازخ ومظهر الذات ومجلي النور ، الذي هو نور الأنوار وهي المكني عنها بالزجاجة وأما المشكاة فهي جميع الكائنات ماعدا الحقيقة المحمدية فان النور دائما سرى من الزجاجة وبواسطتها ، فالمصباح هو النور الوجودي الاضافي ظهرت به السموات والأرض ، والزجاجة هي الحقيقة المحمدية ، والمشكاة هي جميع الكائنات كما قلنا ، ثم أخبر تعالى ، إن هذه الزجاجة التي هي الواسطة فى وصول النور الى المشكاة فى لطافتها ، وبساطتها ، وصفائها ، واستعدادها لقبول النور وإفاضته على المشكاة ، الاستعداد التام الذي لامزيد عليه ، حتي قيل أنها هو كما قال الصاحب بن عباد

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

كأنها كوكب درّي يوقد، أي يستمد هذا المصباح وهو النور الوجدي الاضافي من شجرة أي من أصل منبع مباركة ثابتة البركة والزيادة لا ينفد مددها، لاشرقية ولاغربية، أي هذه الشجرة التي يستمدمنها المصباح لا يقال شرقية من الشروق والانارة، ولا غربية من الغروب والظلمة، فانها كنه الذات التي لا يحكم عليها بشيء، لأنها لا تعقل، والحكم على مالا يعقل محال، فهي لاشرقيـة ولا غربيـة، لا وجوب ولا إمكان، ولا حق ولا خلق، ولا حدوث ولاقدم، ولاوجود ولاعدم، فهي ماهيـة لاتظهر بشيء إلاّ ولها ضده يكاد يقرب ولم يكن زيتها ماتمد به المصباح المتقدم الذكر يضيء، يظهر لذاته بذاته من غير اقتران بشيء، الاقتران المعنوي، ولو لم تمسسه نار كناية عن المظاهر التي يقترن بهـا المكني عنه بالزيت الذي هو حقيقـة المصباح، والمصباح لايظهر ضوءه إلا بمماسة النار. فالنار لاتضيء ولاتظهر من غير شيء يثيرها فيكون ممدا لها، والشيء لايظهر من غير مماسة النار، نور على نور أي النور المضاف الى السموات والأرض هو عن النور المطلق الذى لا يقيد بالسموات والأرض، فعلى بمعني نحن يهدى الله بتعريفه وتجليه، لمن يشاء من عباده لنوره المطلق الغير المضاف الى الشيء، ويضرب الله الأمثـال للناس ليبين لهم الأمر فانه بكل شيء عليم، فيعرف كيف يضرب. وأما الناس فقـد قال لهم، فلا تضربوا لله الأمثال، فحجر عليهم لجهلهم لأنهم لايعلمون كيف يضربون الأمثـال، والتحجير إنما هو في الأسم الله الجامع، وأما غيره من الاسماء فلا تحجير، والله أعلم وأحكم

(الموقف المايه والأربعة)

قال الحق تعالى لبعض عبيده، قل للجاهلين لم لاتتعلمون وقل للعالمين

لم لا تعملون ، وقل للعاملين لم لا تخلصون وقل للمخلصين لم لا تتخلصون فتعرفون أنكم لستم بفاعلين من حيث صوركم وخلقكم وما رميت لما أنتم فاعلون من حيث وجودكم وحقكم إذ رميت فسبحان من يعبد نفسه في أعيان خلقه ، ولكن الله رمى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم

(الموقف المايه والخمسة)

قال تعالى ، يحبهم ويحبونه ، إعلم أن محبة الحق تعالى لمخلوقاته على أنواع ، نوع قبل خلقهم ، ونوع بعد خلقهم ، وهي على نوعين ، نوع للخاصة ، ونوع لخاصة الخاصة ، أما النوع الأول من المحبة فهو عام في جميع المخلوقات على اختلاف أجناسها وأنواعها وأشخاصها ، وهو قوله فى الخبر المشهور عند القوم : كنت كنزا مخفيا ، فاحببت أن أعرف فخلقت خلقا وتعرفت اليهم فعرفوني بي ، وهذه المحبة هي السبب الأول لوجود العالم ، قال ، وما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون ، أي ليعرفون ، وهذه المحبة المذكورة هي الميل إلى الظهور بالأسماء والصفات ، وهو ذاتي ما تخلله إسم ولا صفة ، إذ لا ظهور للأسماء في هذا الاعتبار ، ثم سرى هذا الميل ومحبة الظهور في جميع الأسماء الآلهية فطلبت الظهور بظهور آثارها ، وقد كانت مستجنة في الذات مستهلكة فى الأحدية ، ثم لما خلقهم عرفوه كما أراد ، لأن خلاف الارادة محال ، وعرفه كل نوع من المخلوقات على قدر ما أعطاهم من معرفته ما استعدوا له من ذلك ، فأما الملائكة فكل ملك نوع بانفراده ، له مقام ومرتبة كسائر أنواع المخلوقات ومراتبها ، لا ينزل عنها ولا يتعداها ولهم قبول زيادة العلم بالله تعالى ، فانها لا شك قد ازدادت علما بما علمهم آدم عليه السلام ، من الأسماء كما أخبرنا تعالى بذلك في كتابه ، وأما الجماد والحيوان

من غير الانسان فمعرفتهم فطريه لاتزيد ولا تنقص ، فكل له مقام معلوم لايتعداه في المعرفة ، وأما الانسان فله معرفة فطرية متجددة وتجددها إنما هو بالنسبة لظاهره أعني نفسه وعقله ، وإلا فالعلوم كلها مركوزة في حقيقة تظهر آنا بعد آن بارادته تعالى ، لأن الحقيقة الانسانية موجودة فى الجميع ، وكل إنسان بما هو إنسان قابل لرتبة الانسان الكامل ، ولكنهم متفاوتون فى ظهور آثار الانسانية ، وأما النوع الأول من نوعي المحبة الخاصة فهي محبته تعالى لبعض خواص عباده ، كقوله إن الله يحب التوابين المتطهرين الصابرين الشاكرين المتوكلين الذين يقاتلون فى سبيله صفا ، الى غير ذلك من أنواع المحبوبين الذين اتصفوا بصفات خاصة أوجبت لهم محبة خاصة من الحق تعالى ، ولكنها محبة على الحجاب وشهود البعد ، وهذه المحبة هي المنفية عن أقوام مخصوصين كقوله لايحب الظالمين ، لايحب الكافرين ، الا المحبة الأولى أما النوع الثاني من نوعي المحبة الخاصة فهي المحبة المشار اليها بقوله تعالى ، لايزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره ، الحديث بطوله ، أي كشف له أن هوية الحق تعالي هي حقيقة قواه الظاهرة والباطنة ، وهذا النوع من المحبة على كشف من المحبوب وثمرته ظاهرة في الدنيا لأجل مايحصل له من المشاهدة والرؤية علي التخييل أو في الأشياء وأدرار العلوم الذوقية بأنواع التحف وأما النوع الذي قبل هذا من المحبة فهو على الحجاب باعتبار شهود صاحبه للغيرية والاثنينية ، ولا تظهر ثمرة إلا فى الآخرة ولذا قال فى الحكم العطائية ، خرج العباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مشحونة بالاغيار

(الموقف المائة والستة)

قال تعالى ، ونتزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، اعلم أن العلل والأمراض يراد بها علل القلوب ، وعلل النفوس ، وعلل الأجسام ، والعلل التي القرآن شفاؤها ، ما هي علل النفوس إذ تلك العلل أطباؤها المشايخ أهل التربية ، العارفون بالله تعالى ، إذ معرفة علل النفوس وطبها ركن من أركان المعرفة بالله تعالى ، وعلل الأجسام أطباؤها العارفون بعلوم الطبيعة وإن ورد الاستشفا بالقرآن من علل الأجسام فما هو المراد هنا منا ، وإنما مرادنا علل القلوب وأمراضها ، وهي العقايد الباطلة ، والنحل الزايغة ، فهي التي القرآن شفاؤها ، وما هو شفاء إلاّ للمؤمن خاصة ، وهو الذي سلم الأمر إلي ربه وإلى رسله عليهم الصلاة والسلام ، وانقاد ظاهرا وباطنا ما اضطرب ، ولا نازع الشرع بعقله فيما وصف به تعالى نفسه من صفات المخلوقين ، أو وصفته به رسله عليهم الصلاة والسلام ، فما ردّ ولا أوّل ، ولا شبه التشبيه المعروف عند العامة ، بل فوّض الأمر إلى الله وإلى رسله عليهم الصلاة والسلام ، وقال ، لا أعرف بالله تعالى من نفسه ولا أعرف به من المخلوقين من رسله ، وحينئذ كان القرآن له شفاء ورحمة لأنه لما عمل على هذا اجتمع له نوران نور عقله القابل ، ونور إيمانه الكاشف ، فكان نورا على نور ، وانقشعت عنه غياهب الجهالات إذ لا ظلمة مع نور كاشف ، وحدث من اجتماع هذين النورين نور ثالث ، لا هو عينهما ولا غيرهما ، كالبرزخ الحاجز بين الشيئين ، لا هو عينهما ولا غيرهما ، إذ يحدث عند التركيب ما لم يكن لكل واحد من المركبين بانفراده ، فجمع بين الشرع والعقل ، بل وجد ما كان يتوهمه خلافا وفاقا ، ووجد العقل لبنا والشرع زبدة ،

ذلك الابن منزه وشبه لا تنزيه مطلق كتنزيه المتعقلة، ولا تشبيه مطلق كتشبيه المشبهة، فتشبيهه عين تنزيهه، كشف الله تعالى له عن حقيقة الأمر فعرف محل التنزيه من محل التشبيه فأنزل الأشياء منازلها، وأورد النصوص الواردة مواردها، وحينئذ صار إطلاق إسم المؤمن عليه مجازا، إذ المؤمن هو المصدق تقليدا، وهذا قد ارتفع عن مرتبة التقليد فهو يشاهد الأمر عيانا صار الغيب عن غيره شهادة له شهادة ضرورية، وانظر قوله تعالى، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فهاتان الآيتان جمعتا التنزيه والتشبيه، فان قوله ليس كمثله شيء تنزيه على زيادة الكاف، كما هو رأي جمهور المتكلمين صريح فى نفي الشبيه والمثل، وقوله وهو السميع البصير، تشبيه صريح لأن تعريف الجزءين يفيد حصر الخبر وقصره على المبتدأ، فهو في قوة لا سميع ولا بصير الا هو، وكل سميع وبصير هو، ويصح تركيب قياس من الشكل الاول فتقول، كل حي سميع بصير، السميع البصير هو الله لا غيره، فتكون النتيجة كل حي هو الله لا غيره، أما صدق الأولى فبالضرورة، وأما صدق الثانية فبالكتاب العزيز، بل قوله ليس كمثله شيء بانفراده يعطي التنزيه والتشبيه، على أن الكاف كاف الصفة كما هو رأي العارفين بالله تعالي، فان الكلام المعجز يجل عن الزيادة ولا يصار الي الزيادة، الا عند التعذر، ولا تعذر هنا عند العارفين فمعنى إشارة الآية الكريمة الي هذا، إثبات المثل له تعالي، وهو التشبيه ونفي المماثلة عن هذا المثل وهو التنزيه، فانه إذا كان لا مثل لمثله، كان نفي المثل عنه تعالي أولى وأحق، وليعلم أن الحق تعالي من حيث اسمه الباطن واسمه الأول، لا كلام فيه لعقل، ولا خبر عنه لرسول، ولكن من حيث اسمه الظاهر واسمه الآخر أمكن للعقول الاستدلال عليه، وللرسل أن تخبر عنه، لأنه لما ظهر باسمه

الظاهر فأوجد العالم على صورته ، أي صورة علمه ، وعلمه عين ذاته ، والعلم عين المعلوم ، ثم أوجد الانسان على صورة العالم ، وجعله نسخة مختصرة من العالم ، حينئذ أمكن الكلام فيه ، فالمماثلة إنما هي بين الصورة الأولي التى هي صورة الحق تعالى : وبين الصورة الثانية التى هي صورة الانسان الكامل ، فيكون المعني ليس مثل مثله شيء ، فالمثل المنزه هو الانسان الكامل ، أثبت له المثلية ونفى عنه أن يكون له مثل ، إذ هو الأصل فى إيجاد العالم ولو تأخرت صورته ، فالعالم كله بجميع أجزائه العرش وما حوى يماثل الانسان ، والانسان بمختصره يماثل العالم كله فالعالم بمجموعه مثل ، والانسان بمفرده مثل ، فانت ترى هذه الآية كيف نزّهت ، لان تنزيه المماثل اسم فاعل ، تنزيه للمماثل إسم مفعول ، وشبهت باثبات المماثل ، فالمؤمن الذي يكون القرآن له شفاء ورحمة يكون القرآن كله له محكما ليس فيه متشابه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، فما في القرآن اختلاف ، بل هو كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير ، وأما قوله وأخر متشابهات ، فانما ذلك فى حق من ينصر عقله ويرجحه على الكتاب والسنة ، فان الله ما أرسل رسله إلاّ ليعلّموا عباده ويعرفوهم بربهم ، فطالب الحق بفكره وعقله ليس القرآن شفاء له ، فانه إذا سمع آية أو خبرا يفهم من ظاهرهما تشبيها ، يقول أورث هذا الخبر أو هذه الآية شبهة عندي ، حيث خالفا عقله ، فمثل هذا لا يكون القرآن شفاءه بل يزيد فى علته ، وهو من الظالمين الذين يزيدهم القرآن خسارا ، إذ الظلم وضع الأشياء فى غير مواضعها التى تستحقها ، وممن قال في حقه ، يضل به كثيرا ، ومن الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه حتى يؤوّلوه ويردوه إلى عقولهم ، وقد

عمت هـذه البلوى ، فلا تجـد اليوم فقيها الاَّ على هـذا المذهب ، وقد نصحتك والله الموعد

(الموقف المائة والسبعه)

قال تعالى ، من اهتدي فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ، إعلم أن من حصلت له الهداية اهتدى ووصل الى مقصوده فانما اهتدى ووصل الي نفسه لا الى غيره ، ومن ضل بان لم يصل إلى مقصوده ولا اهتدى اليه فانما يضل على نفسه ، أي عن نفسه ، فعلى بمعني عن وذلك لأن نفس الانسان وروحه هي كل شيء يصح أن يعلم وتقصد معرفته من حق وخلق ، وجوهر وعرض ، وحادث وقديم ، فاذا طلب الانسان الهداية الى شيء ليعرفه ووصل اليه وعرفه فذلك الشيء نفسه وروحه ، فهي التى تصورت له بصورة ذلك الشيء المطلوب المهتدي اليه ، إذ الانسان متى صفت روحه ونفسه وتزكّت باتباع الكتاب والسنة ظاهرا وباطنا ، واستعملت الرياضة والمجاهدة وأراد أن يعلم شيئا من الأشياء تصورت له روحه بصورة ذلك الشيء المطلوب على حسب ماهو ، وعلى حسب مايريد الله تعالى من تعريفه ، فروح الانسان خالية من كل شيء لا نقش فيها لأنها أمر الله تعالي الواحد الذي هو كلمح البصر ، والمعلومات في العقل بالقوة ، فاذا امتزج العقل بالروح إمتزاجا معنويا ، ظهرت العلوم فى النفس وتصورت بها حتى الحق تعالي ، ومايستحقه من نعوت الكمال ، فكل ذلك إنما هو للنفس والروح فهي التى تصورت بمسمى الحق تعالى واجب الوجوب حتى علم وعرف بجميع مايجب له من الكمالات ، وطالب الحق تعالي إذا اهتدى ووصل يجد الطالب عين المطلوب واليه يشير خبر ، من عرف نفسه عرف ربه ، فالفتح الذي يذكره القوم رضوان الله عليهم ، هو أن

يكشف تعالى للعبد أنه هو من غير حلول ولا اتحاد وأن الرب رب والعبد عبد، لا يصير الرب عبدا ولا العبد ربا، فان قلب الحقايق محال، وجميع الأوامر والنواهي الشرعية إنما هي موضوعة لرفع الحجاب عن العبيد، حتي يصلوا إلى ربهم وصول علم برفع النسب والاعتبارات الحسية والعقلية، إذ هي كلها عند التحقق نسب لا عين لها في الوجود الحق، ولكن الآفة الطارئة على الاصول(١) صيرته يرى الواحد اثنين، فسبحان مقلب الأبصار والبصائر

(الموقف المابة والثمانية)

قال تعالى، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، إعلم أن الأولية والآخرية بالنسبة الى الممكنات هي نسبة وإضافة، فالأول أول بالنسبة الى مابعده، والآخر آخر بالنسبة الى ماقبله، وقد يكون الممكن أولا وآخرا بنسبتين مختلفين، وأما أولية الحق تعالى، فهي عبارة عن نفي البداية عن وجوده تعالي وهي ثابتة له تعالي أذلا كسائر أسمائه لا باعتبار موجود إذ لو كانت أوليته ونحوها بالنسبة الى الممكنات لكانت الممكنات ثانية له وليس الأمر على هذا أو أول باعتبار أن كل ما سواه منه ابتداؤه وآخريته هي عبارة عن رجوع الأمور كلها اليه، كما قال، الا إلي الله تصير الأمور، واليه يرجع الأمر كله، وليس الشأن في أوليته وآخريته بهذا المعنى، وإنما الشأن في أوليته التي تجامع آخريته، وآخريته التي تجامع أوليته، إذ هذه هي الخصيصة بالألوهية وهي التي عرف الآله بها، وهي الجمع بين الضدين، وليس المراد أنها عين تجمع الضدين، بل هي عين الضدين تظهر بهما معا، فهو أول من حيث ماهو آخر، وآخر من حيث ماهو أول، والعين واحدة لا من نسبتين بل من

---

(١) لعله الابصار

نسبة واحدة ، وانه تعالى مع كل شيء ، لا يتقدم عن شيء ولا يتأخر عن شيء ، ولا يتجزأ ، ولا يتبعض ، فنسبه الذات الى الموجودات العينية والعلمية نسبة واحدة ليس للموجودات تقدم ولا تأخر بالنسبة اليها ، فاخريته عين أوليته أولا أوليته ولا آخريته : والحصر المستفاد من تعريف الجزءين يفيد أنه لا أوّل الاّ هو ، ولا آخر الاّ هو ، فكل أول وآخر هو ، ولا آخر إذ الممكنات لا نهاية لها ، فهي متجددة لا إلى آخر وهذا هو الذي حير العقول وما قبلته ، وكذا الظاهر والباطن ، فهو ظاهر من حيث ما هو باطن ، وباطن من حيث ما هو ظاهر من جهة واحدة ، فظهوره عين بطونه ، وبطونه عين ظهوره ، من حيث الجمع الذاتي ، ولكل واحد منهما أحكام وخصوصيات ، من حيث الفرق الصفاتي ، هذه الجملة لقنيها الحق فى النوم فألحقتها . فالاسم الباطن هو النفس الرحماني ، والاسم الظاهر هو العما والنفس ، عين العما ، ولكن تبدلت صورته التى هي أمر اعتباري ، والعما عين العالم ، فالباطن عين الظاهر ، والظاهر عين الباطن ، والآية مصرحة بهذا كما قدمنا ، فلا ظاهر الاّ هو ، ولا باطن الاّ هو ؛ فكل باطن وظاهر هو ، فهو الشاهد والمشهود والشهادة ، ولا نقول ظاهر باسمائه ، باطن بذاته ، كما يقول الفقيه ، لأن الأسماء أمور معنوية يستحيل ظهورها دون الذات المسماة بها ، فهو الظاهر بالذات ، الباطن بالذات : الظاهر للابصار والبصائر ، الباطن عن الأبصار والبصائر ، فأين الله وأين العالم فما ثم الا الله المسمى بالعالم ، فهو الظاهر فى عين العالم ، والعالم مظهر له . وكل ظاهر فى مظهر فقد انضم الظاهر الى المظهر من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج وكيف يتحد الوجود بالعدم ، أم كيف يحل الحدوث فى القدم ، وقد كان الحق باطنا فاظهر نفسه بالعالم ، فصار ظاهرا لان العالم صورته . وهذا معنى قولهم

علم نفسه، فعلم العالم من علمه بنفسه، إذ ليس العالم بشيء زائد عليه تعالى، قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه

نحن المظاهر والمعبود ظاهرنا ومظهر الكون عين الكون فاعتبروا
ولست أعبده الا بصورته فهو الآله الذي في طيه البشر

وقال أيضا

فلا تفر ولا تركن الى طلب فكل شيء تراه ذلك الله

وقال أيضا

فما ثم إلا الله والكون حادث وما ثم الا الكون والله ظاهر
وما العلم الا الجهل بالله فاعتصم بقولي فاني عن قريب أسافر

فظهور الحق تعالى بذاته مسمى بأسماء العالم، متصفا بصفاته، هو حجابه وبطونه، ولو ظهر بأسمائه وصفاته ما كان للعالم عين ولا اسم، فهو كالواحد ينشيء الأعداد الي غير نهاية بذاته دون اسمه، إذ ليس العدد الا الواحد المتنقل في مراتب الأعداد، متسميا بأسماء المراتب كالاثنين والثلاثة، الي ما لا يتناهى، ولو ظهر باسمه وقيل واحد لبطل العدد، فمن تجلى الحق تعالى عليه باسمه الظاهر، رآى الحق تعالى في كل شيء من ذرات العالم علوي وسفلي، وما زهد في شيء، ولا طلب الاحتجاب عن شيء، وهذا هو الذي يري الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة، يعني أنه يرى الواحد الحقيقي كثيرا بنسبه وأسمائه واعتباراته، ويرى الكثير واحدا باعتبار رجوع الكثرة الى العين الواحدة وحدة حقيقية، وكذا الجاهل يرى الحق تعالى لأنه عين كل ما يرى، ولكن لا يعرفه فهو يكلم الحق تعالى ويكلمه وهو معه في كل حركة وسكون، وهو جاهل به، فالفارق بينهما العلم والجهل لا غير وحيث كان الأمر كما قلنا

وقاله كل عارف بالله ، فأين الحجاب وليس الاّ الحق تعالى فهو لا يحتجب عنه شيء ولا يحجبه شيء ، ولا يصح أن يقبل الحجاب ولا أن يكون غيره محجوبا عنه فانه لا غير ، وما ورد من ذكر الحجب النورية والظلمانية وعدها بسبعين وسبعمائة وبسبعين ألفا ، وقول جبريل بيني وبينه سبعون حجابا لو وصلت الي أدناها لاحترقت ، وإنه لولا الحجب لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره فى خلقه ، فقد قال شيخنا محي الدين رضي الله عنه ، حقيقة سبحات الوجه هي دلائل ذاتية إذا ظهرت نسبا لا أعيانا ، فتبين أنه عين تلك الأعيان أعني الوجه فزال الجهل الذي كانت ثمرته أن العالم ما هو عين الوجه فبقي العالم على صورته ، ثم تذهبه السبحات بل اثبتته وأبانت عن الحق ماهو انتهى ، أقول ما ذكره سيدنا ظاهر فى حق من يمكن أن يكون عليه حجاب ، فتحرقه السبحات فيزول ، فيقال كان فى حجاب ثم احترق وزال ، وأما في حق من لا يصح فى حقه حجاب دون شهوده كالملك فغير ظاهر ، لأن معرفة النبي والملك بالله تعالي ضرورية فطرية ، لا يقال أنهم كانوا فى حجاب ثم احترق وزال ، وعندي أن الحجب فى حق النبي والملك إنما هي مظاهر هيبة وجلال وعظمة ، بحيث لا تمكن مشاهدتها لخصوصية ذاتية لها ، فهي تغني مشاهدها وتمحقه وتسحقه ، وأما غير الملك فما حجابه إلاّ الجهل لظهوره الظهور الذي لا يتصور مثله ظهور ، وقربه القرب الذي لا يماثله قرب ، واتصافه بصفات المحدثات ، وتسميه بأسمائها ، فجهل لذلك واحتجب واستتر ، والجهل لا عين له فانه عدم العلم ، كما قال تعالى ، وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ، أي مجهولا ، لأنه لو كان المراد أن الحجاب عليه ساتر يستره ما كان المستور حجابا ، ولكان الساتر أولى باسم الحجاب فليس

الحجاب المستور إلاّ الجهل لا غير ، وأما الأسم الباطن فالتجلي فيه ممنوع جملة واحدة ، ما تجلى فيه لأحد سواه ، قيل لي في الواقعة يوم تقييدى لهذا الموقف ، لو كان الحق متجليا لأحد من خلقه ، لتجلى للعلماء ، فعرفت أن المراد بالتجلي ، التجلي الممنوع ؛ وهو التجلي من حيث الاسم الباطن ، وأن المراد بالعلماء ، العلماء بالله تعالى ، الذين هم أعلى من العارفين

(الموقف المائة والتسعة)

قال تعالى ، لا تدركه الأبصار ، وورد فى الأثر أنه صلى الله عليه وسلم سئل ، هل رأيت ربك ؟ فقال ، نوراني أراه ، وورد أنه قال لسائل آخر ، نعم رأيته ، والتحقيق عندنا ، أنه رآه يقظة ليلة الاسرا ، وما زاغ بصره وما طغى ، وجوابه للسائل فى الرؤية الأولى ، أما لكونه صلى الله عليه وسلم ، عرف منه أنه لا يعرف إلاّ رؤية الذات البحت مجردا عن المظاهر ، ولا يعرف هذا السائل أمر التجلي فكان هذا الجواب الساذج أولى به ، وأما أن يكون السائل لا يعرف الا الرؤية المعتادة عند العامة التى تمنع أنوار الأشعة الرائي من تحقيق مارأى ، فورّي له صلى الله عليه وسلم ، بأن الحق تعالي إسمه النور ، وأمر النور في منع تحقيق الرؤية مشهور ، وما قال مارأيته لأن هذا السائل لا يعرف أن من رأى الحق إنما يراه ببصر الحق لا ببصره المقيد ، فانه قال فاذا أحببته كنت سمعه وبصره ، الحديث ، وهو اللطيف الخبير ، ومن لطفه تعالى أنه أخبر ، أن هويته هي بصر العبد وجميع قواه ، ومع ذلك لا يقدر أن يميّز بين بصره وبصر الحق تعالى ، فمحمد صلى الله عليه وسلم رأي ربه يقينا فى مظهر وهو التعيّن الأول وهو الخاص بمحمد صلى الله عليه وسلم ، لا يشاركه فيه غيره من رسول وملك ،

والرؤية في غير تعيّن محال ، وهذه الرؤية التي حصلت لمحمد صلى الله عليه وسلم من غير سؤال هي التي سألها موسى صلى الله عليه وسلم فمنعها على حسب سؤاله لا مطلقا ، وما حصلت له حتى صعق ثم أفاق فما أطاقها مع بقاء هيكله على حالته ، وهو معنى قوله ان تراني أي لا تطيق رؤيتي مع بقائك على حالتك حسب سؤالك وأطاقها محمد صلى الله عليه وسلم لما خصه الله تعالى به من القوة روحا وجسما ، وأنه صاحب أرادني وسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام منتهاهم قاب قوسين ، وهو ظاهر العلم وظاهر الوجود ، والرؤية الحاصلة لمحمد ولموسى عليهما الصلاة والسلام ، هي غير المشاهدة الحاصلة لكل عارف بالله تعالى ، من نبي وولي وان تفاوتت مراتبهم في المشاهدة وسواء كانت المشاهدة حال الغيبة عن العالم والمحققون من العارفين لا يقولون أنهم يرون الحق تعالى حالة شهودهم بل يقولون إنهم ما رأوه قطعا وإنما يرون صورهم ومراتبهم واستعداداتهم في الوجود الحق تعالى ، فلا يشبهه الشاهد منا الا نفسه لأن المشاهدة على قدر ما يعلمه منه ، وإن كان العلم خلاف الشهود والرؤية فكل مشهود معلوم ما شهد منه وما كل معلوم مشهود ، فما يلزم من شهود الشيء العلم بحده وحقيقته وإلا فما علمه ولذا كان علمنا بالله شعورا فقط والشعور علم إجمالي يعطي إن ثم مشعورا به ، ولكن لا يعلم ما هو كما إذا رأيت صندوقا مقفلا ، فحركته فوجدته ثقيلا تعلم أن فيه شيئا ، ولكن لا تعلم ما هو وإنما يقول المحقق انه ما رأى الحق في مشاهدته لأن الصور دائما تتنوع على الرائي والحق تعالى عين واحدة لا يتنوع ، مع أن المحقق يعلم أنه ما رأى الصور إلا في مرآة الوجود الحق تعالى ، فهو يرى ، ولهذا يشير أمامنا وقدوتنا محي الدين -

قلوب العارفين لها ذهاب   إذا هي شاهدت من لا تراه
وذا من أعجب الأشياء فينا   نراه وما نراه إذ نراه

على أنه في حال الغيبة عن العالم في المشاهدة يقال أنهم رأوه ولكن من الرائي ومن المرئي فانها فناء محض ، فالرائي هو المرئي إذاً ، فعلى كل حال ما رأوه وإنما يرى الراءون صورهم ونفوسهم ومنزلتهم ، فكل مشاهد للحق تعالى أو الخلق وكل عالم بالحق أو بالخلق إنما يشاهد ويعلم من كل مشاهد ومعلوم قدر استعداده ومنزلته ، ولكن في الوجود الحق تعالى ، وما رأى ما رأى إلاّ فيه ، فان قال رأيت الحق صدق على طريقة التوسع ، وإن قال ما رأيته صدق ، فانه تعالى غير متعيّن حال تعينه من حيث الذات ، وغير مقيد حال تقيده وفي قوله ، فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها ، تصريح بما ذكرنا ، يعني أن من أبصر الحق عند نفسه وفي زعمه فانما أبصر نفسه ، بمعني استعداده ومرتبته ، ومن عمي فلم يبصر فانما عمي عن نفسه فعلي بمعنى عن ذلك ان كل من رأى شيئا يقظة أو مناما إنما يراه على قدر استعداده فنفسه رأى فما أبصر مبصر الحق من حيث هو لأن المقيد لا يبصر إلاّ مقيدا ، ولا يبصر المطلق عن القيود أبدا ، فرؤية الوجود الحق تعالى مجردا عن المظاهر والقيود محال في الدنيا وفي الآخرة للرسول وللملك ولأشرف مخلوق وأقربه محمد صلي الله عليه وسلم ، ولذا يقول أمامنا محي الدين

ولم يبد من شمس الوجود ونورها   على عالم الأرواح شيء سوى القرص
وليست تنال الذات في غير مظهر   ولو هلك الانسان من شدة الحرص

يريد أن الشمس يدرك قرصها ولكن لا يحاط بها ولا تنضبط كيفياتها ولا يعلم ماهي عليه وكذا الوجود الحق يشهد بالصود والمظاهر لأنها لا تشهد

إلاّ فيه وبه ولكن لايعلم ولا يحاط به ولا ينضبط فما شهد حقيقة إذ نسبة ماأدرك منه الى مالايدرك نسبة المتناهي الى غير المتناهي وقال بعضهم

كالشمس يمنعك اجتلاؤك نورها   فاذا اكتسبت برقيق غيم أمكنا

مشبه ظهور الوجود بالشمس فالشمس إذا كانت عارية من السحاب لاتدرك وكذا النور الوجودي إذا كان مجردا عن المظاهر فاذا كسا الشمس سحاب رقيق أمكن شهودها بحسب إدراك الرأي لا بحسب ماهي عليه وكذا الوجود النورى قال شيخنا محيي الدين

الشمس تدركنا والشمس ندركها   نعم ومنها الينا العطف والمدد
وإننا لنراها وهي ظاهرة   مثل التجلي ولم يظفر به أحد
النور يمنعنا من أن نكيّفها   فكيف من لا له كيف فيتحد

فالوجود الحق مرآة تظهر صورة المتجلي له فيها يقدر استعداده، فتظهر أحواله وأحكامه كما أن الوجود يظهر فى مرايا الأعيان بحسب استعدادها وقابليتها لظهور أحكامه وأوصافه والصورة دائما حائلة بين الرائي والمرآة فغير ممكن أن يبصر المبصر الصورة والمرآة فى آن واحد، كما ذلك هو فى الشاهد فلا يبصر أحد الوجود الحق من غير صورة إلاّ إذا فني عن القيود كلها وحينئذ يكون الرائي والمرئي هو الحق فما أبصره غيره إذ الغيرية منتفية حال الفناء فلو فرض أن الرائي ماظهرت له صورته ولاصورة غيره ربما كان يراه، وهذا لا يكون البتة، فمحمد صلي الله عليه وسلم الذي هو أحب وأشرف وأقرب من كل مخلوق ماراّه في مرتبة أو أدنى إلاّ فى مرتبة التقييد فكيف يطمع غيره فيما لا مطمع فيه، وما نزل وحي ولا أخذت شريعة إلاّ من مرتبة التقييد، وقد ورد فى الخبر، المؤمن مرآة المؤمن، أي المؤمن الذي

هو الحق مرآة المؤمن الذى هو الولي ، وبالعكس وإنما خص المؤمن وإن كانت مرآئية الحق عامة لشرفه ؛ ولأنه هو الذى تنكشف له هذه المرآتية لا غيره ، وقال إمامنا محي الدين ، هو مرآتك وأنت مرآته ، يعني هو مرآتك في رؤيتك نفسك ، وآنيتك الوجودية العينية ورؤية غيرك كذلك ومرآتك فى شهودك عينك الثابتة العلمية الغيبية ، إذا كوشفت بها وكنت من خاصة الخاصة وأنت باعتبار وجودك العيني مرآته تعالى في رؤية أسمائه التي هي ذاته مأخوذة ببعض النسب والاعتبارات ، وليست النسب غير الذات ، فتارة هو المرآة والعبد الرائي ، وتارة العبد المرآة وهو الرائى والمرئي ، فالتبس الأمر ، واختلط الشأن ، فلم يتميّز الرائي من المرئى من المرآة ، فأيها حق وأيها خلق ، فان الناظر نفسه فى المرآة هو الوجود الحق ، إذ كل راء لا يرى الحق إلاّ بما فيه من الحق ، والصورة في المرآة إنما ظهرت من المتوجه على المرآة وهو الوجود الحق ، والمرآة هي الوجود الحق

رق الزجاج ورافت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

البيتان نسبهما الشيخ الأكبر الى الحسن بن هانىء ، ونسبهما ابن خلكان الى الصاحب بن عباد ، انتهى بخطه ، حار العارفون وحق لهم أن يحتاروا وأرادوا أن يجعلوه عين العالم فما صفا لهم ذلك لنزاهته وقدسه وأرادوا أن يجعلوه غير العالم فما صح لهم ذلك ، لأن العالم ليس بشيء زائد على نسب علمية مع اعتبار العلم عين الذات ، فالعارف فى حجاب ، والجاهل فى حجاب ، وان اختلفت الحجب والعالم فى حجاب ، والرأي فى حجاب ، والمشاهد في

حجاب ، والمكالم في حجاب ، وكل ما أشعر بالاثنينية فهو حجاب وإنما الشأن في العينية وهي لا تجامع الشعور بقيد من قيود الغيرية : ومن غريب الاتفاق أن إمامنا محي الدين رضي الله عنه ، ذكر عندما تكلم على الطبيعة أنه رأى أمه مكشوفة العورة فسترها ، قال فلذلك سترت، وما أظهرت ما كنت أضمرت أو نحو هذا الكلام ، يريد أنه عبّر الأم بالطبيعة ، وأنا عبد الله رأيت أثناء كتابتي لهذا الموقف في المنام أبانا آدم عليه السلام أخرج من قبره عريانا فسترته بكسا ، وكان عندي ، فعرفت أن الذي فيه هو الأب الحقيقي الذي منه خرجنا وعنه درجنا ، فلذلك رمزت ولوحت ، وسترت وما أوضحت ، وفي آخر هذه الرؤيا بشارة وأي بشارة ، والحمد لله رب العالمين

(الموقف المائة والعشرة)

قال تعالى ، وقل رب زدني علما ، إعلم أن رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم ملّكه الله تعالى كل فضيلة ، وزينه بكل خصلة جميلة ، وما أمره بطلب الزيادة من شيء الاّ العلم لعظم شرفه ، ولشرفه على سائر الأسماء والصفات جعله بعض سادات القوم أمام الأئمة ، واعترض على الشيخ الأكبر حيث جعل الأسم الحي أمام الأئمة ، ولهذا كان علم الحق تعالى عين ذاته إذ المعوّل عليه هو العلم ، فلو كان غير ذاته تعالى لكان المعوّل عليه غير الذات ، وهذا لا يقوله عاقل ، وليس المراد بالعلم المأمور بطلب الزيادة منه علم الشرائع والأحكام ، من واجب ومباح وحرام ، فان هذا النوع من العلم كان صلى الله عليه وسلم يكره الزيادة منه ، ويقول لأصحابه الكرام اتركوني ما تركتكم أي لا تسألوني عن الحلال والحرام ، وعن الواجب هل مكرر أم لا كما في

حديث الحج حتى أخبركم إذا نزل به وحي وقال صلى الله عليه وسلم، ومن أظلم ممن سأل عن شيء فحرم من أجل سؤاله أو كما قال وإنما المراد بالعلم المأمور بطلب الزيادة منه هو علم التجليات الربانية، وعلم الأسماء والصفات الالهية، وهو العلم الذي لا تزال ثمرته ملازمة لصاحبه في الدنيا والآخرة في جميع مواطن القيامة وفي الخلود، في الجنة أبد الآباد، وأما غيره في سائر العلوم فانما يحتاج اليه في الدنيا، دار التكليف والاحتياج والفاقة، وليعلم أن العلم حقيقة معنوية بسيطة، لا توصف بالزيادة والنقص، والقلة والكثرة، إلاّ من حيث المعلومات المنكشفة بها فحينئذ تتعدد بتعدد المعلومات كما أن كل معلوم حقيقة واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ ولا تتبعض، ولكن كل وحدة لها كثرة بحسب وجوهها واعتباراتها، قليلة أو كثيرة، فبهذا تلحق العلم القلة والكثرة والزيادة والنقص مثلا الحقيقة يكون لها مائة وجه واعتبار، علم منها زيد عشرين وجها، وعلم عمرو خمسين، وعلم بكر ثمانين، فعلم زيد أنقص من علم عمرو وعلم بكر أكثر منهما، وعلم عمرو أكثر من علم زيد وأنقص من علم بكر، وكل من زعم أنه علم شيئا وانتهى علمه فيه، فذلك دليل على أنه ما علم ذلك ولا يعلم المعلوم الاّ العلم، وأما العالم فانما يدركه بواسطة العلم فلهذا كان العلم حجابا بين العالم والمعلوم، فلا تقل إنك أدركت شيئا قديما أو حادثا وإنما أدركت العلم وكل الأشياء تدرك بالعلم، والعلم يعلم بنفسه، وقد ذكرنا في غير ما موقف من هذه المواقف أن الوجود ليس الاّ للحق، وكذا توابع الوجود من علم وقدرة وإرادة، وسمع وبصر، وكلام وحياة، فما لا وجود له لا شيء له، وقد ذكرنا أن علم الحق تعالي عين ذاته فافهم واعرف، وارفع الستارة ولا تقف، فان العرائس من ورائها أفدي من ذاق كلامنا أفدي من اذا

لم يذقه سلمه الينا ، ومن ذاق ما ذقنا عرف الفرق بين العلم والوهم ، وليس الوهم الا الخيال الذي هو محتد العالم كله ، أعني معرفة الفرق بالمعني الذي رمزنا عليه ، وأومأنا اليه ، لا بالمعنى الذي قاله علماء الرسوم فى أنه عند استواء الطرفين يكون شكا ، فاذا كان أحد الطرفين راجحا والآخر مرجوحا ، كان الراجح ظنا والمرجوح وهما ، ولهذا يقول كل ما يحسبه علماء الرسوم علما فهو وهم ، وهذا العلم هو الذي يقول القوم فيه إنه حجاب ، فان الحق تعالى إذا تجلى باسمه الظاهر يكون هذا العلم حجابه ؛ رأيت فى الواقعة سفينة فسألت عن اسمها فقيل اسمها جالب اليواقيت الى أجواف الخبائث ، فعرفت أن السفينة هي العلم المنجي من بحار الجهالات ، وأمواج الأهواء ، وريح الضلالات ، وجلبه لليواقيت هو ما ينكشف به من نفائس المعلومات ، والحقائق المبهمات ، وأجواف الخبائث هي النفوس الطبيعية ، فان الخبث ضد الطيب ، والأرواح طيبة كما قال ، اليه يصعد الكلم الطيب ؛ والنفوس ما هي مثل الأرواح فهي بالنسبة الى الأرواح خبث ، وبواسطة الارواح تنكشف المعلومات للنفوس

(الموقف المائة والحادي عشر) .

قال تعالى ؛ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، أى مثل الذين كفروا وستروا علمهم ومعرفتهم بربهم ومثل أعمالهم كسراب بقيعة ، أى هم وأعمالهم فى التمثيل كالسراب الذى يدركه المدرك بالقاع فيتوهم بحسب إدراكه أنه أدرك شيئا يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، هذا وجه الشبه يعني أن المتعطش الى ماء الحياة الأبدية والقرب من الله تعالى ، إذا رأى الذين

كفروا ورأى أعمالهم فى اجتهادهم وملازمتهم للطاعات ؛ واقبالهم على أنواع القربات ، والمسارعة الي نوافل الخيرات ، يحسبهم أنهم عند أنفسهم لهم وجود وانهم فاعلون ، تاركون ، متقربون ، وأنهم يرجون بذلك حصول نفع ، أو دفع ضر ، فيعظم ظمأ المتعطش الي ماء الحياة والقرب من الحق تعالى ، فاذا وصل الظمآن الى ظاهر أحوالهم واليهم ، وتجاوز من معرفة ما ظهر الي ما بطن ، لم يجدهم في أنفسهم ولا في أعمالهم شيئا مغايرا للحق تعالي ، وهكذا هو التجلي الآلهي فى الصور يكون بصورة حاجة المتجلي له ، كما تجلى لموسى عليه الصلاة والسلام بالنار لأنه كان يطلبها ، فهذا المتعطش إلى السعادة الأبدية يحسب أن ما عليه الذين كفروا فى ظواهرهم من الأعمال هو الماء الذى من شرب منه لم يظمأ أبدا ، فلما وصله لم يجد من تلك الصور العاملة العابدة فى باديء الرأي ولا من الصور المفعولة المتعبد بها ، الا الله تعالي متصورا بصور العابدين وبصور عباداتهم، ومتجليا بها ، فكان الله تعالى العابد بتلك الصور وهي كالآلات وهو المعبود بها وهذا معني وجد الله عنده ، أو يكون المعنى أن الطالب لماء القرب منه تعالي يتوهمه بعيدا منه ؛ كما يرى العطشان السراب من بعد فيطلبه ويلقى فى طلبه مشقة وتعبا ، فاذا جاءه بمعنى انكشف عن الطالب حجابه ، وأميط عن المطلوب نقابه ، وجد مطلوبه عنده ومقصوده بعد ما فارقه من أول قدم كما قيل

ومن عجب أني أحن اليهم ... وأسأل شوقا عنهمُ وهم معي
وتبكيهمُ عيني وهم فى سوادها ... ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

فوفّاه حسابه أي أعطاه عطاء تاما فوق ما كان يؤمله ويحسبه ، ويعده

من الكرامة، وحسن المقامة، فانه تعالى عند ظن عبده به ، كما أخبر تعالى بذلك عن نفسه

(الموقف المائة والثاني عشر)

قال الحق تعالى لبعض عبيده أتزعم محبتي وان كانت فما هي الاّ نتيجة عن محبتي لك فأنت أحببت موجودا وأنا أحببتك معدوما ، ثم قال له وتزعم أنك تطلب القرب مني ، والانحياش اليّ ، وأنا أشد طلبا لك منك ، طلبتك لحضوري من غير واسطة يوم ألست بربكم وكنت روحا ثم نسيت فطلبتك بارسال الرسل بعد أن صرت جسما ، كل هذا محبة فيك لك لا لي ، ثم قال له ، أرأيت لو كنت فى أشد ما يكون من الجوع والعطش والتعب ودعوتك لي فتعرضت لك الجنة ، بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها وغلمانها وولدانها ، بعد أن أعلمتك أنك لا تجد عندى شيئا من ذلك ماذا كنت فاعلا ؟ فقال له ، أعوذ بك منك

(الموقف المائة والثالث عشر)

قال تعالي ، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه ، سيجزون ما كانوا يعملون ، من البيّن المعروف عند أهل اللغة والعقل أن الاسم ما عين المسمى وميّزه عن غيره ، وهو عند أصحاب الكشف والشهود كل ما ظهر فى الوجود ، وامتاز في الغيب علي أختلاف أنواع الظهور والامتياز ، وهو فى التحقيق التجلي المظهر لعين الممكن الثابتة فى العلم والحق تعالى ما ميزته هذه الأسماء ، التي يقال أنها حسنى إذ قد شاركته فى التسمية بها المحدثات فانه يقال فى غيره تعالى ، أنه حي متكلم قادر عليم الى آخر الأسماء الحسنى ، وسمي تعالى نفسه ونعتها فى كتبه وعلى ألسنة رسله بأسماء المحدثات

ونعوتها ، التي يقول فيهـا المتكلمون أنها ليست أسماء ولا نعوتا له تعالي ، ويؤولونها ، ومن جملة الأسماء الحسنى الظاهر ، وهو تعـالي ، ما ظهر لنا فى العموم حتي نعـرفه ونميزه بهـذا الاسم ، فأين التمييز بهـذه الأسماء الحسنى المحصورة فى التسعة والتسعين ، فما بقي الا أن كل ما يقال فيـه غير الله وسوي الله ، هو مسمى باسم خاص ، ومنعوت بنعت خاص ، لا يشاركه فيه غيره من المحدثات فهو تميز محـدث عن محـدث والله تعـالى له جميع الأسماء والنعوت التي يقال فيها حسنى والتي يقال فيها غير حسنى ، وتـكون كلها حسنى اذا نسبت اليـه تعالى فالحسنى صفـة كاشفة لا مخصصة فما كان تميزه تعالى الا بجمع الأسماء جميعها والنعوت كلها، وغيره ليس له ذلك ومع هذا فلا يسمى ولا يطلق عليه الا ما أطلقه على نفسه من أسماء المحدثات ونعوتها ، أو أطلقته عليـه رسله عليهم الصلاة والسلام ، الذين هم أعرف به كما أنه لا يسمى غيره تعالى الا باسمه الخاص به، الموضوع له ، فما كل حق يقال فهو تعالي عين كل مسمى بكل اسم، وعين كل منعوت بكل نعت، وبهذا تميز فهو عين الـكل وليس الـكل عينه ، فما تميز تعـالي عن شيء ولـكن الأشياء تميز بعضها عن بعض ، تميز الأسماء بعضـها عن بعض ، والذات جامعـة للـكل يشير الى هـذا قوله تعالى ، يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله أثبت تعالى الافتقار اليـه لا الي غيره ، ونحن نجـد افتقار المحدثات بعضها إلى بعض ضرورة، فدل ذلك علي أن كل مفتقر اليه هو الله لا غيره ، وذروا الذين يلحدون في أسمائه أي اتركوا وباعدوا الذين يلحدون أي يميلون عن الأسماء التي يقال أنهـا غير حسنى ، الى الاسماء التي يقال أنهـا حسنى ، ويخصونه بها دون غيرها مما ورد من الاسماء والنعوت التي أطلقهـا الحق

تعالى على نفسه ، أو أطلقته رسله عليهم الصلاة والسلام، والمراد بالملحدين هنا الذين يؤوّلون ما ورد في الكتاب والسنة ، ولا يؤمنون به على مراد الله تعالى ومراد رسله عليهم الصلاة والسلام ، فهم يلحدون في أسمائه ويميلون عن أسماء التشبيه التي هي تجليه تعالى باسمه الظاهر ، الى أسماء التنزيه التي هي تجليه باسمه الباطن ، فلا يشهدونه ويعرفونه إلاّ في التنزيه وما هو تنزيه عند المحقق ، ولهذا يتعوذون منه تعالى في القيامة ، حين يقول لهم ، أنا ربكم ، فلو لم يلحدوا ووقفوا في نقطة الاعتدال كما هو الأمر عند السادات العارفين بالله تعالى ، تنزيه وتشبيه ما أنكروه في تشبيه ولا تنزيه ، عرفوه في جميع التجليات ، الظهور والبطون ، سيجزون ما كانوا يعملون ، ومن أشر جزائهم وأشده عليهم انحجابهم عن معرفته تعالى ، في الصور الشهادية الدنياوية ، وفي الصور الأخراوية ، في القيامة في ذلك الموقف الحافل الهائل

(الموقف المايه والأربعة عشر)

قال تعالي ، وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ، وقال ، وما ظلمهم الله، ونحوها من الآيات التي تثبت ظلم النفس لنفسها،فان صاحب النفس ليس مغايرا لنفسه حتى يكون هناك ظالم ومظلوم ، يعني إن الواقع بهم ، مما لا يلائم طباعهم ، مما يظن أنهم غير أهل له ولا مستحقينه ، وإنه تعالي ظلمهم بذلك فما هو الأمر كما ظن ، بل إن كان ذلك ظلما على سبيل الفرض فما هو منه تعالي ، وإنما ذلك من انفسهم وأعيانهم الثابتة ؛ فانها طلبت ذلك باستعدادها ، فليس لله تعالي الاّ إعطاء الوجود لما طلبوه باستعدادهم ، وبهذا كانت الحجة البالغة له تعالى عليهم ، وليس بين قوله فلله الحجة

البالغة وقوله ، فلو شاء لهداكم أجمعين ، تناف كما يتوهم حتى يقولوا ، لمّ لم تشأ هدايتنا جميعا ، فانه ما انتفت مشيئته هداية الجميع الا لانتفاء تعلق العلم القديم بذلك ، إذ العلم يتبع المعلوم ويتعلق به علي ما هو عليه ، فانه صفة انكشاف وحكاية للمعلوم ما هو صفة تأثير ، والمعلوم هو أن منكم مهتد ومنكم ضال ، فانتفت مشيئته هداية جميعكم لانتفاء تعلق العلم بهداية جميعكم ، وانتفى تعلق العلم بهداية جميعكم ، لكونكم مختلفين فى الاستعداد ، فمنكم مستعد للهدى ، ومنكم مستعد للضلالة ، والاستعداد لا علة له فانه من سر القدر ، والى هذا المنحا يشير قوله تعالي ، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم : أى أنه تعالى لا يغيز حال قوم أو أحد وينقلهم من حالة إلي حالة أدنى أو أعلى ، فى الظاهر ، حتى يغيروا ذلك بأنفسهم ، بمعنى يطلبون باستعدادهم فى الباطن من الحق تعالى إيجاد تلك الحالة المنتقل اليها وهو معنى التغيير ، فليس للحق تعالى الا إعطاء الوجود لتلك الحالة المنتقل اليها بطلبهم الاستعدادي وارادتهم لذلك وهكذا على الدوام فى جميع الأحوال ، فى جميع المخلوقات ، فما حكم عليهم غير أنفسهم

(الموقف المائة والخمسة عشر)

قال تعالى ، الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الآية ، الواو واو الحال ، والحال قيد فى صاحبها احترازا من الذين يذكرون الله ولا تطمئن قلوبهم بذكره وهم الظالمون العاصون يجري ذكره تعالي على ألسنتهم من غير حضور ولا تعظيم له تعالى ، قال تعالى ، في بعض الأخبار الالهية لبعض أنبيائه ، قل للظالمين لا يذكروني فانهم إن ذكروني ذكرتهم باللعن أو كما قال ، فقوله وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، هو وصف لمن أناب علي

إرادة كل من اتصف بهذا الوصف وهو الرجوع من الخلق الى النفس ، ومن النفس الى الحق تعالى ، وهو إيمان خاص أي آمنوا وصدّقوا بأنه تعالى يذكرهم ذا ذكروه لقوله تعالى ، فاذكروني أذكركم . ولقوله إذا ذكرني في نفسه إذ كرته فى نفسي الحديث بطوله ، فهؤلاء تطمئن قلوبهم وتأنس وتسكن من ألم الاشتياق وحرقه الحب ، وقلقه بذكر الله إياهم لابذكرهم إياه ، ثم نبه تعالى أنه لايحق الاطمئنان ، وينبغي السكون والأ ينـاس إلاّ بذكر الله تعالي لعبده فانه المنقبة العظمى والمرتبة الزلفى كما قال تعالى ، ولذكر الله أكبر ، أي ذكر الله تعالي عبده أكبر وأعظم من ذكر العبد ربه فى صلاته وسائر تقرباته ، من حيث إن ذلك أصح دليل على القرب والقبول

(الموقف المائه والستة عشر)

ورد فى بعض الأخبار ، ادعوني بألسنة لم تعصوني بها ، إعلم أن لسان العبد وسمعه وبصره وسائر قواه الظاهرة والباطنة هي فى نفس الأمر هوية الحق تعالى كما قال تعالي ، كنت سمعه وبصره ولسانه ، الحديث بطوله سواء شعر العبد بذلك أو لم يشعر ، فاذا كان العبد غير شاعر بذلك فانه ينسب اللسان والسمع والبصر وسائر القوى اليه ، فينسب جميع الأفعال إلى نفسه فاذا حصل للعبد كشف وشعور ، نسب الأفعال كلها الصادرة عن القوى فى بادي الرأي التي هي هوية الحق فى نفس الأمر إلى الحق تعالى لا إلى نفسه ، وحينئذ يكون داعيا باللسان الذي ماعصى الله به وهذا اللسان هو الحق تعالى ماهو اللسان الذي يعصي به العبد ولا يتصور ذلك ، فان العبد لا يعصي إلاّ إذا كان فى غير هذا المشهد وهو الفرق الأول ولا يمكن أن يكون الأمر في الخير للعموم ، فان العموم غير معصومين ولا أن يكون لخصوص المعصومين وهم الأنبياء

فانه تحصيل للحاصل ، ويصح أن يكون ماذكرناه في معني هذا الخبر مرارا في الخبر الوارد ،أوحى الله إلى موسى صلى الله عليه وسلم اذكرني بلسان لم تعصني به والمعصية من موسى عليه السلام محال فيكون أمره بالاحسان إلى أهل هذا المقام بالخصوص فيشكرونه فيكونون شاكرين ذاكرين له تعالى، به لعلمهم بالحقائق ومصادر الأمور يعني بمعني كن ، سببا في ذكري بلسان غيرك فمن يذكرني بي وإن كان له معني آخر ذكره أمام العارفين شيخنا محي الدين فانه لا ينافي أن يكون هذا المعني مرادا أيضا وكذا يصلح أن يحمل على هذا المعنى ماورد في صحيح البخاري وغيره من وافق تامينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه ، فانه ليس المراد من موافقة الملائكة إلا التبري من نسبة الأقوال والأفعال لغيره تعالي ، لا الموافقة في الزمان فانها لا أثر لها سواء كان مشهد المشاهد أن العبد فاعل بالله تعالى وهو الشهود الحاصل من قرب النوافل أوكان مشهده أنه تعالي فاعل بالعبد ، وهو الشهود الحاصل من قرب الفرائض

(الموقف المائه والسبعة عشر)

قال تعالي حكاية عن إبليس قال ، فبعزتك لاغوينهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين ، اعلم أن الغي هو الضلال عن المقصود ، والاغواء هو الاضلال عن المقصود،والمطلوب منه ،وبنو آدم في تعرض ابليس لهم ونفوذ ضرره فيهم ، على أقسام منهم من يتعرض له فينفذ ضرره فيه ظاهرا وباطنا وهم عامة بني آدم سواء منهم المؤمن وغير المؤمن ، ومنهم من يتعرض له ظاهرا وباطنا فينفذ فيه ضرره ظاهرا لا باطنا ، وهم الكمّل من الأولياء ورثة الأنبياء فانهم يقبلون مايأتيهم به من الشر الى الخير ، فيربحون بتعرضه فيجد لذلك غيظا وحسرة وهذا أشد مايلاقى إبليس من أولياء الله حيث رجع سهمه عليه ،

وعاد وبال فعله اليه ، ومنهم من يتعرّض له ظاهرا لا باطنا لعلمه بأن تعرضه لهم فى بواطنهم لا ينفذ لعصمتهم ، وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ولذا استثناهم بقوله « إلاّ عبادك منهم المخلصين » قرئ باسم الفاعل واسم المفعول ، وثمرة هذا الاستثناء وإن حصلت لبعض الكمّل غير الأنبياء فذلك من بركة متابعتهم للأنبياء ، وإلاّ فالمقصود بالقصد الأول هم الأنبياء وعدم تعرضه لهم فى بواطنهم بمعنى أنه لا يزين لهم المعصية ، ويحسن لهم المخالفة من حيث لا يعرفونه ، ويعدهم ويمنّيهم كما يفعل مع غير الأنبياء ، لا عدم التعرض مطلقا فان تعرضه لهم ظاهرا وارد فى الكتب الالهية ، والأخبار النبوية ، من غير أن يؤثر ذلك فى مقاماتهم العلية ، وأحوالهم البهية ، وحقيقة المعصية هي فعل محرم وقع عن قصد اليه ، والزلة ليست بمعصية ممن صدرت منه وإن كانت صورتها صورة معصية ، وكل ما ورد من الظواهر فى الكتب المنزّلة والأخبارات النبوية ، مما يعطي ظاهره نسبة الأنبياء الى المعصيـة فليس هو من المعصية حقيقته فى شيء ، وإنما ذلك بحسب مقاماتهم السامية وبحسب ما عرفوه هم دون غيرهم من جلال الربوبية فان قيل فلم أطلق الحق عليهم المعصية قلنـا يصح أن يكون خطابه لهم بذلك لكونهم لما صدر منهم ما صورته غير طاعة نسيانا كما فى قصة آدم عليه السلام ونحوها أو يكون الحق تعالى أمرهم فى بواطنهم بما يخالف الظاهر كما فى قصة يوسف واخوته ، وقصة خضر موسى عليهم السلام ، ونحو ذلك ، أو يكون ما صدر منهم خلاف الأولى والأفضل أو بوجه من الوجوه التي لا يؤاخذ بها غيرهم ، مثل كذبات الخليل وقتل موسى القبطي ونحو ذلك ، استعظموا ذلك وحدّثوا أنفسهم أنهم أذنبوا ببادىء الرأي منهم فخاطبهم الحق حسب حديثهم انفسهم ، فان الوحي غالبا يتبع حديث نفوس

الأنبياء أو يكون الحق تعالي أطلق عليهم إسم المعصية بحسب كون ذلك الأمر غير طاعة فى الظاهر وقربة لاغير ، كيف لا والحق تعالى شهد لآدم عليه السلام بالنسيان فقال: فنسي ولم نجد له عزما، اي قصدا المعصية والاجماع، على أن الناسي غير عاص ، ولا مؤاخذ فيما بينه و بين الله تعالى ومع هذا قال تعالي ، وعصى آدم ربه ، فللسيد أن يقول لأعز عبيده ماشاء و ليس للعبيد أن يقولوا مثل ذلك القول ، فان قيل قد أخبر تعالى فى كتبه وأخبر رسله الصادقون أن الانبياء كانوا يبكون ويتضرعون ويتوبون ويعترفون ويستغفرون مما صدر منهم ، قلنا إنما ذلك لكمال معرفتهم بقدر الربوبية، وما يجب لها من الأعظام والاجلال فهم يشاهدون حسناتهم سيئات ، إذا نسبوها لما تستحقه الألوهية ، فكيف إذا ظهر منهم ماصورته غير صورة طاعة ، ولانهم سمعوا قوله تعالى ، ان تنصروا الله ينصركم ، أي ان تنصروا الله على أنفسكم فتنسبوها للتقصير فيما يجب عليها من حقوق الربوبية، وانها ماقدرت الربوبية قدرها ، ولا وفّتها حقها ، فلا تعتذروا عنها ولا تنتصروا لها ولا تجادلوا عنها ، ينصركم عليها ويجعلها فى قبضتكم، وتحت أسر قهركم، فتتصرفوا فيها بحكم الشرع والعقل، ولأن مطمح نظرهم صلوات الله وسلامه عليهم إطلاق الالوهية من حيث أنها لاتقييد عليها، ولاحصر لها، ولاميزان ولاضبط ، فلهذا لايأمن مكر الله نبي ولا ولي ، فلايأمن مكر الله الاّ القوم الخاسرون ، وإنما لهم حسن الظن به تعالي ولو كانت لهم معاص وذنوب، كما يقوله كثير من المتكلمين والمفسرين والمؤرخين ، الذين ماعرفوا الله تعالى ولا استحيوا منه ولا راقبوه فى أعز عبيده عنده لذكروها يوم القيامة فى ذلك الموقف الهائل، يوم تبلى السرائر ، فما ذكر ابراهيم إلا قوله هي أختي، وقوله: فعله كبيرهم، وقوله، إني سقيم، وذكر نوع

دعوته على قومه وذكر موسى قتله القبطي، وذكر آدم أكله من الشجرة نسيانا، فيالله وللمسلمين، فهل هذه معاص وذنوب بالنسبة إلي غيرهم، صلوات الله وسلامه عليهم؛ فنسبه قرناء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الى الأنبياء من حيث بواطنهم، أعني ماعدا حواسهم الظاهرة والباطنة: في المثل قاطع الطريق اذا رأى رجلا شاكي السلاح كامل العدة حذرا، فطنا، يقظا، تبدو عليه سمات الفتك والشجاعة فهو يلاحظه ويماشيه من بعيد لعلمه أنه لا قدرة له عليه ولا سلطان، فما لقرناء الأنبياء من حيث قلوبهم تسلط، وبالجملة فمقام النبوة أسمى من أن يعبّر عنه بعبارة، أو يدرك لغير أهله بذوق، أو بأشارة او ينال بغير الاختصاص الالهي أو يجادل، أو يستشرف عليه مستشرف أو يتطاول، فبدايته غاية أعلى مقامات الأوليـاء ونهاية الصديقين الأصفياء، والنبوة مهموزة وغير مهموزة من النبأ أوالنبوّة، ومارفعة هذا المقام الراسخ السامي الشامخ بالأنباء عن المغيبات، وظهور الآيات وخوارق العادات، فان هذا قد يـكون لغير أهل مقام النبوة، وما انقطع ولا ينقطع الى يوم القيامة، وإنما دفعته باختصاص أهله بالعبودية المحضـة التي لا يشوبها ربوبية بوجـه ولا حال، فكما أن الربوبية كاملة فى معناها من كل وجه وحال لا يشوبها نقص فعبودية الأنبياء كاملة فى معناها لا يشوبها نقص، فالأنبياء هم العبيد الخلّص وهذه العبودية الخاصة بالأنبياء هي التي سد بابها وختم بمحمد صلى الله عليه وعلى اخوانه وآله وسلم، وانقطع الانصاف بها، والتطلع لنيلها، وسد بات العبودية المحض هو الذي قطع قلوب العارفين والصدّيقين لانهم عـلموا أنه بقـدر تمحيص العبودية تـكون منزلة العبد عند حضرة الربوبية، فهما حضرتان متقابلتان، كما قال صلى الله عليه وسلم لأبي طالب، لمّا قال له، يا ابن أخي ما

أري ربك الا مطيعا لك، وأنت ياعمي،لو أطعته لأطاعك ، وبعدماورد عليّ هذا الوارد وعزمت على تقييده ، رأيت فى المنام أني أتكلم مع النـاس في مقام النبوة فمن جملة ما قلت لهم ، إن أجسام الانبياء حيث أرواحهم وأرواح غير الأنبياء حيث أجسامهم ، ان أجسام الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام محكوم لها بحكم الأرواح في الطهـارة والصفا ، وكمال الطـاعة والمعرفه ، وعـدم التدنس بأحكام الطبيعـة المظلمة ، وان لا بستها ظاهرا فهي لا حقة بالأرواح لغلبة حـكم أرواح الأنبياء على أجسامهم ، فهي مغلوبة لها ، والحـكم للغالب ، كحال أهل الجنة فى الجنة ، ولهـذا لما رأى بعض أهل الـكشف أهل الجنة ، ورأي الحـكم لأرواحهم قال ، لاحشر الا للأرواح دون الأجسام ، وأراح غـير الأنبيـاء حيث أجسامهم ، أي أرواح غير الأنبياء وإن كان أصلها الطهارة والصـفا ، وكمال الطاعـة والمعرفة ، فهي محكوم لهـا بحكم الأجسام لـكون أرواحهم مقهورة لأنفسهم ، وللأمور الطبيعية الظلمانية، ومغلوبة لها ، فهي تجري على مقتضى الأجسام والعجب كل العجب من بعض العلمـاء حيث تجرؤا على مقام النبوة ونسبوا اليـه ما نزه الله عنه بعض أكابر الأليآء ، فضلا عن الأنبياء ، وما تأدبوا بأدب عباد الله تعالي الأدباء،بل بأدب إبليس فانه تأدب معهم حيث قال ، الاّ عبادك منهم المخلصين ، لعلمه أنه لا سلطان له عليهم أما أنه أدرك ذلك من فطرته ، أو بعد سماع قوله تعالى،إن عبادي ليس لك عليهم سلطان

(الموقف المائة والثماني عشر)

قال تعالى ، قل أو لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه أباءكم ، اعلم أن الهدى أنواع ، كما أن الضلال أنواع، والموصوفون بالهدي والضلال أنواع ،

فمهتد، وأهدى، وأعظم هدى، وضال، وأضل، وأعظم ضلال، فالمهتدى هو الذي حصل على الهداية بالدليل العقلي والبرهان، والأهدى هو الذي حصل على الهداية بتصديق الرسول والايمان، والاعظم هدي هو الذي حصلت له الهداية بالكشف والعيان، والضال هو الذي شبه الحق بمخلوقاته تشبيها مطلقا أو نزهه تنزيها مطلقا، وما اهتدى الي الجمع بينهما بمعرفة مرتبة كل واحد منهما، والأضل هو الذي صوّر آلهه بصورة محسوسة، كعابد الشمس والنار والأحجار والملائكة والجن، ونحو ذلك، كما قال تعالى، ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له، والأعظم ضلال هو المعطل للخالق تعالى، كالدهرية والطباعية، على مقتضى أقوالهم، والا فلا معطل في المعنى وكل مرتبة من مراتب الهدى هي ضلال بالنسبة الى ما هي أعلى منها، فهدى العقل ضلال بالنسبة الي هدي المؤمن بما جاءت به الرسل، وهدى المؤمن بالرسل ضلال بالنسبة الى هدى اهل الشهود والعيان، فان المؤمن وإن عظم إيمانه لابد أن تنازعه نفسه وتطلب تكييف ما آمن به أو تشبيهه أحيانا ويجد لذلك دغدغة في نفسه ولا يطمئن الاطمئنان الكامل الاّ بالشهود، كما أن كل مرتبة من مراتب الضلال هي هدى بالنسبة الى ما هي أشد منها، فضلال العقلاء هداية بالنسبة الى ضلال من عبد صورة من الصور من نار وشمس ونحوهما، وضلال عابد الشمس ونحوها، هدى بالنسبة الى ضلال المعطل ولهذا قال، قل أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم، والذى وجدوا عليه آباءهم هو عبادة الصور من الأوثان والأصنام، والذى هو أهدى منه تصديق الرسول فيما جاء به عن الله تعالي فما وجدوا عليه آباءهم هدى بالنسبة الي ضلال المعطل، كما قال تعالى في

الآية الأخرى ، وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ، فالكل مجتمعون فى الضلال بمعني الحيرة فى طلب الحق تعالي كما ورد فى الخبر وان الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه فما انفك مخلوق أي مخلوق كان حتى المخلوق الأول من الضلال ، بمعنى الحيرة فى الذات العلية ، ولكن الضالين متفاوتون فى الضلال وقال تعالى فى الآية الأخرى : فربكم أعلم بمن هو أهدي سبيلا ، وفى كل نوع من أنواع الضلال والهدي أشخاص لا تكاد تنحصر الاّ للخالق تعالى ، فناقص ، وكامل ، وأكمل ، فى النوعين وما بين ذلك فالكل مهتد من وجه ، والكل ضال من وجه

(الموقف المائة والتاسع عشر)

قال تعالى ، بل هم فى لبس من خلق جديد ، وقال تعالى ، وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر ، وقال ، إنا كل شيء خلقناه ، فى قراءة من دفع كل وقال ، لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ، وورد فى الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ، أنا من نور ربي والمؤمنون من نوري ، وورد ، أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ، إعلم أن الحق تعالى قد أشهدني معاني هذه الآيات والأخبار فى مشهد أقدسي ذاتي من وجه ، قدسي صفاتي من وجه بمثال ضربه لي ،شهدت نورا شبه المنارة ممتدا الي عنان السماء وفى مقابلته شمعة ، شبه المنارة ممتدة الى عنان السماء ومنارة النور متسلطة على الشمعة ومنقضة عليها ، وطالبة لها ، وعند وصول النور بشدته وقوته تنطفيء الشمعة ، فاذا جازت قوة النور وسورته اتقدت الشمعة من أثر النور ثم يندفع النور بقوته وتنطفيء الشمعة ثم تتقد من أثره وبقيته ،وهكذا على الدوام وكنت أعلم حين ذلك الشهود أن الشمعة مثال الحقيقة المحمدية المسماة

بحضرة الامكان وبهيولى العالم وغير ذلك ، فهي تقبل الاضاءة والانطفاء والايجاد والاعدام ؛ وان منارة النور باعتبار قوتها وسورتها مثال الأحدية ، وباعتبار آخر هي أي الشمعة مثال مرتبة الألوهية فالأحدية بمقتضي حقيقتها تطلب نفي ما يشفعها واعدامه حتي يصح الأحدية الحقيقية وتنتفي الغيرية المجازية فهي تعدم نور الشمعة بظهورها فلا يبقى غير ، والألوهية التى هي مرتبة الأسماء تطلب ظهور آثارها فتتقد الشمعة ، لأن الألوهية هي استتار الذات الأحدية بظهورها بصورة الغير فالألوهية مرتبة الذات الأحدية ليس لها رتبة العينية، ولا رتبة الغيرية، والمخلوقات دائما بين هذين المقتضيين مقتضي الأحدية ، ومقتضى الألوهية ، فهي دائما بين ايجاد واعدام ، وهذا معني الخلق الجديد الذي الناس فى لبس منه، وورود النور بقوته على الشمعة واطفاؤها ثم اتقادها ثم عوده كذلك ، ليس له زمان ولا يظهر له ترتيب الا فى التعقل ، والا فزمان هذا هو زمان هذا ، كلمعان البرق زمان لمعانه زمان انصباغ الهواء به وزمان انصباغ الهواء به، زمان انكشاف الأشياء به ، وزمان انكشاف الأشياء به وزمان تعلق الأدراك البصري ووقوعه عليها ، ولا ترتيب بين هذه الأمور فى الحس وانما يدرك بترتيبها بالعقل فهكذا هو الأمر الألهي وهو معنى ، وما أمرنا الا واحد كلمح بالبصر ، وأمره صفته وصفته عين ذاته ، ثم أن النور الذي يوجد فى الشمعة باتقادها وينعدم بانطفائها هو عين النور المتوجه عليها بالايقاد والاطفاء ، ماهو غيره إذ حقيقة النورية فيهما واحدة وإنما تعدد بحسب المظهر والتعين كما يوقد مصباح من مصباح فى الحس ، فالمصباح الثاني عين الأول ، ظهر فى فتيلة أخري لاغيره ، فهو يوجد نفسه فى مظهر ، ويعدم نفسه فى مظهر ، وهذا معنى ، إنا كل شيء خلقناه

ثم أن هذا الاشتعال المتعاقب على الدوام هو كلمات الله التي لا تنفد ، فانظر الى هذا التعريف ، والمثال المنيف ، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الاّ العالمون ، فالأمثال لا تضرب الاّ للناس أي الذين فيهم صفة الانسانية لا لمطلق الحيوان ، وما يعقل تلك الأمثلة ويعرفها أنها ليست مقصودة لذاتها ، وإنما هي سلاليم يرقى بها الى المقصود حتى يصير المعقول محسوسا ، الاّ العالمون بالعلم الحقيقي فيعبرون من ظاهرها الي باطنها وهم العلماء على الحقيقة الذين عرفوا أن العلم والعالم والمعلوم عين واحدة ، تعددت أسماؤها لتعدد نسبها لا العلماء الذين يقولون العالم حقيقة والمعلوم حقيقة أخرى غيرها والعلم حقيقة أخرى تغاير العالم والمعلوم وما هو هذا علم ولكنه وهم ، قيل لي في واقعة من الوقائع مطاب علم التصوف هو مالا يقف التحقيق عند مسألة من مسائله ، بمعنى أن الطالب لمسئلة من مسائله إذا حققها يجعله ذلك التحقق مستعدا لما وراءها ، فاذا تحقق بما استعد له مما وراء تلك المسئلة استعد كذلك ، وهكذا فلانهاية لمسائل التصوف ومطالبه ، دون الذات البحت الغيب المطلق ، وهنالك منتهى العبارات ، ومنقطع الإشارات ، وبحر الظلمات ، ثم بعد إنقضاء هذا المشهد ألقى الحق تعالى اليّ قوله تعالى ، وسقاهم ربهم شرابا طهورا ، الآية ، يعني أن الحق تعالى لما أدخل من أدخل جنة معرفته ، سقاهم شراب العلم والكشف عن الحقائق ، طهورا من قذرات التلبيس والشكوك ، صافيا من دنس الأفكار ، غير مكدر بأوساخ الطبيعة

(الموقف المائة والعشرون)

قال تعالى ، فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ، اعلم أن قول الحكماء

وبعض المتكلمين انقلاب الحقائق محال،والأعيان لا تنقلب،ونحو ذلك من عباراتهم ، يريدون أن الجماد لا ينقلب حيوانا مثلا ، لكون الجماد له حقيقة بها هو هو تغاير حقيقة الحيوان التي بها هو هو ، لا يصح وكذا تقسيمهم العالم الى جواهر وأعراض ، وزاد الحكماء المجردات لا يصح إذ من المعلوم ان حقيقة الشيء ما به هو هو،وكل شيء فى العالم أجناسه وأنواعه وأشخاصه إنما هو هو بحقيقة واحدة لا تتعدد ، ولا تتجزأ ولا تتبعض ؛ وهذه الحقيقة مع وحدتها هي المقوّمة لجميع أجناس العالم وأنواعه وأشخاصه وجزئياته ، والعالم قائم بها ولا يصح انقلاب الواحد بالوحدة الحقيقية لأنه لو انقلب انقلب الي غيره ،ولا غير أو ينقلب الى لاشيء وذلك لا يعقل ، فلو كان لكل فرد من أفراد العالم حقيقة تخصه ، وهو مركب من الحقيقة التي تخصه، والعرض لما صح انقلاب العصا ثعبانا مبينا، ولا نحو ذلك من معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام كانقلاب النار بردا وسلاما، ولاصح قول الحكماء بالشكل الغريب ، فثبت أن العرش وما حوى مما قسّموه الي جواهر واعراض ، ومجردات كله اعراض ، وحقيقته التى بها هو هو واحدة وهي المقومة له وهي لا تدرك على حدتها بشيء من الحواس فوجودها فى الخارج هو وجود الصورة ولا هي داخله فى العالم ولا خارجة عنه وإن هذه الحقيقة تلتبس أعراضا وتخلعها ، وتلتبس أعراضا وهكذا على الدوام كما لبست الأعراض التي تخص العصا ثم خلعتها ولبست الأعراض التى تخص الثعبان ثم خلعتها،وهكذا وهي فى حد ذاتها لا تتبدل ولا تتغير عن حقيقتها فهي هي في كل حال ، وهي حقيقة النار التى صارت بردا وسلاما فالنار تحرق بصورتها لا بحقيقتها ، قبلت تلك الحقيقة البرد الذى هو عرض ، كما قبلت الحرارة

والاحراق الذى هو عرض فالحرارة لا تنقلب برودة ولكن الحقيقة التى قامت بها الحرارة لما انعدمت الحرارة قبلت قيام البرودة بها، وهكذا فى جميع الأعراض فالعالم واحد بحقيقته التى بها هو هو مختلف باعراضه، ولا يمكن حمل قولهم انقلاب الحقائق محال على الأعيان الثابتة التي هي حقائق الأشياء في العلم فانها ما خرجت عن العلم الي العين حتى يتصور فيها الانقلاب ولا أنهم أرادوا بالحقائق أحكام الاستعدادات التى ظهرت بها هذه الحقيقة الكلية المشتركة بين أفراد العالم جميعه، فان هذا ليس من علومهم العقلية وكذا قولهم بالاستحالة أعني قولهم، استحال الماء هواء والهواء نار، ونحو ذلك لا يصح، بل هو من نمط ما ذكرنا من خلع الحقيقة الكلية عرضا ولبسها آخر مثله أو ضده على الدوام، فاذا عرفت هذا عرفت ما يزهدك فى علوم العقلاء من الحكماء والمتكلمين، ويرغبك فى علم العلماء بالله تعالى، وهذه المسئلة وما شاكلها من الأوليات الضروريات عند القوم رضوان الله عليهم، وقد خطر لى إن كان في العمر سعة تأليف كتاب أجمع فيه ما وصل اليه علمي من غلطات الحكماء والمتكلمين، اسميه الأعلام باغاليط الأعلام، إن شاء الله تعالى

(الموقف المائة واحد والعشرون)

ورد فى صحيح البخاري وغيره عنه صلى الله عليه وسلم، إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر واحد، ففي الحديث تقديم وتأخير، إذ الحكم مؤخر عن الاجتهاد، قد اختلف الأصوليون فى المراد من هذا الحديث الشريف كما هو منقول فى كتب الأصول والذي ورد به الوارد الآلهي أن المجتهد إذا أصاب ما هو الحكم

عند الله تعالي في النازلة ووافق ما في نفس الأمر كان له أجران، أجر الاجتهاد وأجر الاصابة، وإن أخطأ ما هو الحكم عند الله تعالى وما وافقها فى نفس الأمر كان له أجر واحد وهو أجر الاجتهاد، فليست الاصابة إلاّ في الباطن وهي موافقة ما عند الله تعالى في النازلة وليس الخطأ الاّ فى الباطن وهو عدم الموافقة لما هو الحكم عند الله تعالى فى النازلة وأما فى الظاهر فالكل مصيب، لأن الشارع قرر حكم كل مجتهد، ولو كان خطأ المجتهد فى الظاهر، قرر الشارع ولما جعله دينا مشروعا يتدين به المجتهد ومن قلده، ولما كان له أجر بل يكون عليه وزر، فكل مجتهد مصيب فى الظاهر حيث أنه بذل وسعه وأدى ما كلّف به فى طلب الحكم الحق في النازلة وأما في الباطن فالمصيب واحد لا بعينه من المختلفين وعلى ما قررنا يمكن الجمع بين أقوال الأصوليين إن لم ينقل عنهم ما يدفع هذا الجمع، وقد أنكر الأستاذ أبو إسحاق القول بأن كل مجتهد مصيب، فقال القول بأن كل مجتهد مصيب، أوله سفسطة وآخره زندقة، وقوله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد الخ أعم فى الحاكم المجتهد فى الفروع الشرعية، أو الأصول العقلية الاعتقادية، إذ لا فرق بينهما عند العارفين بالله تعالى، أهل الكشف والوجود، فان كل واحد من المجتهدين فى الفروع والأصول، فعل ما كلّف به، وبذل وسعه فوصل الى ما أدّاه اليه اجتهاده، ولا يكلف الله نفسا الا ما آتاها، ولا يكلّف الله نفسا إلاّ وسعها، وقد أنكر عامة أهل السنة والمعتزلة غير أهل الكشف القول بأن كل مجتهد فى الأصول الاعتقادية مصيب ونسبوه الى الكفر وقرره العارفون بالله وهو الحق، وقالوا المجتهد فى العقليات إذا وفّى النظر حقه وأخطأ فهو معذور، يريدون المجتهد نفسه لا من قلده، ووافق

العارفين بالله تعالى أبو الحسين البصري والجاحظ من المعتزله

(الموقف المائة الثاني والعشرون)

قال تعالى ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة المختار عند التحقق من اجتمع له العلم والارادة والقدرة ، وليس ذلك الاّ الحق تعالى فهو المختار ، عالم بمعنى أنه مريد قادر لا بمعنى الاختيار المعروف وهو التردد بين الأمرين ، ثم وقوع الاختيار على أحدهما ، فان أحدية المشيئة تمنع من اتصاف الحق تعالى بالاختيار بهذا المعنى ، ثم أخبر تعالى بنفي الخيرة اسم فى الاختيار عن كل ما سواه ، بمعني أنه لا يصح ولا يستقيم ولا يكون لهم ذلك ؛ لأن عطف الاختيار على الخلق مشعر بأن الذي يخلق هو الذي يختار ، وليس ذلك الاّ الحق تعالى ، فانه الذي له الخلق والأمر ومن لا يخلق لا يصح له الاختيار فمن يخلق كمن لا يخلق ، والاختيار المنفي عما سوى الحق هو الاختيار الثابت للحق تعالى ، لا الاختيار الذي هو ضد الجبر ولا انهم مجبورون علي الاختيار ، ويحتمل أن يكون المراد نفي الخيرة عنهم من حيث مصلحتهم ، أي ما كان ينبغي لهم من جهة مصلحتهم أن يختاروا فانهم العجز الجاهلون بالمصالح ، فقد يختارون ما فيه هلاكهم من حيث لا يشعرون : وعسي أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، وأقل ما فيه من الشر سوء الأدب بعدم التفويض ومشاركة الحق تعالى بالاختيار الذى هو خصيص به فكان اللازم المتعين على الناصح لنفسه أن لا يختار شيئا وإن ظهرت له خيرته فى الأمور الدينية غير المتعينة والدنياوية بل يفوّض الخيرية الى العالم بالأشياء وبعواقبها فلا يسأل من الله تعالى إلاّ ما يعلمه الله خيرا ومصلحة ولذا قال بعض العارفين ، الفقير ليس له الاّ الله حاجة ، يعني علي التعيين لجهله بما هو خير له ، وقال بعضهم ،

كل داع غير مفوّض فهو مستدرج هذا لسان الظاهر والعموم، وأما لسان التحقيق والخصوص، فهو ان الأعيان الثابتة التي هي صور الأسماء الآلهية هي المختارة بمعني الطالبة لما يفعله الحق تعالي بها فلا تطلب غيره بل لا تقبله، فاختياره تعالى لا يكون إلاّ لما اختارته وطلبته باستعدادها، فالرب المضاف الى المخاطب وهو السيد الكامل صلى الله عليه وسلم هو الرب الجامع يخلق مايشاء ولا يشاء إلاّ ما علم وما علم إلاّ مااختارته الاعيان الثابتة وما اختارت الا ما هو فى حقيقتها واستعدادها بحيث لا تقبل غيره ان لو فعل بها ولا يفعل فان الحق تعالى حكيم يضع كل شيء موضعه اللائق به، ويختار مااختارته ومحال أن يختار غير ما اختارته ما كان لهم الخيرة من حيث أعيانهم الظاهرة المحسوسة فانها جاهلة محجوبة عن استعدادها وعما هي طالبة له على مقتضي حقيقتها ولا يخلق تعالى الا ما يشاء ويختار ولا يشاء ويختار الاّ ماعلم وماعلم الاّ ماهو المعلوم عليه فى حقيقته ومقتضاه باستعداده والمعلوم لا يتبدّل ولا يتغير عن حقيقته اذ لو تبدل وتغيّر لا نقلب علمه تعالى جهلا وذلك محال، فليس للخالق تعالى الاّ الخلق وهو اعطاء الوجود للأحوال التى طلبتها الأعيان الثابتة باستعدادها، أي عين كانت فما حكم عليها الاّ بها ولا أثر لما يسمى مشيئة واختيارا الاّ من حيث أنه تعالى غير مكره ولا ملجأ بمعني أنه لا يفعل شيئا وهو كاره له غير مريد، ولا مختار، فلا اختيار لأن سبق العلم بالفعل والترك ينافيه ولا اضرار ولا جبر، لأن الفعل بالارادة ينافيه فالاختيار محال، والجبر بمعني الاكراه من الغير محال، ولعل خفّاشا لا يقدر ببصره على إدراك شمس الحقيقة، يقول إنك نفيت عنه تعالى ما أثبته لنفسه من المشيئة والاختيار، ووافق على ذلك التقسيم العقلي عند العقلاء فانهم قسّموا الفاعل

الى فاعل بالاختيار وهو الذي يتأتّى منه الفعل والترك، وليس ذلك الا الحق تعالى، والى فاعل يتأتى منه الفعل دون الترك، ولا يتوقف على وجود شرط ولا انتفاء مانع، وهو الفاعل بالعلة، والى فاعل يتأتى منه الفعل دون الترك، ويتوقف على وجود شرط وانتفاء مانع، وهو الفاعل بالطبع، فأقول، من تغلغل فى الحقائق، واستظهر ظواهر الطرائق، علم أن الأعيان الثابتة التي قلنا أنها الطالبة من الحق باستعدادها ما يفعله بها، هي صور الأسماء الآلهية، والأسماء الآلهية صور الذات العليه ومراتب تجلياتها، إذ الاسماء معان لاقيام لها بنفسها، ويكفي هذا النزر القدر لمن يتبصر، ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور

(الموقف المائة والثالث والعشرون)

قال تعالى، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين، وقال، ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين، وقال، لنعلم أي الحزبين أحصي، ونحو ذلك مما يشعر بحدوث العلم وتجدده فاعلم أن الوصول الي فهم هذا يحتاج الى اسهاب فلذلك نقول إن الحق تعالى في هوية ذاته الغيب المطلق وباعتبار الذات البحت لايحكم عليه بشيء لا بوصف ولا اسم، لاعلم ولا غيره، لأن ذلك يقتضي التعين ومهما نعقل له علم جاءت الكثرة الي عالم ومعلوم وعلم وكانت النسب الآلهية والكونية قبل تعقل، تعلّق علمه بذاته مستهلكة مندمجه فى الذات لاتميز لها عن الذات ولا عن بعضها، إذ هو مقتضي الأحدية الحقيقية، فلما مالت الذات الي الظهور والتعيّن بميل هو عين ذاتها لا يتخلل صفة تعلق علمها الذي هو عين ذاتها بذاتها وهذا العلم هو أول التعينات، والتنزّل من الغيب المطلق فتميزت الحقائق الآلهية والكونية تميز المفصل فى المجمل، ولهذا نقول علم الحق تعالي

فى هذه الحضرة إجمالي ولا محذور فيه ، لأن المعلومات حينئذ جملة واحدة وبهذا يسمى هذا التعيّن بأحدية الجمع ، فالعلم المضاف اليها يسمى علما إجماليا فلو قيل العلم المتعلق بهـذه الحضرة أعنى حضـرة الوحدة علم تفصيلي للزم الـكذب والعلم لا يوصف بالتفصيل والاجمال، لأنهما من لوازم الـكم وعوارضه ، فصار هذا العلم النفسي الاجمالي الذي هو عين الذات للذات ، ولما هو مستهلك ومندمج فيها من الحقائق المعلومة بمثابة مرآة ارتسم فيها ماقابلها ، ولله المثل الأعلى ، ويسمى هذا العلم والتعين بنفس الرحمن وبباطن العلم ، ويتعلق بما لا يتناهى لأنه عين الذات الذي لا يتناهى ، وهو تابع للمعلوم رتبة لا ترتيبا ، إذ الذات من وجه تسميتها معلومة متقدمة على نفسها من وجه تسميتها عالمة ، وليس هناك استرسال كما قال إمام الحرمين، ولا حدوث تعلق كما قال الفخر الرازي ، وإنما هو تأخر ذاتي لا زماني ، وربما عبّر عن هذا التأخير بالحدوث ثم ان هذه المرآة العلميه الذاتية قابلها العدم، لأنه ليس في مقابلة الوجود شيء إلاّ العدم، فارتسم في المرآة العلمية في العدم ، فصار العدم بما ارتسم فيه بمثابة مرآة ثانية وهذه المرآة العلمية الغير الذاتية الثانية تسمى بالحضرة العمائية ، وبظاهر العلم ، ولها أسماء كثيرة ، وهذا العلم لا يتعلق بما لا يتناهى لأن تعلقه بالمعلومات هو نفس وجودها فيه الوجود العيني وكل ما دخل الوجود فهو متناه والمعلومات تابعة لهذا العلم لأنها حكاية عنه وظل له ، فالعلم تابع للمعلومات في ثبوتها العدمي والمعلومات تابعة للعلم في وجودها العيني من غير تعدد للعلم ولا حدوث تعلق ، فأما العلم الذاتي الاجمالي فالذات هي العالمة من وجه ، وهي المعلومة من وجه وهي العلم من وجه ، فأما كونها عالمة فهو أن الانـكشاف حاصل لها لا لشيء زائد عليها وأما كونها معلومة فلأنها مع ماهو مستهلك فيها

من الحقائق منكشفة لذاتها وأما كونها علما فلأن الانكشاف حصل بها لا بشيء زايد عليها، ومن المعلوم أن حقيقة كل شيء أي ما يصح أن يعلم هي نسبة معلوميته في علم الحق تعالى من كون علمه عين ذاته، فذاته أعطته العلم بمعلوماته التي هي عين ذاته في مرتبة التعيّن، والعلم الأول، فعلمه بذاته هو عين علمه بمعلوماته من العالم فليس علمه بذاته مغايرا لعلمه بالعالم إذ ليس إلاّ هو تعالى فلو قلنا المعلوم تابع للعلم في هذه المرتبة لزم تقدم العلم على الذات رتبة وفيه ما لا يخفى فإن قلت الحق أخذ معلوماته عن وجود صدقت لأن جميع معلوماته هي شؤون ذاته ونسبه الذاتية، وإن قلت الحق أخذ معلوماته عن عدم، صدقت لأن معلوماته قبل تعقل تعلق العلم الذاتي كانت معدومة في العلم والعين، ولها صلاحية التعيّن في العلم والعين بمعنى أنها مستعدة لأن تظهر لها صور متعددة، وقد قال امام العارفين قدوتنا محي الدين، ان معلومات الحق تعالى أعطته العلم من نفسها، واعترض هذا القول العارف الكبير عبد الكريم الجيلي بما نصه، لما رأى الامام محي الدين الحق، حكم المعلومات بما اقتضته من نفسها ظن أن علم الحق مستفاد من اقتضاء المعلومات، وفاته أنها إنما اقتضت ما علمها عليه بالعلم الأصلي الكلي النفسي، قبل خلقها وإيجادها، فانها ما تعينت في العلم الآلهي إلاّ بما علمها، لا بما اقتضته ذواتها، ثم اقتضت ذواتها بعد في نفسها أمورا هي عين ما علمها عليه أولا، فحكم لها ثانيا بما اقتضته، وما حكم لها إلاّ بما علمها عليه اه، وليس لمثلي أن يتتبع سهو الأكابر، فان كنت أيها الناظر ممن يعرف الحق عرفت أهله لا محالة، وإن كنت مقلدا فليس كلامي معك، وفي حقيقة الأمر لا اختلاف بين الشيخين عند من يعلم، وفي اثناء كتابتي بهذا الموقف ألقي عليّ في الواقعة قوله تعالى، فما لهم لا يؤمنون وإذا قرىء عليهم القرآن

لا يسجدون ، وألهمت ان الوارد يثير إلى توبيخ من لا يصدق بكلام الامام محي الدين وإن كلامه من عنده تعالى كما قال في الفتوحات ، ما وضعت كلمة إلا بالقاء روحاني فى قلب كياني أو كما قال ، فيجب الانقياد لكلامه والخضوع لمعارفه فانه الوارث الكامل رضي الله عنه

(الموقف المايه والأربعة والعشرون)

قال تعالى : أم حسبت أن أصحاب الكهف ، إلي أن قال ، لو اطلعت عليهم لو ليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ، اعلم أن قصة هؤلاء الفتية وكراماتهم الظاهرة ، وخوارقهم الباهرة ، كانت عند الأمم السابقة ، والأجيال الخالية ، من أعجب الأحاديث ، تناقلها الأخباريون وعنعنها المحدثون فلما سأل اليهود عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءال استعظام واستكبار لكراماتهم الدالة على عظيم رتبتهم عند الحق تعالي ، فى زعم السائلين وغيرهم من الناظرين إلى ظواهر الأمور ، قص الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، قصتهم وشرح ظاهرا وباطنا حالتهم ، وبين له مقامهم ومرتبتهم فقال ، أم حسبت ، هو استفهام بمعنى النهي ، أي لا تحسب كحسبانهم ، ولا تعجب كتعجبهم ، فانهم ظنوا أن هوءلاء الفتيـة كانوا من أعجب آياتنا وأغرب مافى قدرتنا ، لظنهم أن خوارق العادات أكرم ماتكرم به أهل كرامتنا لمن ظهرت له أو فيه ثم أخبره أنهم آمنوا بوجود ربهم ووحدانيته ، وانه زادهم هدى بالثبات والطمأنينة ، وليعلم أن إيمان هوءلاء الفتية إنما كان بنور عقلي ، واستدلال نظري ، فانهم ما كانوا تحت رسالة رسول ، والايمان العقلي وإن جلت رتبته ، وعظمت منته بالنسبة إلى عدمه ، فصاحبه ضال عند ذوي الشريعة ، أعمى لدى صاحب البصيرة ، إذ العقل بمجرده قاصر عما يجب

لله تعالى من إطلاق التجلي في المظاهر ، عاجز عن تنزيهه تعالى عن الدخول تحت تحكمات العقول وتقيداتها له تعالى ، فان للعقل حدا يقف عنده من حيث هو عقل ونهاية لايتعداها وإنما شرف العقل وكماله ، هو قبوله لما تأتي به الرسل عليهم السلام من ربهم ولما يفيضه تعالى على اتباع الرسل بواسطة ملك الالهام وغيره، ولاحد ولا نهاية للعقل يقف عندها من هذا الوجه ، والوسول إذا اطّلع على مايخالف ماعنده من الحق نفر وفر باطنا ، ولو ثبت ظاهرا أو فر ظاهرا أو باطنا ، كما فعل موسى عليه السلام مع كونه جازما لحقيقة مافعله الخضر عليه السلام ، لاعلام الله إياه بأنه أعلم منه، ومع ذلك ماقبله وما فارقه وهو فرار في المعني ، وفي الصحيح كانت الثالثة من موسى عمدا وأخبره الخضر أول لقيه أنه لايستطيع معه صبرا، ومن لم يستطع الصبر فر، فأخبر الحق تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في أثناء قصتهم بحالتهم الباطنة وأنه لو اطلع علي مافي بواطنهم مما يقضي اليه الايمان العقلي عند مشاهدتهم لفر منهم ، وتباعد عنهم، لما ذكرنا وللميء منهم رعبا ، فانهم مع هذه الكرامات العظيمة والخوارق الجسيمة المعروفة من اخبارهم ماكانوا في رتبة الأكملية ، ولا بالمنزلة الزلفى لدي الحق وهذا أدل دليل على أن الكرامات وإن جلت ماهي على الأكملية والأقربية دلالات ،ولا هي مخصوصة بذوي العنايات،فليس كل من ثبت تخصيصه ، كمل تخليصه، ولا كل من حصلت له الكرامة، كملت له الاستقامة ،وحينئذ فليس فراره صلى الله عليه وسلم الا من نقصهم بالنسبة لمقامه السامي لماعنده من العلم بالله تعالى مما هم على خلافه،ولا امتلاؤه رعبا من الحق تعالى لسبب اطلاعه على بواطنهم الا من كونه تعالى يعطي الكرامات وخوارق العادات لمن ليس بذاك ،ومطلق العارف يزيده الاطلاع على قصة

هؤلاء الفتية اضطرابا ويملأ قلبه رعبا،وظاهره وباطنه مهابة،بل يفتت كبده ويحرق قلبه، وليس المراد فراره ورعبه من عظم خلقتهم وتشويهها ، ونحو ذلك مما قالوه جمهور المفسرين فانه بعيد جدا وهذا المفتوح عليه المكاشف يشاهد أنواعا من المخلوقات العظيمه التي لا توصف ، يشاهد من الملائكة أنواعا منهم جسم واحد وله عدة رؤوس،وكل رأس له عدة ألسنة، وكل لسان له لغة، ولا يهوله ذلك ولا يروعه، فكيف بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي آراه الله الآيات الكبرى وما زاغ بصره وما طغى ، ومشاهدة أصحاب الكهف دون الآيات الكبرى بيقين والله أعلم وأحكم ، وقد كان سأل بعض ، من هو الصوفي العلامة الشيخ محمد الخاني النقشبندي،يعز علي عن الآية فما كشفت له الى أن ورد علي في الواقعة قوله تعالي،وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، وقوله إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات فامتثلت الأمر ، وعلمت أن السائل مستحق لما سأل عنه ، والله يرزقنا حسن الأدب معه ومع مخلوقاته بمنه وفضله

(الموقف المائة خمسة وعشرون)

قال تعالي ،أ فلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور وحصّل ما فى الصدور، القبور هي الأجسام الآدمية، فانها قبور الأرواح إذ كل من ستر شيئا فهو قبر له، ومنه قبر السيف غمده ، وبعثرتها هو اخراج ما فيها وإظهاره بعد الموت أعم من حالة البرزخ،وحالة البعث والنشور وذلك بتمييز ما فيها من الأفعال الخيرية والشرية عن الأجسام وعن بعضها بعضا، فان لكل عضو فعلا خاصا من يد، ورجل،ولسان، وسمع،وبصر،وفرج،وبطن، ولكل فعل من أفعال هذه الأعضاء صورة خاصة يتصور بها فى البرزخ وفى يوم القيامة، فيتصور

فعل الأذن آنكا يصب في الأذن، ويتصور فعل البطن نهرا من دم يسبح فيه، وكلما أراد أن يخرج ألقم حجرا، فيلقمه بفيه، ويتصور فعل الفرج تنورا يتوقد نارا ويتصور فعل اللسان كلوبا يجرجر به شدقه الي قفاه، والكنز يتصور بصورة شجاع أقرع، له زبيبتان يأخذ بلهزميته يقول أنا كنزك، كما ورد في الصحاح ونحو هذا، وهذه الأفعال كانت في الحياة الدنيا أعراضا قائمة بالأجسام العاملة، وأوصافا لها وهي بعينها تصير بعد الموت أجسادا برزخية مثالية يتنعم بها العامل أو يتعذب، قال تعالى، ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون، وقال، سيجزيهم وصفهم، ففي الحياة كانت الأفعال وصفا للفاعل وعرضا قائما به وبعد الموت تستخرج هذه الأوصاف وتتميز عن العامل وتصير أجسادا ذات صور كما تتصور المعاني صورا في الرؤيا كالعلم في صورة اللبن، والدين في صورة الثوب، وبعد البعث تصير هذه الصور المثالية أجساما محسوسة لأن الحقائق تظهر في كل موطن بحسب ذلك الموطن فلا تظهر المعاني متجسدة متصورة بصورة في الموطن الدنيوي إلا في الرؤيا أو لصاحب كشف، ويختص برؤيتها النائم والمكاشف دون الحاضرين معه، وكذا الأعمال الصالحة والسيئة في البرزخ وهي بعينها تظهر بعد البعث في موطن الآخرة أجساما محسوسة يدركها كل مدرك لا يختص بها صاحبها فهي حينئذ صور وقصور ومشتهيات، وحصل ما في الصدور ميز ومنه تحصيل المعدن وهو تمييز الذهب أو الفضة من التراب والصدور هي القلوب مجازا وفيه مجاز آخر بحث عنه، وما في القلوب هي النيات والمقاصد فرب عامل يقول بلسانه أعمل لله تعالى، وقصده ونيته غيره تعالى، ذلك يوم تبلى السرائر يميز خبثها بالتصفيه كما تبلى الفضة بالنار فلا يقبل قول ولا عمل إلا بنية صالحة وقصد

صحيح ، انما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوي ، فلا تقبل حيلة ولا تروج بهرجة فى ذلك الموطن ، قال البخاري رضي الله عنه في الصحيح ، باب ترك الحيل ، وساق الحديث المتقدم النص الصريح فى ابطال الحيل على الله تعالي ، وإنها لا تنفع فى الدار الآخرة ، والعجب كل العجب من الفقيه الذي يقول بسقوط فرض الزكاة عنه اذا وهب ماله لزوجته قرب الحول فرارا من الزكاة ويتوهم أن هذا ينفعه يوم القيامة ، بالله وبالمسلمين أيخادع مؤمن ربه ؟ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، لا والله لا يصدر هذا إلا ممن يقول أنه يعلم إذا جهرنا ، ولا يعلم اذا أسررنا ، فأنزل تعالى ، الا انهم حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون ، نعم إن هذه الحيل تسقط عقوبة الدنيا ومطالبة السلطان الذى لا يعلم الا الظواهر ولا يحكم الا عليها ، فأما السلطان الأكبر الذى يعلم السر وأخفا ، ويحكم على البواطن والظواهر ، فهيهات هيهات أن تسقط مطالبته بالحيلة والمخادعة ، ولو كان هذا المتحيل على الله تعالى عمل ما عمل على اعتقاد الحرمة والمعصية ، لكان خيرا له وأولى به ، فانه ترجى له التوبة والاستغفار إذ فى اعتقاد حرمة الشيء مع فعله على أنه حرام ، خير عظيم وأجر كبير ، وإني أنزه الامامين أباحنيفة والشافعي رضي الله عنهما ، أن يقولا باسقاط مطالبة الحق تعالى فى الآخرة بالحيلة هذا بعيد عن أئمة الهدى بل أتيقن أنهما ما قالا الا باسقاط مطالبة حكام الدنيا فقط ، ولهذا قال المحققون من الشافعية كالغزالى رضى الله عنه أن الشافعي يحرم استعمال الحيل فى الأحكام وقد رأيت فى الرؤيا أني أتذاكر مع جماعة فى الفقه والفقهاء وما أحدثوا واستنبطوا من الحيل في التوصل الي الأغراض ، وشهوات القلوب المراض ، فقال واحد من الجماعة ، هذه أقوال أهل

الكشف العارفين بحقائق الأشياء ، المطلعين على بواطن الأحكام ، ليس فيها شيء من هذه الحيل، وهذا مشارق الأنوار، يعني كتابا كان بين أيدينا، ليس فيه شيء من هذا ، فقلت أنا وهذه سنة النبي المختار ليس فيها شيء من هذا وهذا كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ليس فيه شيء من هذا ، فقال بعض الجماعة ، ليس فى العلوم علم أبعد من الله من فقه هؤلاء المتحيلين على الله تعالى الذي يعلم سرهم ونجواهم

(الموقف المايه والسادس والعشرون)

روى مسلم في صحيحه ، أنه صلى الله عليه وسلم قال ، أنه ليغان على قلبي فاستغفر الله تعالى فى كل يوم مائة مرة،وفى طريق فى اليوم أكثر من سبعين مرة ، وفى رواية ، حتى استغفر الله ، وقد تكلم الناس على هذا الحديث فى القديم والحديث ، من علماء الشريعة وعلماء الحقيقة ، وكل واحد أنفق بحسب وسعه وماله ، وأنبأ عن استعداده وحاله ، وقال العارف الكبير سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الحديث ، فقال لي يامبارك هو غين أنوار لاغين أغيار ، ولم يزد شيئا وأنا أشرح بعض مادلت عليه هذه الجملة التي هي من جوامع الكلم ، ولباب الحكم ، وأما استيفاء مادلت عليه على الكمال والتمام ، فلا تسعه مجلدة ولا مجلدتان فأقول ، الغين يطلق على الرين وعلى مايغش القلب من الشهوات وعلي التغطية والمراد هنا المعني الأخير، أخبر صلى الله عليه وسلم أن أنوار القرب الموجبة للفنا بالمشاهدة والمحق كانت تغطي قلبه الشريف تغطية لائقة ومناسبة لمقام النبوة بحيث لايخل بأقل القليل مما يطلبه الحق أو الخلق ، والمراد بالقلب هنا العقل فانه المدبر للملكة الانسانية ، وبه يكون القيام بحقوق الخلق والحق ، فاذا غطي

عليه لم يبق هنالك شعور بغير ، لا من نفسه ولا من غيره ؛ ولا إدراك لرسالة ولا لمرسل اليهم ؛ فانه في هذه الحالة تنتفي الغيرية وتزول الأثنينية ؛ فيتحد المطلق بالمقيد ، فاذا رجع صلى الله عليه وسلم من هذه التغطية الموجبة لعدم شهود العبودية يستغفر الله تعالى أي يطلب منه الستر والحيلولة عن ذلك ، لأن هذه الحالة ربوبية محضة لا تشهد فيها عبودية ، وهي الوقت الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم ، لي وقت مع الله تعالى لا يسعني فيه نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ، يعني لا يتسع لمعرفتي رسول ولا ملك ، لأنه حالتئذ ذات محض مطلق عن القيود الخلقية ، والانحصارات البشرية ، لا يشار اليه بالنظر الى تلك الحالة باسم ، ولا وصف ، ولا رسم ، وفي رواية لا يسعني غير ربي ، وهذا كان له صلى الله عليه وسلم في بداية أمره فكان يطلب الستر عن ذلك ، لأنه صلى الله عليه وسلم علم الحكمة في إيجاد هذا الموجود ، وإنه تعالى ما أوجده في صورة المغايرة الاعتبارية إلا ليعرفه فيعبده ، لأنه تعالى لا يعبد نفسه من حيث هو هو من غير مغايرة إعتبارية ، ولأنه تعالى أحب أن يرى ذاته في صورة غير ، لأن رؤيته نفسه في نفسه ما هي مثل رؤيته نفسه في غير ، ولا غيرا إلا بالاعتبار الذي هو عدم في نفسه ، وعرف صلى الله عليه وسلم ان الدار دار محنة وتكاليف لا تصلح لهذه الأحوال ولا للظهور باوصاف الربوبية لا قولا ولا فعلا ، لضيقها وللتحجير الواقع فيها ، ولما يقتضيه الجسم الطبيعي من الحصر والتقييد ومقتضيات الطبيعة بخلاف الآخرة فانها لسعتها ورفع التحجير فيها وعدم الحصر والتقييد الطبيعي لأنه نشء آخر تكون التظاهر فيها بأوصاف الربوبية ودوام الرؤية له تعالى والمشاهدة والمحق ، فلكماله صلى الله عليه وسلم بالعلم الذي ما ناله مخلوق غيره أحب

أن يعطى كل موطن حقه ويتظاهر فيه بما يقتضيه فالكمال والشرف في هذه الدار إنما هو الدؤب على القيام بوظائف العبودية ، وأداء مايجب للربوبية ، فانه تعالي ماخلق الجن والانس إلاّ ليعبدوه ، بعد معرفتهم به تعالى لاسيما الرسل عليهم الصلاة والسلام فانهم زيادة على ماكلّفوا به في خاصتهم مكلّفون بأداء الرسالة وتبليغ الأمانة إلى أممهم ومداومة ملاحظتهم بارشادهم إلى صالح دينهم ودنياهم ، فليس الكمال إلاّ بشهود ربوبية وعبودية في آن واحد ، حق وخلق ، من غير تخلل فتور غائب حاضر ، لا الجمع يحجب عن الفرق ولا الفرق يحجب عن الجمع ، شرب فازداد صحوا ، وغاب فازداد حضورا ، كائن بائن ، قال إمام العارفين شيخنا محي الدين

فليس الكمال سوى كونه ... فمن فاته ليس بالكامل
ويا قائلا بالفناء اتئد ... وحوصل من السنبل الحاصل
ولا تتبع النفس أغراضها ... ولا تمزج الحق بالباطل

يريد ليس الكمال سوى شهود خلق قائم بحق لافنا حرف ، فان الاستهلاك فى الحق بالمشاهدة والفنا ، والمحق عدم حرف لاشعور فيه بعبودية أصلا ، فهو تضييع للوقت الذي لو اشتغل فيه الفاني بالأعمال الصالحة والمجاهدة لزادت مشاهدته ورؤيته للحق تعالى في الدار الآخرة ، التي هي محل الرؤية وموطن المشاهدة والتظاهر بأوصاف الربوبية ، ورفع التكاليف والخدمة ، ولهذا أنف الأكابر من المتحققين بالوراثة المحمدية من هذه الأحوال التي تحول بينهم وبين شهود العبودية ، ومن التظاهر بصفات الربوبية ، وطلبوا الترقي عن ذلك بدوام شهود العبودية ، والافتقار والعجز الذي يرجع اليه كل ممكن عند نظره إلى أصله ومرتبته الامكانية ،

وإذا أنف الكمّل من الورثة التابعين من هذا فكيف بالأنبياء ، فكيف بسيد الأنبياء وأكملهم صلى الله عليه وسلم وعلى اخوانه وآله ، فعلم مما قدمناه أن زمان الفنا بالمشاهدة عن المخلوقات ، زمان ترك عبودية يفوّت مقامات عظيمة من مقامات الأدب بل مقامات الآخرة في الرؤية والمشاهدة الخالصة عن كل شوب، وإن الدنيا سجن المؤمن، سجنه فيها الملك الحق تعالي ، ومن طلب الملك يأتيه في السجن حتى يراه ويشهده فقد أساء الأدب ، بخلاف الآخرة فانها دار الملك لاسجنه ، والحاصل أن الكمال الذي هو مقام النبوة ، هو الاعتدال وهو القسطاس المستقيم الذي أمر الحق تعالى عباده بالوزن به ، فمتى غلب النور الذي هو الحق على الظلمة التي هي الخلق زال الاعتدال، فزال الكمال، وذلك غير لايق بمنصب النبوة الأسمي، فاستغفاره صلى الله عليه وسلم إنما كان خوفا من غلبة النور على الظلمة فطلب البقاء على الاعتدال دائما ليؤدي كل ذى حق حقه فان الظلمة الطبيعية لها شرف عظيم لأداء العبودية عند شهودها

(الموقف المايه السبعة والعشرون)

قال تعالي خطابا لعائشة وحفصه رضي الله عنهما ، وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ، قال إمام العارفين شيخنا محي الدين مامعناه ، لقيت بعض العارفين فقلت له إن الله تعالى يقول ، ولله جنود السموات والأرض ، والجنود لايحتاج اليها إلا لمقابلة عدو عظيم ، ومن هو هذا العدو العظيم المضاد له تعالى ، حتى يحتاج لمقابلته بجنود السموات والأرض ، قال فقال لي ، ألا أدلك علي أعجب من هذا ثم تلا ، وإن تظاهرا عليه ، الآية ، قال فازددت اعجابا وما عرفت السر

الذي كانت به هذه القوة لعائشة وحفصة حتى خاطبهما الحق بهذا الخطاب المبين لعظيم قوتهما ، فسألت الله تعالى كشفه فكشفه ، اه ، وما كشف الشيخ رضي الله عنه هذا السر ولما وقفت على كلام الشيخ هذا تعلقت همتي بكشفه فكشفه الحق تعالى لي مناما ، فأخبرني أن هذه القوة الحاصلة للمرأتين إنما كانت للمشابهة بحضرة الانفعال، وهي الحضرة الامكانيه وزادا على ذلك بكونهما مظهرين كاملين للحقيقة الفعلية الوجوبية لكمالهما الانساني لجمعا بين حضرتي الفعل والانفعال ، لجنس المرأة لما كان محلا للتكوين كان أقرب الى المكون ، وان حضرة الانفعال لها شرف عظيم ، وفضل فخيم ، وقدر جسيم ، من حيث أن حضرة الفعل والوجوب والتأثير إنما ظهرت بها وتعينت بسببها ، فلو كانت هذه الحضرة غير قابلة للانفعال والتأثير ماحصل تأثير أصلا ، ولا كان لحضرة الفعل والوجوب ظهور ، ألا تري العدم المطاق وهو المستحيل ، حيث ما كان قابلا للانفعال والتأثر ما حصل فيه تأثير ولا كان لحضرة الفعل والوجوب به ظهور ، فهذه الحضرة الانفعاليه التي هي مظهر للحضرة الفعلية الجامعة لجميع الأسماء والصفات على الاجمال والتفصيل ، لاتقابلها إلا الحضرة الجامعة للأسماء والصفات على الاجمال والتفصيل ، وهي الاسم الجامع الله : وحضرة التفصيل وهي جبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة جميعهم ، ولانكشاف هذا السر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال حبّب اليّ من دنيا كم ثلاث النساء ، يعني حببهن الله اليّ بكشف هذا السر الذي فيهن وما قال أحببت ، فيكون حبه لهن كسائر الناس من أهل الحب الطبيعي والميل الشهواني ، وقال سيدنا محي الدين ، كنت أبغض الناس للنساء مدة ثماني عشر سنة والآن انا أشد

الناس حبا لهن وما ذلك إلاّ لانكشاف هذا السر له رضي الله عنه

(الموقف المائة الثامن والعشرون)

قال تعالى ، فاذكروني أذكركم ، وقال تعالى فيما روي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح ، أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا مع عبدي إذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، إعلم أن الحق تعالى له الأولية الحقيقية والآخرية الحقيقية ، وإن كنا نسميها إضافة لأنه تعالى لا يوصف بالحوادث فكل ما وصف به تعالى فهو قديم بالنسبة اليه تعالي وإن كان حادثا بالنسبة الينا ، وهذه المسئلة مسئلة خلاف بين أهل السنة والمعتزلة ، والحق أن جميع أسماء الله تعالى لها وجهان ونسبتان كما ذكرنا ، وأما أولية غيره تعالى وآخريته فهي نسبيته بمعنى ما وصف هذا المخلوق بالأول إلاّ بالنسبة لما بعده ولا وصف بالآخر إلاّ بالنسبة لما قبله فالحق أول من حيث ما هو آخر ، وآخر من حيث ما هو أول ، فآخريته عين أوليته وأوليته عين آخريته ، ومع هذا فقد يعطي الحق تعالى وصف الأول باعتبار تعين ، ويعطي حكم الآخر باعتبار تعين آخر ، إذا كان أحد التعينين شرطا أو سببا ، والآخر مشروطا أو مسببا ، فلابد حينئذ في وصف التعين إذا كان شرطا أو سببا بالأولية ، ومن وصف التعيّن إذا كان مشروطا أو مسببا بالآخرية ضرورة تقدم الشرط والسبب ، على المشروط والمسبب ، كما في هذه الآية والخبر ونحوهما فذكره تعالى لهم من حيث التعين الكلّي مسبب ومشروط بذكرهم له ، بالتعينات الجزئية السببية والشرطية ، في ذكره لهم وأما ذكره لهم تعالى وذكرهم له في المرتبة العلميـة فليس هنالك تقديم ولا تأخير ، ولا أولية ولا آخرية ، ولا سبب ولا شرط ، لأن المعلومات في الحضرة العلميـة عين الذات الأحدية

بالوحدة الحقيقية ؛ والأولية والآخرية ، إنما هي فى هذه المرتبة التي يقال فيها وجود عيني ، فهو تعالى يذكر عبده بالثناء عليه ، أما باسم كلي أو نوعي أو جزئي ، على حسب العناية بالعبد الذاكر ، قلت مرة يارب إني أعلم انك تذكرني بخبرك الصادق ، فهل تذكرني باسم وثناء عام أو خاص فغيبنى ، وألقي علي قوله ، وقرآنا فرقناه ، فلما رجعت إلي الحس حمدته تعالى وعلمت أنه يذكرني باسم عام جامع لأنواع من الثناء لأن القرآن الجمع فاذا تفصل صار فرقانا ، وكنت ليلة أذكر الله وبقربي كلب لا يزال ينبح الليل كله فقلت له في نفسي يا كلب أنت أغلق صاحبك بابه دونك وأنا أغلقت حضرة مولاي دوني ، فالقي علي فى الحال ، لا تقل هذا واحمد الله تعالى علي أن دعوناك لمجالستنا والخلوة بنا ، أما علمت أني جليس من ذكرني ، على أنه تعالي الذاكر والمذكور فى مرتبة الجمع وأنه الشرط والمشروط ، والمسبب والسبب ، ولذا قال بعض سادات القوم رضي الله عنهم ، الذكر حجاب ، يعني مادام الذاكر يشهد نفسه ذاكرا والحق تعالي مذكورا له فهو محجوب ، فاذا أراد الله رحمته أزال الحجاب عنه فأشهده از الحق تعالى هو الذاكر والمذكور والذكر ، ولذا قال تعالى ، وأنا مع عبدي إذا ذكرني ، أي مادام يشهد أنه ذاكر لي وأنا مذكور له فأنا معه ، أي غيره إذ المعيه تقتضي الغيريه والمصاحبة على مقتضى اللسان العمومي لا على لسان القوم الخصوصي وإذا كان الحق تعالى مع عبده الذاكر بحسب شهوده فهو تعالى يفعل معه ما يفعله المصاحب مع صاحبه من الرفق واللطف والرعاية فلو انتفت المعية فى شهود الذاكر وثبتت فى شهوده العينية الثابتة فى نفس الأمر علمت أو جهلت لفعل تعالى له مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر علي قلب بشر ،

وأفاد مفهوم هذا الخبر ان من لم يذكر الله تعالى لا تكون معية الحق له، كمعيته مع الذاكر من اللطف والرعاية، ولا يتوهم متوهم فى أخبار الحق تعالى أنه يذكر عبده بذكر عبده له تعالى، كما فى الآية والخبر وانه يجيب كما ورد فى خبر قسمت الصلاة بينى وبين عبدي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي، فاذا قال العبد الحمد لله يقول الله تعالى حمدني عبدي، الحديث بطوله، وهو فى الصحيح أنه كان غير ذاكر لعبده أو غير مجيب لعبده المصلي ثم ذكر وأجاب فان الكلام الحقيقي هو الكلام النفسي الأزلي فذكر الله تعالى لعبده اذا ذكره هو كنزول القرآن والقرآن كلام الله حقيقة وقال تعالى فى حقه ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث أي حادث النزول لا حادث الذات، كما يقال حدث الليلة عندنا ضيف حدثت ضيفته لا ذاته، فذكر الله عبده قديم بذاته، وعنده تعالى حادث عندنا باظهاره فالكلام حقيقة واحدة والمتجلى من كونه متكلما واحد، والمتجلي له مختلف مقيد بالزمان والمكان فظاهر كلامه هو باطن علمه، فالمكونات كلها كلام الله تعالي فى مرتبة الظهور وهي معلوماته فى مرتبة البطون، ونسبة الكلام اليه تعالى مجهولة كسائر نسبه تعالى، ولا مشاركة بين كلامه تعالى وكلام غيره إلاّ في شيء واحد وهو إيصال ما فى نفس المتكلم الى المخاطب فقط، وقوله تعالى، ذكرته في ملأ خير منهم، احتج به شيخنا محيي الدين على تفضيل الملائكة على البشر، وقال أخبره النبي صلي الله عليه وسلم بهذا فى الرؤيا والمعوّل عليه عندي إن كان لى عنده ما قاله شيخنا فى كتاب مالا يعوّل عليه الكشف الذي يعطي تفضيل البشر مطلقا أو الملك مطلقا، لا يعول عليه، يريد للملك فضل من وجه واعتبار، وللبشر فضل من وجه واعتبار

(الموقف المائة التسعة والعشرون)

قال تعالى ، وأتاكم من كل ما سألتموه ، أي أعطاكم كل ما سألتموه فمن للبيان لا للتبعيض ، والمراد سؤال الاستعداد سواء كان سؤال الاستعداد قبل إيجادكم العيني ، كما هو فى خلق السموات والأرض وما عطف عليهما من العطايا المتقدمة فى الآية ، فانها كلها مخلوقة لمصلحه الانسان الذى سيوجد لطلبه لها باستعداده قبل إيجاده ، أو كان سؤال الاستعداد بعد إيجادكم العيني كسائر الأشياء التي تطلبها الاستعدادات الانسانية فى الدنيا والبرزخ والآخرة ، مع تباين الاستعدادات التباين الذي لا يدخل تحت الحصر ، فسؤال الاستعداد أي استعداد كان مقبولا مجابا ولا بد ، سواء قارن سؤال اللسان أم لا ، وسؤال اللسان إذا ما وفقه الاستعداد مردود ، ولا بد ، لكن إذا كان قصد السائل التعبّد بسؤاله واظهار الفاقة كما هو الحكمة فى مشروعية الدعاء ، يجاب بالحسنات وتكفير السيئات ، لا بعين ما سأل والاستعداد المذكور هو ما تقتضيه الحقائق أى حقيقة كانت اقتضاء ذاتيا ولزوما بيّنا ، فان كل حقيقة لها ذاتيات ولوازم ، وتلك اللوازم لها لوازم وهكذا كالسلسلة الي ما لا نهاية له والاستعدادات كلية وجزئية ، فالكلية هي ذاتيات الحقائق وهي غير مجعولة ، والاستعدادات الجزئية مجعولة ، ووصف الحق تعالي بانه خلاف علي الدوام إنما هو فى الاستعدادات الجزئية التي هي لوازم الحقائق بحيث لا يتصور بعد الاطلاع على الحقائق انفكاك تلك الحقيقة عما هي مستعدة له ، كاستعداد الجوهر وسؤاله للعرض ، لان يقوم به وسؤال العرض باستعداده للجوهر لان يتقوم به ، فكل ما حصل فى العالم أي شيء كان مما يطلق عليه اسم شيء ، فمن اقتضاء استعدادات الحقائق له . ولذا قال العارف حجة الاسلام الغزالي

رضى الله عنه في كتاب التوحيد ما معناه ، ان الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم ، وعلم أعلمهم ، وأفاض عليهم في الحكمة ما لا منتهي لوضعه ، ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وعرّفهم دقائق اللطف ، وخفايا العقوبات ، وأمرهم أن يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبيرهم أن يزاد فيما دبر الله به الخلق في الدنيا والآخرة جناح بعوضه ولا أن ينقص منه جناح بعوضة ، ولا أن يدفع مرض أو نقص ، أو فقر أو شر ، عمن بلي به ، ولا أن يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع عمن أنعم عليه ، فكل ماقسم الله بين عباده من رزق وأجل ، وسرور وحزن ، وعجز وقدرة ، وإيمان وكفر ، وطاعة ومعصية ، فكله عدل محض لاجور فيه ، وحق صرف لاظلم فيه ، بل هو على ماينبغي وكما ينبغي ، وبالقدر الذى ينبغي ، الي آخر ما قال فى المسئلة ، يعنى أنه تعالى ما أعطى ولا منع إلاّ بالعلم والحكمة ، وذلك أعطى كل مستعد ما استعد له ، ومنع ماليس بمستعد من غير استعداده وهو اقتضاء الحقائق لما اقتضته من كل ماحصل لها مما يلائم صورها ، أو لايلائم ، فانه إذا ما لائم صورها يلائم حقائقها ، وقد ورد فى الخبر ، إن من عبادي من لايصلحه إلاّ الفقر ولو أغنيته لأفسدته ، وإن من عبادى من لايصلحه إلاّ الغنى ولو افقرته لأفسدته وبالاستعدادات الغير المجعولة المقتضية لكل ما أعطاها الحق تعالي ، كانت الحجة البالغة لله تعالي على مخلوقاته ، فليس لمخلوق أن يقول بلسانه يارب لمَ جعلتني كذا ، واستعداده الذى هو المقتضي الذاتي يطلبه ، وإذا أمطنا الحجاب ، ورفعنا النقاب ، قلنا ليس المقتضى إلاّ الأسماء الآلهية فان الحقائق الأمكانية صورها وإذا زدناه أماطة ورفعا ، قلنا ليس المقتضى إلاّ الذات العلية فان

الأسماء صورها ومراتب ظهوراتها فافهم، وإذا فهمت فاكتم، فانه بحر سر القدر، والخوض فيه خطر، ولهذا قال، أنصح النصحاء، وأفصح الفصحاء، إذا ذكر القدر فامسكوا؛ الخطاب للضعفاء الذين لايحسنون السباحة فلربما تزندقوا وصاروا الي الاباحة، أسأل الله تعالى العافية والسلامة لي ولأخواني فانه لا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون

(الموقف المايه والثلاثون)

قال تعالى، خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله، ورد في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم سئل، عن معنى الآية، فقال، حتى أسأل جبريل فسأل جبريل عليه السلام فقال؛ حتى أسأل رب العزة، فرجع جبريل فقال، يا محمد أن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك؛ ولذا ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال، أدبني ربي فأحسن تأديبي، خرجه السمعاني يريد هذه الآية وأمثالها وأما ماتشير اليه الآية بطريق الاعتبار فهو أنه تعالي أمر رسوله صلى الله عليه وسلم وكل من قوي في متابعته واقتفى أثره من كمّل أمته فانّ أمر الله تعالي له أمر لامته، ممن يناسبه ذلك الأمر إلا ماثبت اختصاصه به دون أحد من أمته فأمره تعالي في حق نفسه بالأخذ بالعفو أي بالزايد من العفو بمعني الزيادة والكثرة، فيأخذ نفسه بالزايد على مايحصل به الأجزاء وتسقط به المطالبة وهو الأكمل والأحسن والأفضل، فلا ينحط الى رتبة الحسن دون الأحسن، ولا الى الكامل دون الأكمل، ولا إلى الفاضل دون الأفضل، بل أمره صلى الله عليه وسلم بمعالي الأمور وعزائم الأحكام كما أمر أن يدفع بالتي هي أحسن، ويجادل بالتي هي أحسن، وأمر هو صلي الله عليه وسلم،

والكاملون من أمته باتباع أحسن ما أنزل اليهم من ربهم قال تعالى ، واتبعوا أحسن ما انزل اليكم من ربكم والأمر بالشيء نهي عن ضده فلا ينحطوا إلي الرخص التي هي مراتب الضعفاء فيحصلون على الأجزاء دون الأفضلية الأكملية ، والأمر بالمعروف تصريح بما يفهم من قوله خذ العفو فانه حيث أمر فى نفسه بالأكمل الأفضل ، يفهم منه أن الأمر لغيره لا يكون كذلك بل أمره لغيره يكون بالعرف ، بمعني ماهو حسن شرعا وعرفا يحصل به الأجزاء وينتفي به الذم وتسقط المطالبة فلا يأمره بما يشق عليهم مما تمتنع منه نفوس العامة ، وهذا للضعفاء ذوى الهمم الدنيئة ، الراضين بالأدون وقد ثبت في غير ماخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر عامة النـاس بالأسهل والأهون ، ويقول بعثت بالحنيفية السمحية السهلة ويأخذ نفسه بالأفضل الأشق فقد قام حتى تورمت قدماه ، وقال لغيره ، قم ونم ، وشد الحجر علي بطنه من الجوع ، وأذن لغيره فى الادخار ، وكان يواصل وينهي غيره عن الوصال ، وأعرض عن الجاهلين ، أمر له صلي الله عليه وسلم ولمن اقتفى أثره فى الأخذ بالعزايم وركوب المشاق فى طلب الأفضل والأكمل بالاعراض عن الجاهلين من الأناسى الذين يعـذلونهم فى طريقهم فيقولون مثلا أرفق بنفسك ، قد شددت ، قد افرطت ، والاعراض عنهم أن يولوهم عرض وجوههم فلا يواجهوهم لا بفعل ، ولا بقول ، ولا بجدال ، ولا غيره ، وهـذا شائع مشاهـد فـكل من اتبع سنـة رسول الله صلي الله عليـه وسلم ، واقتفى أثره فى أحواله كالسادة الصوفية ، كثر عاذله ، وعدم عاذره بل تقام عليه القيامة بكل معتبة وملامة ، ومن ذاق ثمرات تلك الطريق ، وانس بذلك الفريق ، لا يرده راد ولا يصرفه صارف ، وأما ينزغنك من الشيطان نزغ ، الخطاب له صلي الله عليه وسلم

والمراد من اقتفى أثره من كمّل اتباعه لعصمته صلى الله عليه وسلم ، من نزغ الشيطان ، أي إذا أحسستم بوسوسة الشيطان وإفساده طريقتكم بتزيينه لكم اتباع الرخص والنزول من الرتب العلية الى مادونها من الرتب الدنية ، ووجدتم في الهمة فتورا ، وفي العزم ترددا ، فاستعذ بالله ، تحصّن بالله من نزغه وافساده ، وصمّم على طريقتك المثلى ، ولا تستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير وأعلى ، والله تعالى بفضله كافيك شره ، وحاميك ضره

(الموقف المائة واحد والثلاثون)

قال تعالى ، فلا تخافوهم وخافوني ان كنتم مؤمنين ، الخوف نوعان خوف من الله تعالى وهو خوف الاجلال والتعظيم والهيبة كما قيل ، كانما الطير منه فوق رؤوسهم لاخوف ظلم ، ولكن خوف إجلال ، وهو خوف العارفين الموحدين بالتوحيد الحقيقي على مراتبهم في رسول ونبي وملك وولي ، وهو المأمور به فى الآية فهو توحيد خاص لأن من عرفه تعالي عرف أنه لا يخاف إلاّ هو تعالى إذ كل شيء فى الدنيا والآخرة إنما هو تجل من تجلياته وظهور من ظهوراته ، فهم لا يخافون إلاّ الله ، ولا يتقون إلاّ الله ، واتقاؤهم الله إنما هو بالله تعالى لا بشيء آخر ، وهذه الوقاية هى النافعة لا غيرها ، إذ لا يتقي شيء الاّ بنفسه كالسيف من الحديد والسنان ، والنصل والسكين ، لا تتقي الاّ بالدروع من الحديد ، كما قال تعالى فى عدة آيات ، اتقوا الله أي لا غيره من سائر مخلوقاته ، وقال فى معرض المدح ، إن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ، أي الذين اتقوا الله بالله ولهذه النكته حذف المتقي منه والمتقي به في الآية ، بمعني الذين كانوا بهذه الصفة اذا أحسوا بخاطر شيطاني مر بهم مرور الطيف والسارق

المختلس ، تذكروا إذ من المحال أن يوسوس لذاكر حاضر حالة حضوره ، أي استحضروا الحق تعالي الذى هم متقون منه وبه ، كما قال صلى الله عليه وسلم ، أعوذ بك منك ، وفى المحسوس كل من أحس بعدو واستحضر عدته وسلاحه الذي يتّقي به ذلك العدو ، فاذاهم مبصرون ، مشاهدون للحق الذى منه وبه إتقاؤهم ، فانحاشوا اليه ، وتوكلوا عليه ، فغيبتهم تلك المشاهدة عن الشيطان وكيده فانقلب خاسئا نادما حيث قصد خسارتهم فربحوا بسببه استحضارهم وانحياشهم اليه تعالي ، والنوع الثاني ، خوف من مخلوقات الله تعالي ، كالخوف من أعداء الأنس والجن ، ومن جهنم وما فيها من الحيات والعقارب والأشياء المؤلمة ، ومن الذنوب والمعاصي ونحو ذلك من المخلوقات ، وهذا الخوف ليس فيه هيبة ولا إجلال إذ ليس فى الخوف من العقرب والحية ونحو ذلك إجلال ، وهذا هو خوف عامة المؤمنين من العباد والزهّاد والصالحين الذين ما انقشع عن بصائرهم حجاب الغيرية ، فلا زالت قلوبهم مشحونة بالأغيار ، فهم يخافون غير الله من كل شيء ، جعله الحق تعالى مظهرا للضر والشر صورة ، ويتقون ما يخافون بمخلوقات مثلها فيتقون الأعداء بالحصون والسلاح ويتقون جهنم وحياتها وآلامها بالتوبة والطاعات والأعمال الصالحات التي هي عندهم أفعالهم صادرة منهم فهم يصومون ويصلون ويحجون ويتصدقون بأنفسهم لا بربهم ، وهذه الوقاية غير نافعة ، والاتكال عليها غرر محض وخسران بين. فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين ، أي اذا كنتم فى مقام الفرق الأول ، وكثافة الحجاب مؤمنين إيمان العامة تشهدون حقا وخلقا مباينا للحق تعالي قائما بوجود حادث غير وجود الحق تعالي القديم ، فيلزمكم حينئذ لتصحيح إيمانكم العامي الخوف مني دون

الخلق ، فان الخلق لا يضر ولا ينفع ، فلا يخاف ولا يرجى ومفهومه إذا لم تكونوا مؤمنين ، بل كنتم معاينين مشاهـدين ، وحينئذ لا يصح عليكم إطلاق المؤمنين فيما عاينتموه الا بالمجاز من حيث أن الايمان تصديق الغير وأنتم جاوزتم هذه الرتبة الى المعاينة ومشاهده سريان الوجود الحق فى كل موجود يخاف أم لا من غير حلول ولا اتحاد ، فخافوهم ، أي خافون فيهم فانهم مظاهر أسمائي ، وتعينات تجلياتي ، إذ لكل مخلوق وجـه هو مؤثر بذلك الوجـه الالهي لا بصورته المحسوسة ، فلذا يقول المحقق الذي هو فوق العارف ، المسببات تتكون عند الأسباب ، وبالأسباب ، فاذا رأيت عارفا بالله يخاف ملكا ، أو ظالما ، أو سبعـا ، أو حيـة ، فليس خوفه من صورته المخلوقة المقدرة العدمية ، وإنما خوفه مما هي مظهر وصورة له وهي أسماء الضر والانتقام والقهر ، فبين خوف العامـة وخوف العارفين فرق ما بين الأعمى والبصير ،

(الموقف المائة اثنين وثلاثون)

قال تعالي ، وهو معكم أينما كنتم ، إعلم أن الهو فى أصل الوضع اللساني كناية عن غائب يمكن أن يصير شهادة يوما ما فى حال ما ، وأما هنا فهو كناية عن البطون الذاتي الذي يستحيل أن يصير شهادة لمخلوق ما ، وفى حال مادنيا وآخرة فهو الغيب المطلق الذى لا يشار اليه باشارة إذ كل مشار اليه ذوجهة ، ولا يعبّر عنه بعبارة تقيّده أو تميّزه ، أو تحصره ، ومع هذا فكل مشار اليه هو ، وكل معبر عنه هو ، فهو الغيب الشهادة والمعية فى أصل الوضع اللساني ، تطلق على مصاحبة شيئين مستقلين بالوجودية كزيد مع عمرو ، ولا تطلق على الجوهر والعرض ، إذ العرض لا استقلال له بالوجودية ، لأن قيامه بالجوهر

صفة نفسية له ؛ لحده ما لو وجد لكان فى موضوع فلا يقال زيد مع البياض ولا مع الحركة كذا ، لا يقال علم زيد معه والمعية هنا معية وجود مع عدم ، فالوجود ليس الا تعالى ، أصدق كلمة قالها الشاعر ، الا كل شيء ما خلا الله باطل ، والباطل عدم وإن كان ما سوى الحق يوصف بالوجود فهو مجاز فانه وجود خيالي فليس الوجود الحقيقي إلا له تعالى ، وكل ما سواه يصح نفي الوجود عنه كما هو حقيقة النسب المجازية ، فلولا معية الحق تعالى بذاته التى هي عين وجود ما صح نسبة مخلوق الى الوجود ولا وقع عليه إدراك حسي ولا خيالي ، ولا عقلي ، فمعيته تعالى هي الحافظة على الموجودات نسبة الوجود ، بل هي عين وجوداتها وهذه المعية عامة لكل موجود من جليل وحقير ، وكبير وصغير ، فهي القومية التى قام بها كل شيء ، وهي محض الوجود الذى به كل شيء موجود ، فمعيته إذاً بذاته وهي المعبّر عنها بالهوية السارية من غير سريان ولا حلول ، ولا اتحاد ، ولا امتزاج ، ولا انحلال ، لأن هذه المذكورات تقال على وجودين كما هو عند العموم وليس عندنا إلا وجود واحد قديم منزه عن قيام الحوادث به وقيامه بالحوادث ، ومن قال معيته تعالى بعلمه كما هو الرأي المشهور عند الجمهور فان أرادوا بذلك تنزيه الذات عن معية المخلوقات فمعلوم أن ماثبت فى النزاهة للذات ، هو ثابت للصفات ، وإن أرادوا أن الذات حقيقة أحدية لاتتجزأ ولا تتبعض ، والموجودات متعددة فكذلك العلم حقيقة واحدة لاتتجزأ ولا يتبعض ، والذي يزعم العلم مع جهله بما به يعلم فهو بالمعلوم أجهل ، وإذا سمعت من عارف أو رأيت في كلامه أن معيته تعالى بالعلم فلا يعنون العلم الذي يعنيه المتكلمون ، وإنما يعنون شيئا آخر ، فيبهمون الأمر على المخالف المشغب ، قال شيخ العارفين

محي الدين ، القول بان معيته تعالى مع كل شيء بالعلم أقرب إلي الأدب ، والقول بأن معيته بالذات أقرب إلى التحقيق ، يريد بالأدب عند المحجوب وعلى زعمه أو أعم من حيث أنه ليس كل حق يقال ، ولا كل مايعلم ينقال ، وهذه المعية هي مثل قوله ، وهو على كل شيء شهيد ، وقوله ، من ورائهم محيط ، وقوله ،فأينما تولوا فثم وجه الله ، أي ذاته إذ الوجه عبارة عن الذات، ولفظ الآية يؤكد ما قلنا ويرفع احتمال غيره ، كما في قولك جاء زيد نفسه، وجهه،عينه ، وله تعالي معية خاصة بخاصة العامة،وهي معية الامداد بمكارم الأوصاف وجميل الأخلاق ، كقوله تعالى ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وقوله ، إن الله مع الصابرين ، وقوله صلى الله عليه وسلم ، إن الله مع القاضي ما لم يجر ، أو كما قال ، ونحو ذلك مما ورد في الأخبار الآلهية والنبوية،وماهي إلاّ ظهور بعض كمالات الوجود في البعض دون البعض ، وله تعالى أيضا معية خاصة بخاصة الخاصة،وهي للرسل والأنبياء ومن كان من ورثتهم صلى الله عليهم أجمعين،وليست الاّ غلبة أحكام الوجود والوجوب والقدم ، على أحكام الامكان من حدوث وعدم ، كقوله تعالى لموسى وهارون ، إنني معكما أسمع وأري ، أي أسمع بكما وأرى بكما،لأن معيتي غلبت عليكما فأنا أنا لا أنتما الاّ من حيث الصورة فقط وهذا المقام معروف عند القوم رضوان الله عليهم ، بقرب الفرائض فهو ظهور الرب وبطون العبد، وصاحب هذا المقام إذا نودي بيا فلان ، يقول الحق نيابة عنه لبيك وهو أعلى من قرب النوافل فان صاحب هذا المقام إذا نادى مناد وقال يا الله،يقول هذا العبد لبيك،نيابة عن الحق تعالي ومعية الحق تعالى مع كل شيء ثابتة وليس معه تعالي شيء لان معيته ثابتة بالنص ومعية كل شيء معه ضمنا إذ من كان

معك فأنت معه ومع هذا لا نقول أنا معه فانه ماورد

(الموقف المايه ثلاثه والثلاثون)

ورد فى الصحيح، أنه صلى الله عليه وسلم قال ، من رآي منكم منكرا فليغيّره بيده فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه، وهو أضعف الأيمان ، إعلم أن التغيير باليد هو للسلطان والحكام الذين جعل لهم ذلك ، والتغيير باللسان هو للعلماء الذين عرفوا بالعلم والتظاهر به بين العوام ، والتغيير بالقلب هو لعامة المؤمنين العارفين بالمنكر ، وهو أن يكره بقلبه هذا الفعل أو القول المنكر فى الدين ، فان هذا من إيمانه بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما من لم يكن فى هذه الطوائف الثلاثة وهو المشاهد للفاعل الحقيقي فانه لا يلزمه ذلك إذ فى تغيير الحكام باليد، والعلماء باللسان فائدة تعود على العموم وعلى المتلبس بالمنكر، وأما التغيير بالقلب فلا فائدة فيه الا للمؤمن العامي لتصحيح إيمانه ، باعتقاد حرمة المنكر حتي لا تميل اليه نفسه حيث ان عدم التغيير بالقلب ماهدم ركنا من الشريعة ، ولا أباح محرما ، قال إمام العارفين محي الدين عند ماتكلم على سر العدد ، إن كان الانسان يحارب هوى نفسه فليغلب الزوج على الفرد، يعني يغلب شهود رب وعبد على الفرد الذي هو شهود رب فقط ، وإن كان يحارب هوى غيره فليغلب حكم الفرد ، على حكم الزوج ، يعني شهود رب فقط إظهارا للتوحيد وقال بعض العارفين ، من نظر للعصاة بنظر الشريعة مقتهم ، ومن نظر اليهم بعين الحقيقة عذرهم ، فان من حصل على التوحيد الخاص وعلم قوله تعالى ، والله خلقكم وماتعملون ، وقوله ، لا يقدرون على شيء مما كسبوا ، وقوله ، فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وقوله ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله ، وقوله ، ألا له الخلق والأمر ، وقوله ، قل كل من عند الله ، وغير ذلك مما

يدل على انفراد الحق تعالى بالفعل،علم ذوق وشهود لاتخييل ولا تخمين ، علم أن المخلوقات ظروف لما يخلقه الله تعالى فيها من الأفعال والأقوال والنيات ليس لها من الأمر شيء وإن كانت مخاطبة مكلفة مأمورة ، وحينئذ لا يغار لله ولا لنفسه إلاّ أن يكون من ذوي السلطنة والحكم ، أو من العلماء المتظاهرين بالعلم عند العوام ، أو من عامة المؤمنين ، فبغير اتباعا وامتثالا لأمر الشارع لما علمه المشرع من المصلحة فى ذلك ، فان لم يكن واحدا من الثلاثة فتغييره إثبات للشركة فى الفعل ونفي للتوحيد ، فان التوحيد يمنع من تغيير القلب فانه إنكار الفعل على الفاعل وما ثم من يغير عليه لأحدية العين الفاعلة لجميع الأفعال المنسوبة إلى العالم ، فلو كان هناك فاعل غير الحق تعالى لم يكن توحيدا ، إذ موجب التغيير بالقلب إنما هو الفعل ولا فاعل إلاّ الله تعالى ، وهذه المسألة من أشكل المسائل عند القوم رضوان الله عليهم ، ولكن العارف الأديب يعرف المواطن والأحوال ومايستحقه كل،فيوفّي كل موطن ووقت مايقتضيه

(الموقف المائة وأربعة والثلاثون)

قال تعالي ، ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا ،للحق تعالى ثلاثة ظلال الظل الأول هو الوجود الاضافي المسمى بنفس الرحمن ،والتعين الأول، والوحدة المطلقة،والحقيقة المحمدية وهو ظل مجمل غير مفصل ، والظل الثاني هو المسمى بالتعين الثاني ، وبمرتبة الواحديه والانسان الكامل ، وهذا الظل مفصّل تفصيلا معنويا علميا ، والظل الثالث هو العالم كله ملكه وملكوته، المسمى بالصور الخارجية والأعيان المفصلة وبالوجود الخارجي ، فهي ثلاثة

ظلال فى مقام الفرق،وظل واحد فى مقام الجمع بل ولا ظل أصلا بالنسبة الى الوجود كما قيل

مراتب بالوجود صارت حقائق الغيب والعيان
وليس غير الوجود فيها بظاهر والجميع فان

فالظل الأول ظل الذات ، والظل الثاني ظل الأسماء والصفات ، باعتبار الذات ، والظل الثالث ، ظل الصفات والأسماء لا باعتبار الذات ، فافهم أو سلم ، وامتداد الظل هو تعينه وتميزه تمييز المقيد عن المطلق وليس للمقيد حقيقة مغايرة للمطلق والامتياز ، والتعين أمور عدمية فى الخارج كسائر النسب ، ولو شاء لجعله سا كنا باطنا في الذات غير متميز عنها التميز النسبي لا الحقيقي ، إذ ليس للظل وجود مغاير لوجود ما امتد عنه ، والقضية الشرطية لا تقتضي الوقوع ولا الأمكان ، كما قال تعالى ، ومن يقل منهم انى آله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، ومحال أن يقول الملك انى آله،وقال ، لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء ، أي لتبناه ، وقال ، لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين ، وكل هذا محال فلا تتعلق به مشيئته تعالى ، إذ لايشاء إلاّ ما علم قبوله للايجاد ، وما علم تعالى للمحال قبول ايجاد، فلا يشاءه فلا تتعلق به قدرته ، لأن اسمه تعالى الحكيم فيعطي كل مستعد استعداده،وليس للمحال استعداد قبول الوجود لاعجزا فانه على كل شيء قدير ، فلا يقال أنه عاجز عن المحال فالمراد من قوله ، ولو شاء لجعله سا كنا نفي الايجاب الذاتي ، والعلية التى قالت بها طائفة من العقلاء واثبات الاختيار المعروف عند العموم فلا يمكن أن لا يمد الظل بان يبقيه باطنا سا كنا في العدم والعلم بل لا يكون الاّ مده وإيجاده لا لكون

الذات العلمية علة كما قالت الحكماء ، ولا لسبق العلم كما قالت الأشاعرة ، لأن العلم صفة انكشاف ما هو صفة اقتضاء ، ولكن لاقتضاء الأسماء والصفات الآلهية ظهورها بآثارها وهو المسمى بالكمال الأسمائي ، لأن للوجود الحق كمالين ، كمال ذاتي وهو فى هذا الكمال غني عن العالمين وعن أسمائه وصفاته أيضا ، وكمال أسمائي وهو المقتضى لظهور الأسماء والصفات بآثارها ، فالمقتضى هي الأسماء والصفات المؤثرة لا غير ، ثم جعلنا الشمس عليه دليلا علامة منصوبة لمعرفة أحوال هذا الظل المذكور فان الدليل قد يراد به العلامة المنصوبة لمعرفة المدلول ، ولهذا [1] يسمى الدخان دليلا على النار فكما أنه فى الحس ، لولا نور الشمس ما ظهرت للشخوص ظلال ، فكذلك هذا الظل لولا الذات من حيث اسمه تعالى النور ما ظهر لهذا الظل عين ، وكما أنه فى الحس لولا الشاخص الذي يرسم الظل ما ظهر للظل عين ، فكذلك هنا لولا مرتبة الصفات والأسماء ما ظهر هذا الظل ، وكما أنه فى الحس لا بد من محل يمتد عليه الظل كالأرض والماء ، فكذلك هذا الظل لولا الأعيان الثابتة فى العلم والعدم ما ظهر هذا الظل ، وكما أنه فى الحس قرب غروب الشمس تظهر للشخوص ظلال ممتدة لا نهاية لها ، فكذلك هذا الظل لا نهاية لامتداده بحسب ما يمتد عنه من أحوال كل عين من الأعيان وقس على ما ذكرت مالم أذكر ، ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا ، قبضه هو مايلحق كل عين عند نهاية أمدها المقدّر لها من عدم صورتها ، فقبض الظل هو رجوعه الى ما امتد عنه فيصير الى العلم بعد العين أعني صورته ، وأما حقيقته وجوهره فلا يلحقها عدم أصلا بعد الوجود ، وهذا القبض هو معنى قوله ، اليه يرجع الأمر كله ،

(١) وفى نسخة : ولذا

وقوله،الينا ترجعون،وقوله ألا الي الله تصير الأمور،وقوله،واليه تغلبون،ونحو ذلك،ويصح ثم قبضناه أي الظل بعد أن مددناه ، قبضا دفعيا فى نظر بعض المخلوقين كالأرواح ومن شاء الله أي جعلناه غير مشهود لهم، مستقلا من أول فطرتهم،وقبضناه قبضا تدريجيا لا بعد حال كما هو حال بني آدم فان الظل إنما ينقبض فى شهودهم بعد امتداده شيئا فشيئا ، وهو الانسلاخ من التعينات الخالية العدمية،الي أن لا يبقى من الظل شيء فى شهودهم فيبقى السر الآلهي وهو الذي يشهد الله من كل مشاهد.فما يشهد الله إلا الله،ولا يعرف الله الا الله

(الموقف المائة والخمسة والثلاثون)

قال تعالى ، ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، إعلم أن نعم الله تعالى علي عباده عامة وخاصة ، وخاصه بالخاصة ، فهي أنواع ثلاثة دنياوية محضة ، واخراوية محضة ، وممتزجة ، فالدنيوية هي قوله ، سخّر لكم ما في السموات وما في الأرض من ملك وفلك وريح وسحاب ومعدن ونبات وحيوان ، فالعرش وما حوى ساع فيما يتنعم به الانسان فى دنياه وهذه عامة لجميع بني آدم ، مؤمنهم وكافرهم ، برهم وفاجرهم ، والأخراوية هي قوله ، واسبغ عليكم نعمه ظاهرة ، أي جعل نعمه عليكم سابغة ، وافرة ظاهرة ، بارسال الرسل وإنزال الوحي الجبرائيلي بالشرائع والأحكام ، التي هي وظائف الأعضاء والقوي الظاهرة وحليتها الموجبة للسعادة الدائمة ، والنعيم الأبدي بالتمتع بالجنان وبما فيها من القصور العالية ، والحور الغالية ، وكل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، ظاهر لظاهر ، وهذه النعمة خاصة باتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام وهي اخراويه محضة ، وعليه فالآية صريحة فى أنه تعالى

لايجب عليه ارسال الرسل ولا الصلاح ، والا صلح كما قالت المعتزلة ، بل هو متفضل بذلك ، إذ لو وجب عليه شيء من ذلك ماأمتن به ولا تمدّح به تعالى ، لأن أداء الواجب لا امتنان ولا تمدّح به، و باطنه فهذه هي النعمة الممتزجة بالدنيا والآخرة ، وهي بارسال رسل الالهام بالعلوم اللدنية ، والمعارف الكشفية ، والحقائق الغيبيه ، الي قلوب ورثة الانبياء ، وهم العلماء العارفون المتحققون بالاقتداء بالانبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم في أفعالهم وأحوالهم ، فتتحلى بها أرواحكم ، وقلوبكم ، ونفوسكم ، كما تزينت ظواهركم بالوظائف الشرعية الظاهرة ، وهذه العلوم والمعارف توجب السعادة الروحية والقلبية ، ودوام التلذذ بشهود الجمال الحقيقي والتمتع بشهود التجليات المتنوعة باطن لباطن ، وهذه النعمة في الدنيا والآخرة لمن أنعم الله عليهم بها ، فهي نعمة خاصة بخواص عباد الله ، وقد جعل الله تعالى بين ظاهر الانسان وباطنه اتصالا معنويا غيبيا ، فاذا قامت الأعضاء الظاهرة بما كلفت به من الطاعات على وجهها المشروع ، وتحلّت بالأعمال، الصالحات ، انعكس من تلك الأعمال نور الى القوي الباطنة ، فتقوت أنوار الباطن ، وإذا قامت القوى الباطنة بوظائفها من المراقبة والحضور والآداب المطلوبة منها ، انعكس من ذلك نور الي الأعضاء الظاهرة فاستحلت ظواهر الطاعات ، واستلانت مشقة العبادات ، ودأبت على نوافل الخيرات ، فصار كل واحد منهما للآخر سنداً، وعضداً ممداً

(الموقف المائة والستة والثلاثون)

روى في صحيح البخاري ومسلم رضي الله عنهما في حديث جبريل المشهور ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن الاسلام والايمان

والاحسان ، فقال ما الاحسان ؟ فأجابه عليه السلام ، الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ، فاعلم أن الاحسان مقام جليل ولذا تكرر فى القرآن ذكره والثناء علي المتصف به ، كقوله إن الله يحب المحسنين الذين أحسنوا الحسنى ، ونحو ذلك ، وهو مشتمل علي مقامات ، وخص صلي الله عليه وسلم هـذين المقامين لأنهما أساس لما بعـدهما من المقامات ، فقوله صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله إلى آخره ، يريد وجوب إيقاع العبادة على النحو المذكور بعد ، كوجوب الاسلام والايمان ، فيجب السعي في تحصيل مقام الاحسان بتحصيل أسبابه ، وتحصيله غير بعيـد لمن أراد الله تعالى به خيرا ، وذلك واجب باجماع العارفين بالله تعالى بل والفقهاء من حيث أنهم مجمعون على وجوب النية وهي القصد إلى العبادة ، ولاشك أن العابد لا يعبد من لا يعرفه ولو بوجه ، وإذا عرفه استحضره على حسب معرفته وذلك ضرب من الاحسان ومقام الاحسان أشرف وأعلي من مقام الايمان إلاّ من حيث التقدم ، فالايمان أشرف ومقام الايمان أعلي وأشرف من مقـام الاسلام على القول بتباينهما ، فالاحسان باطن الأيمـان ولبه ، والايمان باطن الاسلام ولبه ، فالاحسان لب اللب ، وكما أن الاسلام لا يغني عن الايمان ، ولا يوجب السعادة ، فكذلك الايمان من غير إحسان لا يوجب السعادة أعني السعادة الخالصة ، وقوله كأنك ، كأن هنا هي للتحقيق كما هو الأمر عليه فى نفسه وكما ذاقه من ذاقه من أهل الكشف والعرفان فهي هنا كما هي في قول الشاعر يرثي هاشما جد النبي صلى الله عليه وسلم

فأصبح بطن مـكة مقشعرا كأن الأرض ليس بها هشام

ويصح أن يكون جواب السائل تم بقوله ، أن تعبد الله كأنك تراه ،

وقوله ، فان لم تكن تراه فانه يراك زيادة منه صلى الله عليه وسلم لبيان أن بعد هذه المرتبة ثلاث مراتب ، أو قل إحدى مشاهدات الشهود ، الأوّل هو الذي وقع السؤال عنه ، والجواب الثاني أن يشهد العابد الحق تعالى جميع قواه التي يفعل بها ، ويقول الثالث أن يشهد العابد الحق تعالى فاعلا به فلا خروج لصاحب مقام الاحسان عن هذه الثلاث المشاهدات ، الأولى ، تعليم وتدريج ، والثانية والثالثة هما حقيقة الأمر ، فقوله ، تراه أصله ترى به حذف الجار فاتصل الضمير بالفعل ، كما في قوله ، والقمر قدرناه منازل ، أي قدرنا له ، وقوله ، تبغونها عوجا ، أي عنها عوجا وهو أن يشهد العابد نفسه حال العبادة بل وفي غيرها من سائر الأفعال والادراكات ، أنه بالله بمعنى أنه يشهد الحق تعالى قدرته وسمعه وبصره ، وجميع قواه وأعضائه الظاهرة والباطنة ، فلا يرى فعلا له ولا لغيره ولا إدراك إلاّ بالله فيكون العبد ظاهرا ، والحق باطنا ، وهذا المقام هو المسمى عند القوم رضوان الله عليهم بقرب النوافل ، وهو ثابت ذوقا ووجدانا ودليله من السنة ، قوله صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه عن ربه وهو في الصحاح ، ماتقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ من آداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، إلى آخر الحديث ، فذكر قوى العبد الباطنة ، وأعضاءه الظاهرة ، وصاحب هذا المقام ما تخلص بعد ففيه بقية نفس هي الفاعلة بالحق تعالى والسميعة به ، والبصيرة به ، إلي آخر القوى والأعضاء ، إذ لولا شهود نفسه ما جاء الضمير في قوله سمعه ، بصره ، لسانه ، فان الضمير لا يعود علي لاشيء ، قوله فان لم تكن تراه فانه يراك ، هو

تعريف المقام الثالث من مقامات الاحسان أي إن لم تكن لك نفس ولم تبق فيك بقية ولا لك مغايرة للوجود الحق، ولم تكن لك حقيقة ترى به كما في المقام الأول، فانه براك أي يرى بك حذف الجار واتصل الضمير كما تقدم، وفي هذا المقام يشهد العابد نفسه وقواه الباطنة وأعضاءه الظاهرة، آلة والحق والحق تعالى المصرف لها، المؤثر بها، فيسمع بسمع العبد، ويبصر ببصره، ويتكلم بلسانه، إلى آخر الادراكات، فيكون الحق تعالى ظاهرا، والعبد باطنا، وهذا يسمى بقرب الفرائض، ودليل هذا المقام بعد الذوق والوجدان، قوله تعالى، فاجره حتى يسمع كلام الله، وما سمع هذا الأحد الكلام في ظاهر الأمر إلاّ من صورة محمد صلى الله عليه وسلم، فالمتكلم الله بلسان محمد، وقوله، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم، فالمعذب الله بأيدي الصحابة رضي الله عنهم، وفي الصحيح إنّ الله قال على لسان عبده، سمع الله لمن حمده، وقد أخبر الوارد أن هذا المعنى لهذا الحديث ما تقدم لأحد كتابته والله أعلم

(الموقف المايه السبعة والثلاثون)

قال تعالى، وهو معكم أينما كنتم، الخطاب عام لكل مخلوق، ومعيته تعالى مع مخلوقاته ليست كمعية المخلوقات بعضها مع بعض، تعالى الله عن ذلك، وإنما هي معية وجوده الذي لا يتعدد، ولا يتجزأ ولا يتبعض، ولا ينفصل، ولا يتصل، المفاض على كل مخلوق من العرش الى الذرة، فمثال هذه المعية ولله المثل الأعلى كما ترى الصورة في المرآة، فالذات المتوجهة علي المرآة هي الحافظة الممدة بالبقاء، والوجود للصورة فى المرآة وليست الذات على الحقيقة غير الصورة في المرآة، وإن كانت غيرا بحسب الوهم فله تعالى المعية كما قال، ولنا

التبعية لا المعية ، إذ الصورة فى المرآة تابعة للذات المتوجهة على المرآة ولهذا تنعدم بمجرد الاعراض عن المرآة ، فهو معنا إذ لا يمكن أن نكون ولا هو ، ولسنا معه إذ كان ولا نحن ، وما خاطبنا تعالى بانه معنا إلاّ لكونه ثبت لنا عندنا وجود مغاير للوجود الحق بحسب حسّنا وعقلنا لا في نفس الأمر ، ولو خاطبنا تعالي بما هو الأمر عليه فى نفسه لخاطبنا بغير هذا الخطاب وأكثر ما ترد الخطابات الآلهية في الكتب المنزّلة على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام بما تقرر فى عقول العامة وغلب على أوهامهم ، إذ ليس فى نفس الأمر والحقيقة إلاّ الوجود الظاهر بأحوال الممكنات وهو المقوّم لتلك الاحوال بمعيته التي هي عين وجوده الذي هو عين ذاته ، وهي تابعة له تبعية العرض للجوهر ، ولله المثل الأعلى ، فهو تعالي مع كل شيء لانه وجود كل شيء وحقيقته وبه كان ذلك الشيء هو هو ، وليس معه شيء إذ ليس لشيء وجود غير وجوده تعالى علي حسب ما هو الأمر عليه ، وأما بحسب الوضع اللساني وبحسب اعتقاد من يعتقد أن لكل شيء وجودا حادثا به ثبوته وحصوله وتحققه غير الوجود الحق القديم ، فمن كان معك فأنت معه لا محالة وليس الأمر هكذا عندنا فمعيته هي رحمته تعالي بكل شيء حيث يقول ، ورحمتي وسعت كل شيء ، وما وسع كل شيء الاّ الوجود والعلم اللذان هما عين الذات ، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ، وهي وجهه أينما نتولى ، حيث يقول ، فأينما تولوا فثم وجه الله ، ووجه كل شيء ذاته وهي قوميته على شيء حيث يقول أفمن هو قائم على كل نفس وهي علمه بكل شيء حيث يقول ، إن الله بكل شيء عليما ، وهي حفظه لكل شيء ، حيث يقول ، إن ربي علي كل شيء حفيظ ، وهي شهادته على كل شيء ، حيث يقول ، والله على كل شيء شهيد ، وهي إحاطته بكل شيء ، حيث

يقول ، وكان الله بكل شيء محيطا ، وهي قدرته على كل شيء ، حيث يقول ، وكان الله على كل شيء مقتدرا ، وهي خالقيته لكل شيء حيث يقول ، خالق كل شيء ، وهي وكالته علي كل شيء ، حيث يقول ، وهو على كل شيء وكيل ، وهي إقاتته على كل شيء حيث يقول ، وكان على كل شيء مقيتا ، وهى حسابه على كل شيء حيث يقول ، ان الله كان على كل شيء حسيبا ، فمعيته اذاً بذاته الجامعة لصفاته لا بصفة العلم على المعنى الذى يعرفه علماء الرسم ولو قالت به ألف فرقه ، ولماّ كانت معية الحق تعالي لنا بالمعني الذي ذكرناه وهو معنى وحدة الوجود وانه لا وجود إلاّ وجوده تعالى ، ولاصفات إلاّ صفاته تعالى ، كان الوجود المنسوب الي المخلوق مجازا ، هو وجوده تعالى كما قال ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وقال ، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، وكان العلم المنسوب الى المخلوق علمه تعالى كما قال ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، وكانت الأفعال والقدر المنسوبة الى المخلوق أفعاله تعالى كما قال ، والله خلقكم وما تعلمون ، أي خلقكم وخلق أعمالكم وقال ، لا يقدرون على شيء مما كسبوا ، وكانت المشيئة المنسوبة الي المخلوق مشيئته تعالى كما قال ، وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله ، وكان السميع المنسوب الى المخلوق والبصر سمعه تعالى وبصره كما قال ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، إذ مفاد الآية يقتضى الحصر أى كل سميع بصير هو وكان الحكم المنسوب الى الخلق حكمه تعالى كما قال ، إن الحكم إلاّ لله ، فهو تعالى مع مخلوقاته بالوجود وتوابع الوجود وقد ورد فى خبر ، كان الله ولاشيء معه ، أي كانت صفات الألوهية التي بها سمي إلها ثابتة له أزلا حيث لا شيء معه من المخلوقين المألوهين موصوف بالوجود

وإن كانوا موصوفين بالثبوت ولما كانت هذه العبارة يوهم ظاهرها أنه صار معه تعالى بعد ايجاد المخلوقات شيء أدرج الراوي وهو الآن على ماعليه كان دفعا لهذا التوهم ، بمعنى أن معيته شيء له تعالى منتفية أزلا وأبدا قبل نسبة الموجودية لشيء وبعدها ، والذي حمل الرّاوي على هذا هو فهمه ان كان ناقصة ، والأصوب أنها تامة، وأنها للوجود كما هي عند سيبويه بمعنى الله وجود ولا شيء معه له وجود غير وجوده تعالى أزلا وأبدا ، إذ المعية تقال على شيئين ، كل واحد منهما له وجود غير وجود الآخر ، وهذا الخبر تداوله أئمة القوم رضوان الله تعالى عليهم ، وقال الحفّاظ أنه غير ثابت فى شيء من كتب الحديث ، والذي فى صحيح البخاري ، كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، ولا يتوهم إن كان الأولى والثانية فى هذا الخبر بمعني واحد لأن كان يكون ، معناها بحسب مدخولها ، فكان الأولى بمعني الوجود ازلا لا رائحة للزمان فيها ، فهي الوجود ، وكانت الثانية بمعنى الكون بعد العدم ، إذ العرش حادث مسبوق بالعدم ، فهي للزمان ، فمن علم المعية على ما قلنا علما ذوقيا حاليا ، كان السيد الكامل ، ومن علمها علما خاليا ، كان العالم الفاضل ومن آمن وسلم كان المؤمن العاقل ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

(الموقف المائة والثمانية وثلاثون)

قال تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ ، امتثال النهي عن المنهي عنه يحصل بفعل الضد . إذ لا تكاليف الاّ بفعل يقال لها بالشيء، أحبه ورضي به، ولها عنه ، أعرض والمأمور فى ضمن النهي صنفان من الناس مؤمن محض ، ومؤمن مجازا ، أو بالنظر الى الأصل أو

بالنظر الى بعض ما وجب الايمان به دون بعض ، أي لا تنظروا الى أموالكم وأولادكم نظرا يشغلكم عن ذكر الله ، فتلهوا وتعرضوا وتنسوا ، بل انظروا اليهم نظرا يكون ذكر الله تعالى ، فالمؤمن المحض منهى من مقام إيمانه وهو أن من ينظر الي أمواله وأولاده وجميع ما أنعم الله به عليه بذكر الله بحمده وشكره وانه تعالي متفضل منّان فيما أعطى ، وان أحدا لا يستحق علي الله تعالي شيئا ممـا أنعم ، والمؤمن مجازا منهي من مقام معرفته ومشاهـدته ، مأمور بان يرى أمواله وأولاده وجميـع ما أنعم الله به عليـه ، تجليات من تجليات الحق تعالي عليه ، وظهورات من ظهوراته تعالى لديه ، فيشاهد المنعم في النعمـة فهو لا يرى الاّ الحق تعالى ، ولا يلتذ الاّ بالحق ، فالأول يرى النعمة والثاني يرى المنعم أو قل الأول يرى الأثر ، والثاني يرى المؤثر ، أو قل الأول يري الأسم ، والثاني يرى المسمى ، أوقل الأول يذكره ذكر القلب واللسان ، والثاني يذكر ذكر السر ، فالأول النعمة فى حقه شهوة طبيعيه ، والثانى النعمة فى حقه لذة روحانيـة ، فلا يلتذ الاّ بالله ولا يحب الاّ الله فى كل ما تجلى له وظهر ، وصاحب هذا الشهود لا يزهد فى شيء موجود ، وكيف يزهد فى شيء يشهد فيه محبوبه ، وطهارة القلب إنمـا هي بالمراقبة والحضور ، فالنعم واللـذات كلها إذا لم تحل بين القلب وبين مراقبته وحضوره مع الله تعالي لا تضر ، والقلب باق علي أصل طهارته إذ المقصود من القلب حاضر ، وحينئذ لا يبالى بالشهوات كانت ما كانت ، بل ولو من حرام إذا كان معتقدا لحرمتها ، فانها لا تحجبه من حيث هي

(الموقف المابة التسعة والثلاثون)

قال تعالى ، إهدنا الصراط المستقيم ، أل في الصراط للعهد والمعهود هو

صراط الله الذي يُهدي اليه محمد صلى الله عليه وسلم ، ويدعو اليه كما قال تعالى ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله ، وقال وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، وقال ، وإنك لتدعوهم الي صراط مستقيم وهو صراط رب هود عليه السلام ، حيث يقول ، إن ربي على صراط مستقيم ، وهو صراط رب جميع الأنبياء عليهم السلام ومن تبعهم من المنعم عليهم من الصالحين والصديقين والشهداء ، كما قال أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، وهذا هو الصراط الذي أمرنا بطلب الهداية اليه فى كل صلاة ، وأما ماعدا صراط النبيين ومن تبعهم فتلك سبل وهي سبل المغضوب عليهم والضالين ولا يقال فيها صراط ، ولذا قال تعالى ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وماقال ، صراط المغضوب عليهم وهي من وجه صراط الله من حيث جمعية الاسم الله ، ولكنها غير مستقيمة إذ جميع المخلوقات إنما مشيها على سبل الأسماء الآلهية وهي فى قبضتها كما قال ، مامن دابة إلاّ هو آخذ بناصيتها ، وصراط الله المستقيم هو الذي جاءت الكتب والرسل عليهم السلام ، آمرة باتباعه والمشي عليه ، وناهية عن اتباع السبل والمشي عليها ، قال ، وان هذا صراطي مستقيم فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ثبت فى صحيح البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال ، خط لنا رسول الله صلى لله عليه وسلم يوما خطا ثم خط خطوطا صغارا عن يمين الخط وشماله فقال هذا صراط الله وهذه سبل على كل واحد منها شيطان يدعو اليه غالبا ، فى صراطي ضمير المتكلم وهو الله تعالى فالصراط المستقيم مظهر الاسم الجامع وهو الله ، والسبل مظاهر جزئيات الأسماء الآلهية فكل سبيل هو سبيل الله من حيث الحقيقة وإن تعددت وتكثرت كثرة لا يحيط بها إلاّ هو

تعالى ، لأنه ليس في نفس الأمر الا أسماؤه تعالى هي الداعية للخلق وهي سبله المضلة ، كما قال ، يضل من يشاء ، وقال حكاية عن رسول موسى صلى الله عليه وسلم ، إن هي الا فتنتك تضل بها من تشاء ، وهي مظاهر المضل وجزئياته ، كما أن صراط الله الذي هو الصراط المستقيم هو مظاهر أسمائه الجمالية ، اسمه الهادى ، وجزئياته والكل راجع إلي الاسم الله، وإنما خص صراط المنعم عليهم بتسميته بصراط الله تشريفا لهم بالنسبة إلى الاسم الجامع ، ولأن غايته الوصول الي الرحمة المحضة ، واسمه الرحمن مثل الاسم الله من حيث أن كلا منهما له الأسماء الحسئ ، وعلى هذا فكل كافر عاصي مخالف ماشل علي غير طريق الله المستقيم ، من حيث الأمر الشرعي التكليفي الوصفي ، فهو مطيع موافق ، ماش على صراط الله من حيث الأمر الارادى فما في نفس الأمر الا مطيع غير أن من كان محتده وربه المتوجه عليه أولا من أسماء الجمال والهدى كان خيّرا سعيدا بالذات ، وان عرضت له عوارض في طريقه ضد السعادة والخير ، فانها تزول ، والنهاية لا تكون الا عين البداية ولابد ، وما بالذات لا يزول ، والعوارض أحوال تحول ، والعكس بالعكس ، مايبدل القول لديه وما هو بظلام للعبيد

(الموقف المايه والأربعون)

قال تعالى ، قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن الى ملتنا ، الخ الآية ، قيل لي في الواقعة ليس المراد من حكاية هذا الكلام عن الذين كفروا بشعيب عليه السلام ، وعن شعيب أنه عليه السلام ، كان معتقدا لعقيدتهم متبعا لملتهم قبل نبوته ، ثم خالفهم بعد النبوة ، حاشا وكلا ، فان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

مهتدون الى الحق من أول نشأتهم ، مفطورون على محبة الحق وبغض الباطل ، ففي أول حصول التمييز لهم وادراك الضروريات التي يدركها جميع بني آدم تحصل لهم علوم التوحيد ، والمعرفة بالله ضرورة كسائر الضروريات ولا ينكر حصول العلوم الضرورية الاّ من فاتته علوم التجليات فما ذاقها ولا سلك طريقها، فليس علمهم عليهم السلام بالله تعالى من طريق نظر عقلي ، ولا ببرهان خفي ولا جلي؛ وما ورد عنهم مما يوهم الاستدلال العقلي كقول ابراهيم عليه السلام : هذا ربي ، هذا أكبر ، ونحو ذلك فالمراد منه غير الاستدلال المعروف والمقصود منه شيء آخر عرفه العارفون بأحوال الانبياء عليهم السلام ، وإنما المراد من حكاية ما حكاه الله تعالى ، أن قومه عليه السلام لمّا نشأ بين أظهرهم مدة طويلة غير مظهر لملة ولا داع الى عقيدة الى أن جاء الأمر الآلهي بالاظهار والدعوة ، فتوهموا أنه كان مثلهم فخاطبوه والذين آمنوا معه بما خاطبوهم ، وقوله ، إن عدنا فى ملتكم الخ الآية : هو جواب منه عليه السلام عنه وعن اتباعه حيث كان خطاب الكفار متوجها اليه والى أتباعه ، وتوهموه كأتباعه ، كان فى ملتهم ثم خالفهم الى غيرها ، فأجابهم حسب توهمهم وادخل نفسه مع اتباعه فى الجواب ، وكذا قوله تعالى فى الآية الأخرى . وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا ، أي قال الذين كفروا من كل ملة لرسولهم ولمن اتبعه هذه المقالة ، متوهمين أن الرسول كان قبل الرسالة متبعا لملتهم كاتباعه الذين آمنوا معه ؛ وأوحى الله تعالي إلى كل رسول لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ، إذ لم يكن رسولان لأمة واحدة في وقت واحد غير موسى وهارون ، فضلا عن جماعة ، وقوله ، وما يكون لنا أن نعود فيها

إلا أن يشاء الله ربنا ، أي يصح ولا يستقيم لنا وهذا من جملة إدخال شعيب عليه السلام نفسه مع اتباعه المؤمنين تغليبا لهم ، واتباعه يجوز عليهم العود في الكفر بعد إظهار الايمان إذ الردة ممكنة في غير المعصومين ، وأما المعصومون إذا صدر منهم شبه هذا الاستثناء فليس هو منهم كما هو من غيرهم ولكنهم عليهم الصلاة والسلام تارة يغلب عليهم شهود مرتبة التقييد ، وتارة يغلب عليهم شهود مرتبة الاطلاق ، فاذا غلب شهود الاطلاق خافوا وانقبضوا واظطربوا ، وقالوا ، أدري مايفعل بي ولا بكم ، وقالوا ، ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا ، وسع ربي كل شيء علما ، وقالوا ، ومايكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ، وقالوا ، نفسي نفسي لا أسئلك غيرها ، ونحو هذا وإذا غلب عليهم شهود التقييد انبسطوا واستبشروا وبشروا ، قالوا فلان من أهل الجنة وفلان من أهل النار ، وتحكموا في العالم فما كان خوفهم عليهم السلام من مرتبة الرحمن ولا من مرتبة الرب ، بحيث تحكم عليه العقول بأحكامها وإنما كان خوفهم من الله أعني مرتبة الغيب المطلق المسماة بالله التي لا يدركها عقل ولا يصح عليها حكم ، ولذا قال شعيب وسع ربنا كل شيء علما ، ولسعة علمه لا يمكن أن يضبط ويحصر ويقيد فيحكم عليه بنفي أو إثبات ، ومن غلبة شهود الاطلاق كان صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع يوم بدر ويقول اللهم أن تهلك هذه العصابة لن تعبد بعد اليوم ، بعد ماوعده الله تعالى باحدى الطائفتين كما قال تعالى وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين إنها لكم وأبو بكر رضي الله عنه يقول يارسول الله بعض مناشدتك ربك ، فان الله منجزك ماوعدك ، وكان الغالب على الصديق رضي الله عنه ذلك الوقت شهود مرتبة التقييد فكان بين شهوديهما مابين مرتبتيهما أعني مرتبة النبوة والصديقية وروى أن الصديق بكى يوما

خوفا من الله تعالى فقيل له أتشك فى بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بالجنة ؟ فقال لا ولكن خشيت أن يكون ذلك موقوفا على شرط لم اعلمه وهذا لشهود سعة علمه تعالي

(الموقف المايه واحد والأربعون)

قال تعالي : لله ما في السموات وما في الأرض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ، أخبر تعالي أن كل ما في السموات وما في الأرض من عالم المعاني الى عالم الأجسام ، إذ السماء كل ما علا حسا أو معني وما بين ذلك من عالم الأرواح وعالم المثال وعالم الأجسام الطبيعية ظهورات وتعينات وهو تعالى الظاهر المتعين بجميع ذلك ، واللام الاختصاص الحقيقي فلا ظاهر ولا متعين بها سواه ، فهي شؤونه التي يتقلب بها وفيها ، كما قال تعالى ، كل يوم هو فى شأن ، أي كل آن لا يتجزأ ولا ينقسم الى ماض ومستقبل هو تعالى ظاهر بشأن ومتعين بحال ، وان تبدوا ما فى أنفسكم ، أي تظهروا ما فى أنفسكم من نسبة الربوبية والحقية إذ لكل مخلوق نسبتان خفية وخلقية ، فتتعلقون بنسبة الربية المحضة والوحدة المطلقة فتصيرون الي الالحاد والزندقة وتمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فتتركون الشرائع وما جاءت به الرسل من الأمر والنهى ، وتلغون حكمة الله تعالى فى التكاليف والأحكام الوضعية وتعطلون اسمه تعالى الحكيم ، بل وامام الاسماء العليم ، أو تخفوه ، أى تخفوا ما في أنفسكم من نسبة الربوبية والحقية وتتعلقون بما فيكم من نسبة العبدية والخلقية فتقيمون الأحكام الشرعية ، وتقفون عند الحدود الوضعية ، فتحلون ما أحلت الشرائع وتحرمون ما حرمت ، غير أن منكم مع هذا من يعتقد أنه يخلق أفعاله الاختيارية

أو أن له قدرة وكسبا فى الفعل ؛ أو أن له جزأ اختياريا ، أو أن له قدرة تؤثر فى صفة الفعل لا فى الفعل نفسه أو أنه مجبور على الفعل أو نحو ذلك ، يحاسبكم به الله ؛ أي يحاسب الذين أبدوا ما فى أنفسهم والذين أخفوه والحساب هنا أعم من قوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، وينقلب الى أهله مسرورا ، ومن قوله صلى الله عليه وسلم ، من حوسب عذب فيغفر لمن يشاء من الطوائف التي أخفت ما فى أنفسها ويعذب من يشاء من الطوائف التي أبدت ما فى أنفسها من الربوبية وهم الزنادقة ، وهم على فرق كثيرة وأما الطائفة الثالثة وهي مفهومة من تقسيم الآية إذ كل متقابلين لا بد أن يكون بينهما أمر ثالث جامع بينهما لا هو عينهما ولا غيرهما ومن قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة فهم السابقون المقربون ، والطائفة التى أخفت هم المصلون ، والطائفة التى أبدت هم السكيتون الذين لا قسمة لهم فى الخير ، وهذه الطائفة جمعت بين الأمرين ونظرت بعينين ، وطارت بجناحين ، فأبدت وأخفت ، أبدت ما فيها من النسبة الربية الحقية فى بواطنها فتبرأت من نسبة الوجود والأفعال اليها من حيث صورها ، ونسبة الوجود وتوابع الوجود الى باريها ، فاعطت القوس باريها ، ونادى منادي الفنا على صورها هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ، فلم يبق وجود وفعل الا لحقهم الفاعل الحق فى بواطنهم وأخفوا ما فيهم من نسبة الربوبية والحقية فيما بينهم وبين الخلق ، فالتزموا أوصاف العبودية ، وقاموا بتكاليف الربوبية ، قاموا حتى تورمت أقدامهم ، وصاموا حتى لزقت بطونهم بظهورهم ، وشدوا عليها الحجارة من الجوع ، وبكوا حتي خضبت دموعهم لحاهم ، عضّوا علي الشرائع بالنواجذ ، واعطوا كل ذي حق حقه من الشريعة ، والحقيقة ، فمن رأى ظواهرهم قال

قدرية ، ومن رأي بواطنهم قال جبرية ، ومن سمع كلامهم قال أشعرية ، ماتريدية : فهذه الطائفة لا توقف لحساب ، ولا تكلف لسؤال ولا جواب

(الموقف المايه اثنين والأربعون)

قال تعالي ،إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ، أخبر تعالي مؤكدا لخبره ووعده الصادق ، ومن أصدق من الله قيلا ، ومبشرا لعباده الذين يخشون ويخافون ربهم ، أي حضرة الربوبية الجامعة للأسماء التي يُرب تعالي بها عباده ، لا أن كل واحد منهم يخش ربه الخاص به فان أحدا لايخشى ربه الخاص به ، فانه عند ربه مرضى ، وهو راض عنه فى الدنيا ، ولذا كان كل حزب بما لديهم فرحون فى الدنيا فقط ، وكذا قوله ، كذلك زينا لكل أمة عملهم ، وإنما كانت خشيتهم لأسماء الربوبية ، أي الحضرة الجامعة ، شعروا أو لم يشعروا ، وقال بالغيب ، أي يخافون ربهم مع اعتقادهم غيبته عنهم ، ومباينته لهم ، لايدركونه بشيء من مدركاتهم الظاهرة والباطنة ، وهذه مرتبة عامة المؤمنين . أعني علماء الظاهر قاطبة والمتكلمين في التوحيد العقلي ، فهم يؤمنون ويخشون ربا غائبا عنهم ، بعيدا منهم ، وليس حضوره مع عباده وقربه منهم ومعيته إلاّ بعلمه وقدرته دون ذاته عندهم ، تعالى عما يصفون ، ولهذا كانت مرتبة هذه الفرقه من المؤمنين دون غيرها ، فبشّرهم تعالي بأنه يغفر لهم ذنوبهم يوم القيامة ، أي يسترها عن غيرهم من أهل المحشر ، ولكن لايسترها عنهم بل لا بد لهم من العرض والتقرير بذنوبهم ، كما ورد فى الصحيح ، أنه لما قال صلى الله عليه وسلم ، من حوسب عذب ، قالت عائشة ، يارسول الله ، أو ليس يقول الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلي أهله مسرورا ،فقال ياعائشة ، ذلك

العرض وإلاّ فمن نوقش الحساب يهلك ، وصفة العرض كما ورد : هو أنه تعالى يلقي كنفه أي ستره على عبده المؤمن حتى لايراه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فيقرره بذنوبه فلا يسعه إلاّ الاقرار ، فيقول له الحق تعالى ، قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، الحديث ، وكما بشّر تعالى هذه الفرقة من المؤمنين بانه يغفر لهم ذنوبهم ، بشرهم بأنه يعطيهم أجرا كبيرا ، أي جزاء عظيما بالنسبة اليهم ، من حور وغلمان ، وقصور ولذات ، ونعم متنوعة محسوسة ، وسمي ما أعطاهم أجرا أي جزاء لأعمالهم لأنهم كانوا يعملون لذلك ، والجزاء من جنس العمل ، وهذه الطائفه هي المعنية بقوله ، إلاّ الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ، وبقوله ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ، وأما الذين يخشون ربهم لا بالغيب ولكن بحضوره معهم ، وهم الطائفة الثانية أهل مقام الاحسان الذي عرّفه صلى الله عليه وسلم بقوله ، إن تعبد الله كأنك تراه فهم يخشون ربهم على حضوره معهم ، ويعبدونه على أنه مناج لهم ، وهم يناجونه ، وأنه في قبلتهم ، وبينهم وبين القبلة ; ونحو هذا مما ورد في التعليم النبوي وهم مع هذا يرونه غيراً لهم ومنفصلا عنهم ، وهذه الطائفة أعلا من الأولي درجة ، وأقرب الى الله تعالى منزلة ، وهم المعنيون بقوله ، أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ، وبقوله ، ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ، وبقوله ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ، وبين مغفرة هذه الطائفة والطائفة الاولى بون وان اشتركا في اللفظ ، أما مغفرة الطائفة الأولي فقد سبق بيانها ، وأما مغفرة الطائفة الثانية فهي أن يستر ذنوبهم

عن أهل المحشر وعنهم ، بحيث لاتبقى لذنوبهم صورة أصلا ، بل تبدل سيئاتهم حسنات ، كما قال ، أولئك الذين يبدّل الله سيئاتهم حسنات ؛ كما أن ما أمتنّ به على الطائفة الأولى غير ما أمتنّ به علي الطائفة الثانية ، فسمي ما تفضل به علي الأولى أجرا ، أي جزاء لأعمالهم لأنهم كانوا مستغرقين في نسبة أفعالهم لنفوسهم ، وإن كانوا يعتقدون أن الله خالقها وسمى متفضل به علي الثانية رزقا كريما ، والرزق ماينتفع به أعم من الرزق الحسي والمعنوي بالمشاهدة والعلوم والمعارف وهذه الطائفة وإن كانت مثل الأولي في نسبة أفعالهم اليهم ، ورؤية نفوسهم موجودة فاعلة : فهي من جهة حضورها مع الحق تعالى وتخيله رقيبا مناجيا كأنها تراه أشرف من الذين يخشونه غائبا عنهم وإلى الطائفة الأولي الاشارة بقوله ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثي وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا وإلى الطائفة الثانية الاشارة بقوله ، ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، بدخوله حضرة الاحسان وهي أن تعبد الله كأنك تراه . وقوله ، واتبع ملة إبراهيم حنيفا ، إشارة إلي الطائفة الثالثة التي هي أعلا الطوائف ، أي بعد أن دخل حضرة الاحسان إرتقى إلي حضرة الشهود والعيان ، وهي ملة إبراهيم أي طريقته المشار اليها بقوله ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض ، أي ظهر بهما وبكل مافيهما ، وما أنا من المشركين ، فلا أرى غير وجهه تعالي في كل وجهة إذ رؤية الغير شرك ، وإلي الطائفتين الأولي والثانية الاشارة أيضا بقوله ، وما تجزون إلاّ ما كنتم تعملون ، وإلي الطائفة الثالثة الاشارة بقوله ، إلاّ عباد الله المخلصين ، فلا جزاء لهم غير مولاهم ومحبوبهم الذي تولاهم فغابوا به عنهم ، ولا مغفرة لهم الاّ ستر نفوسهم عنهم ، بحيث لم يشهدوا لها أثرا فهم

لاموجودون ولا معدومون ، ولا ثابتون ولا منفيون ، ولا فاعلون ولا غير فاعلين ، فليسوا بمطيعين ولا عاصين ، فلا مغفرة ولا أجر ، بل هم كما قال ، هم درجات عند الله ، فبهم ترفع الدرجات ، وبهم تغفر الذنوب ، وتعطي الأجور ، وتدر الأرزاق دنيا وأخرى ، فعلم من هذا أن الطوائف الناجية ثلاث ، وان تفاوتت في النجاة طائفة خشيت ربا غائبا ، وطائفة خشيت ربا حاضرا ، وطائفة لم تتقيد بغيبة ولا حضور ، ولا بطون ولا ظهور ، بل كانت برزخا جامعا

(الموقف المايه الثلاثة والأربعون)

قال تعالي ، فانظر الي آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ، المخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن المرادون أمر تعالى ان لا يصدق كل مدع ولا يتبع كل ناعق ، ولكن ينظر الى الوجود أثر الرحمة وعدمه فتصدق الدعوى أو تكذب فمن ادعى أن الحق تعالي اختصه برحمة من عنده وجعله من أهل حضرته ينظر فى دعواه فان ظهر عليه أثر الرحمة وهو ادرار العلوم الربانية الوهبية والأسرار العرفانية الغيبية كما قال فى الخضر عليه السلام ، آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ، وقال نوح عليه السلام ، وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم فذلك الصادق فى دعواه فليلبيه من ناداه فانه على بينة من ربه وتلاه شاهد منه ومن لم يظهر عليه أثر الرحمة الاختصاصية وكان بعد دعوى رحمة الحق تعالى اياه كما هو قبلها فهو مفتر كذاب كيف يحيي الأرض بعد موتها أي حالة كونه تعالى يحيي أرض أي نفس من رحمة الرحمة الاختصاصية بالعلم الآلهي من غير واسطة معلم مشهود ، وبعد أن كانت أرض نفسه ميتة بالجهل فحياة أرض

النفوس ليست الاّ بالعلم الربّاني ، قال استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ولا يحييهم إلاّ العلم ، وقال أو من كان ميتا بالجهل فأحييناه بالعلم وهو النور الذي يمشي به فى الناس ، فحياته نفس جعل النور له كمن مثله فى الظلمات وهي ظلمات الجهالات فما احييناه ولا جعلنا له نورا ، وأفرد تعالى النور وجمع الظلمة لأن النور الذي هو العلم يهدى إلى صراط المستقيم ، وهو واحد صراط المنعم عليهم أهل السعادة والظلمة التي هي الجهل متعددة لأنها تهدى الي سبل الغواية كما قال تعالي ، وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله إن ذلك لمحيي الموتى ، الاشارة الي من ظهر عليه أثر رحمة الله الاختصاصية وأحياه الله تعالى بالعلم الرّباني لمحي بالعلم الموتى بالجهل بما حصل له من الرحمة التي ظهر عليه أثرها وهو علي كل شيء قدير بقدرة الله تعالى لاتحاد ارادته بارادة الحق تعالى فهو يفعل مايريد ويريد مايعلم فأما مالا يعلمه فلا يريده وهو الانسان الحقيقي الخليفة

(الموقف المايه الأربعه والأربعون)

قال تعالى ، وعلّم آدم الأسماء كلها ، الآية ، أطلع الحق تعالي آدم عليه السلام على الأعيان الثابتة التي هي حقائق الأشياء الخارجية ، فالأعيان الخارجية بمثابة الظلال لهذه الاعيان الثابتة واطلاعه عليها كان فى الموطن الثاني من مواطن العالم المسمى بظاهر العلم والوجود فعرف من اطلاعه على الأعيان الثابتة الأسماء أي أسماء الحق تعالى المتوجهة على إيجاد الأعيان الخارجية إذ كل عين لها إسم يخصها والعارف يعرف الاسم الالهي بأثره فيكون الاسم كالروح والأثر بمثابة الصورة وهذه المعرفة دون معرفة آدم عليه السلام كما أن معرفة آدم عليه السلام، دون معرفة محمد صلى الله عليه وسلم ، فبينهما

فرقان إذ محمد صلى الله عليه وسلم عرف الأسماء في موطنها الاول وهو المسمى بباطن العلم والوجود حيث تسمى شؤوناً،ثم نزل الى الموطن الثاني الذي تسمى فيه أعيانا ثابتة واستعدادات،ثم عرفها فى موطنها الثالث حيث تسمى أعيانا خارجية فمحمد صلى الله عليه وسلم عرف الأصل ثم تدلى إلى الفرع بخلاف آدم عليه السلام ، فانه عرف الفرع ثم ترقى إلى الأصل فبين المعرفتين من الشرف ما بين الأصل والفرع، شتان بين من يستدل به وبين من يستدل عليه،وتعليم الحق تعالى الأسماء لآدم عليه السلام ما كان بدراسة ولا إنزال وحي ولا إرسال ملك، وإنما حصل له ذلك بأن كشف لآدم عليه السلام عن إنسانيته التي هي حقيقته ، فوجدها مجموع الأسماء الآلهية والكونية فى مقام الفرق وإلاّ فالجميع أسماء إلآهيه فما الكون جميعه إلاّ أسماؤه تعالى وإنما كانت حقيقة آدم بهذه المنزلة لكونه برزخا جامعا بين الوجوب والامكان،فهو البرزخ الجامع بين الطرفين المتقابلين،فعند ما عرف آدم حقيقته قال للملائكة إنكم أدعيتم الكمال وقلتم نحن نسبح بحمدك ونقدس لك فانبؤوني بأسماء هؤلاء أي خبروني بالأسماء الآلهية التي توجهت على إيجاد هؤلاء الأعيان الخارجية المشار اليها ، فالتفتوا الى الحق تعالى التفات عجز وافتقار،وأنابة واضطرار،وقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا،فأمر الحق تعالى آدم عليه السلام أن يعلمهم تلك الأسماء، فقال، أنبئهم بأسمائهم، ليظهر فضل آدم عليه السلام عليهم ، عليهم السلام ، فضل الأستاذ على التلميذ فلما أعلمهم آدم عليه السلام بأسمائهم عرفوا حينئذ أن هناك أسماء كثيرة ما عرفوها، ولا نزهوا الحق تعالى ولا سبحوه بها، ولما علمهم ما علمهم من أسماء الأعيان الخارجية والمعاني ما أخذوها كلها ذوقا، ولكن أخذوا بعضها علما ذوقيا،

وبعضها علما فقط، فان الاسم الرزّاق مثلا يعطي الأرزاق الحسية والمعنويه، وهم ماذاقوا الاّ الرزق المعنوي بالعلوم والأسرار، وماذاقوا الأرزاق الحسية، فانهم لا يأكلون ولا يشربون، وكالاسم التوّاب والستّار والغفّار فانهم إنما علموها علما مجردا عن الذوق لأنهم ماذاقوا المخالفة والمعصية، إذ لا يعصون الله ماأمرهم فهم معصومون، فلم يذوقوا التوبة منها، والمغفرة لها، والستر عنها وكذا الاسم الخافض والرافع، فانهم ماذاقوا الخفض عن مقاماتهم ولا الرفع عليها، إذ لا ترقى للملك ولا نزول عن مقامه الذى خلق فيه أول خلقه، قال تعالى حكاية عنهم ومصدقا لهم، وما منا الاّ له مقام معلوم، وأما المرتبة فقد ينزل الملك من مرتبة عليا الى مرتبة أدنى، ومن هذا خوفهم فى قوله: ويخافون ربهم من فوقهم، ومثل هذا كثير، وأما آدم وبنوه فقد أخذوا الاسماء علما ذوقيا حاليا ففازوا بالطريقين وظهرت فيهم الأسماء الجمالية والجلالية بالوجهين لخلقه باليدين، وليس من ذاق كمن علم علما مجردا، فان بين من علم أن الطعام يشبع الجائع، والماء يروي الظمآن، وما جاع ولا أكل ولا ظميء ولا روى، وبين من جاع وشبع وعطش وروى فرقانا عظيما

(الموقف المائة الخمسة والأربعون)

قال تعالى، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، أي لا يسأل أحد الحق تعالى عما يفعله به، ويوجده له، عند النظر الى الحقائق وبواطن الأمور، سواء العالم بالحقائق والجاهل بها، أما العالم بالحقائق فانه علم أن الحق تعالى ما فعل به الاّ مااقتضاه استعداده فما حكم الحق تعالي على أحد ولا فعل به الاّ ماطلبه استعداد ذلك المحكوم عليه، المفعول به: من الحق تعالى أن يحكم عليه، ويفعل به، فما حكم الحق عليه، وإنما هو الذي حكم على نفسه، ولهذا لما قالت الاشقياء

عند معاينة العذاب، ياليتنا نرد ولانكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين، أكذبهم الحق تعالى فقال،ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون في دعواهم إنهم لا يكذبون بآيات الله وانهم يؤمنون لأنه لايمكنهم ، ثانيا فعل غير مافعلوا أولا لأنه مقتضى استعداداتهم التي هي حقائقهم وقلب الحقائق محال. فالبرودة مثلا لا تنقلب حرارة أبدا، وإنما البارد يقبل أن يصير حاراً، وكذا الجاهل بالحقائق فان سؤاله غير متوجه الي الحق تعالى في نفس الأمر ، وإنما سؤاله متوجه إلي من فعل به مالا يلائمه فظلمه في زعمه، وليس ذلك هو الحق تعالي عن الظلم وإنما السائل هو الذي ظلم نفسه إن كان ما فعل به ظلم كماقال تعالى،وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون،وقال وماظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم قال الله، وما الله يريد ظلما للعباد ، وإرادة مجردة عن سؤال الاستعدادات لأنه لاغرض له في ضرر أحد، ولا في تعذيبه،ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم، وإنما حقائق العباد طلبت بلسان استعدادها إيجاد ما هو مقتضاها فأعطي الحق تعالي الوجود لذلك المطلوب لاغير ، إذ الحق تعالي جواد لايبخل فكل ما طلبته الاستعدادات أعطاها أياه، وقوله مايريد أبلغ في النفس من قوله، لا يظلم، فانه إذا انتفت الارادة انتفى الفعل بالأولى والأخري ، وهم يسألون عما فعلوه من الكفر والعصيان والمخالفة للأوامر الشرعية،والأوضاع الحكمية،حيث أنهم ماخالفوا الأً جهلا وعنادا وكفرا، ولو علموا استعداداتهم وماهي مقتضية لهما شقوا،فانهم حينئذ عملوا ما عملوا مما ظاهره مخالفة وعصيان بالأمر الارادي عن كشف،فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن شاء الله من كمّل الورثة أن يطلعه على مقتضى استعداده قبل أن يقع ما وقع منه.لايسألهم الحق تعالي عمافعل بهم ، وخلق

فيهم ، للكشف الحاصل ولهذا كان ما يكون منهم لا يعد مخالفة فى نفس الامر ، ولا يعاقبون عليه في الآخرة ، وإن عد مخالفة فى ظاهر الشرع الحكيم ، وكان لهم أن يعتذروا ويحتجوا بالقدر ، كما ورد فى الصحيح قال موسى لآدم عليهما السلام أنت الذي أخرجتنا من الجنة بخطيئتك ، فقال آدم ، أنت موسي الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه تلومنى على أمر قدره الله علىّ قبل أن يخلقني ؛ وإلى هذا يشير العارف الكبير عبد الكريم الجيلي بقوله

وما ذاك إلاّ أنه قبل وقعه ... يخبّر قلبي بالذي هو واقع
فنأتي الذي نأتيه والقلب ناظر ... لمثبته فى اللوح والجفن دامع
فان كنت في حكم الشريعة عاصيا ... فاني فى حكم الحقيقة طائع

وأما المحجبون فليس لهم أن يعتذروا ويحتجوا بالقدر فانه ما حصل لهم علم بما تقتضيه حقائقهم فى الشر والكفر والعصيان ، وهذه المسألة فى مبادىء سر القدر ، وقد نهى الشارع عن الخوض فيه مخافة علي الضعفاء ، فان الخوض فيه يصير بصاحبه الى الالحاد ورفض الشرائع ، نعوذ بالله من درك الشقاء ، وسوء القضاء ، آمين

(الموقف المائة الستة والأربعون)

قال تعالى ، إنا نحن نرث الأرض ومن عليها والينا يرجعون ، من اسمائه تعالى الوارث وهو الذي ترجع اليه الأملاك ، بعد فناء الملاّك ، وميراثه تعالي للأرض ومن عليها هو برفع نسبته الملكية التي كانت للمخلوقات ، وهي الانتفاعات ، وأما الأعيان فهي ملك خالقها تعالى ، لاملك لمخلوق عليها فلا تملك الاّ الانتفاعات ولا يباع ولا يشتري إلاّ هي لا الأعيان ولهذا منع

الشارع من بيع الأعيان إذا عدمت من الانتفاعات المقصودة منها ومنع من بيع جميع الأعيان التي لا ينتفع بها في شيء من أنواع الانتفاعات المباحة، والينا يرجعون وذلك يوم قوله تعالى ،لمن الملك اليوم وذكر ثلاثة أسماء الله وهو الاسم الجامع وهو الوارث في الحقيقة لا الواحد ولا القهار، إذ أسماء الألوهية والربوبية تختفي باختفاء آثارها وهم المألوهون والمربوبون لأن بزوال المألوه تختفي نسبة الآلهية ، وبزوال المربوب تختفي نسبة الربوبيه ، فلا رب ولا مربوب ولا آله ولا مألوه ، تقديرا كما هو الأمر قبل إيجاد العالم والواحد وهو من أسماء الذات وذلك يفيد غناه عن العالمين ، إذ ذلك مقتضي الذات العلية ، والقهار وهو من أسماء الصفات وذاك يفيد إعدام العالم وفناءه، فان ماأفناه الاّ بتوجهه عليه باسماء الجلال كالقهار ونحوه ، ثم تتجلي أسماء الرحمة والجمال ، وتطلب ظهور آثارها فيعيد العالم لا إله الا هو العزيز الحكيم

(الموقف المائة السبعة والأربعون)

قال تعالي، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا، يرجو، يحب فانه لا يرجو الاّ محب ولا يرجى الاّ محبوب، لقاء ربه، رؤيته ومشاهدته ومكالمته ومسامرته في الدنيا قبل الآخرة ، فليعمل عملا صالحا ، من قولهم صلحت الثمرة إذا سلمت من العاهات والآفات، والعمل الصالح هو الذى لا شائبة فيه غير محض العبودية الذاتية، والمعبودية الذاتية الآلهية، فان الآلهية من حيث هي هي أهل لأن تعبد، والمألوهية من حيث هي هي أهل لأن تعبد، فاذا كانت العبودية على مقتضى المرتبتين الألوهية، والعبودية، كانت مقبولة وإن كانت على مقتضي العوارض والأغراض كانت مردودة علي صاحبها، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا، من أعظم الآحاد النفس

فلا يجعل لها فى العبادة نصيبا، كنيل ثواب، أو دفع عقاب، أو حصول درجة فى الدنيا والآخرة، أو نيل ولاية، أو اكتساب حال من الأحوال السنية، فهذه كلها وما يشبهها تشريك فى العبادة، مانعة من القبول عند المحققين ومانعة من لقاء الرب على الوجه المحبوب المراد، وأما اللقاء على كل حال فهو حاصل لكل أحد لمن يرجو ولمن لا يرجو، ولكن اذا لم يحصل الشعور به، والمعرفة له، فماذا عسي ينفع اللقاء كمن له مطلب مهم عند شخص وهو لا يعرف عينه، فبقى متعطشا يطلبه، وذلك الشخص بحيث يراوحه ويغاديه كل يوم، فماذا ينفعه ذلك ومن الشرك الذى يشير اليه النهي فى الآية إدخال النفس فى العمل ورؤية أن لها دخلا فيه بوجه من الوجوه المؤثرة فعلى العامل أن يرى أنه مفعول به لا فاعل، وأنه محرك لا متحرك، وأنه يقام به ويقعد ويركع به ويسجد، فان قلت فأين العبد وعمله قلت، ألا يكفيه وجود إسم العبد ونسبة الفعل العدمية التى أثبتها الشرع اليه، حسبه شرفا أن يكون مفعولا به وانه ظرف لما يخلقه الله فيه، فالمفعول به والمفعول فيه وهو المسمى ظرفا هو الانسان، وكل مخلوق نسب اليه فعل والمفعول المطلق هو الفعل المنسوب الى الانسان فانه لا وجود له فى الخارج أصلا، وإنما هو أمر عقلي لأنه مصدر وهكذا جميع المصادر، والمفعول له وهو المفعول لأجله هو الحقيقة المحمدية كما ورد لولاك ما خلقت الأفلاك، ويصح أيضا ولا يشرك بعبادة ربه وآلهه الطالب لعبادته المتولى لتربيته، الأحد الذى هو اسم الذات من حيث هو غني عن العالمين، فان الأحد لا يرب أحدا، ولا يطلب منه عبادة وأن توجه اليه عابد بعبادته مجردا عن رتبة الربوبية والألوهية، رمي به وما قابله بل يسحقه ويمحقه فانه مقتضى الاحدية

(الموقف المائه الثمانية والاربعون)

قال تعالى ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء،الاحاطةهنا ليست على اصلها من اكتناف الشيء من جميع جهاتهووجوهه، وإنما المراد بالاحاطة مطلق الادراك، وكل من أدرك معلوما وزعم أنه أدركه على وجه الاحاطة ومابقى له منه شيء غير ماأدرك فما أدركه ، فان من المعلومات مالا يحاط به تعالى لذاته التي هي حقيقة كل معلوم وأسمائه، وهي لا تتناهي، وقوله تعالى، وعلّم آدم الأسماء كلها، المراد أسماء مرتبة الألوهية المتوجهة على العالم أعني كلياتها، وأما جزئياتها فانها أيضا لا يحاط بها،وقدقال السيد الكامل،أسألك بكل إسم هو لك،أنزلته فى كتابك، أوعلّمته أحدا من خلقك ،أواستأثرت به فى علم الغيب عندك، وأما قول بعض العارفين وقد سأل أيحيط العارفون بالحق تعالي إذا حوّطهم به أحاطوا، فمعناه أنه إذا أعلمهم انه لا يحاط به فقد حوّطهم إذ العلم إدراك الشيء على ماهو عليه فاذا كان ذلك مما لا يحاط بهفقد أحاط به من بعض وجوهه ، وقال، من علمه، وما قال من معلوماته ، لأن معلومات الحق تعالى عين علمه،وعلمه عين ذاته،علم ذاته تعالي،فعلم العالم من علمه بذاته،فليس علمه بالعالم شيئا آخر غير علمه بذاته،فالعالم والعلم والمعلوم حقيقة واحدة تعددت بالاعتبار والعالم الذي يظهر لنا متعددا هو حقيقة واحدة،وروحهواحد، وهو المدبّر لجميعه كجسد الانسان الواحد، تعددت أعضاؤه وجوارحه وقواه، وروحه المدبّر له واحد فمن نظر إلى العالم رآه شيئا واحدا متصلا كجسد الانسان، وإنما قال بشيء بالنسبة الينا فانه قد يكشف لنا بعض تلك الحقيقة فتعلم ما كشف منها ، ويستر البعض فيبقى مجهولا لنا،وماأوتيتم من العلم إلاّ قليلا،وأما بالنسبة اليه تعالي فالكل شيء

واحد وكل شيء تعلق به علمنا، أو إدراك من مداركنا إنما هو الحق تعالي لا غيره، وعلمنا هو علمه تعالي لمانسب الينا تقيد ببعض الأشياء دون بعضها. كما أننا باقون في العلم ماخرجنا من علمه تعالي من حيث حقائقنا وأعياننا فيه، نعلم وما خرجنا من العلم، والناس يظنون أنهم في هذا الموطن الذي يسمّونه وجودا خارجيا خرجوا من حضرة العلم الآلهي إلى شيء آخر، وموطن غير العلم، وهم غالطون بل ما زالوا في حضرة العلم وما خرجوا منه ولا يخرجون أبدا وإنما الظاهر في هذا الموطن الذى توهموه وجودا لهم خارج العلم، هو الوجود الحق تعالى متلبسا بأحكام استعداداتهم التي هي حقائقهم، ومن صفة نفسها أن لا تخرج من العلم ولا تصير إلى هذا الأمر الذي يقال فيه وجود خارجي أبدا، والأحكام إنما هي نسب وإضافات لا وجود لها إلاّ في العقل وهي إعدام في الخارج عند أولي الأبصار، فما سمي العالم الأمثل التجريد عند علماء البيان، جرد الحق تعالى من نفسه لنفسه في نفسه أشياء وقدّرها في نفسه تقديرا، وهي عين الحق تعالي في الحقيقة وغيره في الحكم والمعاملة، فالعالم هو ذلك التجريد والتقدير المجرد في النفس المقدر فيها فأين العالم، وما هو العالم، فانظر ماذا ترى فما ترى عين ذي عين سوى عدم، فصح أن الوجود المدرك الله هو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، لا شيء غيره من كل مايقال فيه أول، أو آخر، أو ظاهر، أو باطن، وقد محق تعالى بهذه الآية الأغيار كلها

ورفض السوى فرض علينا لأننا بملة محو الشرك والشك قد دنا
ولكنه كيف السبيل لرفضه ورافضه المرفوض نحن وما كنا

(الموقف المايه التسعه والأربعون)

قال تعالى: فول وجهك شطر المسجد الحرام، أي وجّه وجهك الخاص بك، وهو الذي قال تعالي فيه، ويبقى وجه ربك، وهو سرك الذى قامت به روحك، كما قام جسدك بروحك، فانه هو المراد من الانسان المقصود بالأمر، فان الله لا ينظر إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم، وهي وجوه الحق تعالي التي لكم، ومنسوبة اليكم، وهي التي وسعت الحق منكم، وما وسعته الأرض ولا السموات، فما أمرنا الحق تعالى أن نستقبل إلاّ بهذه الوجوه ولا ننظر ولا نسمع إلا بها فمن توجه بجسمه الظاهر مجردا من هذا الوجه، فما توجه، ومن نظر ببصره مجردا عن هذا الوجه فما أبصر، كما قال، وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون، وما ذلك إلاّ أن نظرهم كان بأبصارهم لا بوجوههم الخاصة وأسرارهم، ومن تسمع بسمعه مجردا عن هذا الوجه فما سمع كما قال ولهم آذان لا يسمعون بها، ومن توجه بقلبه اللحمة الصنوبرية فمافقه ولا عقل، كما قال، لهم قلوب لا يفقهون بها، فمن نظر بعينه المقيدة لا يرى الاّ الاشياء المقيدة وهي الأجسام والألوان والسطوح، ومن نظر بعين روحه الباطنة رأى الأشياء الباطنة من الأرواح وعالم المثال المطلق والجن، وكلها أكوان وحجب، ومن نظر بوجهه وهو سره رأى وجوه الحق تعالى التي له في كل شيء، فأنه لا يرى الله إلاّ الله ولا يعرف الله إلاّ الله وهذه الأعين الثلاثة هي عين واحده اختلفت باختلاف مدركاتها، ياللحيرة وياللعجب لا يفرق الناظر بين نظره بجسمه وروحه وسره، وهو وجهه الخاص الاّ بمدركاته ولهذا الوجه قال تعالى، يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، وجعت فلم تطعمني، وظمئت فلم تسقني، ولهذا الوجه قال تعالي، كنت سمعه وبصره، الى آخر القوى ولهذا الوجه قال،

وقضى ربك أن لا تعبدوا إلاَّ إياه، فانه هو الذي عبد في كل مخلوق، عبد في نار، وشمس، ونجم، وحيوان، وجن، وملك، فملاحظة هذا الوجه لازمة في كل عبادة وعادة، فاذا توجه إلى القبلة للصلاة يرى أن المتوجه حق والمتوجه اليه حق، وإذا تصدق يرى أن المعطي حق والمعطَي حق، كما قال تعالي، ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات، وفي الصحيح إن الصدقة أول ماتقع في يد الرحمن، وإذا تلا القرآن رأى أن المتكلم حق، والمتكلم به حق، وإذا استمع القرآن رآى أن الكلام حق والسامع حق، واذا نظر الي شيء رأى أن الناظر حق والمنظور اليه حق، فأنه يرى الله بالله، واحذر ان تعتقد حلولا أو اتحادا أو سريانا أو تولدا، تعالى الله عن ذلك كله وأنا بريء من ذلك كله وانما هو كما قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه

تركنا البحار الزاخرات وراءنا   فمن أين تدري الناس أين توجهنا

وقوله، المسجد الحرام، هو وان ورد في المسجد المحسوس فيؤخذ منه أن المسجد هو الحضرة الجامعة للاسماء حضرة الألوهية فهي محل السجود، سجود القلوب لا سجود الأجسام، قيل لبعضهم أيسجد القلب؟ قال ولا يرفع أبدا الحرام عن أن يدخله قلب لم يتجرّد من محيط النفس ومحيط الأكوان، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم، أي حيثما كنتم في عاداتكم وعباداتكم شاهدوه في كل مأكول ومشروب ومنكوح، وعلى أنه الشاهد والمشهود كما قال، وشاهد ومشهود، اقسم بالشاهد والمشهود وما اقسم الاَّ بنفسه لا بغيره

(الموقف المائة والخمسون)

قال تعالي، إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنا منزلين فيها يفرق كل أمر حكيم، الضمير في قوله أنزلناه عائد على الكتاب المبين وهو القرآن العظيم

مثل قوله، إنّا أنزلناه في ليلة القدر، فالليلة المباركة هي ليلة القدر، ولبركتها نزل القرآن فيها وهي التي يفرق فيها كل أمر حكيم، محكوم مبيّن بجميع لوازمه، ولواحقه، محدود بمكانه، مؤقت بزمانه، كما قال تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر، أي من كل ما يقع فى العالم العلوي والسفلي في تلك السنة يظهره الله تعالى للموكلين بانفاذه وهذا من بركة تلك الليلة فان الأمور التى تقع فى السنة فى العالم العلوى والسفلى لا يحصيها الا خالقها، وهي كلها تترتب وتتبين فى تلك الليلة وهذه الليلة ممتزجة لا ضوء محض، ولا ظلمة خالصة، كنت أنظر إلى ظل شخص فأراه متميزا وليس هناك نور زائد كما يتوهمه أكثر الناس، وذلك فى الخامس والعشرين من شعبان فلا تختص برمضان، كما قال بعض العلماء، وبعض الناس تنكشف لهم أنوار فى وسط السماء، أو فى جوانبها، أو أنوار تشبه السرج، فيظنون أن ذلك علامة ليلة القدر وليس الأمر كذلك وإنما علامة ليلة القدر ما رواه مسلم فى الصحيح ان الشمس تطلع صبيحتها ولا نور لها وقد شاهدت ذلك فكانت الشمس كالترس النحاسي لا شعاع لها ولو كانت فيها كتابة لأمكنني قراءتها من غير كلفة وقائم هذه الليلة يحصل له ما وعد الله به ولو لم تنكشف له، والناس يرغبون فى معرفتها ويطلبونها لأجل إجابة الدعاء فيها وكان الأولي أن يطلبوها لما وعد الله تعالى به قائمها على لسان رسوله صلي الله عليه وسلم ففي الصحاح، من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، وأما الدعاء فلا يمكن الداعي أن يدعو تلك الليلة الا بما سبقت القسمة الإزلية بحصوله وكان يطلبه بلسان استعداده، فهو مجبور على هذا، وقالت عائشة رضي الله عنها، يارسول الله إذا رأيت ليلة القدر ما أقول، فقال قولى: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف

عنى ، وظاهر أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمراقبتها وطلبها إنما هو لاقامتها طلبا لما وعد الله من مغفرة الذنوب فى حق عامة أهل الايمان والعباد لا فى حق الخواص الذين لا يريدون الا وجهه فلا يطلبون غيره

(الموقف المائة الواحد والخمسون)

قال تعالى حاكيا قول موسى لخضر عليهما السلام ، هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا ، إعلم أن المريد لا ينتفع بعلوم الشيخ وأحواله الا إذا انقاد له الانقياد التام ووقف عند أمره ونهيه مع اعتقاد الأفضلية والأكملية ، ولا يغني أحدهما عن الآخر ، كحال بعض الناس يعتقد فى الشيخ غاية الكمال ويظن أن ذلك يكفيه فى نيل غرضه وحصول مطلبه ، وهو غير ممتثل ولا فاعل لما يأمره الشيخ به أو ينهاه عنه ، فهذا موسى عليه السلام مع جلالة قدره ، وفخامة أمره ، طلب لقاء خضر عليه السلام وسئل السبيل الى لقيه ، وتجشم مشاق ومتاعب فى سفره ، كما قال ، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ومع هذا كله لما لم يمتثل نهيا واحدا وهو قوله : فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا . ما انتفع بعلوم خضر عليه السلام مع يقين موسى عليه السلام الجازم ، أن الخضر أعلم منه بشهادة الله تعالى لقوله تعالى عند ما قال موسى عليه السلام ، لا أعلم أحداً أعلم مني بلى عبدنا خضر ، وما خص علما دون علم بل عمم ، وكان موسى عليه السلام أولا ما علم أن استعداده لا يقبل شيئا من علوم خضر عليه ، السلام وأما خضر عليه السلام فانه علم ذلك أول وهلة فقال ، إنك لن تستطيع معي صبرا ، وهذا من شواهد علمية الخضر عليه السلام ، فلينظر العاقل الى أدب هذين السيدين ، قال موسى عليه السلام ، هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا ، أي هل تأذن فى اتباعك لأتعلم منك ،

ففي هـذه الكلمات من حلاوة الأدب ما يذوقها كل سليم الذوق ، وقال خضر عليه السلام ، إن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتي أحدث لك منه ذكرا ، وما قال ، فلا تسألني ؛ وسكت ، فيبقى موسى عليه السلام حيران متعطشا بل وعده أنه يحدث له ذكرا ، أي علما بالحكمة فيما فعل ، أو ذكرا بمعنى تذكرا ، فانه قيل ، أن خضر أعد لموسى عليهما السلام ألف مسئلة مما كان وقع مثله لموسى عليه السلام ، فلم يصبر ، حتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وددنا أن موسى صبر حتي يقص الله علينا من أمرهما أو كما قال ، فان خرق السفينة يشبه إلقاء أم موسى موسى فى البحر ، إذ كل من الفعلين ظاهره الهلاك ، وقتل الغلام كقتل القبطي ، وإقامة الجدار بغير أجر كالسقي لبنات شعيب من غير أجر ، ثم بعد الفعلة الثالثة من خضر تبين لموسي عليهما السلام ، أنه ليس فيه قابلية لحمل شيء من علوم خضر عليه السلام ، فطلب الفراق بسؤاله ، ثالثا كما ورد فى الصحيح ، كانت الأولى من موسي نسيانا ، والثانية شرطا ، والثالثة عمدا ، وعند ما أزمع الفراق ، ووقفا للوداع ، قال خضر لموسى عليه السلام ، أنت علي علم علمك الله لا ينبغي لى أن أعلمه ، وأنا على علم علمني الله لا ينبغي لك أن تعلمه ؛ يريد أنت على علم الرسالة وملاحظة الأسباب في الأفعال والتروك والحكم بالشاهد واليمين ، والاقرار والانكار ، ونحو ذلك من الوقوف مع ظواهر الأشياء مأمور بسياسة بني إسرائيل ، والتنزل لعقولهم ، فلا ينبغي لى أن أعلمه ، يعني لا فائدة لي في العلم به ، إذ العلم المتعلق بالأكوان إنما يراد العمل به ، وأنا مأمور بالحكم بخلافه ، وهو الحكم بالكشف وملاحظة الأمور والأسباب الغائبة ، وبما يرد على القلب من الخواطر الربانية التي لا تخطيء ، فلا

ينبغي لك أن تعلمه لأنك مأمور بالحكم بخلافه ، وهذا الاختلاف بينهما إنما هو في العلوم المتعلقة بالأكوان ، وأما العلم بالذات العلية ، والصفات الآلهية ، فكل منهما على غاية الكمال ، كما يليق بمقام النبوة . وبمقام الولاية العظمى مقام القربة وهو الأفراد ، والخضر عليه السلام منهم ، فإن الخضر غير نبي بلاشك عندي ، وكما هو عند المحققين من علماء الباطن والظاهر ؛ وعلى ما قدّمناه ، فما كملية الشيخ في العلم المطلوب منه ، المقصود لأجله ، لا تغني عن المريد شيئا ، إذا لم يكن ممتثلا لأوامر الشيخ ، مجتنبا لنواهيه

وما ينفع الأصل من هاشم   اذا كانت النفس من باهله

وإنما تنفع أكملية الشيخ من حيث الدلالة الموصلة الي المقصود والاّ فالشيخ لا يعطي المريد الاّ ما أعطاه له استعداده ، واستعداده منطوٍ فيه وفي أعماله ، كالطبيب الماهر اذا حضر المريض وأمره بادوية ، فلم يستعملها المريض . فما عسى أن تغني عنه مهارة الطبيب ، وعدم امتثال المريض ، دليل على أن الله تعالى ما أراد شفاءه من علته ؛ فان الله اذا أراد أمرا هيأ له أسبابه وإنما وجب على المريد طلب الأكمل الأفضل من المشايخ ، خشية أن يلقى قياده بيد جاهل بالطريق الموصل الى المقصود ، فيكون ذلك عونا على هلاكه

(الموقف المايه الاثنين والخمسون)

قال تعالي ، ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل ، كل من طلب منه العدل بين أمرين متضادين ، بحيث يكون إرضاء أحدهما إغضابا للآخر ، وإدخال السرور على أحدهما تحزينا للآخر ، اذا كانا على طرفي النقيض فلا يرضي أحدهما ، الاّ اغضاب الآخر ولا يسر أحدهما ،

الاّ بتخريب الآخر ، ولا تحصل عمارة أحدهما ، الاّ بتخريب الآخر وبقدر القرب من أحدهما ، يبعد من الآخر ، طلبا لا محيص عنه ، ولا مهرب منه ، فذانك الامران نساء فى حقه ، يعني زوجين متقابلين ، كالنفس ، والروح ، والدنيا ، والآخرة ، فانك إذا أعطيت النفس أغراضها ، واتبعت شهواتها ، ومكّنتها من مراداتها الطبيعية ، أرضيتها وأغضبت الروح ، فان الأمور الطبيعية ، والشهوات النفسانية ، تضر بالروح وتسوّد وجهها ، وتكسف شمسها ، وتمنع عنها وصول المعارف ، وتحجب عنها الأنوار والاسرار ، فاذا أرضيت الروح باستعمال الامور الروحانية والفروق عن أحوال الطبيعة الجسمانية ، أغضبت النفس ، كيف وهي مركب الروح عليها يدرك مطالبه ، وينال رغائبه ؛ وان كل ما يقوى الروح يضعف النفس ، وبالعكس ، وكذلك الدنيا والآخرة ، كلما التفت الي أحداهما أعرضت عن الأخرى ، وكلما سعيت فى عمارة أحديهما أخربت الأخرى ، ولن تستطيع إرضاء الجميع أبدا ، كما أخبر الله تعالى ولو بذلت جهدك ، وانفدت ماعندك ، فان جمع النقيضين محال ، فعلّمنا الحكيم تعالى الخلاص من هذا المشكل ، والدواء لهذا الداء المعضل ، وهو أن لا نميل كل الميل ، بأننا وإن ملنا بقلوبنا إلى أحدهما فلا نميل فى ظواهرنا بترك حقوق ما ملنا عنه رأسا ، ونعرض عن مطالبه ونتركه هملا ، إذ نحن مأمورون بالابقاء على كل واحد منهما ، والرفق بهما ، فلا غنى لنا عن أحدهما ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يعدل فى القسمة بين نسائه ، ويقول اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تؤاخذني بما تملك ولا أملك ، يعني القلب ومراد الحق تعالى منا ، وأمره لنا ، بارضاء الروح والنفس وعمارة الدنيا والآخرة على الحكمة التي جاءت بها الرسل عليهم السلام ، والحد الذي حدّوه لنا كل واحد

بحسبه وما يقتضيه حاله ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما فالميل المضر بالدنيا والآخرة ، أو بالنفس أو بالروح كله من اتباع الشهوات ، واستغواء الشيطان ، وتزيينه ليس من الدين في شيء ، وإذا سمعت أو رأيت في كتاب حكايات القوم رضوان الله عليهم ، وما فعلوه بأنفسهم من الاضرار ، وما صنعوه بدنياهم من التخريب فانما ذلك كله ليحصلوا على عدم الميل المضر بأرواحهم وأخراهم ، ويكونوا على الحكم المشروع ، والقسطاس الموضون ، فان كل شيء تميل اليه النفس الميل الكلي ، وتطلب التمتع به على الكمال والتمام ، جاء الشرع بذمه وتقبيحه والتنفير عنه ، مع أن النفس لا تتركه كله فذلك محال لأنه لا بقاء لها بدونه رأسا ، فيحصل الصلح على ترك طلب النفس الكل ، وإبقاء البعض لها ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ، فالقوم متبعون حكمة الشارع فيما فعلوا ، وانظر أحوالهم في نهاياتهم عند مازموا أنفسهم بزمام الشرع والعقل ، كيف تجدهم يأكلون أطايب الطعام ، ويلبسون الأثواب ، ويركبون فاره الدواب ، ويقولون ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ، والأقربون أولى بالمعروف ، ونحو هذا ، ويعمرون في الدنيا كل واحد على ما اقتضاه حاله ، وهذه سنة الأنبياء عليهم السلام والكمل من الورثة ، وقال صلى الله عليه وسلم ، أما أنا فأصوم وأفطر وأقوم وانام وآتي النساء ، ومن رغب عن سنتي فليس مني ، خرجه أصحاب الصحيح

(الموقف المايه الثلاث والخمسون)

قال تعالى ، إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، اليوم هو يوم القيامة وأوله يوم الموت ، فان من مات فقد قامت قيامته كما ورد في الخبر ، إذ من يوم الموت يكون في نعيم أو عذاب برزخي خيالي ، الى يوم البعث يصير العذاب والنعيم

حسيا كحال الدنيا ، وربهم الذي حجبوا عنه هو ربهم الخاص الذي تولاّهم في الحضرة الجامعة لأسماء الربوبية ، وهو الذي زين لهم أعمالهم الكفرية ، كما قال ، إن الذين لا يؤمنون بآياتنا زيّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون ، زيّن لهم من حيث الاسم الخاص بهم كما أنه قبّح وكرّه ذلك لآخرين ، من حيث الاسم الخاص بهم ، قال ، ولكن الله حبّب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم ، وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان ، وقال وكذلك زيّنا لكل أمة عملهم ، وقال وكذلك زيّن للكافرين ما كانو يعملون ، وهو الذي جعلهم فرحين بما لديهم ، كما قال كل حزب بما لديهم فرحون ، وهو الذي زيّن لهم حب الشهوات كما قال ، زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ، الآية ، وهو مشهود لهم في الدنيا ، غير متحجب عنهم ، وإن لم يشعروا وهم راضون عنه وهو راض عنهم ، وما قالوا في الآخرة عند ذوق العذاب ، ربّنا أخرجنا منها ، فان عدنا فانا ظالمون ، ولا قالوا ، ياليتنا نرد ولا نكذّب بآيات ربنا ، ولا نادوا يامالك ليقض علينا ربك ، ولا تأوّهوا ولا تضجروا إلاّ من انحجاب ربهم عنهم ، فان العذاب وإن تنوّعت مظاهره فمرجعه الى الحجاب ، والنعيم وإن تنوّعت مظاهره فمرجعه إلى الشهود والرؤية ، ولو لم ينحجب عنهم في الآخرة وبقي مشهودا لهم ما أحسوا بعذاب ، ولا تألموا بنار ، ولكانوا كما كانوا في الدنيا فرحين ، مستبشرين ، فكهين ، يضحكون من أهل السعادة ، يسخرون منهم ، يتغامزون ، كما قال ، إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ، الآية ، وقال ، ويسخرون من الذين آمنوا ، وهذا كله منهم ، رضى بكفرهم ومخالفتهم في الدنيا التي تصورت لهم في الآخرة ، بصور نار وحيات ومقامع من حديد ، وغير ذلك من انواع

العذاب ، فانها ليست إلا أعمالهم ، فكلما تخيلوا فعلا من أفعالهم الكفرية تصور لهم ذلك الفعل بصورة جعلها الله لهم من أنواع العذاب ، فأحسوا بالعذاب ، هذا في البرزخ فان الحكمة الآلهية جعلت التخيّل فيه مقدما على الاحساس ، فلا يحس بالشيء إلاّ بعد تخيله وفي الآخرة التخيل والاحساس مثلا زمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، فما تعذبوا الاّ بتخيلات أعمالهم الكفرية التي عملوها في الدنيا ، فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، فيتصور الزنا بتنّور من نار ، وآكل الربا بنهر من دم ، والكذب بكلوب ، ونحو هذا ، والكفر والمخالفة عند أهل السعادة في الدنيا بمثابة النار والحيات والمقامع التي للاشقياء في الآخرة ، وذلك لأن ربهم الهادي ونحوه من أسماء الجمال والسعادة ، كرّه اليهم الكفر والفسوق والعصيان ، فهو مشهودهم وإن لم يشعروا به ، وليس ربهم المضل ونحوه من أسماء الجلال ، ولذلك ترى المؤمن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار ، كما ورد في الصحيح ؛ بخلاف الكافر فانه مستلذ بكفره مستحليه ، وإن المؤمن يرى ذنوبه كجبل يخاف أن يقع عليه ، فهو دائما متعذب بخوف وقوعه ؛ وانتظار العذاب عذاب ، ومن أهل السعادة من يستهين الموت في جنب معصية ربه ، وقلع عينه وقطع يده ، كل هذا لأن ربهم ما زين لهم الكفر والمخالفات ، كما زين رب الأشقياء أعمالهم الكفرية لهم ، فاذا نفذ الوعيد وأخذ الغضب الآلهي حده وتمت كلمة ربك ، لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ، تجلي لهم ربهم الذي كان منحجبا عنهم ، فزالت الآلام بشهوده وحصلت اللذات ، وتوالت الأفراح ، كما كانوا في الدنيا ؛ فرحين بشهوده ، متلذذين بما يدعوهم اليه ، متحجبين به

مع بقاء جهنم على حالها ، ودوام أهوالها ، وأنكالها ، ولو دعوا الي الجنة ونعيمها لهربوا وتأذوا ، وقالوا النعيم مانحن فيه لا غيره ، كما كانوا يقولون ، إن هؤلاء لضالون ، وكما كانوا فى الدنيا يهربون من أحوال أهل السعادة واعمالهم ، وحينئذ يصدق عليهم ، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر وأعماله ، لما وجدوا من اللذة والراحة والفرح على أحد محتملات ، الآية ، والتلذذ بالآلام مشهود عيانا ، فقد رأينا بعض أهل الله تعالى ممن أخذوا عن عقولهم بمشاهدة مولاهم فى بلايا ومحن ، تئن لها الحجارة وهم فى غاية السرور والبسط والمزح وعدم الاكتراث بما حل بهم ، ولا يطلبون زوال ذلك ، بل لا يحبون زواله : راودناهم على التطبب فامتنعوا : وما ذلك الا لغيبتهم عن الآلام بمشاهدة ربهم ومحبوبهم ؛ وقد ورد فى الأخبار ، أن أهل الجنه إذا رأوا ربهم تعالى غابوا عن الجنة ونعيمها جميعه من حور وقصور وغلمان ومستلذات ، فليس للنعيم صورة مخصوصة وإنما هو بحسب المتنعمين واختلاف طبائعهم وأمزجتهم ، فقد يكون النعيم عند قوم عدابا عند آخرين وبالعكس وهذا أمر موجود فى الدنيا وهذه الآية فى أهل النار الذين هم أهلها لا الذين دخلوها بذنوب أصابوها ، فانهؤلاء يخرجون منها بالشفاعات التي آخرها حثيات الرحمن ؛ وقد ورد فى الخبر أنهم يموتون في النار إماتة مدة بقائهم فيها حتي لا يحسوا بالآمها ، ثم أنهم لصالوا الجحيم ، ثم تفيد الترتيب فما أحسوا بالجحيم وما فيها من الآلام الا بعد الحجاب

(الموقف المايةوأربعة والخمسون)

قال تعالى ، له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ، لا غيب فى حق الحق تعالى بل الكل شهادة فى حقه ، وإنما انقسمت الأشياء الي غيب

وشهادة بالنسبة الينا ، فالخبر في الآية محذوف تقديره غيب السموات والأرض ، شهادة أبصر به وأسمع ، أي ما أبصر الحق تعالى وما أسمعه إذ كل بصر بصره وكل سمع سمعه فما أبصر مبصر الاّ ببصره ، ولا سمع سميع الاّ بسمعه ، وهو السميع بسمعه والبصير ببصره ، فلا سمع ولا سميع الاَّ هو ، ولا بصر ولا بصير الاّ هو ، فكيف يتصور في حقه غيب ، تعالى عن ذلك ؛ ويصح أن يكون الأمر على بابه ، والخطاب له صلى الله عليه وسلم ؛ والمراد نحن أمرنا الحق تعالى أن نعمل على الحصول والوصول الى مرتبة بي يسمع وبي يبصر ؛ الى آخر القوى ؛ وليس المراد أمره صلى الله عليه وسلم أن يبصر بالحق تعالي ويسمع به فانه قد حصل له ذلك لا محالة بل الحق يبصر به صلى الله عليه وسلم ويسمع به ؛ كما هي المرتبة العليا فان صاحب المرتبة الأولى فيه بقية ، وذلك نقص بالنسبة لمقام النبوة الأسمى

(الموقف المائه خمسة والخمسون)

قال تعالي ، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، لفظ الناس يعم الجن والانس ، والمؤمن والكافر ، والتقوى هنا على نوعين تقوى له وتقوى به ، أمر الحق تعالى الناس أن يجعلوا نفوسهم وقاية لربهم في موطن وحال ، وأن يجعلوه تعالي وقاية لهم في موطن وحال ؛ وذلك أن حضرة الربوبية مشتملة على أسماء جمال وخير وملائمة لمن توجهت اليه ، وعلى أسماء جلال وشر وعدم ملائمه بالنسبة الى من توجهت عليه فأمروا أن ينسبوا لربهم كل طاعة وإيمان وخير ، وبذلك يكون هو وقايتهم وهم متقون به ، كما قال ، ما أصابك من حسنة فمن الله ، وكما قال أحد الأدباء ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما ،

نسب إرادة فعل الخير الي الرب ، وأن ينسبوا لأنفسهم كل كفر ومعصية وفعل شر ، فيكونون وقاية له كما قال ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، وقال أحد ألادباء ، فاردت أن أعيبها ، إذا كان ظاهر الفعل شرا ، ولو كان باطنه خيرا ، وبذلك يكونون عبيدا أدبا ، وإن كان فى نفس الأمر كما قال ، قل كل من عند الله والله خلقكم وما تعملون ، خلقكم من نفس واحدة حقيقة واحدة هي الحقيقة المحمدية المسماة بالعقل الأول وبالقلم الأعلى ، فالمخلوقات كلها منها الى غير نهاية ، فهي الأصل والمنبع ، فهي ذرات العالم ، والعالم جميعه الحروف المستخرجة منها ، سواء المخلوقات الروحانية والجسمانية ، الطبيعية والعنصرية ، وخلق منها زوجها ، الواو لا تفيد ترتيبا فان خلق الزوجة مقدم وهي النفس الكلية المسماة باللوح المحفوظ خلقها منه كما خلق حواء من آدم عليه السلام ، يقول الشيخ محي الدين رضي الله عنه ؛ النفس خطرة من خطرات العقل الأول وهي محل تفصيل ما أجمل فى العقل الأول من العلوم ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، فرّق ونشر فى العالم العلوى والسفلى منهما من النفس الواحدة وزوّجها رجالا كثيرا ، أرواحا كثيرة فاعلة ، ونساء نفوسا جسمانية طبيعية منفعلة ، لما كانت الأرواح فاعلة سمّاها رجالا ، فهي آباؤنا العلويات ، ولما كانت النفوس الجسمانية منفعلة ، سمّاها نساء ، فهي أمهاتنا السفليات ، فكل روح أب ، وكل جسم أم ، ولما كان الروح الذى هو الأب لا يتعيّن من الروح الكلي الذي هو النفس الواحدة الاّ بعد تسوية الجسم الذي هو الأم وتعديله كما قال ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ، صح أن يقال الجسم والد للروح واليه يشير الحلاج رضي الله عنه بقوله

ولدت أمي أباها إن ذا من أعجبات
وأبى طفل صغير في حجور المرضعات

(الموقف المائة ستة والخمسون)

قال تعالى «أفرأيت من اتخذ آلهه هواه وأضله الله على علم» الهوى ميل النفس الى ما يضرها أو يهلكها رأساً في الاصطلاح وأما بحسب الوضع فهو أعم قال تعالى «ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله» وهو وصف للنفس وهي موصوفة به، وحيث كان الهوى صفة قاهرة، أمرها نافذ، وحكمها مطاع؛ تنوسيت النفس الموصوفة به وصار الذكر والحكم له، إتخذ آلهه هواه، أي جعل ما يجب على الانسان ويلزمه في حق آلهه وخالقه من الطاعة وكمال الانقياد، وامتثال الأوامر لهواه وجعل ما يجب أن يقابل به الهوي من العصيان وعدم الانقياد والنفور عن سماع الأمر لآلهه فعكس القضية، فعظمت الرزيه، فعلى نظم الآية يكون المفعولان من باب كسا، وعلى ما قيل من القلب يكون المفعولان من باب ظن إذ يقال الهوى آلهه من حيث أنه مطاع نافذ الأمر في الانسان، ولذا قيل ما عبد شيء من دون الله تعالى أعظم من الهوي، وهو الثائر على الروح فى مملكته الانسانية؛ فيفسدها عليه دائما، فالهوى كالهواء فراغ من اتبع الهوى حصل على الهواء وأضله الله على علم والضلالين العالم عند العقلاء شيء بعيد، وأما من غير العالم فغير بعيد، بل هو كثير كما قال، وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم، وهذا السياق إنما يؤتي به فى الأمور المستبعدة أي أخبرني عمن عصي مولاه وأطاع هواه فاتخذ آلهه هواه وأضله الله على علم أليس هذا بشيء غريب، وأمر عجيب، وذلك لأن العلم الذى هو وصف

للعالم كما هو عند الجمهور غير موجب للسعادة ، ولا منقذ من الغواية ، وإنما العلم الموجب للسعادة قطعا هو العلم الذاتي الذي يجده العالم به لذاته لا صفته ، فافهم وهو العلم الذي جمع الأشياء كلها فاتحدت به ، وتمايزت بتعينات عدمية ، فبحسب ما يحصل من الاتحاد بزوال الأمور الخارجية عن الحقيقة بين الشيئين ، يكون العلم قوة وضعفا ، قلة وكثرة ، فما دام العالم يعلم بعلم هو صفة له عنده فعلمه غير موجب لسعادته ، فاذا عرف أن علمه عين ذاته العالمة ذوقا فحينئذ يكون علمه موجبا لسعادته ، والناس كلهم إنما يعلمون بهذا العلم لانه حقيقة واحدة غير متعددة ، وحيث جهلوه ما نفعهم ذلك والله يعلم وانتم لا تعلمون ، فافهم أو سلم ، فلا يفتك حفظ رأس المال إن لم تربح وتغنم

(الموقف المايه السابع والخمسون)

قال تعالى : وقال اركبوا فيها ، الآيات ، قال نوح العقل الذي هو وزير الروح ومدبّر مملكته الانسانية ، لما خاف هلاك مملكة الخليفة عند ما فار تنور الهوى بالافساد ، وإيقاع الاختلاف فى المملكة ، لمن أطاعه واتبعه ، اركبوا فيها ، فى سفينة الروح الجامعة بين الشريعة والحقيقه ، فانها المنجية من كل هلاك فاستمسكوا بها ، وليس ركوبها إلاّ طاعتها واتباعها فيما تدعو اليه ، بسم الله مجريها ومرساها ، فبدايتها من الله ونهايتها الى الله ، وهي فيما بين ذلك مع الله ، إن ربي لغفور كثير الاستتار ، يظهر فى ملابس الأكوان ، فيسمى بأسمائها ، ويحكم عليه بأحكامها ، كظهوره بصورة السفينة ، فقيل انها منجية وهو المنجي لا السفينة ، كما أنه المغرق المهلك بصورة الماء لا الماء ، فركبوها وسارت تجرى بهم فى موج كالجبال ، هي أمواج الأكوان ،

تجري من كون الي كون ، من عالم الي عالم ، ومن موطن إلى موطن ، وشبّه الأمواج بالجبال ؛ لأن خروج النفس والجوارح عن الأكوان والمألوفات أثقل عليها من حمل الجبال ؛ ونادى نوح العقل ابنه الهوى ، سمّاه ابنا شفقة عليه ورحمة ، وكان الهوى فى معزل عن الروح والعقل ، فانه ضد الروح المنازع له الثائر لطلب أخذ المملكة من يده ، المفسد عليه صلاح زوجه ، إركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين ؛ أطع الروح وانقد له ، وكن معه ، ولا تكن مع الساترين الجاحدين ؛ فضل الروح وشرفه وسعادته ، وسعادة من كان معه ، قال الهوى سآوى الى جبل يعصمني من الماء ، سأتعلق بكون من الأكوان العظيمة ينجيني من الهلاك ، واحصل على النجاة ؛ كما يقول الفيلسوف فى اسلك من عالم العناصر الى عالم العقول والطبيعة ، فذلك عنده النجاة وبه يحصل السعادة ؛ فيرحل من كون الي كون ، كحمار الرحى ، يدور والذى رحل اليه هو الذى رحل عنه ، فقال نوح العقل لكمال معرفته ونفوذ بصيرته ، لا عاصم اليوم من أمر الله إلاّ من رحم ، لا ينجى من غرق الأكوان ، وطوفان الأغيار ، كون من الأكوان ، وإن علا وعظم ، فان الكون كله ممكن ، فقير عاجز ، فلا يعصم كون من كون

ووصف العجز عم الكون طرا　　فمفتقر بمفتقر ينادي
فحدّق أعين الايمان وانظر　　ترى الأكوان توزن بالنفاد

فلا نجاة لمن تعلق بالغير والسوى ، وإنما تحصل النجاة والسعادة لمن تعلق بالله تعالى ، وانحاش اليه ، وأفرد التوجه اليه ، والتوكل عليه ، فرحل من الاكوان الى مكوّنها ، وحال بينهما الموج ، فعرج الروح بمن أطاعه وتعلق

به الى حضرة الصفات ، وبحبوحة الذات ، فنجوا وسعدوا سعادة الأبد ، وبقي الهوى ومن أطاعه في شرك العناصر وإسر الأغيار ، فكان من المغرقين الهالكين

(الموقف المايه الثامن والخمسون)

قال تعالى، ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ، الآيات هذه الآيات تأديب وتعريف وإرشاد للمرشدين ، إعلم أن السفيه عند العامة من يبذر الأموال ويضيعها ، ولا يحسن التصرف بها ، فلا يضع الاموال مواضعها المستحقة لها ، وعند الخاصة السفيه من يبذر الاسرار الالهية ، والمعارف الربانية ، فيذيعها فى غير مواضعها ، ولا يستودعها أهلها فيضيعها ، فان من العلوم التوحيدية ما لا يجوز افشاؤه مطلقا ، بل هو سر بين الله وبين عبده الى الموت ، والمال مالان ، مال تميل اليه النفوس ويميلها ، وهو المال المحسوس ، مال العامة وبه قوام النفوس ، فلا بقاء لها بدونه ، ومال تميل اليه الأرواح ويميلها اليه ، وهو المال المعنوي ، مال الخاصة التى جعل الله لكم قياما ، أي قواما ، وحياة لأرواحكم ، إذ لا بقاء للروح ، ولا حياة إلاّ بالعلم الرّباني ، أما السالك المبتديء فلا أضر عليه ولا أسرع بالهلاك اليه من إفشاء ما منحه الله تعالى ، من أسرار التوحيد مطلقا لاهله ولغير أهله إلاّ لشيخه ، وما زال المشايخ يحذرون من هذا كل الحذر ، وذلك لأن السالك إذا فتح الله تعالي عليه بشيء من أسرار التوحيد ، يرى الناس فى عماية تائهين عن طريق الحق ، فيشفق عليهم ، ويرحمهم ويريد لهم الخير ، فيحمله ذلك علي كشف بعض أسرار الالوهية ، وفى ذلك هلاكه وحتفه ، فاذا كان السالك ممن حنكته التجارب ، وهذبته العلوم ، قال كما

قال الأول

قد كان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا ولاتسأل عن الخبر

قال بعض الكاملين فى قوله تعالى ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير : هو المريد يتكلم بالحقائق قبل إدراكه ، أو أن الكلام والنهي الوارد في الاية هو للمشايخ الذين لهم أتباع ومريدون ، ربما وضعوا الأسرار غير مواضعها ، واذاعوها لغير أهلها ، مع الاذن فى إذاعتها لأهلها ، إذ فى إذاعة أسرار الربوبية لغير أهلها ضرران ، ضرر راجع الى المذيع ، وضرر راجع إلى المذاع له ، فالمذيع ربما رمي بالكفر والزندقة ، وربما أفضى الامر الي قتله ، وربما وصل الشر الى أصحابه ، ومن ينتسب اليه والمذاع اليه ربما افتتن أو حار أو فهم الأمر على غير وجهه ، فضلّ ، وكتب القوم مشحونة بذم هذا ، والنهي عنه ، وقد شاهدنا فى زماننا من المريدين من سمع بعض أسرار الألوهيه وبعض الحقائق من مشايخهم ، فصاروا يتكلمون بها فى المجالس العامة ، وظهرت منهم أمور فظيعة من الجسارة والقباحة والتهجم علي الجناب الأعلى الآلهي ، والتكلم بكلمات ماعرفوا لها أصلا : ولا ذاقوا لها طعما ، بل نظن والعلم عند الله أن مشايخهم إنما تلقفوها من الكتب أو من غيرهم ، وما ذاقوا لها طعما ، ولا عرفوا لها حقيقة ، إذ لو عرفوا حقيقتها لصانوها ، وشحّوا بها كما شحّوا بالذهب ، وأمور الدنيا التى عرفوا حقيقتها ، ورضي الله عن سيدنا العارف الكبير احمد الرفاعي ، حيث يقول

ومستخبر عن سر ليلي رددته بعمياء من ليلي بغير يقين
يقولون حدّثنا فأنت أمينها وما أنا أن حدثتهم بأمين

نعوذ بالله من الخيانة ، فان المنافق إذا إؤتمن خان ، والمؤمن إذا إؤتمن أدّى، والقوم رضوان الله تعالى عليهم ما ألفوا فى الحقائق ، وأذاعوا أسرار التوحيد ، وكشفوا بعض أستار الربوبية الاّ لأصحابهم ومن سلك طريقهم ممن عرفوا فيه الأهلية والثبات على الكتاب والسنة ، وما ألفوها للعامة الهمج الرَعاع ، ولا تكلموا بها فى المجالس العامة كما هو الآن يتكلم المشايخ الجهال بالكلمة من الحقيقة ، يتبجح بها فيتلقفها منه من هم أجهل منه ، ويطيّرونها كل مطار بغير علم ، فضلوا وأضلوا فقصد المؤلفون فى الحقائق نفع أهل طريقهم لا من يتضرر بها ويمرق من الدين مروق السهم من الرمية ، قد سبق الفرث والدم فانهم أهل نصيحة لعباد الله ، يحبون الخير لهم قد علموا أن الاستعدادات متفاوتة وأن الافهام مختلفة ، فكان مقصودهم النفع فعرض الضرر من غير قصد منهم ، وارزقوهم منها أي ذوقوهم من حلاوتها ، وأسقوهم من رحيقها ، واكسوهم من حللها المعنوية وأثوابها العليه ، ولباس التقوى ذلك خير ، ليشتاقوا الي الخروج من الحجر والتصرف والانتفاع بتلك الأموال من غير واسطة فيها ، أي في المدة التي هم فيها تحت نظركم ، وفى حجوركم ، وقولوا لهم قولا معروفا ، خاطبوهم بما هو قريب لأفهامهم ، لا يحير عقولهم ، ولا يدخل عليهم شبها فى عقائدهم ، وكونوا ربانيين ، علّموا الناس بصغار العلم قبل كباره ، وذلك بالاشارات والتلويحات ، وضرب الأمثال حتى تأنس عقولهم ، ولا تكافحوهم بصريح الحقيقة فيهلكوا ، وابتلوا اليتامى ، اليتيم هو من عرف من استاذه بالفراسة النورانية ، الاستعداد والقابلية ، وأنه يكون منه رجل فيما يأتي ، من قولهم درة يتيمة ، أي ثمينة لها بال وقيمة ، وكل من ادخر له أبوه العقل الكلي كنزا فى استعداده ، مخبأ تحت جدار جسمه ، فهو يتيم ،

أعني فاضل بالنسبة إلي من دونه ، ولهذا أطلق الحق تعالي على رسوله صلى الله عليه وسلم اليتيم ، لأنه أعظم مدخر له ، وكنزه أشرف كنز مدخر ، أي اختبروهم مرة بعد مرة بالاشارات وقرائن الأحوال لتعرفوا ماازدادوه من الأحوال الشريفة ، حتى إذا بلغوا النكاح أي أوان أن يحصل من نكاحهم نتيجة وتوجد ثمرة ، بمعنى خرج ما كان فيهم بالقوة والاستعداد ، إلى الفعل والظهور ، وصلحوا لأن ينكحوا وصاروا قابلين للبذر فيهم ، فالشيخ له رتبة الفاعلية ، والمريد له رتبة القابلية والمفعولية ، فالشيخ رجل ، والمريد زوجة ، فان آنستم منهم رشدا ، أبصرتم بفراستكم النورانيه رشدهم وبلوغهم أشدهم ، وأنهم قدروا على استخراج كنزهم ، بأن صاروا يقبلون الأسرار التوحيدية ويتلقونها بنفوس زكية طاهرة ، وقلوب مطمئنة ثابتة على الأمر والنهي الشرعي ، واتباع الكتاب والسنة ، لا بقلوب زائغة ، ونفوس ضالة ، فتتبع ماتشابه منه أو تؤوله على غير المراد فتحرفه من بعد مواضعه ؛ فادفعوا اليهم أموالهم ، الأسرار التوحيدية ، والمعارف الآلهية ، ولايجوز لكم حينئذ أن تمسكوا عنهم شيئا ينفعهم ، ويكون زيادة في أحوالهم إلاّ مالا إذن فيه مطلقا

(الموقف المائة التاسع والخمسون)

ورد فى الحديث ، أهل القرآن أهل الله ، رواه الحاكم فى المستدرك والنسائي ، وابن ماجه ؛ وفي بعض الروايات ، حملة القرآن أهل الله ، المراد بأهل القرآن أهل التوحيد الخاص ، أصحاب تجريد التوحيد ؛ ومقام التفريد ، والأهل فى اللغة ، الأقارب ، وأهل الله هنا القريبون منه القرب المعنوى ، المقربون عنده وهم أنصار الله الملبّون دعوته ، المستجيبون

الي طاعته ، وهو مقام النبوة والولاية الكمالية ، والقائمون به هم الداعون الى معرفة الله تعالى وتوحيده علي طريق الصوفية أهل الحقيقة والسلوك الى الأحوال من الفناء والبقاء ، والسكر والصحو ونحوها ، وقطع عقبات النفوس وطي المقامات الى الذروة العليا ، والوصول الى الوحدة الذاتية ، وهو القرآن العظيم وهؤلاء الحملة حاملون أحوال رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ومقابلهم أهل الفرقان فهم أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الداعون الى إقامة الشرائع الظاهرة ، والسلوك على سبيل السنة المطهرة ، التي هي أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله ظاهرا ، والمشي على طريق أصحاب المعاملات ؛ وهذه مرتبة الرسالة والقائمون بها هم المجتهدون مطلقا أصحاب المذاهب ، والمرجحون من أتباعهم فاذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حضرة الذات ، دخل حملة القرآن أهل الله من ورائه ، ودخل حملة السنة أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائهم ، بالتبعية له صلى الله عليه وسلم ، حيث أنهم ما دخلوها بأنفسهم وإذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حضرة الصفات ، دخل أهل الله من ورائه ؛ ودخل أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائهم ، لا بالتبعية لأنهم دخلوها بأنفسهم وذاقوها ، فالفرق بينهما الذوق وعدمه ؛ فأهل الله كانت لهم حضرة الذات والصفات ذوقا ، وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم حضرة الذات علما لا ذوقا وحضرة الصفات ذوقا ، ولا شك أن الذوق أشرف من العلم بغير ذوق ، ولا يفهم من هذا أن من كان من حملة القرآن أهل الله ، لا يكون من حملة الفرقان أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالعكس ، كلا وحاشا فان كلا منهما من عند الله قال ، نزّل الفرقان ، كما قال ، أنزلناه قرآنا ،

فان حامل القرآن إذا لم يكن من حملة الفرقان كان زنديقا ملحدا مارقا من الدين فكيف يكون أهل الله ، وكذا حامل الفرقان إذا لم يكن من حملة القرآن كان فاسقا فاجرا عاصيا ، فلا فرق بينهما إلاّ ما ذكرنا ، وكان الأمر هكذا فى الصدر الأول ، فلما طال الأمد ، وبعد زمن النبوة والخلافة ، وانتشرت الأهواء ، صار الأمر أمرين ، والحزب الواحد حزبين ، وضرب بينهما بسور ، فتسمى أهل القرآن بأهل الحقيقة والصوفية والفقراء ، وتسمى أهل الفرقان بأهل الشريعة والعلماء والفقهاء ، فتباينوا ، الاّ من رحم ربك

(الموقف المائة والستون)

قال تعالى حاكيا قول إبراهيم لابنه عليهما السلام ، إني أري فى المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ، هذا تعليم من ابراهيم لابنه عليهما السلام ، وتسلية له لما أراد به من الذبح ، وإرشاد له أن لا ييأس من الفرج بأن هذا الموطن الدنيوي ليس هو موطن الانتباه الحقيقي ولا هو موطن رؤية الحقائق على الوجه الأكمل وعلى ماهي عليه ، وإنما موطن الانتباه ورؤية الحقائق علي ما هي عليه ، الدار الآخرة ، وإنما تراه من صور هذا العالم خيال لأنك فى مقام ، الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ، فكما أن الذي رأيته أنا فى الرؤيا خيال له تعبير أى عبور من ظاهره الى باطنه ، فكذلك ما تراه أنت خيال له تعبير عبور من ظاهره إلى باطنه ، فكلانا رأي خيالا فى نيام ، غير أنى أنا رأيت ما رأيت في الخيال المتصل ، وأنت ترى ما ترى في الخيال المنفصل ، وحقيقة الخيال واحدة ، كل هذا من ابراهيم ليزهد ابنه عليهما السلام فى حب الحياة ، وكان الخليل عليه السلام عالما بأن الرؤيا لها تعبير غالبا ولكن لما كانت رؤياه فيها الأمر بذبح الولد ، تأدّب وفوّض تعبير رؤياه الي مولاه وقال إن كان لرؤياي

تعبير فالله أولى به ، وإن لم يكن لها تعبير فانا منفذ أمر ربي فجمع أسباب إنفاذ الأمر وما بقى الا الفعل فعبر له ربه رؤيا بذبح عظيم وبذلك مدحه الله بقوله ، وابراهيم الذي وفى ، أي عمد الى ذبح ولده وقطعة كبده لرؤيا رآها قرت عين أم ابراهيم ، كما قال الأعرابي لماسمع ، واتخذ الله ابراهيم خليلا ، فانظر ماترى فانك لاترى الأحقا ظاهرا بشهادة قوله ، هو الظاهر ، أي لا غيره فان رأيت غيره فهو خيال زائل ، ووهم باطل ، فاتهم نفسك ، وحدق بصرك ، فان الممكنات أما حقائق ، وهي الأعيان الثابتة في العلم لا توجد الا خارجا ، وأما أعراض لا تبقى زمانين فهي تمر كمر السحاب ، فما ترى الاحقا ظاهرا متلبسا بخيال ساتر ، وذلك لأن الأسماء الآلهية تظهر متلبسة بأحكام الاستعدادات ، أعنى حقائق الممكنات وهي لا تظهر أبدا ، وإنما تظهر الأسماء بظهور الذات متحجبة بالأسماء ، والأسماء متحجبة باحكام الممكنات ، فالمحجوب لا يري الا أحكام الممكنات ، والذي أعلي منه يخرق حجاب الممكنات ، ويصل الى الصفات والأعلى المحقق يخرق حجاب الممكنات والصفات ، ويصل الي الذات فيسمى الحق تعالى نفسه الظاهر الباطن ، بهذا فهو الظاهر لأن الأسماء نسب فهي إعدام وإنما المقوم لها الذات ، فالظاهر الذات ، والباطن الاسماء ، وهو الباطن ، لان الأحدية الذاتية لا تجامع الكثرة الاسمائية ، فالباطن الذات والظاهر الأسماء

(الموقف المايه واحد والستون)

قال تعالى ، فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله ، الآية هي إرشاد وتعريف ، وأمر وتكليف ، لمن حج الذات العلية من السالكين المردودين ووقف بعرفات الوحدة الذاتية ، حضرة القرآن العظيم إذا أفاض ورجع منها

الي حضرة الصفات وموطن الفرقان والتكاليف ، أن يذكر الله تعالى بأمره ونهيه الذي هو أفضل من ذكر اللسان قائما عند ما حده وشرعه المشعر الحرام محمد صلي الله عليه وسلم ، إذ كل مأمور بتعظيمه من قبل الي الحق تعالى فهو مشعر ، كما قال ومن يعظم شعائر الله الآية ، ولأنه صلى الله عليه وسلم من حيث حقيقته محل الشعور والمعرفة ، فليس لولي ولا لنبي يأتي بعده صلى الله عليه وسلم كعيسى عليه السلام أن يتعدى شرع محمد صلى الله عليه وسلم ، أو يبدّل أو يغير شيئا منه ، فغاية الوليّ الكامل العظيم المنزلة فى منازل القرب والولاية ، أن يعرفه الحق تعالى ما جهل الناس من شرع محمد صلى الله عليه وسلم ، فيخبره بأن هذا الحكم من شرع محمد ، وغلط فيه النقلة ، فلم يعملوا به وهذا الحكم ليس من شرع محمد ، وغلط فيه النقله فأدخلوه فيه ، ليس غير هذا فسلسلة الشرع المحمدي لا تنفك عن رقبة سالك ، ولا واصل ، ولا عالم بالله ، ولا جاهل ، فليحذر المؤمن المشفق على دينه من الزنادقة الملحدة الذين يقولون أنهم وصلوا إلى عين الحقيقة ، واستغنوا عن محمد صلي الله عليه وسلم ، أو عن العمل بشرعه الحرام ، عن كل مخلوق الوصول الى معرفة حقيقته كما هي فلم تعلم ولن تعلم أبدا واذكروه كما هداكم أي أذكروا محمد بتعظيم وتوقير ، واعرفوا له قدر وساطته لأجل هدايتكم الى الله تعالى ، وإلى معرفته ، وإرشادكم الى الصراط المستقيم ، كما قال ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله ، فهو صلى الله عليه وسلم الممد لكل نبي وولي من لدن خلق العالم إلى غير نهاية ، عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله ، فاذا قال الولي ، قال لي الحق تعالى كذا وكذا ، فليس ذلك إلاّ بواسطة روحانيته صلى الله عليه وسلم ، والأكابر لا يجهلون ذلك ، وإن كنتم من قبله قبل التفاته اليكم

التفات عناية بالامداد والارشاد لمن الضالين الحائرين الجائرين عن صوب الصواب ومعرفة المدخل والباب ، ولا يصح عود الضمير المتصل بقبل إلى الله تعالي، ولا إلي غيره إلاّ بتكلف ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ، هو تأكيد وتفصيل للأمر السابق ، أي إذا وقفتم عند ما شرعه محمد صلى الله عليه وسلم ، ظاهرا وباطنا ، فقفوا حيث وقف الناس، وأفيضوا من حيث أفاضوا ، فأقيموا معهم واجبات الشرع العينية ، وواظبوا معهم على سنن الجماعات ، ولا تخالفوهم فى إقامة شعيرة من شعائر الدين ، ولا تقولوا نحن الحمس أهل الحرم ، وأصحاب الشرف ، لا يلزمنا مايلزم الناس ، فان هـذا القول هو الضلال البعيد ، والخسران المبين ، واستغفروا الله ، أطلبوا منه الستر على أحوالكم التي تفضل عليكم بها ، وخصكم بمزيتها ، فان الظهور يقطع الظهور ، إلاّ لكامل متمكن واحد الوقت ، وفى الخبر لا يستويان مؤمن يشار اليه ومؤمن لا يشار اليه ، فكما أن الرسول مأمور باظهار حاله ونشر دعوته والتحدي بالمعجزة ، فالولي بضده مأمور بستر حاله ، وإخفاء مواهب الله له ، إلاّ لأخوانه أهل طريقته ، فان أظهره الله تعالى رغما عليه فذلك إلى الله تعالى لااختيار له فيه ، ولو خيّر لاختار الاخفاء

(الموقف المايه إثنين والستون)

قال تعالي ، وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر ، أمره تعالى هو أول صادر بلا واسطة ، فهو قديم وهو عبارة عن التوجه والارادة الكلية ، فهو كلمته الكلية ، وهو الحقيقية المحمدية المسماة بالروح الكلي وبغيره من الأسماء ولا تعرف المخلوقات جميعها من هـذا الأمر سوى وجوده لاغير ، فلا يعرف ماهو عليه إلاّ الله تعالي ، كما هو أنه لايعرف من الحق تعالي سوى

وجوده ومن رآه رأى الحق تعالي ، ومن عرفه عرف الحق تعـالي ، وهو الحجاب الأعظم الذي لا يرتفع عن وجه الحق تعالي لادنيا ولا آخرة ، وهو الأزار ، وهو الرداء ، كما ورد في الصحيح وليس بين القوم وبين إذ ينظروا إلى ربهم الاّ رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ، أخبر تعالي أن أمره الذي هو صورة علمه بالمعلومات إنما كان بكلمة واحدة ، وهي ، كن من غير حرف ولا صوت ، وإنما هو كلام نفسي ، فكن عبارة عن التوجه الارادي كما يتوجه أحدنا ، ولله المثل الاعلى، على المرآة فتنطبع صورته فى المرآة بمجرد التوجه ، فقام هذا التوجه مقام قوله لصورته ، كوني مطيعة ، وذلك كلام من غير حرف ولا صوت ، ولا يستحيل شرعا أن يكون بكلام لائق بجلالتـه ونزاهتـه ، كلمح بالبصر ، تشبيه فى السرعة وعـدم المعالجـة والمزاولة ، فاذا كان أمره الذي هو صورة علـه وهو محتو على جميـع المعلومات إجمالا وتفصيلا ، من عالم الأرواح ، وعالم المثال ، وعالم الأجسام ، دنيا ، وبرزخا ، وآخـرة ، جواهر وأعراضا صـدر عنه كلمح بالبصر ، فكيف بغيره من المخلوقات الجزئية وما هي الاّ كما قال ، إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيـكون بل أمر الله يقـول للشيء كن فيكون كما قال ، إنما أمره ، أي أمر الحق تعالى المتكلم عنه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيـكون به تعالى

(الموقف المايه الثالث والستون)

قال تعالى ، واذكر ربك فى نفسك ، أي استشعر وتذكّر معرفة ربك فى شعورك بنفسك ، وتذكرها بمعني اعرف ربك في ضمن معرفتك نفسك فان معرفة الرب والنفس كاللازم والملزوم وأقل ، كالظل والشاخص ، أو قل

كالصورة فى المرآة والمتوجه على المرآة ، وإلي هذا يشير خبر ، من عرف نفسه عرف ربه ، وهذا الخبر وان أنكره الحفاظ وقالوا إنه من كلام أبي بكر الرازي فقد تداوله القوم رضوان الله عليهم في كتبهم وبنوا عليه كثيرا من الحقائق فلعله صح عندهم كشفا ، بل قد صح عندنا شهودا ووقوعا ، وأما رواية وورودا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ، ومعرفة الرب بمعرفة النفس أعلى وأشرف من معرفته بالعقل والعلم ، وأعلى منهما معرفته بالنفس مع الشرع ومعرفته تعالي بالنفس هي التي قطع الصوفية رقابهم فى طلبها ، وضربوا اليها أكباد الابل ، تضرعا وخفية إذا حصلت لك معرفة ربك بمعرفة نفسك ، فعرفت من أنت وما نسبتك ، وإنك الكنز المخبأ تحت جدار الجسم فلتكن حالتك دائما مع هذه المعرفة التضرع والخوف ولا تقل عرفت ووصلت فحسب ، فان المعرفة الحقيقية من لوازمها الخوف والتضرع والاشفاق والانزعاج فمن زادت معرفته زاد خوفه كما قال السيد الكامل صلى الله عليه وسلم ، أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية ، وورد فى الخبر ، إن الخليل عليه السلام كان يسمع لصدره أزيزا كأزيز المرجل عند شدة الغليان من الخوف ، والملائكة الكرام يخافون ربهم من فوقهم وهم من خشيته مشفقون ، فهذه حالة الرسل والأنبياء ، وكمّل الأولياء عليهم الصلاة والسلام ، كلما أمنهم ازداد خوفهم فلا يأمن إلاّ جاهل أو صاحب معرفة وهمية خيالية ، أو صاحب حال ناقص ، كيف وهو تعالى يقول ، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، فعم وماخص ، ودون الجهر من القول ، أي وفوق الاسرار فليكن تضرعك وخوفك وسطا من غير إفراط ولا تفريط فانه كلا طرفى قصد الأمور ذميم ، فالأفضل الاعتدال فى كل الأمور كما قالوا الخوف والرجا كجناحي طائر فمهما مال أحدهما سقط الطائر بالغدو والآصال ، فليكن تضرعك

وخوفك دائمين مادمت متقلبا بين الغدو والآصال ، بمعنى مادمت حيا مكتنفا بالصباح والمساء، فانه لا خلاص من التكليف بما يجب للربوبية على العبودية ، إلاّ بالخروج من الغدو والآصال، وليس ذلك إلاّ بالموت الاضطراري الطبيعي

(الموقف المايه الأربعة والستون)

قال تعالي : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين ، إعلم أن للايمان بحسب هذه الآية ثلاث مراتب، كما أن للتقوى هنا ثلاث مراتب ، فالمرتبة الأولى الايمان بالأشياء الغائبة عنا زمانا ومكانا ،مثل الايمان بيوم القيامة والجنة والنار والدجال ويأجوج ومأجوج ، ونحو هذا فهذه المرتبة في الايمان لا تنكرها العقول الانكار الكلي وتهرب من التصديق بها، فلربما جعلتها في حيز الامكان ، فقبلتها النفوس، المرتبة الثانية الايمان بالاشياء الحاضرة معنا زمانا ومكانا ، كالايمان مثلا بنزول جبريل عليه السلام على رسول الله صلي الله عليه وسلم، ونحن جالسون معه الى جنبه، وهما يتكلمان ويتحاوران ونحن لا نسمع ولا نرى ، وكالايمان بالملائكة الذين يتعاقبون فينا بالليل والنهار ، وكالملائكة الحفظة الذين هم ملازمون لنا دائما ونحو ذلك ، فهذه المرتبة تنكرها العقول وتشمئز منها النفوس ، كيف تكون أجسام متكلمة سميعة بصيرة حاضرة معنا بين أيدينا ولا حائل بيننا وبينها ولا نبصرها ولا ندركها ولا نحس بها، فهذه المرتبة الايمان بها أعلى مما قبلها ، لكون العقول تنكرها وتستبعدها ، ومن هنا أنكرت الحكماء الملائكة والجن ، وأنكرت المعتزلة الجن ، وقالوا اذا اجتمعت شرائط الابصار الثمانية لا بد من الابصار ، المرتبة الثالثة الايمان بما يجمع الضدين من جهة واحدة لا من

جهتين مختلفتين، فيكون عينهما كالحق تعالى فانه الأول، الاخر، الظاهر، الباطن، الغيب الشهادة، الشاهد الشهود، ونحو ذلك، كـكونه معنا أينما كنا. وأينما تولينا، فثم وجهه، فهذه المرتبة الايمان بها أعلى وأشرف من المرتبتين قبلها، فالايمان بها صعب جدا علي العقول حتي على المؤمنين بالمرتبتين الأوليتين، فكيف بغيرهم، ولهذا تري علماءنا علماء الظاهر من المتكلمين وغيرهم، لا تطمئن قلوبهم الى الايمان بهذه المرتبة حتي يؤولوها فتقبلها عقولهم، وأما مراتب التقوي فالأولي أن يجعل نفسه وقاية للحق تعالي، فينسب كل صادر منه من خير وشر الي نفسه فيفرح بطاعته ويحزن لمعصيته، وهو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم، المؤمن من سرته طاعته وساءته معصيته، وهذه مرتبة العباد والزهاد الذين خرجوا من الدنيا وقلوبهم مشحونة بالأغيار فما برحوا من الشرك الخفي فانهم يرضون عن نفوسهم ويثيبونها اذا صدرت منهم الطاعة، ويغضبون عليها ويعاقبونها اذا صدرت منهم المعصية، وماذلك الا لشهودهم صدور أفعالهم من نفوسهم، المرتبة الثانية أن يجعل الحق تعالي وقاية لنفسه فى الخير والشر، فينسب الكل الى الله تعالي، يقول، قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا، يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك، والله خلقكم وما تعملون وهذه مرتبة علماء الظاهر أصحاب التوحيد العقلي، المرتبة الثالثة أن يجعل نفسه وقاية للحق تعالى فى الشر فينسبه لنفسه أدبا وتفتيا لا فعلا، قال السيد الكامل معلم الأدب صلي الله عليه وسلم، والخير بيديك، والشر ليس اليك، وقال تعالي، بيدك الخير، ولم يقل والشر تأديبا لنا وتعليما، ويجعل الحق تعالى وقايته فى الخير فينسب الخير اليه تعالى حقيقة وإيجادا، ولذا قال الخليل عليه السلام، واذا

مرضت فهو يشفيني ، فجمع بين النسبتين ، نسبة المرض لنفسه ، ونسبة الشفاء الي الله تعالى ، وقد برقت لمعتزلة بارقة من هذا الأدب ، وما عاودتهم فضلوا ، قالوا بنسبة الخير الى الله تعالى فاحسنوا ، وقالوا بنسبة الشر الى العبد خلقا وإيجادا ، فأساءوا، هكذا نقله المتكلمون عنهم والله أعلم بحقيقة الحال ، فان الظن بهم أنهم لا يصلون الي هذا الحد فينسبون الخلق للعبيد المخلوقين ، وهذه المرتبة الثالثة مرتبة السادة العارفين ، الذين خصهم الله تعالي باكتساب الآداب ؛ وهم الذين اتقوا واحسنوا بدخول مرتبة الاحسان ، فحصلوا على محبته تعالي للمحسنين ، فان الله يحب المحسنين ، وهي المرتبة الثانية من مراتب محبة الله تعالى لعباده ، وجاوزوها الى المرتبة الثالثة من مراتب المحبة ؛ وهي مرتبة فاذا أحببته كنت سمعه وبصره .

(الموقف المائة الخامس والستون)

قال تعالى ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، أكثر الناس الكلام فى التوكل وأسدها أنه ثقة القلب ؛ وحصول الطمأنينة بوصول القسمة الأزلية للعبد ، بحركة أوسكون ، من خير وشر ونفع وضر ، دِنيا ودُنيا وآخره ، قليلا أو كثيرا مؤقتا محدودا بزمانه ومكانه وليس هذا الا من مقام الايمان بانه تعالي لا يخلف وعده فى قوله ، وما من دابة فى الأرض الا علي الله رزقها ونحو ذلك ، وأما العقل مجردا عن الايمان فانه لا يعطي التوكل ، بل يجوز أن الله يرزق عبده وأن لا يرزقه من حيث أنه تعالى لا يجب عليه شيء لأحد فليس التوكل الا الثقة والطمأنينة لا ترك الأسباب ، مع الشك والاضطراب ، فليس هذا من التوكل المطلوب فى شيء ، ولو كان ترك السبب والحركة توكلا

للزم اذا وضع الخبز بين يدى هذا المتوكل أن لا يتناوله ويرفعه الى فيه ، فان هذا سبب وحركة لوصول الخبز الي بطنه ، وإذا وضع الخبز فى فيه يلزمه أن لا يمضغه ولا يحرك لسانا ولا غيره ، فانها كلها أسباب لوصول الرزق الي البطن ، وما اعتني القوم رضى الله عنهم بمقام التوكل وعدّوه من رؤس المقامات وتكلفوا ترك الاسباب ، الاّ ليحصلوا على الثقة وعدم الاضطراب عند فقد الأسباب وهذه هي الثمرة والنتيجة لما تكلفوه ، إذ المقامات لا فائدة فى أعيانها ، وإنما الفائدة فى ثمراتها فاذا حصلوا علي الثمرة رجعوا الي استعمال الأسباب العادية والحركات المعهودة لحصول ما يطلبون ، كسائر الناس فطلبوا وأجملوا فى الطلب ، فاذا لم يحصل المطلوب قالوا ، لو شاء الله لكان ، فلا يقول بترك الأسباب الا صاحب حال أو جاهل بالطريق وبالسنة ، فتارك السبب مع التمكن منه مأزور بترك الحكمة وتعطيل صفة من صفاته تعالى ، فمن نظر الى باطن العارف وجده جبلا لا يتحرك ، ثابتا لا يتمدك ، ليس له نظر الى الأسباب ولا عبرة له بها ، ومن نظر الي ظاهره رآه كالطائر من غصن الى غصن ومن شجرة الى شجرة ، فهذا سيد العارفين وأمام المتوكلين صلي الله عليه وسلم ، جنّد الاجناد وظاهر بين درعين ، وحفر الخندق ، وأدخر قوت سنة ، وتداوى واحتجم ، واكتوى ، وما ترك سببا الاّ فعله ، قال تعالى ، وما أرسلنا قبلك من المرسلين الاّ أنهم ليأكلون الطعام ، ويمشون فى الأسواق ليبيعوا ويشتروا ، وقال ، ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية الاّ من أقامه الحق تعالى فى مقام التجريد وعسر عليه الاسباب ، بحيث أنه لا يجد اليها سبيلا ، ولو سعى فهذا كامل ، ولو ترك الاسباب وكذلك الزهد يتصوره عوام أهل الطريق علي غير وجهه ، وإنما هو صرف القلب عن الرغبة

فيما سواه تعالى وفيما سوى ما يقرب اليه لا غير ، فان ما يزهد فيه ، أما أن يكون من نصيب الزاهد وقسمته أولا ، فاذا كان من قسمته تناوله أحب أم كره ، ولا يندفع عنه ولو استعان بأهل الأرض والسماء ، وأما أن لا يكون مقسوما له فزهّد فيما ذا أيزهد فى قسمة غيره ، فما قدر لفكيك أن يمضغاه لا بد أن يمضغاه ، وعند ما ورد الوارد بهذا الموقف ، ترددت فى تقييده وقلت فى نفسي لا كبير فائدة فيه لاخواني وبعد زمان يسير حضرت لي أكله فى غير زمانها ومكانها ، كنت عزمت وجزمت قبل ذلك إني لا آكلها ، وحين حضرت حصل لى يقين بأنها من رزقى بقرائن أحوال دلت علي ذلك فقلت صدق الله وكذبت ، وقيدت هذا الموقف وعلمت أن هذا تأديب ، فليعرف العبد العاجز الجاهل منزلته ويفوّض أمره الى من يخلق ما يشاء ويختار ، ويترك التدبير معه والاختيار

(الموقف المائة السادس والستون)

قال تعالى ، وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ، وجوه ناضرة ناعمة مسرورة منبسطة تلوح عليها شواهد الفرح ، فانه لما كان الوجه هو العضو الذي يقابل به الانسان الأشياء ، جعله الحق تعالى ببديع حكمته ، ووسيع رحمته ، مثل المرآة تظهر فيه الأحوال القلبية والأمور الوجدانية المعنوية ، التى لا يمكن لصاحبها أن يعبر عنها بعبارة تصورها لغيره بل هو لا يتصورها فان الفرح والحزن ، والقبض والبسط ، والحياء والوقاحة ، والحب والبغض ، ونحوها من الأمور التي لا تصورها العقول ، جعلها الحق تعالى تظهر فى مرآة الوجه فيحكيها الوجه ويخبر عنها ، من غير سؤال ولا حرف ، ولا صوت ، والنعيم واللذة والفرح ، وإن تعددت مظاهرها فمرجعها الي

زوال الحجاب ، ورفع النقاب : ولذلك عقب تعالى بقوله ، الى ربها ناظرة ، أي أنها كانت ناضرة ناعمة مسرورة بنظرها الي ربها . برفع الحجاب بينه وبينهـا فتمتعت برؤياه ، وشميم رياه ، ونظـرها الى ربها لا يكون الاّ من وراء مظهر صوري ، أو معنوي ، دنيـا وأخـرى ، فان الرؤية بغـير مظهر محال

كالشمس يمنعك اجتلاؤك نورها فاذا اكتست برقيق غيم أمكنـا

يعني لا بد فى الرؤية من حجاب والحجاب أمر معنوي لا عين له قائمة ، وإنما هو معني قائم بالصور الجسمية أو الجسمانية أو المعنوية ، فليس المراد من رفع الحجاب رفع أعيان الصور ، بل رفع المعنى القائم بها فانه الحجاب فاذا ارتفعت الحجابية من الأعيـان ، صارت كلها مرايا لرؤية وجه الحق تعالي فيها وهي على حالها ، ماتغير منها شيء فى الظاهر فكما كانت الحجابية قائمة بها ، تصير المرآئيه قائمة بها ، فيرى الحق فى كل مايرى كما أنه كان يحجبه عن الحق كل مايرى ، فسبحان الحكيم القهار ، فليعرف الطالب من الله تعالي رفع الحجاب مايطلب فانه إنمـا يطلب رفع المعنى الحاجب ، لا رفع الأعيان حتى لا يكون جاهلا بما يطلب ، فان الأعيان لا ترتفع ولو ارتفعت ماكانت رؤية لأنها مرايا رؤية الوجه ، والانسان لا يرى وجهه بغير مرآة ونحوها أبدا ، وإن عينك ونفسك من أعظم الحجب ولا تعرف ربك إلاّ بها حين تزول حجابيتها وتصير مرآة ، فلو إرتفعت من ذا الذي يرى ، فاذا كنت فى حجاب فليس الحجاب ماترى ، وإنما الحجاب ما لا ترى ، فاذا زال الحجاب فليست المرآة ما تري إنما المرآة ما لا ترى ومع هـذا لابد من الصورة فى حالة الحجاب وحالة الرؤية ، فان قلت سمي الحجـاب قائم بالمحجوب ، صح لك ذلك ، وإن قلت الحجاب

لا قائم بالمحجوب ولا بالمحجوب عنه ، صح لك ذلك ، وقال الي ربها ناظرة ، أي ربها المضاف اليها إضافة إختصاصية ، لا رب غيرها فان أحدا لا ينظر الاّ ربه ، دنيا وآخرة ، ولا يعرف إلاَّ ربه ، فان دائرة مرآة الربوبية واسعة ، فلا يأخذ أحد منها الاَ ما يخص صورته ، فلا يري الاَ استعداده أي حقيقته ، وهو ربه ، ولذلك يعبّر بعضهم عن هذا المعني بأن أحدا لا يرى إلاّ نفسه فافهم واعرف ، والرؤية البصريه فى الآخرة تابعة للعلم فكل من كان علمه فى الدنيا أتم ، كانت رؤيته فى الآخرة أوسع ، وأوسع المرايا مرآة السيد الكامل صلى الله عليه وسلم ، كما أن المشاهدة فى الدنيا تابعة للعلم ، فلا يشاهد المشاهد في الحق تعالى إلا صورة علمه ، سواء كانت المشاهدة فى مرآة نفسه أو فى مرآة غيره ، وأكثر من هذا البيان ما أظنه يوجد فى كتاب ، والقوم رضي الله عنهم ما فرقوا بين الرؤية والمشاهدة ، كما هو مقتضى الوضع اللغوي إلى أن جاء الشيخ محي الدين رضي الله عنه ، ففرّق بينهما تفرقة اصطلاحية له ، فقال المشاهدة لابد أن يتقدمها علم بالمشهود ، بخلاف الرؤية فلا يشترط أن يتقدمها علم بالمرئي ، فكل مشاهدة رؤية ولا ينعكس ، يريد أن المنظور اليه إذا لم يتقدم للناظر علم به ، فان هذا يسمى رؤية لا مشاهدة ، ولا يقع في هذا إقرار ولا إنكار ، وأما إذا تقدم للناظر علم بالمنظور فانه يسمى مشاهدة ورؤية ، ويقع فيها الاقرار والانكار ، ولذا وقع الانكار من أهل المحشر ، لأنه تقدم لهم علم بربهم ، وهي العقائد التي كانت لهم فى الدنيا فلو لم يتقدم لهم علم به ما أنكروه ، فكانت رؤية مثلا إذا حضر عندك إنسان ما كنت تعرفه ولا بلغك شيء من أوصافه وأحواله ، وقيل لك هذا فلان ، فلا يتصور منك إنكار له ولا إقرار به ، فتكون

هذه رؤية لا مشاهده وإذا كان إنسان آخر كنت تسمع باسمه وتبلغك أخباره وأوصافه وأحواله ، حين تصورت فى خيالك صورة له من سماع أوصافه وأحواله ، ثم حضر عندك وقيل لك هذا فلان الذي كنت تسمع بأوصافه وتبلغك أخباره ومناقبه ، فانك إذا وجدته على الصورة التي تصورتها أقررت به ، وإن وجدته على خلافها أنكرته ، فهذه رؤية ومشاهدة ، وانظر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى مايقع من التجلي في الآخرة رؤية ، وهو أيضا مشاهدة كما علم مما مر ، ومحصّل هذه التفرقة إنما يكون بالنسبة إلي المتجلي له فان كان ممن علم الحق تعالى فى معتقد ، وصوّره بصورة ، واعتقد أنه لا يتجلى تعالى بغير تلك الصورة التي اعتقدها ، فهذا إذا تجلى له الحق تعالى بغير تلك الصورة أنكره ، وإذا تجلى له بتلك الصورة أقرّ به ، فهذه الحاله تسمى عند الشيخ رضي الله عنه مشاهدة ، ويقع فيها الاقرار والانكار ، ويشترط فيها تقدم علم بالمشهود وأما إذا كان المتجلي له ممن عرف الحق تعالى بالاطلاق ، فهو لا يحكم عليه بصورة خاصة ، فهو لهذا لا ينكر الحق تعالى في أي صورة تجلى له ، فهذه الحالة تسمى رؤية ولا يكون فيها إقرار ولا إنكار ، ولا يشترط فيها تقدم علم خاص بالمتجلي ، فكل مشاهدة رؤية ، إذ ليس المتجلى الاّ الحق تعالى فى حال الاقرار به والانكار له ، وما كل رؤية مشاهدة ، إذ المشاهدة يقع فيها إقرار وإنكار ، لشرط تقدم علم بالمشهور ، قال بعض العارفين ، الحق يشهده كل أحد ، ولا يراه الاّ القليل

(الموقف المايه السابع والستون)

قال تعالي ، وإذا قرىء القرآن لأنفسكم أو قرأه غيركم لكم ، وهذه هي

النكتة فى بنائه للمجهول ، فاستمعوا له وأنصتوا ، على أنكم تستمعونه من الله ، فالكلام كلام الله ، والمتكلم به الله ، وعلى أن سامعه هو الله ، فانه المتكلم والسامع من كل أحد ، عرف أو جهل ، فاذا كان المستمع هو القارىء يكون كمن تحدثه نفسه وهو يستمع حديثها . فسامع القرآن بهذه الطريقة يأتمر لأوامره ، وينزجر لزواجره ، ويتعظ بمواعظه ، ويتيقظ لاشاراته ، وحينئذ تكون رحمة هذا المستمع محققة واجبة الحصول ، لأن لعل من الله واجبة ، كما قال العلماء ، وأما إذا سمعه بغير هذه الطريقة فلا يكون داخلا تحت هذا الوعد الكريم فلا تكون رحمة محققة ، وإذا كان القارىء غير المستمع فربما كان لا يسمع منه إلاّ نغماته وتمطيطه ، وحسن صوته فلا يدرك المعاني فضلا عما وراءها ، وإذا كان هو القاريء ، فلربما كان ممن قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رب قاريء والقرآن يلعنه ، يقول لعنة الله على الظالمين ، على الفاسقين ، على الكاذبين ، وهو منهم فمن أراد الحصول علي الكنوز فليكسر الاقفال يظفر بما وراءها

(الموقف المايه الثامن والستون)

قال تعالى ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّابا رحيما، ولو أنهم إذظلموا أنفسهم بارتكاب المنهيات الشرعية،وترك المأموريات الآلهية، جاءوك أي جاءوا الى طريقتك وسننك حيّا كنت أو ميتا ، عازمين على ترك ماكانوا عليه من المخالفات تائبين ، مجيء انقياد واتباع لك ، فى الأقوال والأفعال والأحوال ، فاثمر لهم ذلك كشفا عن بصائرهم فنظروا الأشياء كماهي،وعرفوا الحقائق على ماهي عليه، فاستغفروا الله إذ حصلوا علي هذا الكشف،فقداستتروا بالله أي صار غفرا لهم ، والغفر

الستر ، وتبدّلت نسبتها اليهم بنسبتها اليه تعالى ، كما هو الأمر في الواقع لأنهم عرفوا أن ما كان منهم إنما هو مقتضى استعداداتهم ، واستعداداتهم إنما هي صور الأسماء الآلهية ، والأسماء الآلهية إنما هي صور الذات العلية ، فاستتروا واستغفروا بالذات فدخلوا كما تدخل تحت الشخوص الظلالات ، حيث رجع الاقتضاء والفعل للذات ، فليس القضاء والحكم إلاّ ما اقتضته لذاتها الذات ، وحكمت به واستغفر لهم الرسول حيا وميتا ، طلب الستر لهم بالوصول الى هذه الدرجة العليا ، وذلك بامداده وارشاده صلى الله عليه وسلم حيا وميتا ، لوجدوا الله توابا كثير الرجوع من الغضب الى الرضى ، ومن النقمة الي الرحمة ، فينسخ ما شاء بما شاء ، ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ، فيسمى ما كان سماه معصية شرعية ، طاعة إرادية أمرية ، ويبدل السيئة بالحسنة ؛ أولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات ، وسبب هذا هو الحصول على ما ذكرنا ، فان الواصل الى تلك المرتبة لا يشقى ، والتبديل إنما يقع على الصورة والحكم ، فالسيئة الكبيرة تبدل حسنة كبيرة ؛ والسيئة الصغيرة تبدّل حسنة صغيرة ، وقد ورد في الخبر أن صاحب هذا المقام يقول يارب إن لي سيئات مالى لا أراها هاهنا ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

(الموقف المايه التسعة والستون)

قال تعالى ، ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، التي هي الله حقيقة فالكل من الله ، قل كل من عند الله فلا غيرية ، ولا سوائية ، وإنما غاير بينهما ليعلمنا الأدب القولي الذي يدركه العام والخاص ، والجاهل والعالم ، لا الأدب الاعتقادي ، فانه لن يصيبنا الاّ ما كتب الله انا ،

لا علينا ، إذ كل ما كتبه فى اللوح إنما هو ماعلمه منا ، وذلك مقتضى استعداداتنا التي هي نفوسنا فلذلك كان لنا لا علينا ، هو مولانا المنفرد بالخلق ، والايجاد للخير والشر ، والنفع والضر ، فهو الله فى مرتبته العلية الآلهيـة ، الظاهر بالنفس ، فى مرتبته النفسية ، وهو هو فالنفس ما هي شريرة ولا خبيثة ، بل نزيهة طاهرة وإنما هي منفذة الخبث بحسب القضاء الأزلي والحـكم الآلهي بالجسم ، فلا يحمد الانسان بالخير والشر الا نفسه التي ليست مغايرة للحق تعالى الا بالاسم والحـكم لا بالحقيقة فلا يحمد شيء شيئا غيره ، وإنما المدد صادر من باطن الشيء الي ظاهره ، خيرا وشرا ، وظاهر الشيء صورته الخارجيـة ، وباطنه هو صورته الاسمائية ، فلا يلوم أحد الا نفسه ، ما دام جاهلا بحقيقة الحال ، فاذا علم وجـد ما ظنه غير ملائم لنفسه ، ملائما ومطلوبا لها ، بل لا تقبل غير ما حصل لها

(الموقف المائة والسبعون)

قال تعالى ، إن الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء ، الحق تعالى تارة يكلم عباده من مرتبة الفرق والفرقان ، وتاره يكلمهم من مرتبه الجمع والقرآن ، فمن الأول قوله ، أفمن يخلق كمن لا يخلق ، هل من شركائـكم من يفعل من ذلـكم من شيء فنعم القادرون أحسن الخالقين ، اعملوا فسيرى الله عملـكم بما كنتم تعملون تفعلون تـكسبون أقيموا الصلاة ، آتو الزكاة ، لا تقربوا الفواحش ، لا تقتلوا النفس ، ونحو ذلك فان الآمر الناهي لا يأمر نفسه ولا ينهاها ، وفى الثاني قوله فلم تقتلوهم ولـكن الله قتلهم يعذبهم الله بأيديكم ، إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، إن الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء ، هو غير الله إذ لا غير له تعالى فما تدعون من دونه من

شيء ، أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ، له وجودا وهو الغير والسوا ، فما تدعون من الأصنام ، والشركاء ، والأرباب والوسائط والأسباب ، كل ذلك هو الله فما دعوتم في دعائكم أياهم الا الله سبحانه وتعالى عما يشركون ، في اعتقاد غيرية شيء له تعالى في الأرض أو في السماء

(الموقف المائة واحدوالسبعون)

قال تعالي ، إن المتقين في جنات ونهر ، الآية التقوي جنس تحته أنواع وأصناف ؛ والمتقون هنا هم الذين اتقوا حقيقة التقوي ، فأل في المتقين للكمال ، جعلوا وجوده تعالى سترا لهم ، مزقوا حجب الأكوان والأسماء والمراتب ، الى أن وصلوا الى عين حقيقتهم ، فكانوا متقين بها ، وكانت لهم مجنا من دون كل متقًى في جنات ، ستور غابوا من ورائها فكانت دونهم وهي أستار الأكوان والأسماء ، فهم العرائس المخدرات ضنائن الله من خلقه لا يراهم الا محرم من حيث ظواهرهم ، وأما من حيث بواطنهم فلا يراهم الا الله ؛ فانهم لا يبدون من زينتهم التى هي الخصوصيات الالٓهية ، والكرامات العلمية العرفانية ، الا ما ظهر منها ؛ وهم الذين دعاهم ربهم الى دخول جنته ، وهي ذاته لسابق عنايته بقوله القديم ، يا أيتها النفس المطمئنة أدخلي جنتي ، ونهر سعة وإطلاق وقضاء لا حد ولا قيد ولا حصر ، ما حدتهم حدود الأكوان ، ولا قيدتهم قيود الأسماء والصفات ، ولا حصرتهم المراتب ، جاوزوا القضاء والقدر ، فلم يكونوا تحت حكمه بل القضاء والقدر تحت حكمهم ، في مقعد صدق ، الاضافة بيانية في المقعد الذي هو الصدق ، بمعني الحق الثابت وهي كناية عن القرب الذي لا يتصور قرب بعده ،

كقوله زيد مني مقعد المقابلة وكل قرب قبله فليس بمقعد صدق : أي ليس بمحل الحق الثابت إذ يجوز الانتقال عنـه الأ هـذا فانه محل قعود وثبوت لاحركة منـه ، وانه الغاية القصوى للطالبين ، وهو الموطن الأعلى محل الحقائق حيث لا موطن ولا محـل ، بل شيء واحد لامغايرة ولا ممايزة ، فمن وصل الى هذا فقد وصل مقعد الصدق عند مليك مقتدر ، والعندية في حق هؤلاء المتقـدمين مجاز ، بل لهم العينية لا العندية ، آه آه ، ولولا لجام الشرع قلت ما لم يقل

ولـكن لجام الشرع أحكم حكمة   لذاك تراني حائما ومموها

باية لفظة تناسب حكمتى ، ومن لم يصل الى هذا الذى نقول عنـه بنفسه : فمن المحال أن يوصله اليه غيره ، فان المخبر ولو بالغ فى الايضاح والبيان غاية ما يمكن لا يزيد السامع الجاهل رأسا الأ حيرة وابهاما ، لأن الالفاظ وضعت للمعاني المتواضع عليها بين المتكلم والمخاطب فيتكلم المتكلم بما في نفسه فيعرفه مخاطبه ، والمعانى ليست بمحصورة بخلاف الألفاظ فانها محصورة متناهية فى كل لغة ، فاذا كان المعنى مما لم يوضع له لفظ يدل عليه فيحتاج المتكلم في إفهام مخاطبه ما فى نفسه الى أن ينظر فى الالفاظ المعروفة للمخاطب ، ما يقارب أو يناسب بالمجاز أو الاستعارة أو الكناية أو نحو ذلك ، فيعبر له به عن مراده وربما يكون المخاطب لا يلتفت ذهنـه الى ذلك المعني المـراد المعبّر عنه بالمجاز ونحوه ، أو يكون لذلك المعنى لفظ عند المتكلم يدل عليه ولـكن المخاطب لا علم له بذلك فيكون مثل العربي مع العجمي فيبقى ذلك المعنى كنزا مطلسما أو كنزا ضـاع مفتاحه ، والباب مردوم ولـكن فى الأخبار فوائد على كل حال فلربمـا يكون السالك قارب الوصول اليـه

فيشم رائحته بسبب ما وصله من الخير فيجد في الطلب وربما وصله فيتيمن أنه هو الذي كان سمع خبره وربما أفاد الأخبار السامع تشوقا فانبعثت همته فان النفوس مجبولة على حب التشبه باهل الكمال فيما كان كمالا عندها

(الموقف المايه الثاني والسبعون)

قال تعالى ، يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها ، وورد في الأخبار الصحيحة أن ذلك اليوم هو يوم طلوع الشمس من مغربها ، فاعلم أن هناك شمسا حقيقة ، وشمسا مجازا ، وكلاهما بطلوعه من مغربه يغلق باب التوبة ولا ينفع نفسا إيمانها ، فاما الشمس مجازا فهو الكوكب النهاري الذي هو معدن الأنوار الحسية وطلوعه من مغربه وما يتبع ذلك مشهور عند الجمهور ، وأما الشمس حقيقة وهي أصل الأنوار الحسية والمعنويه ، كما قال ، الله نور السموات والأرض ، فطلوعه من مغربه هو انكشافه ، وإشراقه من محل غروبه واحتجابه واستتاره ، وهي النفس فانها حجاب شمس الحقيقة ومغربها : وطلوعها من مغربها الذي هو النفس معرفتها منها ، من عرف نفسه عرف ربه ، فصار المغرب مطلعا ومشرقا ، وهذه الآية أعظم من كل آية ، ولا مغيب لشمس الحقيقة بعد طلوعها من مغربها : فان مغربها هو الذي كان يحجبها ويسترها ، وقد صار هو مشرقها ومطلعها فلا مغيب لها أبدا ، كما قيل ان شمس النهار تغرب بالليل ، وشمس القلوب ليست تغيب ، وحينئذ يغلق باب التوبة المعروفة عن هذا الذي طلعت عليه الشمس من مغربها ، لأن التوبة رجوع ، والذى طلعت عليه شمس الحقيقة من مغربها إلي من يرجع ، فانه انكشفت له المعية الآلهية ، والاحاطة الربانية ، فلم يكن له من

يرجع اليه ، فقد انمحقت الأغيار ، واتحدت الأنوار ، فلم يبق إلاّ الله الواحدالقهار ، له الحكم واليه ترجعون ، فهذا قد رجع فى الدنيا قبل الآخرة ، وقامت قيامته ، بل تلزمه التوبة من التوبة المعروفة عند العموم ، فانها قد صارت بالنسبة لصاحب هذا المقام خطأ وذنبا وجهلا ، إذ حسنات الابرار سيئات المقربين ، ولا ينفعه إيمانه حينئذ ، فان نفع الايمان حالة الحجاب قبل الشهود والعيان ، وطلوع الشمس التى لا يحتاج معها برهان ، فاذا صار الغيب شهادة ، والخبر معاينة ، لا ينفع نفسا إيمانها ، وإنما ينفعها شهودها وعيانها ، فتتبدل أحوالها ونياتها ومقاصدها ، التي كانت لها حالة إيمانها ، إلى أحوال ونيات ، ومقاصد غيرها أعني تتغير أحوالها الباطنة ، وأما الظاهرة فلا يتغير منه ولا قلامة ظفر ، بل يبقى على أحواله الظاهرة المرضيه شرعا ، وعلي طريقته الممدوحة عرفا وطبعا ، وعلى حرفته المباحة المناسبة لحاله ومقامه عند أمثاله ، هذه حالة العارفين بعد فتح باب المعرفة لهم ، وطلوع الشمس لهم من مغربها ، وغير هذا تصنع ولأن يلقى العبد ربه بجميع الذنوب سوى الشرك ، أهون من أن يلقاه بذرة من التصنع للخلق

(الموقف المايه الثالث والسبعون)

قال تعالى ، فاعلم أنه لا إله إلا الله ، أمر تعالى نبيه صلى الله عليه سلم بالعلم فى معرفة ألوهيته ونحن مأمورون بأمره اتباعا له ، والعلم على أصح الحدود ، كما قال المتكلمون صفة ينكشف بها المعلوم على ماهو عليه انكشافا لا يحتمل النقيض أو حصول صورة الشيء فى النفس ، علي ماقالت الحكماء وعلى كل فالحاصل من النظر الفكري فى حق الآله تعالى ماهو علم فان من المعلوم تواترا إن أكابر المتكلمين فى التوحيد بالنظر العقلي يعتقد أحدهم

المسئلة فى جانب الآله عشر سنين مثلا أو عشرين ثم يبدو له بطلانها ، بل يعيش أحدهم مدة عمره علي عقد فى جانب الألوهية وقبل موته بيسير يبدو له خلافه فيرجع عنه، ومايدريه أن جميع ماعقده فى جانب الآله كذلك، فلو كان الحاصل لهم علما ، ما كان احتمل هذا وحيث كانت إدراكاتهم فى الجانب الآلهي تحتمل النقض والتشكيك اختلفت مقالاتهم ولعن بعضهم بعضا وكفر وخطأ بعضهم، فالآله الذى عرفه الأشعرى غير الآله الذي عرفه المعتزلي، غير الآله الذي عرفه الظاهرى، غير الآله الذى عرفه الحكيم الفيلسوفي ، وعليه فمازعموه علما بالله ليس بعلم ، بل هو تخيل وتوهم ، فالحاصل لهم إدراك ومن أفراده التوهم والتخيل ، فالعلم بالله إذاً فيما جاءت به الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لهذا ما اختلفوا فى آلههم ولا لعن بعضهم بعضا ولا خطا بل علمهم بالله واحد وأمرهم جميع كما قال شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا ، والذى أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، فالدين هو توحيد الآله وإقامته هو الاخبار عنه بما أخبرهم به تعالى عن نفسه مما تحتمله البشرية من نعوته وأسمائه فالآله الذى عرفته الأنبياء والرسل واتباعهم غير الآله الذى عرفته جميع الطوائف الناظرة بعقولها، وموازين أفكارها إسلامية وغيرها ، فان آله الرسل والانبياء عليهم السلام مع أنه ليس كمثله شيء يجيء وينزل ، ويهرول ويسعى ، ويضحك ويتبشبش ، وله قدم ووجه : وجنب وعين ، وأعين ويدان وأيدى ، ويجوع ويمرض ، وهذا الآله لاتعرفه جميع الطوائف ، ولا تصدق بوجوده بل تفكر ماجاءت به الرسل من نعوته إن كانت كافرة ، وتؤوله إن كانت مسلمة ، حتى ترتضيه وتقبله عقولها ، فاذاجاء رب الاشعري إلى المعتزلي أو الظاهري ،

أو الحكيم وقال لهم ، أنا ربكم قالوا نعوذ بالله منك لست أنت ربنا ، وهذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاءنا ربنا عرفناه ، وهكذا كل طائفة إذا جاءها رب الأخرى تعوذت منه وأنكرته ، وذلك لأن أرباب أصحاب العقول مقيدة محدودة محصورة تحت أحكام العقول ، فلا تعطيها العقول السراح ولا تطلقها من قيودها ، حتى تضحك أو تهرول ، أو تجوع أو تتحول من صورة إلى صورة ، ونحو ذلك بخلاف رب الرسل والأنبياء ومن تبعهم فانه مطلق لا قيد ، ولا حصر ، ولا حد ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، إن الحكم إلا لله ، فيتجلي كيف شاء بما شاء لمن شاء ، وله أن يفعل جميع ما امتنعته منه العقول مما نعتته به أنبياؤه ورسله ، مع أنه ليس كمثله شيء فانهم ما نعتوه الا بعلم وأذن منه ، ورب الأنبياء والرسل ومن تبعهم لا ينكره أحد منهم ، إذا قال لهم أنا ربكم ، بل لا ينكرون أرباب الطوائف كلها فانهم عرفوا الرب المطلق الذى يحكم ولا يحكم عليه ، فمن نظر بعين الانصاف ورمى التقليد أو التعصب والاعتساف ، عرف الحق فعرف أهله ، أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، فمن أراد معرفة آله الرسل والأنبياء ومن تبعهم عليهم الصلاة والسلام ، فليتبع سنتهم ، ويقف عند حدودهم التي حدوها ، ويقتد بهم ظاهرا وباطنا ، ويستعمل الأسباب التي وضعها كمل العارفين الداعين عباد الله تعالى إلى معرفته على طريقة الأنبياء ، فليواظب عليها فانه لا سبيل إلى معرفة الله المعرفة المطلوبة منا إلا بهذه الطريق لا بغيرها من الطرق العقلية أو الرياضية ، على غير طريق الرسل وسنتهم اللهم أني قد بلغت النصيحة فأنا لكم ناصح أمين ، وما أسألكم عليه من أجر ، أنا النذير العريان ، ولا خبر بعد عيان

(الموقف المايه الأربعه والسبعون)

قال تعالى ، أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ، الآية ، نفي وإنكار على من يتقي ويخاف غير الله ، ويرى نعمة الله من غيره تعالى فيرجو ، وإذا مسه الضر ، جئر إلى الله كما يجأر للبعيد من الغائب عنه ، فاذا كشف الضر عنه أشرك به ، ونسب الكشف إلى غيره تعالى ، وفى الآية حذف من الأوائل لدلالة الأواخر ، وحذف من الأواخر لدلالة الاوائل ، فهي فى التقدير أفغير الله تتقون ، وما بكم من ضر (١)وشر فمن الله ، أفغير الله ترونه منعما فترجونه ، وما بكم من نعمة فمن الله ، أنكر عليهم تعالى جهالتهم وكشف لهم ضلالتهم ، أن يتقوا ويخافوا مخلوقا ، مع اعتقادهم أنه غير الله ، فان غير الله لا يملك ضرا فلا يتقي ، مع أنهم في نفس الأمر ما اتقوا الا الله ولكن التبس عليهم الأمر اذ لا غير أصلا لوحدة الحقيقة ، والغيران أمران وجوديان لا اشتراك بينهما فى صفة النفس ، وهذا شيء لا وجود له فى مشرب التحقيق ، فالاغيار أوهام وتخيلات ، لأن الوهم من حقيقته أن ينزل النسب والاعتبارات والاضافات التى لا وجود لها ، منزلة الحقائق المعقولة والمحسوسة ، فجهلوا جهالتين ، جهالتهم بالله وعدم معرفته ، وجهالة اتقاء الغير مع اعتقادهم أنه غير ، ولو عرفوا لاتقوا الله فى مظاهر أسمائه الانتقامية ، وهي مقدراته ، ومصوراته ، ومكوناته ، التي جعلها محال لأن يخلق الضر عندها وبها ، وما بكم من نعمة فمن الله ، كما اتقيتم غيره تعالي مخافة ضره بأوهامكم العاطلة ، كذلك رأيتم نعمه عليكم من غيره فرجوتموه طمعا فى نعمه ، وتوهمتم أن النعمة الواصلة اليكم بواسطة مظاهره تعالى هي

---

(١) لعله ـ خير

من غيره كلا وحاشا، ما بكم من نعمة فمن الله لا من غيره، إذ غيره تعالى لا يعطي ولا يمنع، ولا يضر ولا ينفع؛ ثم إذا مسكم الضر، حيث ما نفعكم اتقاء من اتقيتموه فأوصل اليكم ضره وشره؛ على اعتقادكم. أو خاب رجاؤكم فيمن رجوتموه فما وصلتكم منه نعمة؛ جأرتم الى الله بالتضرع والدعاء جؤار الجهلاء ودعوتموه برفع أصواتكم دعوة الجفلاء لأنكم توهمتم بعده منكم، وانفصاله عنكم وهو أقرب اليكم من جلسائكم؛ ومن حبل وريدكم بل أقرب اليكم من أنفسكم؛ فاذا أجاب دعاءكم وكشف الضر عنكم. مع هذه الجهالات والآداب السيئة والأوهام الباطلة، إذا فريق منكم بربهم يشركون، فينسبون ما حصل من كشف ضر، ورفع شر، وجلب نعمة، وافضال ورحمة، الى الأسباب المعهودة، والوسائط المشهودة، ونسيتم الله تعالي مسبب الأسباب، وخالق الوسائط، فحجب الأسباب أعظم بلية، وأكبر رزية، على أهل الحجاب، ولا تتوهم إذا رأيت عارفا خاف، أو رجا مخلوقا، أو اعتبر الأسباب فى ظاهره أنه مثل المحجوب في هذا، هيهات فالعارف إنما يخاف الله فى مظاهره، ويرجو الله منها، إذ هو تعالى وضع الوسائط والأسباب وأمر بمراعاتها حكمة وعدلا، فشرك العارف حكم لا حقيقة، إذ هو متحقق بالوحدة الحقيقية فهو موحد، خالص التوحيد لا غير بالذات عنده فمراعاته للأسباب، علامة كماله، ورسوخ قدمه فى المعرفة بربه، والأدب معه تعالى

(الموقف المايه الخامس والسبعون)

قال تعالى، قل أعوذ برب الناس، السورة، الرب إسم المرتبة الجامعة للأسماء المتعلقة بالحق والخلق والمختصة بالخلق، فالمتعلقة بالحق والخلق كالعليم والسميع والبصير، فان علمه يتعلق بذاته وبمخلوقاته وكذا سمعه وبصره ونحو

ذلك ، والاسماء المختصة بالخلق هي أسماء الافعال كالخالق والمصور وأمثالهما فانها لا تعلق لها بالحق تعالى ، والرب والمربوب أمران متلازمان ، تلازم المتضايفين والمتنسبين ، فلا ينفك أحدهما عن الآخر ، رب بلا مربوب لا يكون ، ومربوب بلا رب لا يوجد ، والناس يعم الجن والانس ، والناقص والكامل والمراد هنا الناس الكاملون ، فهو لفظ عام أريد به خاص ، كما في قوله ، الذين قال لهم الناس ، والقائل واحد فالناس هنا كلمات الله التامات ، التي يحق الله بها الحق ، ويبطل الباطل ، كما قال ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ، ويبطل الباطل ، وكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ بهم ، كقوله أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، وقوله أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، وإنما خصهم بهذه الاضافة وإن كان تعالى ربهم ورب غيرهم ، زيادة تشريف واعظام لهم ، ملك الناس ، الملك اسم المرتبة التي تحتها أسماء الأفعال فقط ، وهذا هو الفرق بين مرتبة الربوبية والملكية ، فان الربوبية كما قدمنا جامعة للاسماء المشتركة بين الحق والخلق ، والمختصة بالخلق ، والملكية مختصة بالاسماء المختصة بالخلق كالقادر والمريد والمعطي والمانع والضار والوهاب ونحوها ، فهو قادر على الممكنات لا على نفسه ، ومريد لها ، وقس على هذا جميع أسماء الأفعال فالملك لا يكون بغير مملكة يتصرف فيها ، فالملكية تحت الربوبية ، كما أن الربوبيه تحت الرحمانية ، كما أن الرحمانية تحت الواحدية ، كما أن الواحديه تحت الأحديه ، والناس هنا المراد بهم بعض ما شمله لفظ الناس وهم الجن ، فهو عام أريد به خاص أيضا ، وإنما خصهم بالاضافة هنا لأن الجن لهم قدرة التطور في الصور والتشكل بالاشكال المختلفة ، والاقتدار على الأفعال العظيمه ، والنفوذ في الأجسام ومنهم شياطين ومردة ،

فربما يتوهم أن الحكم الرباني والاقتدار الآلهي غير نافذ فيهم فاخبر تعالى أنهم مع هذه الصفات المتقدمة من جملة المملكة التي يتصرف فيها الملك الحق ، وانهم في قبضته وتحت قهر تصرفه : آله الناس ، الآله إسم المرتبة الجامعة لجميع الأسماء ذاتية وصفاتية ، وفعلية جلالية ، وجمالية وكمالية ، وهذه المرتبة فوق المراتب كلها من حيث أنها مرتبة اعطاء كل ذي حق حقه ، من الحق والخلق ، فلها الحيطة والشمول على كل مظهر حقي وخلقي ، فهي الجامعة للضدين يظهر فيها القديم بصورة الحادث ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم رأيت ربي في صورة شاب أمرد له وفرة ، على وجهه فراش من ذهب ، وفي رجليه نعلان ، الحديث ، ويظهر الحادث فيها بصورة القديم ، كما في قوله صلي الله عليه وسلم ، إن الله خلق آدم علي صورته أو صورة الرحمن ، روايتان ، والناس هنا المراد بهم مايعمه لفظة الناس من الجن والانس ، فهو تعميم بعد تخصيص ، فانظر كيف ذكر مرتبتين من المراتب الخاصة ، وذكر لكل واحدة ماينا سبها في لفظة الناس ، ثم ذكر المرتبة العامة وذكر ما يناسبها وهو عموم الناس ، وإن القرآن يجل عن تكرار لفظة لغير زيادة معنى : من شر الوسواس ، أل في الوسواس للجنس ، فان للشيطان وسوسة ، وللنفس وللشك وللظن وللوهم وسوسة ، وللهوى وسوسة ، كما قال ، وان كثيرا ليضلون بأهوائهم ، وقال إن النفس لأمّارة بالسوء ، وقال أن يتبعون الا الظن ، الى غير ذلك فهذه كلها أمرنا تعالى بالاستعاذة منها فاذا حضر النور الحق ، وجاء العلم الصدق ، خنست وبطل أثرها وتأخرت ، فانظر الى الوهم كيف يخنس عند النتيجة بعد المساعدة على المقدمات وما أمرنا تعالى بالاستعاذة من شر الوسواس ، على أننا نجعل الوسواس مقابلا له مقابلة

الضد ، فيكون بمثابة الشريك في المملكة وانما أمرنا أن نستعيذ به منه ، فانه المنفرد بالضر والنفع تعالي ، نستعيذ باسمائه الجمالية ، من أسمائه الجلالية : كما قال السيد الكامل معلم الخير ، أعوذ بك منك ، فليس الوسواس الا مظهر المضل ونحوه ، وانه تعالى نهانا أن نخاف غيره ، من غيرما آية وحديث ، وحيث كانت هذه الأشياء المعبر عنها بالسواس من الأسباب التي جعلها الحكيم العليم وسائط لوصول الشر والضلال ، والشرائع جاءت باعتبار الوسائط ومراعاتها ظاهرا ، مع اعتقاد أنه لا مؤثر الا هو تعالى ، حذرنا من الاغترار بها ، والركون اليها ، قال بعض الأكابر فى قوله تعالى ، إن الشيطان لكم عدو ، وان طائفة لما سمعوا هذه الآية فهموا منها عداوة الشيطان فقط ، فاستعدوا لعداوته بالحذر منه ، والاشتغال بمراقبته ، وسد أبواب هجومه ، والتيقظ لمكائده ، ففاتهم بذلك خير عظيم ، وطائفة فهموا منها الشيطان لكم عدو وأنا لكم صديق ، فتعلقوا به تعالى ، وانحاشوا اليه واشتغلوا بمراقبته ، فكفاهم شر العدو وحصلوا على خير عظيم ، فالطائفة الأولى العباد والزهاد ، والثانية العارفون بالله ، الذي يوسوس فى صدور الناس صفة لجنس الوسواس من الجنة والناس ، بيان للناس الموسوس فى صدورهم وهم الجن والانس ، وإن للجن وهماً ونفثاً وظناً وشكاً ، كما لابن آدم ، وما أضل أول ضال الحارث إلا نفسه ووهمه ، ولو كان له شيطان يوسوسه لدار أو تسلسل ، وذلك محال

(الموقف المايه السادس والسبعون)

قال تعالى ، وهو الخلاق العليم ، الخلاق الكثير الخلق والخلق قد يكون تقديرا مجردا في النفس ، وقد يكون مع إيجاد فى المدارك الحسية

فيكون خلقا بعد خلق ، كما قال الشاعر

ولأنت تعزى ماخلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يعزى

يريد أنت توجد ماخلقت وقدرت خارجا للحس ، وبعض القوم يهم ويخلق ويقدر فى نفسه ولا يوجد خارجا ماخلق وقدّر فالحق تعالي خلاق على الدوام ، يوجد الأعراض التي هي صور فانها كلها أعراض سياله ، كما يقول الحكماء فى الزمان ، وكما تقول الاشاعرة ، العرض لا يبقى زمانين فانها لو بقيت لاستغنت عن الحق تعالى وتعطلت أسماء الأفعال ، وتعطيل الأسماء محال ، وليس للحق تعالى فى هذا الخلق إلاّ إعطاء الوجود لما تقتضيه حقائق الاشياء من الأحوال والأحكام ، وإلاّ فهي ثابتة فى العلم كأعيانها ، فما يكون من الحق لها إلاّ الايجاد ، وهذا معني قول سيدنا محي الدين ، الأشياء ما استفادت إلاّ الوجود وانقسام الخلق إلى تقدير فى النفس من غير إيجاد ، وإلى تقدير مع إيجاد ، إنما هو بحسب المدارك والشاعر الانسانية ، وأما بحسب ما هو الأمر عليه ، فليس الاّ الوجود الحق ، يظهر بتقاديره وتصاويره ؛ التي يقدّرها ويصوّرها لنفسه فى نفسه ؛ ويظهر متعينا بها كالتجريد عند علماء البديع ، قيل لي في الواقعه ان محمد بن قايد الاواني ، كان لا يقول بالخلق الجديد ، وكتب في ذلك رسالة سماها ، الرشمة فى بقاء النسخة ، هكذا قيل لي ومعني هذا أن ابن قايد فهم أو سمع أن من الناس من يقول بالخلق الجديد ، فى كل ما يقال فيه صورة ممكنة ، وليس الأمر كذلك ، وإنما الخلق الجديد خاص بالصور المحسوسة ، وأما الصور العقلية والخيالية والروحانية فهي باقية أبدية لا يلحقها زوال ، فليس فيها خلق جديد ، وهذه الصور هي النسخة الحقيقية ، المنتسخة من الصورة الرحمانية ، المرادة

بقوله إن الله خلق آدم على صورته فهي باقيـة ببقاء النسخة المنتسخ منها ، دون الصورة المحسوسة ، وهـذا هو مراد القائلين بالخلق الجديد ، وحينئذ فلا خلاف بين ابن قايد وغيره من العارفين ، وبعد هـذه الواقعـة وقفت على كلام للقطب على وفا رضي الله عنـه ، فى المعني ففرحت به ، قال ، إذا كان وصف النقيض بالنقيض ، بديهي الاستحالة ، والوجود ذات الموجود ، فعـدم الموجود محال ، وكذلك لو جعلت الوجود زائدا على ذات الموجود، لأنه ليس موجودا الا بالوجود ، فلو انعدم لقام به العدم ، وانما الحدوث والزوال نسب عدمية ، الأول ظهور فى الادراك المقيد بعد بطون عنه ، والثاني عكسه والباطن الظاهر ثابت فى الحالتين ، وهـكذا ببعض صورة دون بعض ، وبطونه بصورة منها ، وظهوره بأخـرى ، كالمـاء يصير هواء وعكسه ، والغذاء بخارا وعكسه ، تحليلا وكونا ، فاللوازم والأمور الوجودية لا تبديل لها بخلاف الحادثة اه ، العليم الـكامل العلم ، بما يخلق ويوجد فان العلم تابع للمعلوم فى مرتبة التعين الأول ، لأن المعلومات فى هذه المرتبة غير متميزة عن الذات ، ولا شك أن العلم متاخر عن الذات بالمرتبة ، ضرورة تقدم الذات على صفتها وان كان علمه تعالى عين ذاته ، ولـكن تسميته علما يقتضي تبعيته ، ويطلق عليه فى هذه المرتبة علم فعلي ، من حيث أنه مبدأ تحقيق المعلوم ، وأما فى مرتبة التعين الثاني ، فالمعلوم تابع للعلم ، لأن المعلوم متميز عن الذات لنفسه فى هذه المرتبة ، ويطلق عليه علم انفعالي من حيث أنه مبدأ انـكشاف المعلوم عينا قائما متميزا والانـكشاف فرع التحقق إذ لا ينكشف الا متحققـا فى نفسه ،والعلم واحد فى المرتبتين ، والتعدد نسبي

(الموقف المايه السابع والسبعون)

قال تعالي ، فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى ، الآية ، أعطى نفسه وسلّمها لمشتريها بعقده، إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم فاستعملها فيما أمره به مشتريها وحاد بها عما نهاه عنه مالكها ، واتقى بنفسه كل مكروه ، وليس ذلك الاّ بتصريفها فيما أراد مالكها ويرضاه ، لا فيما يريده البايع ويهواه ، وصدّق بالحسنى ، هي الطريقة المثلى طريقة الأنبياء وورثتهم عليهم الصلاة والسلام ، والمراد تصديقهم فيما وهبهم الحق تعالى بفضله ومنته من النبوة والولاية ، وما يتبع ذلك ويلزمه من المعارف والعلوم التي جاءوا بها وأخبروا عنها خارجة عن أطوار العقول والأفكار ، لاتصل اليها الأقيسة والأنظار ، فسنيسره لليسرى ، ونستعمله فى الأسباب الموصلة إلى النجاة ، والمعرفة بالله تعالى ، على طريق الأنبياء والاولياء التي توصل الى المشاهدة والمكالمة ، لا على طريق العقلاء التى تقتضي البعد منه تعالى ، وتنزيهه عما اثبته تعالي لنفسه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام ، وإنما سماها يسري ، لأنها تؤوّل بسالكها إلي الأصل ، ورجوع الأشياء الى أصولها أسهل وأقرب ، ولذلك قيل الرجوع الى الأصل يكون بأدنى سبب وقيل الرجوع الى الأصل أصل ، وهي فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وهذه النفس التى يعطيها المؤمن ويتقرّب بها هي وهم ، وما يعطيه الحق له على ذلك حق ، فانظر الى هذا الفضل العظيم ، وأما من بخل بنفسه فلم يسلمها لمشتريها ولم يستعملها فيما أمر به المشتري ولا نهاها عما عنه نهى ، واستغنى عن الثمن ، ورضي بالمثمن ، ورجع فى بيعه بعد عقده وكذّب بالحسنى طريقة الأنبياء وورثتهم عليهم الصلاة والسلام ، مما أخبروا به عن الله تعالى

ومما وهبهم وعلّمهم من لدنه ، من العلوم وقال ماقال المكذبون ، ماهذا الا بشر مثلكم ، يريد أن يتفضل عليكم ، ماسمعنا بهذا فى آبائنا الأولين إن هو الاّ رجل به جنة إن أنتم الاّ بشر مثلنا ، تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها ، ونحو هذا وإنما كانت هذه الطريقة عسرى لأنها ضد الفطرة ونقيض الأصل ، إذ كل مولود يولد على الفطرة ، وهي طريقة النبوة والولاية ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، وأبواه الهوى والشيطان وإنما سمّاهما أبوان لطاعته إياهما وقبول إشارتهما كالأبوين اللذين هما أنصح من كل ناصح لولدهما ، فالتيسير عام فى الخير والشر ، وليس هو الاّ إعطاء الوجود لما تقتضيه الأعيان الثابتة ، والحقائق الامكانية ، باستعداداتها فى الخير والشر ، قيل لي فى الواقعة من استراح تعب ، فقلت ، ومن تعب استراح ، وذلك أن الحق تعالى خلق الانسان وجعله ينتقل فى المنازل والأطوار ، ولا يستقر به قرار ، الاّ فى دار القرار ، إما فى جنة أو نار ، وأعظم مواطنه موطنان ، موطن الدنيا وموطن الآخرة ، فموطن الدنيا موطن تكليف وتعب ، وضيق وعمل ، وحجاب وحجر ، وموطن الآخرة ، موطن تشريف وراحة ، واطلاق ومشاهدة وجزاء ، فمن استراح فى الدنيا باعطائه نفسه مناها ، واتباع مرادها وهواها ، فلم يعط الموطن حقه ، ولم يراقب حكمة الحكيم تعالى ، ولا بذل له من نفسه ما استحقه تعب فى الآخرة ، لأنها موطن جزاء واجتناء ثمرات ما غرس في الدنيا من الأعمال ومن تعب في الدنيا وأعطى الموطن حقه بالقيام بوظائف التكاليف والعمل بما رسم المشرع استراح فى الآخرة ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ،

وليس الخير فى الدنيا الا ما أمر به الشارع،ولا الشر فيها الا ما نهى عنه

(الموقف المائة الثامن والسبعون)

قال تعالى ، إنا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها ، الآية ، الامانة هي الخلافة ، كما قال ، إني جاعل فى الأرض خليفة ، وهو آدم عليه الصلاة والسلام ، أو معناها التحقق بجميع الأسماء الآلهية ، فهو الآله فى صورة آدمية من غير حلول ولا اتحاد ، ولا امتزاج ، فأنا برىء من ذلك كله ، وعرضها على السموات والأرض والجبال ، ليس لحملها بالفعل لأنها لا استعداد لها لحمل الخلافة ، والحمل بغير استعداد محال ، ويتعالى الحكيم العليم عن ذلك ، ولكن ليظهر فضل الانسان وشرفه ، حيث أبت السموات والأرض والجبال من حملها ، وأشفقن منها ، مع عظم السموات والأرض والجبال ، ومع كونها أكبر من خلق الناس ، كما قال ، لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، لعلمها أن حاملها لا بد أن يظهر بالاضداد ، ويوصف بالأنداد ، ويشارك الحق تعالى فى المملكة ، إذ الخليفة ملك صغير ، فيكون حامل الأمانة بمعنى الخلافة ربا صغيرا ، فخافت من قبول هذا الأمر ، والأمر أن تكون على خطر ، فاختارت السلامة ، وأعرضت عن الربح حذر الملامة ، وأنشد لسان حالها

وقائلة مالي أراك مجانبا ‏ ‏ ‏ ‏ أمورا وفيها للتجارة مربح
فقلت لها مالي بربحك حاجة ‏ ‏ ‏ ‏ ونحن اناس بالسلامة نفرح

وحملها الانسان الكامل بالفعل لا مطلق المسمى انسانا اذ مسمى الانسان منه ما هو إنسان بالفعل والحقيقة ، ومنه ما هو إنسان حيوان ،

إنسان بالقوة والصورة فقط ، إنه كان ظلوما ، كثير الظلم لنفسه وهذا مدح له لأنه من المصطفين المختارين ، كما قال ثم أورثنا الكتاب كتاب الوجود ، الكتاب المسطور الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، لا ظالم نفسه فبين الظالم لنفسه والظالم نفسه فرق ، الأول ممدوح ؛ والثاني مذموم ، وهو المعني بقوله كانوا أنفسهم يظلمون ، ظلموا أنفسهم ونحوه جهولا كثير الجهل بنفسه وربه لمعرفته بالاسماء الآلهية التي تتوارد عليه وتتعاقب على الدوام ، فكلما كانت الدولة لاسم كانت الغلبة والحكم له ، واستتر باقي الأسماء تحت استتار النجوم عند طلوع الشمس مع وجودها في السماء ، فتختلف عليه صوره لاختلاف الأسماء الآلهية ، فانها التي تتشكل فيعرف في حال جهله ويجهل في حال معرفته ؛ وإن كان يعرف أنه هو هو كما يقول الانسان أني أنكرت نفسي ، وكذا جهله بربه لكثرة التجليات الآلهية ، اذ لا يتكرر تجل أبد الآبدين ولا يشبه تجل تجليا أبدا ، فجهل العارفين هو حيرتهم ، بحيث لا يصح لهم ولا يمكنهم الحكم على المتجلي بحكم ، وهذا الجهل بمعنى الحيرة وعدم الضبط هو الذي سأل السيد الكامل صلى الله عليه وسلم الزيادة منه ؛ فقال اللهم زدني فيك تحيرا لا حيرة الحجاب فكلما زاد العلم بالله تعالى زادت الحيرة والجهل بالمعني الذي ذكرناه ، وقد قال امام العارفين محي الدين الحاتمي رضى الله عنه إن من أولياء الله من أزال الله عنه الحيرة فيه وأنا عبد الله ، مافهمت هذا ولا عرفته كيف يكون والذي عليه أهل الله بحسب ما وصل الينا ، أن من ادّعى المعرفة بالله ولم يحتر فذلك دليل جهله ، قال سيدنا محي الدين في الفتوحات

الله يعلم أني لست أعلمه ... وكيف يعلم من بالعلم نجهله

اني علمت وجودا لا يقيده نعت بحق و لا خلق يفصله
علي به حيرتي فيه فليس لنا دليل حق على علم نحصله

(الموقف المايه التاسع والسبعون)

قال تعالى ؛إياك نعبد وإياك نستعين ، خبر بمعني الأمر ، فهو تعليم لنا وأمر لنا ، أن ندعوه بهذا الدعاء فليس المراد الاخبار بذلك فحسب : فلا نمر بالآية مرور الحاكي لكلام الله تعالى عن غير قصد الدعاء بالحصول على ذلك ، بل نقصد الانشاء والطلب كما أن جملة الحمد ، أول السورة خبرية لفظا ، إنشائية معنى ، والا فلا يسمى القائل الحمد لله حامدا ، والعبادة لغة الخضوع والانقياد والوقوف عند الأمر والنهي قال فرعون وملاؤه ، أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ، فأمر العبد المؤمن بسؤال ربه أن يجعله مشاهدا له فى كل مظاهر يحصل منه له تذلل وخضوع وانقياد ، بحيث تكون عبادته بمعنى تذلله وخضوعه وانقياده للظاهر ، تعالي بذلك المظهر الخلقي أي مظاهر كان ولهذه النكتة جيء بالمعمول مقدما لافادة الحصر : فاننا أمرنا أن نشهد الحق تعالى فى كل مظهر ، ونعامله بحسب ذلك الظهور ، كما أمر تعالى وليس ذلك برياء فان الرياء لا يكون الا مع رؤية الغير ، وأما رؤية الحق تعالى وشهوده فى ظهوراته وتعيناته فلا رياء ولا سمعة ، والحاصل أننا أمرنا بطلب الخلاص من الشرك ، وإفراد الخضوع والانقياد لله تعالى ، ولا يكون ذلك الا برؤية وجه الحق فى كل شيء ووجهه ذاته المتعينة ببعض الأسماء ، فالتذلل والخضوع والانقياد لشيء ليس هو الحق فى شهود الخاضع المتذلل شرك ، فالعارف خضوعه وتذلله وانقياده لا يكون الا لذلك الوجه الظاهر المتعين ، كما قال ، وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين بمعنى توحيد الطاعة

وتخليص الانقياد ، ولا يكون الاّ بهذا الشهود فانه لابد لكل مخلوق من الخضوع والانقياد لمخلوق آخر ، فعلمنا تعالى الخلاص من الشرك ، وبمثل ما تقدم أمرنا فى الاستعانة فنشهد الحق تعالى في كل شيء ، نستعين به في الاسباب والوسائط ؛ وسواء فى ذلك ما أمرنا بالاستعانة به أو أبيح لنا كقوله ، واستعينوا بالصبر والصلاة أو غيرها من إنس وجن ؛ وملك وحيوان وجماد ، إذ لا بد لكل إنسان من الخضوع لمن تكون حاجته عنده من المخلوقات ، ومن الاستعانة بالمخلوقات ، فاذا رحمه الله تعالى بمعرفته وشهود وجهه ، فى كل شيء تخلّص من الشرك فكان لا يعبد الاّ الله ، ولا يستعين الاّ به ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ؛ والله ذو الفضل العظيم والسلام

(الموقف المائة والثمانون)

قال تعالى ، يا أيتها النفس المطمئنة أرجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي فى عبادي وادخلي جنتي ، إعلم أن النفس لا يناديها ربها بهذا النداء ، ويصفها بكونها مطمئنة راضية مرضية ويأمرها أمر إباحة وإذن وتشريف بالدخول فى جملة عباده المضافين له ، المخصوصين به ؛ وهم الذين عرفوا نسبتهم من العبودية والربوبية ، فعلموا أن مسمى العبد إنما هو عبارة عن ظهور الرب ، متعينا بأحوال العبد ، فالحقيقة رب والصورة عبد ، فكان العبد ربا فى صورة عبد يعبد نفسه فى صورة العبيد ، وبالدخول فى جنته بمعني ستره من الأجتنان ، وهي ذاته التي يستجن بها من وصل اليها بقطع حجب الأكوان والأسماء الآلهية ، وذلك عبارة عن الحصول والوصول إلي فناء التعينات الخلقية الخيالية التي لا عين لها إلاّ فى المدارك الحسية ، ولولا هذه المدارك ماكان إلاّ الوجود المجرد

المحض وح تنتفى هوية الخلق حكما لا عينا حيث لبست الحق بخلاف هوية الحق إذا لبست الخلق فانها ثابتة على نزاهتها لا يلحقها تغيير على كل حال إلا بعد مجاوزة العلم اليقين إلى حق اليقين بالذوق الصحيح ، والكشف الصريح ، بشيئين أحدهما أن الحق تعالى فاعل مختار يفعل بعلم وحكمة ما ينبغي كما ينبغي بالقدر الذي ينبغي ، في الوقت الذي ينبغي ، بحيث أن لا يكون فى الامكان أبدع وأحكم من ذلك الفعل من جميع الوجوه والاعتبارات ، وبحيث لو اطلع العبد على تلك الحكم والمصالح لما اختار سوى ذلك الفعل وحينئذ يحصل على مقام الرضى عن الله فيكون مطمئنا ثابتا ساكنا تحت مجاري الأقدار ، ثانيهما أن يذوق كشفا أن الحق تعالى هو الفاعل المنفرد بفعل كل ما يصدر من كل مخلوق إلى آخر مخلوق كان ، ذلك المخلوق المنسوب اليه ذلك الفعل سببا أو شرطا أو مانعا ، وإنما الحق تعالى يتنزل من مرتبة اطلاقه مع اطلاقه حينئذ إلى صورة الشرط أو السبب أو المانع ، فيفعل ما يفعل بتلك الصورة مع غناه عن تلك الصورة لو أراد الفعل بدونها ، ولكن الاختيار والحكمة هكذا ، فينسب الفعل فى بادىء الرأي إلى الصورة وليس الفعل الا له تعالى وحده لا شريك له ، وحينئذ يكون عند ربه مرضيا ، لأنه لا فعل له حتى يخرج عن كونه عند ربه مرضيا ، إذ الرضى والمحبة من الحق تعالى لمخلوقاته هي الاصل وبها أوجدهم ، فهي السبب الأول في الايجاد ، فمن علم أن لا وجود له ولا فعل فهو على الأصل من الرضي والمحبة ، جعلنا الله وإخواننا ممن شمله خطاب هذه الآية ، بمنه وكرمه أمين

(الموقف المايه الواحد والثمانون)

قال تعالي ، إن فرعون لعال فى الأرض وإنه لمن المسرفين ، أخبر تعالى مؤكدا إخباره بأن واللام ، حيث كان الاخبار متوجها الى الشاكين فى دعواه ، والقاطعين بصحتها ، فليس الاخبار متوجها الى المؤمنين إلاَ في ضمن غيرهم فان المؤمن متحقق بكذب هذه الدعوة بل علوه ، ودعواه الربوبية والألوهية إنما كان فى أرض النفوس ، عالم الطبيعة ، وكل نفس لها هذه الدعوة ، غير أن فرعون تجرأ على إظهارها ، وغيره ماتجرأ وليس فى المراتب الحاكمة أعلى من الألوهية إذ الاَله هو الغني عن كل ما سواه : المفتقر اليه كل ماعداه فله الضر والنفع ، والعطاء والمنع ، والخفض والرفع ، فليست دعوى فرعون وعلوه فى سماء الأرواح حيث يكون الناطق القائل حقا ، فان الأرواح لا تنطق إلاّ بالحق ، فالحق هو القائل إذاً ، كابي يزيد وأمثاله رضى الله عنهم ، فان القائل منهم أنا الله هو الحق تعالى الظاهر بصورهم ، الناطق بألسنتهم ، كما ورد فى الصحيح ، إن الله قال على لسان عبده ، سمع الله لمن حمده ؛ فتكون صورة المحقق القائل أنا الله ، كصورة شجرة موسي عليه السلام حيث يقول تعالي ، فلما آتاها نودي من شاطيء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة ، إن ياموسى إني أنا الله رب العالمين ، وقد ذم تعالي من يتكبر فى الأرض بغير الحق إلاّ من يتكبر بالحق ، فان المتكبر حينئذ الحق تعالى ، والكبرياء له تعالى ، وهؤلاء لا عقوبة عليهم فى الدنيا فانهم يذعون أنفسهم بحالهم الصادق من تصرف الخلق فيهم ، ولا في الآخرة ، وأماّ من قال إنه الله بنفسه وحضور عقله كفرعون والدجال وأمثالهما ، فليس الناطق منهم الحق ، ولذا نفذت فيهم العقوبة فعوقب فرعون بالغرق ، وسيعاقب الدجال بالقتل ، وكذا كل من قالها من غير أن يكون الناطق

حقه ، إون برقت لهم بارقة فهي برق خلب ، إذ الأحوال تحول ، والعوارض تزول ، فتطلب الصفة موصوفها ، ويبقى المدعي عاريا منها ، فينفذ فيه حكم الله تعالى ، وتتناوله سيوف الشريعة ، كما نالت الحسين بن منصور الحلاج رضي الله عنه ، فانه قتل بفتوى أهل الشريعة ، وأهل الحقيقة حتى مشايخه لأنه التبس عليهم حاله ، وما تحققت عندهم غلبة سكره ، وهو من أولياء الله تعالى بلا شك ، وإنه لمن المسرفين المتجاوزين الحدود التي جاءت بها الشرائع ، فما كل حق يقال ، الا ما أذن فيه الشارع فى دعوى الربوبية ، حيث يقول ، ماعلمت لكم من آله غيري، ثم نقض علمه بالظن وقال ، وإني لا ظنه ، يعني موسى ، من الكاذبين ، وكل عبد له نسبة إلى العبودية ونسبة إلى الربوبية، وهي أحق نسبتيه ، ولكن مأمور بسترها فى هذه الدار التي هي دار الحصر والحجر، فلا يدّعيها عاقل يتصرف بعقله وينطق بنفسه ، كيف وهو يرى نفسه ذوقا تحت القهر الآلهي ، والتصريف الربّاني، لا يقدر أن يمتنع عن قرصة برغوث ، وإبرة بعوض ، وأن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ، وهذا الغوث الجامع الخليفة الذى جعل الله له التصرف فى العوالم كلها أرضية وسماوية ، يرى نفسه مثل الشيء الملقا فى الحقارة والذلة والعجز

(الموقف المائة الثاني والثمانون)

قال تعالى ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، الاحصاء بمعنى العد والحساب ، وبمعنى العلم ، فعلى الأول لا تطيقوا عدها فانها لا غاية لها ، لا ن نعمة الامداد لابقاء الايجاد أبدية لكل موجود ، وكل موجود منعم عليه بابقاء وجوده ، وأول نعمة علي المخلوق إعطاء الوجود هذا فى العموم ، وأما فى

الخصوص فهذه نعمة الايمان لها لوازم، ولوازم لوازم، وتوابع ومقتضيات، لا نهاية لها، بل هي نعم متوالية أبد الآبدين، ودهر الداهرين، وعلى الثاني تعلمونها فان الحق تعالي لطيف ومن لطفه يظهر النعمة فى صورة النقمة، وبالعكس، فتلتبس النعمة بالنقمة، ولا يفرق بينهما الاَّ صاحب بصيرة نافذة وكشف صحيح، فكم لله من نعمة ورحمة فى طي المكروهات النفسية الطبيعية علي السعيد، فانه يشقي الشقاء الصوري فى الدنيا بالبلايا والأتعاب بالتكاليف، والأمر والنهي، والضيق والحصر، كما يكون للشقي فى السعادة الصورية فى الدنيا، من الفرح والبسط، والسعة والراحة، لأن الدنيا دار مزج لا دار تخليص، حتى أنه يلتبس فيها السعيد فى الآخرة بالشقي فيها، فاذا حصلوا فى الدار الآخرة حصل التميز وزال المزج، ففي الصحيح، أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، الحديث بطوله، وهو مشهور وذلك لكون الدنيا خيالا، وإن كنا نقول أن الكائن فيها محسوس لغلظ حجابنا من حيث أن الحقائق تظهر فيها بغير ما هي عليه في نفس الأمر غالبا، وبما هي عليه نادرا فلذا يحتاج ما يظهر فيها الي تعبير كالذي يظهر فى الرؤيا، أي عبور من الظاهر الى الباطن، فلا يكتفي بما ظهر فى الصورة عن باطن الحقيقة

(الموقف المائة الثالث والثمانون)

قال تعالى، قلنا يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم، النار نار الطبيعة ومقتضيات النفس الحيوانية، وهي مأمورة بأن تكون بردا وسلاما على إبراهيم، وإبراهيم ما هو شخص جزئي حقيقة، بل هو شخص كلي، فان لكل حقيقة كلية شخصا كليا كآدم للحقيقة الكلية الانسانية ونحوه، ولذا قال تعالى، إن

إبراهيم كان أمة ، فإبراهيم مجموع من اتبع ملته فهو أصل وأب لكل من اتبع ملته ، وهو تجريد التوحيد وافراد الوجهة لرب العالمين ، كما أن آدم أصل وأب لكل إنسان وهو من كان حيوانا ناطقا ، ومحمد صلى الله عليه وسلم أب وأصل لابراهيم ولآدم ، فيما كانا فيه أبوين فكل من اتبع ملة ابراهيم فهو ابراهيم ، والنار مأمورة بأن تكون بردا وسلاما على ابراهيم ، وملة ابراهيم ، هي قوله يا قوم إني بريء مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ، وقوله ، واعتزلكم وما تدعون من دون الله وقد أمر الحق تعالى باتباع ملة إبراهيم ، قال ، فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، وقال ، ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا ، فلم يجعل للحق تعالى شريكا فى الوجود ، وتوابع الوجود ، وكل من أثبت لغيره تعالى وجودا حادثا أو قديما ، مغايرا للوجود الحق ، فما هو ممن اتبع ملة إبراهيم فما هو ابراهيم ، فليست النار مأمورة بأن تكون بردا وسلاما عليه ، بل هو ممن رغب عن ملة إبراهيم وخسر نفسه ، كما قال تعالى ، ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلاّ من سفه نفسه وخسرها

(الموقف المائة الرابع والثمانون)

قال تعالى ، ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون ، يعني لو تميز للعلم الذاتي الذي هو العلم الفعلي وهو علم حضرة الله أول التعينات ، خير من حقائقهم التي هم عليها واستعداداتهم التى لا يجرون إلاّ اليها ، وهي الحاصلة بالفيض الأقدس لأسمعهم خلق فيهم ولهم سماع الهداية وهو ما يحصل بالفيض المقدس ولو على سبيل فرض المحال ، وهو غير

واقع وإنما هذا إخبار بان شرهم إنما جاءهم من استعدادهم وإنه لا يقبل الا ما أعطاه تعالي مما طلبه بلسان استعداده ، فلا يسمعهم ولا يخلق فيهم هداية ورشادا ، لأنه خلاف المعلوم ، ولو أسمعهم ما قبلوا من حيث أن استعدادهم بالضد من ذلك ، وإنما كان الأمر هكذا لأن العلم تابع للمعلوم ، وهو وإن كان تابعا للمعلوم يقال فيه علم فعلي ، إذ المعلوم ما تحقق الا به ، فلا يخلق الا ما أراد ، ولا يريد الا ما علم ، والمعلوم لا يتغير ، وبهذا كانت الحجة له تعالي على مخلوقاته فمن وجد خيرا فليحمد الله فانه الخالق لذلك ، وهو أهل لأن يحمد على كل حال ، ومن وجد شرا فلا يلومن الا نفسه كما ورد في الصحيح يعني نفسه التي هي حقيقته واستعداده ، فاستعداد كل أحد هو الذي يكون عليه ، وهو الذي ييسره الله تعالى اليه ، واليه أشار صلى الله عليه وسلم كما ورد في الصحيح كل ميسر لما خلق له ، فلا يعطي تعالى أحدا شيئا الا ما أعطاه استعداده ، ولا يمنعه الا ما امتنع منه استعداده إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، فلو أسمعهم وأطاعهم خلاف استعدادهم فرضا وتقديرا لتولوا وهم معرضون عنه ، هاربون منه ، لأنه ضد حقيقتهم وقلب لها ، وانقلاب الحقائق محال ، فانظر ما أجلى هذه الآية لمن علمه الله تعالى الحقائق ، وانظر ماذا صار فيها من الخبط عند علماء الظاهر ، لاحتجابهم بعقولهم ومعقولهم منهم ، من قال إنها أعني لولا للدلة على انتفاء الأول لانتفاء الثاني ، ومنهم من قال أنها لدلالة العدم على العدم ، كما في قوله ، لو لم يخف الله لم يعصه لا للدلالة على انتفاء الثانى ، بسبب انتفاء الأول ، ومنهم من قال ، إنها تفيد الاستلزام ، فاما انتفاء الشيء لانتفاء غيره فلا يفيده مساق الآية ، إذ لو أفاد ذلك للزم التناقض فان قوله ، لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ، يقتضي نفي الخير أي

ما علم منهم خيرا ولا أسمعهم ، وقوله ، ولو أسمعهم ، يقتضى حصول الخير أي ما أسمعهم ، وانهم ما تولوا ، وعدم التولى خير من الخيرات الي غير ذلك من الأقوال

(الموقف المائة الخامس والثمانون)

قال تعالى ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقدوقع أجره على الله ؛ الهجرة الى الله قلبية وهي الأساس الأول ، والأمر الذي عليه المعول ، وهي بحصول الزاجر الآلهي ، والعزوف عما كان عليه من المخالفات للأوامر الآلهية ، والهجرة الى رسوله هي المقصد الثانى للدلالة وتعريف سلوك طريق المطلوب ، وهي هجرة جسمانية ، وكما كانت الهجرة لرسول الله صلي الله عليه واجبة قبل الفتح ، فتح مكة ؛ فهي اليوم باقية لورثة أحواله وأسراره ، الدالين على الله تعالي ، الداعين الى معرفته ، ثم يدركه الموت قبل اجتماعه بالرسول أو وارثه أو قبل حصوله على المطلوب الذي هاجر لأجله ، فقدوقع ، ثبت أجره ، جزاؤه على الله أوجبه تعالى على نفسه تفضلا وامتنانا ، وان الله لذو فضل على العالمين ، فيبعث المهاجر لمعرفة الله تعالى والقرب منه فى عداد العارفين بالله وفى مقاماتهم العلية ، فكم ترى فى الآخرة ممن لم يحصل علي معرفة الله فى الدنيا وقد حشر فى زمرة العارفين بالله تعالي ، ونال منزلتهم ، وكذلك طالب حفظ كتاب الله ، وطالب العلم لوجه الله ، يبعثان في عداد الحفاظ والعلماء ، وفى مقاماتهم بل هؤلاء أكمل نعيما فانهم لا يسألون عما حصل لهم فى الآخرة من الانعام ، بخلاف من حصل لهم فى الدنيا فانهم يسألون عن ذلك النعيم ، والهجرة الى الرسول أو وارثه واجبة علي الأعيان ، الا اذا سبقت للعبد عناية أزلية وكان من المرادين ورحمه الله

تعالى بجذبة رحمانية ، وخطفة ربانية ، فعرف نفسه فعرف ربه فتسقط عنه الهجرة ، كما ورد في الصحيح ، لا هجرة بعد الفتح ، لان العبد إذا رقاه الحق صار حقا ، فليس عليه هجرة لطلب الدليل ، ولذا قال القوم رضوان الله عليهم ، ليس للشيخ على المريد بعد الفتح الا مرتبة الصحبة والأخوة والمشاورة ، لا غير وأما الهجره الي الله فالفتح بدونها مستحيل

(الموقف المايه السادس والثمانون)

قال تعالى ، ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمقصود كل من بلغه الكلام القديم، والقرآن الكريم، فانه صلى الله عليه وسلم لم يكن بالذي يظن موت الشهداء في سبيل الله، نهى تعالى بهذه الآية عن ظن المقتولين في سبيل الله والمقتولون في سبيل الله أعم من المقتولين بسيوف الكفار، أعداء الدين، القتل الطبيعي الاضطراري ، ومن المقتولين بصواعق المجاهدات والرياضات القتل الاختيارى من حيث أن كليهما تحلل تركيبه وفسد نظامه الطبيعي عينا حسا في الأول ، حكما كشفا في الثاني، وفي الآية دليل علي التكليف بالمحال العقلي والعادي، والجمع بين الضدين وقد جوّز الأشعري التكليف بالمحال ومنعه المعتزلى ، فان الحس والعقل لا يصح عندهما حياة المقتول في سبيل الله ، ولا يدركان ذلك وسماّه تعالى مقتولا تصديقا لادراك الحس مع النهي عن حسبان موته إيمانا، فأنت منهي عن ظن موت المقتول في سبيل الله ، وفي ضمن ذلك الامر بالعلم بحياته إيمانا وكشفا ، كما أنك مأمور بالحكم بموته حسا وشرعا ، باجراء أحكام الأموات عليه كالميراث وتزويج الزوجة ونحو ذلك ، ولذا قال في الآية الاخرى ، ولكن لا تشعرون ، أي لا يخطر لكم شعور بحياتهم من جهة الحس والعقل ، والشعور أول مراتب

وصول الادراك للنفس ، ولـكن يحصل لـكم العلم بحياتهم من جهة الايمان والـكشف ، وليس حياة المقتولين فى سبيل الله حياة مجازية كما قال بعض المفسرين ، ولا إن المراد بحياتهم حيـاة أرواحهم ، كما قال آخرون ، إذ لا خصوصية لأرواحهم ، فان الأرواح كلها حية بالذات ، فان الذى نسميه فى الواجب القـديم حياة ، هو الذي نسميه فى الممكن الحادث روحا ، فالروح لا تموت ، كما أن الذى نسميه فى الحادث الممكن نطقا ، هو الذى نسميه فى القديم الواجب كلاما ، وإنما حياتهم الخاصة بهم ، أنهم عند ربهم ، أى حياتهم حيـاة ربهم لا حياة أخرى كما هو الأمر عند غيرهم ، يرزقون فرزقهم ، عندية ربهم كما قال ، لهم ، وابتغوا عند الله الرزق ، وقال لغيرهم ، وفى السماء رزقـكم ، فاعرف قدر من رزقه عند الله ، ومن رزقه عند السماء ، فلا تظن العندية هنا كالعنـدية المعروفة ، بل هي كما فى قوله ، إنما العلم عنـد الله ، وعلمه عينه ، فهي كناية عن رفع التعينات الوهمية ، والحجب الخلقية ، ونفي الغيرية ، والحصول على العينية ، وقد ورد فى الخبر الصحيح ، يغفر للشهيد عند أول قطرة من دمه ، بمعني يستتر عنه الوجود المجازى والحياة الفانية ، ويحصل على الوجود الحقيقي والحياة الباقية ، وشهيد المعترك وشهيد المحبة في ذلك سـواء ، بخلاف غيرهم من الأموات فانهم وإن كانت أرواحهم حيـة ، فليسوا عنـد ربهم ، لأنهـم ما رفع عنهم حجاب الغيرية بعـد ، وإن رفعت عنهم بعض الحجب ، كوشفوا ببعض المغيبات كالجنة والنار وما أشبه ذلك

(الموقف المايه السابع والثمانون)

وردفى الخبر الرباني قال الله تعالى ، ماوسعني أرضي ولا سمائى ، ووسعني

قلب عبدي المؤمن الهين الوادع ، هذا الخبر طعن فيه حفاظ الحديث وقالوا لا أصل له ومع هذا فسادات القوم ومحققوهم رضوان الله عليهم ، ذكروه فى كتبهم ، وجعلوه أصلا لكثير من مسائل مواجيدهم ، فاقول ، ياء المتكلم فى قوله ماوسعني كناية عن الذات المطلق وهو الشيء الذي تستند اليه الأسماء والصفات ، نفى تعالي عن الأرض والسماء وسعهما إياه ، أي إطاقتهما فهما لا يطيقان التجلي بجميع الأسماء الآلهية ، وأخبر أن عبده المؤمن وسعه وأطاق تجليه بجميع الأسماء بل أطاق ، تجليه المطلق ، والمراد بالمؤمن المؤمن الكامل ، فأل فيه للكمال وليس الا الانسان الحقيقي ، فهو الذي وسع الحق لحصوله على رتبة الاطلاق عن الصفات والنعوت ، وأعنى بالاطلاق هو أن لا يكون مغلوبا لاسم ولا مقهورا تحت حكم ، صفة ، بل له الظهور بجميع الأسماء فى الآن الواحد كما هو ثابت لمن هو مظهره لأنه عين الكل ، والكل هو ، قيل لأبي يزيد كيف أصبحت ؟ فقال كيف سؤال عن الصفة وانا لا صفة لي ، فلا مساء لي ولا صباح ، وهذا الذي ذكرناه فى معنى هذا الحديث الرباني هو أن القلب الذي وسع الحق هو قلب مخصوص ، لا مطلق القلب المؤمن ، هو الذي ورد به الوارد علينا وأعطاناه ، كشفنا ، وإن قال الامامان الكبيران قدوة العارفين محيي الدين الحاتمي ، وعبد الكريم الجيلي ، رضي الله عنهما ، بخلافه بادىء الرأي ، ولنذكر كلامهما ، قال سيد المحققين محيي الدين ، فى آخر الفص المحمدي من الفصوص ، آله المعتقدات تأخذه الحدود وهو الآله الذى وسعه قلب عبده ، فان الآله المطلق لا يسعه شيء لأنه عين الأشياء وعين نفسه والشيء لا يقال فيه يسع نفسه اه ، يريد أن من ربط قلبه واعتقد فى آلهه أنه كذا ولا يكون كذا فآلهه محدود محصور ، لأن الاعتقاد مأخوذ من العقد والربط ، فكما أن المعتقد

مربوط باعتقاده ، فكذلك المعتقد فيه مربوط بحسب اعتقاد المعتقد ، وهذا حال عامة المخلوقات لأنهم ماعرفوا من الاله إلاّ ماتجلى لهم به من الأسماء ، وما تجلى بجميع الاسماء إلاّ للخليفة من بني آدم ، وهو الذي حمل الأمانة التى ماحملتها السموات والأرض ، وهو الذي وسع الحق تعالى قلبه قوله ؛ وهو الذي وسعه قلب عبده ؛ يعني آله المعتقدات هو الذى ورد فى الخبر ، ماوسعني أرضي ولا سمائي الخ ، وهذا مشكل ؛ فانه لو كان الآله المذكور فى الخبر هو آله المعتقدات المحصور المحدود لوسعته الأرض والسماء ؛ فانهما لهما عقيدة بحسب التجلي الحاصل لهما كسائر المخلوقات ؛ ولكان يقال فى قلب المنزه فقط ، أو المشبه فقط ، وفى كل من لم يحصل له التجلي بجميع الأسماء الآلهية ولم يصل إلى الاطلاق الذاتي إنه وسع الحق ، وقوله مع أن من لم يصل إلى مرتبة الكمال لم يسع الاّ بعض أسماء الآله الحق ، وقوله فان الآله المطلق لا يسعه شيء ، لأنه عين الأشياء وعين نفسه ، والشيء لا يقال فيه أنه يسع نفسه جوابه أنه لما كان قلب العارف الكامل المحقق الواصل يصير عين ماعرفه وعين ماحققه مع بقاء التمييز آله ومألوه رب وعبد ؛ جاء فى الخبر التعبير بالوسع مع هذا ، فقد قال رضي الله عنه فى الباب الثالث والستين وثلاثماية عند الكلام على القطب السابع ، حال هذا القطب العظمة ، بحيث أنه يرى أن العالم لا يسعه ، لأن ذوقه كونه وسع الحق قلبه ، وقد ورد فى الخبر أن الحق يقول ، ماوسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدى المؤمن ، وما كل قلب يسع الحق اه ، فهذا تصريح منه بأنه إنما يسع الحق بعض القلوب وهي قلوب الكمّل الذين آلههم مطلق من الاعتقاد والربط ؛ فلا يحكمون عليه بحكم ، ولا ينكرونه في أي شيء تجلي وهو الذى قدمناه عن واردنا ، وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي ، فى لوامع البرق

الموهن ، فى معنى ماوسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن ، الباب الثامن فى ذكر مجلي الكمال المطلق للوجود الحق فى القلب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حاكيا عن ربه ماوسعني الخ ، اختلفت العلماء فى هذا الوسع فالجمهور أنه وسع بالايمان والعلم ، والمحققون ذهبوا إلى أنه وسع حقيقي من غير حلول ولا تكييف ، فقد علمت أيدك الله بالفهم أن العبد المؤمن بالله لابد له من العلم بأن آلهه موجود ، واجب الوجود لذاته ، غير مستند إلى غيره ، وله من الكمال ما تقتضيه الصفات الآلهية ، كما أخبر عن نفسه وأخبر عنه الصادق المصدق ، واقتضاه العقل بالدليل للواجب بالذات ، ولا شك ان هذا العلم موجود لك فى قلبك إذ لا خلاف أن معلوم هذا العلم متصور فى علمك ، ثم انه ليس له ثان ، فيكون الموجود فى علمك مغايرا للواجب ، هذا محال فتعين أن الموجود فى علمك هو عين الواجب بالذات بأسمائه وصفاته ، وهو بعينه الموجود فى علم غيرك ولا يطعن ذلك في أحديته اه ، ومع هذا فان قوله الكمال المطلق الموجود الحق من القلب ، يميل إلي قولنا فان أكثر القلوب ليس عندها الكمال المطلق الذى هو للحق فى نفس الأمر ، وإنما عندها الكمال المقيد بما اعتقدته كمالا لاغير ، وكذا قوله أول الكتاب فهذا كتاب أذكر فيه بعض الحضرات القدسية التي اتسعت لها القلوب المحمدية ، حيث التحقت به فى المكانة الصديقية بعروجها فى أثره مستمسكة بما علمته من خبرة وخُبرة ، فهذا التصريح بأنه ما وسع الحق إلاّ القلوب المحمدية ، لا جميع القلوب وعند كتابة هذا المحل ، ورد الوارد بالتعريف الآلهي مبينا لمراد هذين الامامين فى قولهما بعموم الوسع لجميع قلوب المؤمنين ، والحمد لله رب العالمين

(الموقف المايه الثامن والثمانون)

قال تعالى ، وجعلنا الليل والنهار آيتين ، الليل كناية عن النفس العنصرية الظلمانية ، والنهار كناية عن الروح العلوية النورانية ، آيتين علامتين على الموجد تعالى وكمال اقتداره ، واطلاقه عن ظهوراته وتعيناته ولو تقيد بمظهر وتعين لما ظهر وتعين بالضدّين ، كالليل والنهار ، والنفس والروح ، مع تباينهما ، والتغاير الذى بينهما وصفا ، إذ العالم كله ظهوره وتعينه وما عرف الحق إلاّ بظهوره علي الضدّين ، وتعينه بالنقيضين ، والنفس والروح ثابتان لكل إنسان ، فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ، هاتان آيتان أيضا دالتان على أنه تعالى يفعل بالارادة والاختيار فليس هو علة يكون منه الفعل دون الترك بل له الايجاد والاعدام بتبديل الأوصاف ، فانه يرحم بعض عباده ، فيمحو آية ليلهم وهي أنفسهم الظلمانية الشهوانية السفلية ، ومحوها بزوال حكمها فلا يبقى لها حكم عليهم بظلمانيتها لتبدل أوصافها بغلبة النور الروحي على ظلمتها ، واشراقه على عالمها ، وإن بقيت عينها ، لان الضرر ليس فى عينها ، وإنما هو في صفاتها ، ويجعل آية نهارهم مبصرة ، وهي روحهم العلوية القدسية ، وجعلها مبصرة ، هو بزوال قذى النفس الظلمانية الذي كان يمنع ما فى قوتها من الأبصار ، فخرج إلي الفعل بعد ما كان بالقوة ، لأن الابصار وجميع الكمالات ذاتي للأرواح ، ولكن الموانع النفسية الظلمانية تمنع من ظهور كمالات الأرواح ، ما دام الحكم والغلبة للنفس على البدن ، لتبتغوا فضلا من ربكم ، اللام لام العاقبة ، إذ عاقبة من محيت آية ليله ، وجعلت آية نهاره مبصرة ، أنه لا يبتغي فضلا من الله الاّ بفضله لا بشيء منه ، لأنه عرف كيف هو الأمر باطنا فهو يبتغي

فضل الله بفضل الله ، فانه علم إنه ليس له من الأمر شيء

(الموقف المايه التاسع والثمانون)

قال تعالى ، واصبر وماصبرك إلاّ بالله، الآية ، أمر أوّلا، تعريف وتعليم ثانيا ، والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد نحن ، أمره تعالي بالصبر ثم أخبره بصيغة الحصر وأعلمه أن الصبر المحمود المرضى المطلوب من العبد هو الذي يكون بالله فتعمل فى تحصيله ، وتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبك فاني إذا أحببتك صرت بي تسمع، وبى تبصر، وبي تصبر، وبي تفعل وهكذا، فى جميع قواك وأفعالك لا بنفسك وبين الصبر بالله والصبر بالنفس فرقان، فمن كان صبره بالله فهو وإن تالم ظاهره واشتكت أعضاؤه وجوارحه ودمعت عيناه فحمّل ذلك منه النفس الحيوانية ، وهو فى باطنه ناعم البال قرير العين، مستنير الباطن لأنه واثق بحسن تدبير الله تعالى له ، متحقق بأن ماورد عليه وأصابه لم يكن ليخطئه وأنه لا بد من نزوله به ، لأنه من مقتضى استعداده ، وإن استعداده هو الطالب له بلسان حاله ، موقن بأنه تعالى حكيم لا يفعل إلاّ ماينبغي ، كما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي ، في الوقت الذى ينبغي ، بل يكون الحق تعالى هو الحامل لما أنزله عمن يكون صبره به تعالى ، وأما من كان صبره بنفسه فانه وإن تجلد وحبس نفسه ظاهرا لما نزل به وأصابه فهو كسيف البال ، مظلم الأرجاء ، متألم الباطن ، متهم لربه فيما أنزله به ، مجوز لما ورد عليه ونزل به ، أنه يمكن أن لا يكون وهذا ليس هو الصبر المرضي المحمود المطلوب من العبد بل هـذا مقاومة للأمر الآلهي، وتشجع على الله كما روى أن عليا عليه السلام أنّ فى مرضه ، فقيل له اتئن وأنت علي، فقال، أما على الله فلا أتشجع، والآلام الطبيعية المحسوسة ليس فى وسع الانسان رفعها بخلاف الآلام النفسية فان في وسعه رفعها والصبر

من المقامات، التي لا يفارقها العبد إلى الممات وهو عام على الخير والشر إذ الكل ابتلاء وفتنة وتمحيص ، قال تعالى ، ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، وقال ، لنبلوهم أيهم أحسن عملا ، فالصبر على الخير هو الثبات فيه على الحد المشروع وإشارة العقول ومن هذا الصبر على المعارف الآلهية ، والأسرار الربانية ، بعدم إذاعتها لغير أهلها ، وقليل فاعله ، وأما الصبر على الشر فهو المعروف عند الجمهور ولا يتبادر إلى الأفهام عند ذكر الصبر مطلقا غيره ، وقد عد الامام محيي الدين القول بدخول الصبر فى النعم جهلا ، ومن نظر فى حد الصبر وانه حبس النفس على ما تكره وذاق ما تكابده النفس من الشدة فى كتم مايهبه الله تعالى للعبد من العلوم والأسرار ، وكشف الحقائق حتى قال بعض العارفين ، تسعة أعشار السر تقول لصاحبه بخ بخ ، وفي بوحه هلاكه وحتفه ، قال بدخول الصبر في النعم ولابد ، وهذه أمور ذوقية فكل واحد إنما يعبر عن ذوقه ويحكي حاله ، وهذه عادة القوم جميعهم رضوان الله عليهم ، فلهذا لا يخطيء بعضهم بعضا الاَّ في النادر ، والكلام على الصبر طويل الذيل

(الموقف المائة والتسعون)

قال تعالي ، إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ، الى قوله ، يشرب بها المقربون ، موضوع الآية بحسب ما يعطيه ظاهر اللفظ بحاله ، وفيها إشارة الي شيء آخر ، فأقول أخبر الله تعالى مبشرا ومؤكدا لأخباره الصادق ، ووعده الحق ، بأن واللام ، حيث كان الأبرار بين الخوف والرجاء ، إن الأبرار وهم أصحاب تجلي الأفعال والصفات الذين ما فارقوا الكثرة بعد ، ولا فازوا باستهلاك الكثرة فى الوحدة ، ولا تجلت لهم الوحدة في الكثرة لهم فى

الآخرة كيت وكيت من الاكرام والانعام ، وانهم يسقون من رحيق ، من للبيان ، لأن المشروبات أربعة ، اللبن والعسل والماء والخمر ، وهي علوم الوهب لمن شربها ، تتصور العلوم بصور هذه المشروبات الأربعة ، كما ورد في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم رأى أنه شرب لبنا وناول فضله عمر رضي الله عنه ، فقالوا ما أوّلته يا رسول الله قال العلم ، وشرب الخمر علم مخصوص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الدار الدنيا ، فلا يسقي غيرهم منه وذلك لما خصهم الله تعالي به من القوة على حمله وإطاقتهم له ، فلا يخلون بشيء من الأوامر والنواهي الشرعية الظاهرة ، ولو سقى غيرهم من هذا العالم ما أطاق حمله ، ولا خص بالأحكام الظاهرة ، وفي الدار الآخرة يكون للأولياء السقي منهم ، كما أخبر تعالى ، وإن القوم رضوان الله عليهم يشبهون ما يحصل لهم من التجليات الثمرة للعلوم والأسرار بالخمر ، وذلك لمناسبات بينهما في بعض الأمور ، والا فالحقيقة مباينة للحقيقة كل المباينة ، منها أن العلم الحاصل بالتجلي له سلطان وغلبة على علوم العقل والوهم ، فلا يبقى لهما حكم مع العلم الحاصل بالتجلي فانه بمثابة الضروريات ، وغيره بمثابة النظريات وغلبة الخمر المحسوس على العقل والوهم محسوسة ، ومنها ما يحصل لصاحب التجلي من اللذة والابتهاج والطرب ، وهذا محسوس في الخمر المحسوس ومنها أن لذة التجلي تكون للقلوب والاوصال والعروق ، وهكذا الخمر المحسوس الى غير ذلك من المناسبات وهي كثيرة ، والابرار إنما يسقون الرحيق من كؤوس الأسماء والصفات ، بخلاف المقربين من عباد الله فانهم يشربون بلا كأس ، بمعنى أن لهم عين الذات فلم تقيدهم الاسماء والصفات ، ولذا وصف تعالى سقي الابرار بانه مختوم بمعنى محدود ، لتقيدهم وانحجابهم بالصفات والأسماء ، ختامه مسك مدح لهذا

الشراب وإن ثقله مسك وهو أطيب الطيب كناية عن سمو هذا الشراب وعظمة شأنه ، مع أن آخر الشراب عادة بخلاف هـذا ، ثم أخبر تعالى عن المقربين وهم السابقون السابقون ، أهل تجـلي الذات الجامع المطلق فقال عينا يشرب بهـا المقربون ، عينا منصوب على المدح ، ولذا فصل عما قبله ، وتنوينه وتنكيره للتفخيم والتعظيم ، بمعنى أن المقربين يشربون العين الذات الجامع ، أخبر أولا عن الأبرار أنهم يسقون من بعض أسمائها ، ولذا قال يشرب بها ، ولم يقل يشرب منها ؛ لأن العين بمعنى الذات هي الشاربة من وجه محو آثار الغيرية حكما ، وهي المشروبة من وجه بقاء التمييز عينا ولهذه النـكتة جاءت الباء صلة ، وهـذه الآية مثل قوله في سورة الانسان إن الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، عينـا يشرب بها عباد الله ، أخبر أيضا أن شراب الابرار من كاس ، فشرابهم محصور محدود بالـكأس ، وهو أما صورة حسية أو معنوية أو علمية ، وأخبر أن المقربين وهم المعنيون بعباد الله أي الذات المسماة بالله الغني عن العالمين ، وعن الأسماء والصفات ، فالله في هـذه الآية ومثلها علم على الذات ، لا على المرتبة ، فهم يشربون عينا مطلقا ، لا باعتبار صورة أسمائية أو صفاتية ، وذلك لاطلاقهم ، فهم غير مقيدين باسم أو صفة بل لهم جميع الأسماء والصفات

(الموقف المائة واحد والتسعون)

قال تعالي ، ليس كمثله شيء ، إن كان الـكاف بمعنى مثل فقد تقدم الـكلام علي ذلك في هذه المواقف ، وان كانت الـكاف صله فالآيه لنفي المثلية له تعالي من حيث الوهيته فالضمير المضاف الى مثل ، يعود علي الاسم الله المتقدم الذكر ، وهو هنا اسم للمرتبه التي هي الألوهيه التي هي صفه الذات

العلية ، الغيب البحث فنفي المماثلة إنما هو عن المرتبة فهي التي لا مثل لها فلا إله الا الله والله في الكلمة المشرفة كلمة التوحيد علم على الذات العلية لاصفة إذ لو كان صفة ما أفادت الكلمة المشرفة توحيدا وهي تفيد التوحيد إجماعا فالألوهية لا مثل لها ، ولها ضد وهو المألوه العابد، والمنفي في الآية هو المثل بسكون المثلثة لأن المشارك في الحقيقة كزيد وعمرو ، فهما مثلان لاشتراكهما في الحقيقة الانسانية وإن كانا غيرين إذ زيد غير عمرو ضرورة ، وأما المثل بفتح الميم والثاء فلم تنفه الآية ولا هو منفي لأنه لا يشارك في الحقيقة ، وإنما هو مظهر يظهر به وتعين يتعين به ولذا ورد في الخبر ، إن الله خلق آدم على صورته وفي رواية صححها ابن النجار على صورة الرحمن فآدم تعين الرحمن والرحمن تعين الله، والله تعين الهو فالتعين مثل بفتح الثاء لا مثل، قال الله ، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، فعلامة المثل العزة والحكمة.وأما الذات فلا مثل لها ولا ضد ، إذ لا غير لها فلا مثل ولا خلاف، فانها عين المثلين والضدين والنقيضين والخلافين،فلولاها ماتصور شيء من هذه الأشياء ولا وقعت عليه عبارة معبّر، ولا إدراك مدرك ، ومع هذا فلا يحكم على الذات بحكم، لأن كل حكم إنما يتقوّم بها ولأنها لا تتصور والحكم فرع التصور ، وقولي ، لا يحكم عليها منفي أيضا فانه حكم ولكن لضرورة التفهيم وكما أنها لا تعلم لأنها لا تتصور وأول مراتب العلم التصور ، فهي لا تجهل لأن الجهل لا يرد إلا على مايرد عليه العلم كما هو شأن الضدين ولكنها تتوهم وتتخيل

(الموقف المائة الثاني والتسعون)

قال تعالي ، فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، الخ الآية ،

أي إذا قرأت القرآن ثم نزلت الي قراءة الفرقان فاستعذ، لأن حضرة القرآن حضرة الجمع، والوجود حضرة الذات، الجامعة الأحدية ؛ وهو حال شهود حق بلا خلق ، وهو المعروف عند ساداتنا رضوان الله عليهم بوحدة الشهود وهذه الحضرة لا شيطان فيها ، ثم بعد قراءة القرآن رجعت إلى قراءة الفرقان ، مقام شهود خلق قايم بحق ، وهو المعروف عند السادة بوحدة الوجود ، حضرة الصفات والكثرة الاعتبارية ؛ فحينئذ يلزمك بعد قراءة القرآن والرجوع إلى الفرقان ، ملاحظة الحكم الآلهية ومراعاة الأسباب والوسائط ؛ حسب أمر الشارع بذلك فتتقي ما أمرك باتقائه؛ وتسلك حيثما سلك بك. فانه جعل للخير أسبابا وللشر أسبابا، ومن جملتها الشيطان الرجيم، فانه مظهر الاضلال والاغواء، فاستعذ بالله وتحصن منه به تعالى ، ثم أخبر تعالى أن الشيطان ليس له سلطان وغلبة بقوته الذاتية على الذين أمنوا وصدّقوا بان لا ضار ولا نافع ولا هادي ولا مضل إلاّ هو تعالى ، وأنه الخالق للشر والخير ، المنفرد بايجاد كل شيء وحده لا شريك له ، فالآية مشيرة إلى أن المستعاذ به هو المستعاذ منه ولذا قال السيد الكامل صلى الله عليه وسلم فى الخبر الذى أخرجه أصحاب السنن الأربعة ، بسم الله الذى لا يضر مع إسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء ، أي أستعيذ بسم الله ، فذكر المستعاذ به وما ذكر المستعاذ منه إشارة إلى أنه هو هو فيستعاذ بأسماء الرحمة والجمال من أسماء القهر والجلال ، فذكر الله إسم الجامع لا يستعاذ به ويستعاذ منه ؛ ثم زاد الاشارة إيضاحا بقوله ، الذى لا يضر مع اسمه ، الضار شيء مما ينسب اليه الضرر من شيطان ومن كل ماذرأ وبرأ في الأرض وفى السماء ؛ فلا تأثير لمخلوق فى ضرر مخلوق أصلا ، وعلى ربهم يتوكلون ، جعلوه وكيلهم حسب أمره لهم بقوله وعلى الله فتوكلوا فجعلوه

القائم منهم بجميع مهماتهم واستكفوا به فكفاهم ، ثم أخبر تعالى على طريق الحصر أن الشيطان إنما قوته وسلطانه بتسليط الله وأقداره على الذين يتولونه توليتهم اياه بمعنى اشتغالهم به اشتغال الولي بوليه ، والصاحب بصاحبه ، أما محبة ورضى بما يلقيه كالكافر الصريح ، أو خوفا من شره كحال المحجوبين من العباد والزهاد الذين هم دائما يترصدونه خوفا منه ، والذين هم به مشركون أي جعلوا الشيطان شريكا له تعالى فى إيصال الضر والشر ، ولولا هذا لما خافوه كل الخوف فانه تعالى يقول ، فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين فلهذا أسلمهم الله الى الشيطان وجعل له سلطانا وغلبة عليهم ، ولذا ورد فى الخبر من خاف من شيء سلط عليه ، أي جعل الله تعالي له سلطة وغلبة عليه لأن من خاف مخلوقا فقد أدخل نفسه تحت حكمه وجعله ملحوظا له فيعاقبه الله تعالي على ذلك بتسليط ذاك المخوف عليه

(الموقف المايه الثالث والتسعون)

قال تعالى ، وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا ، الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا ، الآية تهديد ووعيد وجهنم كل أحد بحسب حاله ومقامه إذ هي مأخوذة من البعد فمنهم من جهنمه الحجاب ، ومنهم من جهنمه العذاب مع الحجاب ، والكفر جلي وخفي ، وقد ورد فى صحيح البخاري كفر دون كفر ، وهو مطلق الستر ولذا سمي الزراع كافرا ، فالكفر الجلي هو ستر ماجاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وجحده وهو المعروف والكفر الخفي الذى هو أخفى من دبيب النمل ستر الوجود الحق الواجب القديم الذى قامت به السموات والأرض ومابينهما ، ونسبته للحوادث بمعني أن لها وجودا مغايرا للوجود الحق ، الذين كانت أعينهم فى

غطاء عن ذكري ، أي كانت أعينهم محجوبة مغطاة عن رؤيتي فلا يروني ولا يتذكرون وجودى مع مايرونه من صور المخلوقات وأشكالها وألوانها ، ولا قبلها ولا بعدها ، وكذا كانوا لا يستطيعون سمعا أي لا يقدرون أن يسمعوا منى مايسمعونه فى ظاهر المخلوقات ، مع أنني المتكلم من خلف جدار كل صورة ، انظر الى موسى عليه السلام سمع النداء من الشجرة وعرف أنه كلام الله ، مع أن الشجرة فى جهة له والحق تعالى ليس فى جهة ، والذى جعلهم لايرون الحق فى مظاهره وتعيناته ، وكانت أعينهم فى غطاء عن ذكره ، أي عن تذكره عند شهود المظاهر ، وكذا جعلهم لا يستطيعون أن يسمعوا كلامه تعالى هو وقوفهم مع التنزيه العقلي المحض الغير الممزوج بالتشبيه الشرعي وماعلموا أنه تعالى منزه مقدس عن الحلول والاتحاد والامتزاج ، عند ظهوره بالمظاهر من اسمه تعالى ، الظاهر ، يحس بكل حس ، ويشعر به كل مشعر ، من القوى المدركة الظاهرة والباطنة ، فيرى بحاسة الرؤية ، ويسمع بحاسته السمع ، ويلمس بحاسته اللمس ، من حيث أن الظاهر عين المظهر ، قال إمام العارفين محي الدين

إن قلت أن الحق عنك منزه   فطريق شرعك أنه ملموس
ومنزه أيضا بشرعك فاعتبر   فى الحالتين فعقلك المبخوس

فيوصف تعالى بأوصاف المحدثات ، ويحكم عليها بأحكامها ، ومن ذلك ماورد فى الحديث الربّاني فى صحيح مسلم ، مرضت فلم تعدني واستطعمتك فلم تطعمني ، الحديث بطوله ، وقال تعالى ، يد الله فوق أيديهم ، بعد قوله ، ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، ويسمى بجميع أسماء المحدثات ، كما قال تعالى ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وقال أبو سعيد الخراز ،

ما عرف الحق تعالى إلاَّ بجمعه بين الضدين ، ثم تلا ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو المسمى أبو سعيد الخراز ، فكل ماورد فى الكتاب والسنة من المتشابهات ، فمحله مرتبة الظهور والتعين بالمظاهر ، من إسمه تعالى الظاهر وكل ماورد فى الكتاب والسنة من التنزيه فمحله مرتبة التجرد عن المظاهر من اسمه تعالى ، الباطن ماعرف هذا مع اعتقاد التنزيه فى التشبيه ، فان الحق الذى لا يمترى فيه إلاّ محجوب بعقله

(الموقف المايه الرابع والتسعون)

قال تعالي : اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور ، أمر تعالي آل داود بأن تكون أعمالهم كلها شكرا وآل داود المأمورون هنا المقصود منهم الانبياء خاصة ، فهو عام أريد به الخصوص كما قال زكريا عليه السلام ، يرثني ويرث فى آل يعقوب ، المراد بآل يعقوب الأنبياء خاصة لأن المطلوب لزكريا ميراث النبوة لا المال ، وقليل من عبادي الشكور ، يعنى والكثير غير شكور ، هذا في عباد الذات لافي عباد الأسماء ، فانهم غير مرادين هنا لأن الضمير فى قوله عبادي ضمير الذات الجامع لجميع المراتب ، فالعباد المضافون بين كامل وأكمل ، فالاكملون هم القليل الشكور ، ولايكون العبد شكورا بصيغة المبالغة ، حتى تكون أعماله كلها شكرا ، ويصرف جميع ماأنعم الله عليه لماخلق لأجله ، وأما من كان تارة وتارة فلاوهذا القليل هم الأنبياء والرسل وورثتهم الكمل عليهم الصلاة والسلام ، والكاملون هم الكثير القليلو الشكر ، وهم العارفون الذين ماوصلوا رتبة الأكملية ، فالاكمل لا يقع منه شيء من الأعمال نافلة ، بل جميع أعماله فرائض لأنه إنما يعمل مايعمل شكرا ، وشكر المنعم واجب شرعا ، عند السني وعقلا عند المعتزلي ، ولا يخلو إنسان أي انسان

في وقت من الأوقات ، ليلا ونهارا ، من نعمة أقلها دوام الامداد ، لبقاء الايجاد ، فان الوجود الذى للانسان بمثابة الجوهر ، والامداد بمثابة العرض ولا بقاء للجوهر بدون تجدد الأعراض عليه ، فاذ خلو الجوهر عن العرض محال ، ولهذا لما قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه ، وقيل له ، أتفعل هذا يارسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال ، أفلا أكون عبدا شكورا : فنوافل الأكملين صورة وحكما شرعيا نوافل ، وأما بحسب ما عندهم فهي فرائض هذا حال الأنبياء والورثة الأكملين ، لانهم لايعملون إلاّ الافضل الاحسن ، وقد سمعوا قوله تعالى فى الحديث القدسي ، ما تقرب اليّ عبدي بشىء أحب اليّ من أداء ما افترضته عليه وقدافترض تعالي على عباده الشكر ، فهم وان كان الحق تعالي هو الذى يتصرف بهم فى مشاهداتهم التي لا تحصى ، فلا يغيبهم عن عبوديتهم التي بها شرفهم،وأما غيرهم من الكاملين ، فقد يكون لهم هذا الحضور والشهود وقد لا يكون بل يكون غيره فافهم

(الموقف المائة الخامس والتسعون)

قال تعالى ، وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتي أبلغ مجمع البحرين، الآيات ، فى هذه القصة عدة مسائل تتعلق بالشيخ والتلميذ ، منها أن الشيخ ولو بلغ ما بلغ من العلم عند نفسه وعند أتباعه ، وسمع بمن هو أعلم منه ، فينبغي له أن يرحل اليه ليزداد علما ، ويستفيد حكمة ، فهذا موسى صلي الله عليه وسلم الحائز لكمالات النبوة والرسالة لما أخبره الحق تعالى بان خضر عليه السلام أعلم منه ، سئل السبيل الى لقيه فجعل الله له الحوت آية ، وقال له ، إذا فقدت الحوت فارجع فانك ستلقاه ، والقصة في صحيح البخاري ومنها أن الشيخ لا يردمن

جاءه بطلب علم ولو عرف عدم استعداده لما طلب ؛ فان الخضر عليه السلام عرف عدم صبر موسي عليه السلام أول ما لقيه ، فقال ، إنك لن تستطيع معي صبرا ، ومع هـذا ما رده ومنها أن للشيخ أن يشـترط على الطالب شروطا ويأخذ عليه عهودا بحسب ما يراه من المصلحة، ولهذا قال خضر لموسى عليهما السلام ، لا تسألني عن شيء ، يعنى فعلا ظهر لك منه مخالفتى الحق، ومنها أن للشيخ أن يأخذ العهد على من علم أنه ينقض العهد ، فان الخضر قال لموسي إنك لن تستطيع معي صبرا، وبعده أخذ عليه العهد ، وقال تعالي، وإذ أخذ ربك الآية ،وقال، وما وجدنا لأكثرهم من عهد الآية ، ومنها أن للشيخ اذا رأى الطالب أخل بشيء مما اشترطه عليه، أن يذكّره الشرط والعهد، فاذا اعتذر التلميذ قبل عذره أولا وثانيا، فان خضرا قبل عذر موسى عليهما السلام لما اعتذر بالنسيان وقبل عذره ثانيا، ومنها أن للشيخ أن لا يطرد الطالب إذا عاد الى الاخلال بالشرط ثانيا، وإن لم يذكر عذرا اذا رأى منه انكسارا فان موسى عليه السلام اعتذر أولا بالنسيان وثانيا لم يذكر عذرا ولكنه اشترط على نفسه فقبله خضر عليه السلام، ومنها أن للشيخ أن يفارق الطالب إذا أخل بالشرط ثالثا فلذا قال خضر فى الثالثة ؛ هذا فراق بيني وبينك ؛ ومنها أنه يلزم التلميذ الصبر والثبات وعدم تزلزل العقد فى الشيخ إذا رأى من الشيخ قولا أو فعلا خالف فيه الحق والأمر الشرعي، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال كما فى صحيح البخارى ، وددنا أن يكون موسي صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما، ومنها أن التلميذ اذا ساء ظنه بالشيخ فالأولي له أن يفارقه، وبقاؤه معه بعد تزلزل عقيدته فيه نفاق وضرر محض فلهذ قال صلي الله عليه وسلم كانت الثالثة عمدا، يعنى المسألة الثالثة من موسى، ومنها أن للشيخ

إذا عزم على فراق التلميذ لانكار التلميذ على الشيخ أن يبين للتلميذ وجه ما أنكره، من الشيخ فى قول أو فعل، ولهذا قال خضر لموسى عليهما الصلاة والسلام، سأنبؤك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا، وأما إذا صبر المريد حين ما يرى من الشيخ ما يجهل وجه صوابه وما تغير عقده فى الشيخ، فان الله تعالى سيرحمه بكشف حجاب جهله، فيعلم وجه ما كان صدر من الشيخ من قول أو فعل، ويظهر له صوابه ويجده الحق الذى لا محيد عنه، ومنها أن يجب على التلميذ أن لا يقول للشيخ لمَ ولا كيف، فى كل ما يصدر من الشيخ من أمر أو فعل أو ترك، ولهذا قال خضر لموسى عليه السلام، فلا تسألني عن شيء فعلته لمَ فعلته، ولا عن شيء تركته لمَ تركته، ولكن قل له وجه أنا جاهل به، ومنها أن لمن أخذ علما من غير طرقه المعتادة بين الناس، أن يبيّن ما أخذه بشرط الاضطرار الى البيان، ولذا قال خضر عليه السلام، وما فعلته عن أمرى بل عن أمر ربانّي ورد على كيانى، وأما إذا لم يضطر للبيان فليس له أن يبيّن طريق أخذه، وكيفية تلقيه، وانما عليه بيان العلم الذي ورد عليه فقط اذا أمر بالبيان، ومنها أن الطالب مادام لا يجد في طلبه نصبا، ولا يحس فى سفره تعبا، فهو مطلوب محمول مراد فاذا أحس بشيء من ذلك بعد فقد تبدلت حالته فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو فى الصحيح لم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به، ومنها أن العالم الربّانى اذا أنكر عليه متشرع ليس من أهل طريقه لا يشغل نفسه به ولا برده بل يستقل بواجب وقته فى ظاهره، وباطنه، ولا يلتفت اليه وان كان ولا بد فليقل كما قال الخضر لموسي عليهما السلام أنت على علم علمكه الله، وأنا على علم علمنيه الله، ومنها ان المتشرع الصادق المخلص المحتسب أن ينكر على الصوفى ما ينكره

ظاهر الشرع ولكن فى الأشياء المجمع عليها لا فى الخلافيات مع إعتقاد كمال الصوفى فى الباطن فان موسى أنكر على خضر عليهما الصلاة والسلام ما خالف ظاهر الشرع ولاشك أنه كان يعتقد أكمليته وأعلميته ضرورة لأن الله تعالي أخبره أن خضر أعلم منه، اذ المتشرع طريقه أخص فله أن ينكر على الصوفى والصوفى طريقه أعم فليس له أن ينكر على المتشرع الي غير هذا من العلوم التي تشير اليها هذه القصة

(الموقف المائة السادس والتسعون)

قال الله تعالى: إن الله على كل شيء قدير . شيء بمعنى مشيوء، مراد فعل بمعني مفعول، فهو تعالي يقدر على كل ما يريد فعله كما قال تعالى، فعّال لما يريد وقال إن الله يفعل ما يريد ولا يريد الاّ ما يعلم قبوله وانفعاله ويعلم المعلوم على ما هو عليه فى حقيقته من القبول وعدمه، والمحال غير قابل للانفعال وعليه فقول القائل هل يقدر الله تعالي على المحال ، سؤال فاسد وان كان ولا بد فليقل هل يريد الحق تعالى فعل المحال أولا ، فحينئذ فالعقلاء مجموعون علي أن الحق تعالي حكيم وإرادة فعل مالا يقبل الفعل فلا ينفعل عبث تعالي الحق الحكيم عن ذلك فان تعلق القدرة بالمقدور متأخر بالذات عن تعلق الارادة به، كما أن تعلق الارادة بالمراد المشيوء متأخر بالذات عن تعلق العلم به، كما أن تعلق العلم به متأخر بالذات عنه، إذ العلم تابع للمعلوم فهذه التعلقات مترتبة ترتبا ذاتيا عقليا لا زمانيا، لأن صفات الحق تعالى لا تدخل تحت الزمان فلو أراد فعل ما لا يدخل تحت قدرته كان جاهلا عابثا ظاهر العجز، تعالي العليم الحكيم القادر عن ذلك، ولو فعل مالا يريد كان مجبورا مقهورا، تعالى الفاعل المختار عن ذلك، لسان آخر ان الله على كل شيء قدير ، الشيء مايصح أن يعلم

ويخبر عنه فهو أعم العام وأنكر النكرات، كما هو عند أرباب اللسان فلا يستحيل عليه تعالي فعل شيء من المستحيلات العقلية والعادية، قال القطب علي وفا رضي الله عنه، استقرأ أهل الاستقراء الكتابي فلم يجدوا فى الكتاب المحمدي أنه قال، لو مقرونة بالارادة أو الاشاءة الربانية أو الآلهية أو البرهانية الاّ وجوابها واقع لا محالة : كقوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء، فهذه ولادة معنوية حكيمية واقعة وكقوله لو أردنا ان نتخذلهوا لاتخذنادمن لدنّا أي على وجه حكيم وهو واقع كالضحك والبشبشة وكقوله، لوشاء الله ما أشركوا وذلك واقع فى الحقيقة ولو شاء ربك ما فعلوه، وهو كذلك فى الحقيقة وكقوله لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض وهو واقع لا محالة عندعود الأمر الي بدايته اهـ

(الموقف المائة السابع والتسعون)

قال تعالى ، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون ، فى الآية إشارة لبيان سلوك طريق المعرفة أمر تعالى المؤمنين بالتقوي ، وهو المعبّر عنه عند القوم بمقام التوبة الذي هو الأساس لسلوك الطريق والمفتاح للوصول لمقام التحقيق ، فمن أعطيه أعطي الوصول ، ومن حرمه حرم الوصول ، كما قال بعض السادة : ما حرموا الوصول الاّ بتضيع الأصول ، ثم قال ، وابتغوا اليه الوسيلة أي بعد أحكام مقام التوبة بشرائطه ، اطلبوا الوسيلة ، وهو الشيخ الكامل بالنسبة ، العارف بالطريق : وبالعلل العائقة ، والأمراض المانعة ، في الوصول الى العلم بالله تعالى الحاذق الخبير بالمعالجة والأمزجة والأدوية ، وما يوافق منها ، وقد انعقد اجماع أهل الله تعالي انه لا بد من الوسيلة ، وهو الشيخ

فى طريق العلم بالله تعالى ، ولا تغنى عنه الكتب ، وذلك عند ورود الواردات ، وبوارق التجليات والواقعات ، ليبين للمريد المقبول من المردود ، والصحيح من السقيم ، وأما بداية السلوك فيكتفي بالكتب المصنّفة فى المعاملة والمجاهدة المطلقة : وجاهدوا في سبيله ، أمر بالجهاد بعد الظفر بالشيخ : وهو جهاد خاص يكون بحسب أمر الشيخ وما يرسمه للمريد ، فان المجاهدة بغير شيخ لا يعول عليها ، الاّ فى النادر فليس هو جهادا واحدا على طريق واحد ، لأن الاستعدادات مختلفة والأمزجة متباينة ، فلربما يكون الأمر النافع لزيد مضرا بعمرو وبالعكس

(الموقف المائة الثامن والتسعون)

ورد فى صحيح البخاري وغيره ، من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له في أثره أي عمره فليصل رحمه ، ووردت أحاديث كثيره فى الباب كلها ترجع الى أن فعل البر يزيد فى الرزق والعمر ، هذا مع قوله تعالى ، فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، ومع قوله صلى الله عليه وسلم كما هو فى الصحيحين فى أثناء الحديث الطويل ، ويؤمر الملك بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ، يعني فلا يزاد ولا ينقص من ذلك ، وقد سألني بعض اخواني كشف هذا الأشكال حيث ما أقنعه ما قال شراح الحديث فتوجهت الى الله تعالى في كشفه ، فغيبني تعالى عن العالم وعن نفسي وألقى عليّ قوله ، وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الاّ خسارا ، وألقي عليّ ما نسمع ، فهذا التعارض الباطل المدفوع وارد فى القرآن ، قال تعالى ما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الآية ، وقال فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، والقرآن لا اختلاف فيه ولا تعارض

لأنه من عند الله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، فمن كان القرآن شفاء له بيّن له تعالى الوجه المراد فانعدم الاختلاف عنده ، ومن جعل الله له القرآن خسارا ، أعمى الله عنه الوجه المراد فزاده القرآن خسارا ، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، لظن الاختلاف في القرآن وكذلك هذه الأحاديث ، فان من الأمور ماله سبب واحد لا يكون غيره ، ومنها ماله أسباب كثيرة متعددة ، كما قال القائل ، تعددت الأسباب والموت واحد ، فمن سبق القضاء الأزلى ، ولا يكون القضاء الاّ تابعا للمقضى لطلبه ذلك القضاء باستعداده ، ونفذ الحكم الآلهي بشفائه من أمراض القلوب ودواء العقول ، وهي المذاهب الباطلة والآراء الفاسدة ، فلا سبب لشفائه الاّ القرآن قل إن الهدى هدي الله ، أي لا هداية الاّ هداية الله ، ولا هداية لغيره الاّ بالمجاز ، ومن لم يسبق القضاء الأزلى والحكم الآلهي بشفائه زاده القرآن خسارا ، وكذا أعمال البر التي ورد فى الأحاديث إنها تزيد في العمر والرزق ، المراد إذا سبق القضاء والحكم بزيادة عمر إنسان على أعمار أمثاله في الصفات والزمان والمكان ، وبزيادة رزقه على أشباهه في التكسب ومعاطاة أسباب الرزق فلا سبب لذلك الاّ ما ذكر فى الأحاديث ، ومرجعها كلها الى معنى واحد ، وهو عمل البر ، وأما إذا لم يسبق القضاء والحكم الآلهى بزيادة فى عمر انسان ولا فى رزقه ، فانه وإن فعل أعمال البر التى كانت سببا فى زيادة عمر غيره ورزقه فلا تكون سببا له هو فى ذلك إذ الشيء قد يكون سببا وقد لا ، لأن ذلك راجع للاستعداد ، والاستعدادات متباينة متخالفة ، فالاستعداد هو السبب الأول ، والقضاء مترتب عليه ، وهما غيب ، والاسباب المشهودة لواحق مترتبة عليه ، والأشياء فى عالم الغيب الذي هو العلم الذاتي

ليس فيها سبب ومسبب عنه ، ولا تقدم ولا تأخر ؛ ولا ترتيب ، وذلك لوسع هـذا العلم ، وإنما كانت الأسباب والمسببات ، والتقدم والتأخر ، والترتيب كتقدم العلة على المعلول ، والشرط على المشروط ، والسبب على المسبب في هـذا العالم لضيقـه ، وهو عالم الشهادة المسمى بعالم الحكمـة ، وعالم الأسباب ؛ فلا يوجـد فيـه موجود إلاّ عن سبب غالبا ولا يبقى ويثبت إلاّ بسبب ، ولا يزول ويمحى إلاّ بسبب ، وهـذا هو لوح المحـو والاثبات ، كما قال تعالى ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، الذى لامحو فيه ولا إثبات ، فيمحو ما يشاء ويزيله بسبب كازالة الأمراض بالأدوية النافعة ، ويثبت ما يشاء بسبب وهي الأسباب المثبتة للأشياء بعد إيجادها ، وهي لا تحصر كثرة ، وأما اللوح المحفوظ من المحو والاثبات الذي هو مظهر العلم الذاتي ، فهو العلم الغيبي ليس فيه شيء مما ذكر فى لوح المحو والاثبات ، وإنما لم يفصل صلى الله عليه وسلم هذا التفصيل لأن هذا الكلام خرج منه صلى الله عليه وسلم مخرج الترغيب والتنويه بعمل البر والتعريف بعلو مكانتـه ، أي هو بحيث أنه يكون سببا لزيادة الرزق والأجل ، إذا سبق القضاء بزيادة ذلك على أمثاله لا مطلقـا ، وإذا لم يسبق القضاء بزيادة فى ذلك ، فلا جرم أن له أجرا جزيلا وثوابا جميلا ، وعبّر عنه صلى الله عليـه وسلم بقوله ، من أحب اعتبارا لما جعله الشارع للانسان من الكسب والاختيـار ، إذ هو فاعل مختـار فى ظاهر الأمر وبادىء الرأي ، وإلاّ فالأمر كما ذكرنا ؛ وربك العليم الحكيم

(الموقف المايه التاسع والتسعون)

حصل لي أيام التوجه قبض واستبعاد للطريق لجهلي بنفسي واعتقادى

البعد من ربي فغيّبني الحق تعالى من نفسي وألقي عليّ قوله، والملائكة يسبحون بحمد ربهم ، وقوله ، له الأسماء الحسنى يسبّح له مافى السموات والأرض ، وقوله ، ولله الأسماء الحسني فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه ، وقوله ، هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ، أخبرني تعالى فى الآيتين الأوليين ، إن الملائكة مع كثرتهم التي لا يحصيها الاّ خالقهم يسبحونه ويذكرونه ، فلا تتوهم أنك تذكره وحدك فتتدلل بعبادتك وذكرك ، فتريد أن يفعل بك ما تريد ، لا ما يريد ، وفى الوقت الذى يريد ، لا فى الوقت الذى تريد ، فاعرف قدرك وتأدّب، فان العبد يفعل ما يليق بالعبودية ، والرب يفعل مايليق بالربوبية ، وأخبرني فى الآية الثالثة ، إن لله أسماء كثيرة لا يحصيها إلاّ هو ، أسماء تنزيه وتشبيه ، وأسماء ذات ، وأسماء صفات ، وأسماء أفعال ، وكلها حسنى فادعوه بها ، أي أعرفوه فى كل إسم تجلي لكم به ، وادعوه لأنه المتجلي باسمائه ، وهي مراتب ظهوراته وتجلياته ، ومن جملتها اسمه القابض ، فهو تعالى يريد أن يتعرف لعباده فى أسمائه فيعرفونه فى كل إسم تجلى به على أي عبد شاء من عباده ، فمن عرف الحق تعالى فى بعض تجلياته فى أسمائه دون بعض فما عرفه فى مرتبة إطلاقه ، وإنما عرفه مقيدا تعالي عن التقييد ، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه ، اتركوا وباعدوا الذين يميلون الى بعض أسمائه دون بعض كالمنزهة ، فان ميلهم الى التنزيه فقط ، وكالمشبهة فان ميلهم الى التشبيه فقط ، فكل واحد منهما إنما يعرف الحق فيما مال اليه من أسماء تنزيه أو أسماء تشبيه ، ويجهله إذا تجلى فى غير ما مال اليه وكلاهما جاهل به تعالى ، معطّل لغير ما مال اليه من الأسماء وممن خلقنا أمة وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فكل رسول أمة ، لأن حقيقة كل رسول مجموع أمته التابعين

له يهدون بالحق هم وورثتهم ، بمعنى يدعون الناس ويهدونهم الى شهود الحق تعالي فى جميع أسمائه ، فانها مظاهر ذاته ، سواء كانت أسماء تنزيه أو أسماء تشبيه ، فلا يجهلونه فى شيء من ظهوراته مع اعتقاد ليس كمثله شيء وهو تعالى قد عرفهم أنه الظاهر فى كل شيء من الاسماء وآثارها ، فلا يجهلونه فى شيء أبدا ، وأخبر تعالي فى الآية الرابعة ، أن القبض والبسط بمثابة الليل والنهار ، فالقبض شبيه بالليل لما فيه من الانكماش والانقباض وسكون النفس بالقهر ، الذى نزل عليها وتحققها بعجزها عن دفع ما نزل بها فهي لا تمرح ولا تدعى ولا تسترسل فى الأماني والطلب ، فلا حظ للنفس فى القبض أصلا ، فلهذا كان الانسان وقت القبض أقرب الى السلامة وتوفية الربوبية حقها ، والأدب معها منه فى وقت البسط ، وأما البسط فهو شبيه بالنهار لما فيه من نشاط النفس وتسريحها بعدم حصول قاهر لها ، واسترسالها فى الأماني والدعاوى الباطلة ، ولهذا كان وقت البسط أقرب الى العطب من وقت القبض ، قال بعض السادة ، لايقوم بحق الأدب فى البسط الا القليل

(الموقف المايتان)

روى مسلم فى صحيحه وغيره ، إن الحق تعالي يتجلي لأهل المحشر في أدنى صورة من التي رأوه فيها ، فيقول لهم أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه ، ثم يتحول لهم في صورة أدنى من الصورة التي كانوا راؤه فيها ، فيقول لهم أنا ربكم ، فيقولون نعم أنت ربنا الحديث بطوله ، إعلم أن الناس فى تحول الحق تعالي في الصور ثلاث فرق ، فرقة تنكره في الدنيا والآخرة ، وتؤوّل الأحاديث الواردة في التحول في

الصور الى أمور تليق بعقولهم وهم علماء الظاهر ، وفرقة تنكره في الدنيا وتقره في الآخرة تفويضا على مراد رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وعلى ما يليق بجلاله تعالى من غير تأويل وهم عامة السلف الصالح ، وفرقة تقره في الدنيا والآخرة من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج ، ولا تولد مع اعتقاد ليس كمثله شيء ، وهم العارفون بالله تعالى أهل التجلي والشهود فى الدنيا ، فان كنت سالك طريقهم فأي صورة اشهدك الله تعالى نفسه بها أو عندها أوفيها فهي صورة تحول لك الحق تعالى فيها من غير حلول ولا اتحاد ، رأى صورة لم يشهدك الحق تعالى نفسه بهاأوعندها أو فيها فهي صورة احتجب الحق تعالى عنك بها ، ولقد رأيت سائلا فى الجامع كلما وقف على انسان يسأله يقول ، لا تقصد الاّ الله ، فقلت هذا السائل إما أن يكون من أهل هذا الشأن ، وإما ان يكون الحق تعالى أجرى على لسانه هذه الحكمة العظيمة ، فيلزم السائل سواء سائل الدنيا أو سائل العلم أن لا يسأل إلاّ الله من كل صورة مسؤولة ، فانه لا يعطي السائل مطلوبه إلاّ هو تعالى ، فلا يسأل الاّ الله تعالى ولا يأخذ الاّ منه تعالى ، يروى أن عارفا كان يسأل فأعطاه عارف شيئا وقال خذه لا لك ، فقال السائل آخذه لأمتك ، والتحول الوارد فى الحديث هو لأهل الحشر الخاص والعام منهم فينكره العوام أولاّ ، لأن كل واحد منهم ما عرف آلهه الاّ مقيدا بالصورة التي اعتقده عليها حسية أو معنوية ، ويعرفه الخواص العارفون به فى الدنيا لأنهم عرفوا آلها مطلقا مجردا عن جميع القيود والحدود ، فلا يجهلونه فى شيء من تجلياته عرفهم ذلك ذوقا اختصهم به ، فاقتطعهم عن الخلق بسببه

لا يعرف الشوق الاّ من يكابده ... ولا الصبابة الاّ من يعانيها

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالنفس يشريه

والتحول في الصور في الدنيا والآخرة إنما هو في نظر الناظر والا جل الحق تعالى أن يتحول أو يتغير أو يتبدل أو تحدث له صفة لم يكن عليها

(الموقف المايتان وواحد)

قال تعالى ، أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، الآية ، الاستفهام إنكارى معناه النهي أي لا تشهدوا صورة عبدت انها عبدت مع الله أي صورة كانت حسية أو معنوية ، إذ المعية في اللسان المتواضع عليه تقتضي وجودين ، وليس الوجود الا واحدا ، وقد قضي أن لا نعبد الا إياه ، فلا يمكن أن يعبد معه سواه ولا يلزم من تعدد الصور تعدد الحقيقة ، فان الحقيقة الانسانية واحدة باجماع العقلاء وصورها لا تحصى كثرة ، فان السمع والبصر والشم واليد والرجل ، كلها صورها ، قل لا أشهد ما شهدتموه من تعدد الآلهة وإنما أشهد آلها واحدا تعددت مظاهره ، والعين واحدة كالأسماء المتعددة للمسمى الواحد ، فهل ذلك قادح في وحدة المسمى ولهذا قال إنما هو آله واحد ، أي المعبود في كل صورة هو آله واحد عينا ، وحقيقة ووجودا ، وليس هنالك آلهة مع الله كما قال تعالى في آية النمل ، أإله مع الله ، أي لا إله مع الله فهو آله واحد تعددت تعيناته ومظاهره ؛ بل هم قوم يعدلون عن شهود الوحدة الحقيقية ، الي الكثرة المجازية الاعتبارية ، فالعارف يرى جميع الصور المعبودة وغير المعبودة ليس لها وجود مع الله ، وإنما وجودها هو وجود الله الواحد العين ، والحقيقة والصور ظهوراته وتعيناته ، والظهور والتعين والتعدد اعتبارات عقلية لا وجودية خارجية ، ولكن الحجاب صيرها كما يراها المحجوب ، وهذا التوحيد الذى قدمناه

هو الذى أمر الله تعالي به عباده، وجاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، فانه تعالى أمر بتوحيد حقيقة ألوهيته، فانها واحدة وجد الموحّد أو عدم، وما أمر بتوحيد الصورة والتعينات، فانها إعدام اعتبارية، وإنما أمر بشهود وحدته فى ألوهته، وسريان هويته فى مظاهره المتعددة، وتعيناته المتكثرة، وحينئذ يكون هو الذى وحّد نفسه بنفسه، فيصح قوله لا إله إلاّ الله، بمعني نفي تعدد الآله فى ألوهته، وان تعددت مظاهره ولا وجود إلاّ وجود الله

(الموقف المائتان واثنين)

قال تعالى فى تعديد صفات السيد الكامل صلى الله عليه وسلم، وسراجا منيرا، إعلم أن الانارة لازمة للسراج. وكما يصح أن يكون منيرا صفة كاشفة، يصح أن يكون بمعنى جعل الغير منيرا، فانه ورد متعديا ولازما، فهو صلى الله عليه وسلم السراج المنير لكل سراج، أي يجعله سراجا منيرا، وكما أن السراج المحسوس إذا أسرجت منه، سرج كثيرة فلا شك أن ذلك السراج الواحد كان متضمنا لتلك السرج الكثيرة كلها، فكانت فيه بالقوة ثم خرجت الى الحس وانفصلت عنه فى الوهم: فهي هو فى الحقيقة والعلم، وهي غيره فى الوهم والحكم. فكذا الحقيقة المحمدية هي المنيرة لكل سراج منير حسا ومعنى، من نبي وولي، وملك وشمس، وقمر ونجم. فانها المظاهر الأول للحقيقة الكلية الجامعة، والسرج المنيرة كلها فيها بالقوة وتظهر بالفعل آنا بعد آن، أعني تظهر هي متعينة بتعين خاص، متميزة بتميز، فالسرج المنيرة غيرها بحسب التعين والتميز الاعتياديين، وهي عينها بحسب الحقيقة والعين، كالرجل الواحد برز فى الملابس المتعدده المختلفة،

فهو هو من حيث الحقيقة فى كل لبسة، وهو غيره بحسب اختلاف الملابس وتعددها

(الموقف المايتان وثلاثة)

قال تعالى ، الحمد لله رب العالمين ، الخ الفاتحة ، أنظر إلى هـذا الجود العظيم والعناية الكبرى بهذا العبد الكريم على ربه ، فانه تعالى أولا أمره بحمـده وعلّمه كيفية الحمد ، فقال قل الحمـد لله رب العالمين ، بالجملة الاسمية المفيـدة الدوام والاستمرار ؛ وبأل العهدية التي معهودها حمـد الحق تعالي نفسه بنفسه فى أزله ؛ وقال لله باللام المفيدة ان الحمد صادر منه تعالى راجع اليه ، فهو الحامد وهو المحمود ، وهو معني ماورد فى الخبر الصحيح ؛ واليه يرجع عواقب الثناء ؛ وما قال بالله لأن الباء لا تفيـد هـذا ؛ ولهـذا قال بعضهم ؛ اللاميون أفضل من البائيين ، وبعد ما خلق تعالي هـذا القول فى العبد ، قال تعالى ؛ حمدني عبدي أمر وعلم وخلق ، ونسب ذلك للعبد فهذا هو الفضل المبين إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب اليـك ، ثم علّمه تعالى كيف يثنى عليه ، فقال ، قل الرحمن الرحيم ، وبعد ما خلق ذلك فى العبد قال ؛ اثني على عبدى ، ثم علمه كيف يمجده ؛ فقال ، قل مالك يوم الدين ، وبعد أن خلق هذا القول فى العبد قال تعالى ؛ مجدني عبدى ؛ ثم لما حصل الحمد والثناء والتمجيد من العبد حصل على كمال الأدب فاطلق تعالى لسانه بعـد بالسؤال والطلب ، فعلمه تعالى كيف يسأل وماذا يسأل ؛ فقال له ، قل إياك نعبد ؛ أي اجعلنى لا أعبد ولا أخضع وأتذلل الاّ لك ، لأن العبـادة لغة الخضوع مطلقـا ، والانسان ولو ارتفعت منزلتـه ؛ وعظمت مكانته ؛ فلا بد أن يتذلل ويتعبـد لبعض المخلوقات التي يراها أعلى منه ،

والتعبد والتذلل لغير الله تعالى شرك ، فأمر الحق تعالى عبده أن يسأله شهوده فى كل مظهر ، عبده بمعنى تذلل وخضع له ؛ فيكون تعبده ح للظاهر تعالى لا للمظهر فيتخلص من الشرك ؛ بل يحصل على غاية الكمال فى الأدب ، فانه أعطى الظاهر تعالى حقه والمظهر مستحقه ؛ وقام بحق الشريعة والحقيقة ووفى المراتب ماتطلبه ، ثم قال له ؛ قل وإياك نستعين ؛ أى اجعلني لاأستعين إلاّ بك ، لأن المخلوق ولو بلغ من الاقتدار والعظمة فلابد أن يستعين بغيره من انس أو جن أو ملك أو إسم آلهي ، فاذا لم يشهد وجه الحق تعالى فيما استعان به كان مشركا ، فأمر الحق عبده أن يسأله شهوده فى كل شيء استعان به حسيا أو معنويا ؛ وحينئذ يتخلص من الشرك فاذا خلق تعالى هذا القول بالسؤال فى العبد ، قال تعالى هذا بيني وبين عبدى ، ولعبدي ماسأل ، يعني ماتقدم وما يأتي ثم بعد التفصيل أمره باجمال السؤال الجامع لأسباب السعادة ، فقال ؛ قل إهدنا الصراط المستقيم ؛ صراط الله الرب الموصل إلى رضوانه تعالى ودار سعادته ، ثم زاده بيانا فقال ، صراط الذين أنعمت عليهم ؛ وهم محمد واخوانه من المسلمين والنبيين صلوات الله عليه وسلامه وعليهم أجمعين وأتباعهم من الصديقين والشهداء والصالحين ، أترى بعد أن أمره بسؤاله وعلمه كيفية السؤال وأداب المناجاة ووعده باجابة سؤاله يرده صفر اليدين ؟ كلا فانه تعالى أكرم من أن يرده خائبا ولو لم يأمره بالسؤال ولا وعده بالاجابة ، كيف وقد أمر وعلم ووعد ، والحمد لله رب العالمين

(الموقف المايتان وأربعة)

قال تعالى ، كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس ، الآية ،

إعلم أن لكل انسان نفسين ، نفس مدبرة ، وهي النفس الروحانية الربانية العلوية ، ونفس مدبرة إسم مفعول ، وهي النفس الطبيعية العنصرية السفلية الحيوانية ، وحقيقتها كيفية تعرض بين النفس الروحانية الكلية و بين الجسم فهي مثلا كالصورة في المرآة عند المقابلة ، بواسطتها يصل تدبير النفس الروحانية للجسم ، وباختلاف القوابل التجلي النفس المقبول تعددت النفوس وتميزت وصح الاطلاق على المقبول الواحد بالتعدد ، فمن قال زوال الصورة الحاصلة في المرآة مثلا هو الموت ، قال الموت أمر وجودى ، ومن قال عدم التجلي هو الموت قال الموت أمر عدمى ، أي عدم الحياة فتقابل الموت والحياة إما تقابل عدم وملكة ، وإما تقابل تضاد عند بعض سادات القوم ولما كانت النفس واحدة للعالم جميعه ، والقوابل تقبل بحسب استعداداتها من ذلك التجلي كان من قتل نفسا . أي من كان سببا فى ابطال تصرف النفس الكلية فى الجسم بغير نفس أي بغير إذن شرعى و إنما وقع النص على النفس والفساد فى الأرض ، لأنه الغالب فكأنما قتل الناس جميعا ، ودخل فى الناس جميعا نفس القاتل فكان قاتل نفسه بمعني كان عليه وزر من قتل جميع الناس وقتل نفسه ، وذلك لوحدة النفس الكلية وهذا معنى قوله فى سورة البقرة ، وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ، إلى أن قال ، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وما قتلوا أنفسهم فى الحس ، وإنما قتلوا أعداءهم بالظلم والحمية الجاهلية ، ولشرف الانسان خصه الحق تعالى بهذا ، والا فالقياس أن يكون هذا الحكم عاما فى كل من كان سببا فى منع تجلى النفس على جسم من الأجسام بغير إذن شرعى من جماد ونبات وحيوان وانسان ، إذ لكل منها نفس تليق به تظهر آثار النفس المدبرة فيه بحسب استعداده ، ومن أحياها

أي كان سببا في إبقاء وصول تجلي النفس على الجسم الانساني بمعني دفع الهلاك المتوجه على انسان بحيث أنه لولا هو في بادىء الرأي لهلك ذلك الانسان كاطعامه في مسغبة وسقيه عند عدم الماء ، وتخليصه من حيوان مفترس أو دفع ظالم يريد قتله ، فكأنما أحيي الناس جميعا فيكون له أجر من أحيا جميع الناس لما تقدم من وحدة النفس

(الموقف المايتان والخامس)

قال تعالى ، إناّ فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما . هذا الفتح فتح الولاية لا فتح الرسالة ، فان فتح الرسالة متعلق بالأوامر والنواهى الوضعية المتعلقة بمصالح الخلق ، والنظر الى ماينفعهم في معادهم ومعاشهم بحسب أزمانهم وأحوالهم وارتباط الأسباب بعضها ببعض وترتب الأشياء على شرائطها فهو خدمة التجلي بضده ومعارضته نقيضه . والنظر الى الأمر الشرعى دون الارادي ، وفتح الولاية ليس كذلك فهو فتح مطلق لا تعلق له الاّ بحقائق الأشياء ومبادئها ونهايتها ولا تعلق له فيما بين ذلك ، وليس فيه أسباب ولا شروط موانع ولا أوضاع شرعية ولا حكمية بل هو سكون تحت الأمر الارادي ومساعدة التجليات الي أن تنقضي دولها لامعارضة ولا منازعة ولا مناقضة وهذا دون النبوة والرسالة والوراثة الكاملة التى هى مقام الدعوة الى الله تعالى ، ليغفر لك ليسترعنك ، ولك ومن أجلك الله ما تقدم قبل هذا الفتح وما تأخر عنه من ذنبك ، أي ذنب أمتك وإنما نسبت ذنوب أمته اليه صلى الله عليه وسلم لأن حقيقة كل رسول هي مجموع حقائق أمته ، فهو الكل وهم أشخاص ذلك الكل ، فكيف به صلى الله عليه وسلم الذى هو كل هذا الكل

وعنصر العناصر ، والجنس الأعلى ، وجوهر الجواهر ، وحقيقة الحقائق ، وروح العالم كله ومحركه ، وقد ورد إذا دخلت الشوكة في رجل أحدكم أجد ألمها ، ويتم نعمته عليك بهذا الفتح المبين والكشف اليقين فتقر عينك وتطمئن نفسك إذ كان صلى الله عليه وسلم كثير الاهتمام بأمته أمة الدعوة فضلا عن أمة الاجابة ، ولذا أشفق تعالى منه وقال له ، لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ، وقال ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، وهذا فى حق أمة الدعوة ، وقال فى حق أمة الاجابة ، عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم ، فاراحه الله بهذا الفتح المبين ، واعلم أن مآل من أذنب منهم المغفرة والوصول الى السعادة المطلوبة ، والغاية المرغوبة ، وإن حصل لبعضهم تخليص وتهذيب ، فهو غير قادح فى المغفرة لهم بالنسبة لما يحصل لغيرهم بتلك المعاصى نفسها ، ويصح أن يكون هذا الفتح أعم وأوسع بان يكون المراد إطلاع الحق تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم والرسل كلهم نوابه وخلفاؤه من أول رسول الى آخر رسول ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فيم خرجه الحاكم والبيهقى ، إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ، يعني الشرائع ، فهو الآتى بها أولا بمظاهر روحانية ، وهم الرسل وهو المتمم لها آخرا بظهوره بصورته العنصرية صلى الله عليه وسلم ، فانه كما روى أبو نعيم فى الحلية ، كان نبيا وآدم بين الماء والطين ، ومن هذا الفتح المبين الذى امتن الحق تعالى به على رسوله صلى الله عليه وسلم حصل لورثته الكمّل نصيب ، فتكلموا بشمول الرحمة وعموم السعادة لكل من دخل النار كمظهر الصفة العلمية محي الدين الحاتمى ، وعبد الكريم الجيلى ، والقطب على وفا ، وأضرابهم ، رضي الله عنهم ، ولا يظن أن القول بعموم الرحمة اختص به أهل الكشف فيكون قولهم خرقا للاجماع بل لا إجماع فى هذه المسئلة كما ستراه ،

قال شرف الدين المناوى ، قال الحافظ شيخ الاسلام ابن تيميه إنه قد جاء فى بعض الآثار مايدل على خلاص الكل آخرا وإن النار تفنى ويزول عذابها ، نقل ذلك عن ابن عمر ، وابن مسعود ، وأبى هريرة ، وأبى سعيد وغيرهم ، وأخرج عبد بن حميد باسنادين رجالهما ثقاة لو لبث أهل النار فى النار كعدد رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه ؛ وتداوله أئمة غير مقابلين له بالانكار ، قال أعني ابن تيميه ، وإنما أرادوا جنس أهل النار الذين هم أهلها ، أما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علموهم أنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريبا منه ، ولفظ أهل يختص بمن عدا المؤمنين كما يشير اليه عدة أحاديث ولا ينافضه ، خالدين فيها وما هم منها بمخرجين ، بل ما أخبر به الحق هو الحق الذى لا يقع خلافه ، ولكن إذا انقضى أجلها وفنيت كما تفني الدنيا لم تبق نار فلم يبق عذاب ، وورد فى عدة طرق عن ابن عمر رضى الله عنهما ، ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا ؛ وجاء نحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وأخرج عبد بن حميد عن الثقاة ، جهنم أسرع الدارين عمرانا وأسرعهما خرابا ، وأخرج ابن مردويه عن جابر رفعه فى قوله تعالى ، فأما الذين شقوا ففى النار ، الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن شاء الله أن يخرج إناسا من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة. فعل أه ، فأين الاجماع فما ظن الاجماع ، الا من جهل الخلاف والنزاع ؛ وقد ذكر ابن القيم هذه الأحاديث ، وصحح طرقها ، ورد طعن الطاعن فيها وهو من أئمة الحنابلة مشهور بالعلم والدين ويهديك صراطا مستقيما ، يوصلك ، فهي هداية توصيل وكشف وفتح مبين ، حتى تعلم نهاية أمتك ، وتشاهد مالهم فتجده صراطا مستقيما ، واستقامة هذا الصراط هو

كونه ترجع نهايته إلى بدايته ، فان استقامة كل شيء بحسب المقصود المراد منه ، فاستقامة الدائرة المرادة هي كونها يتصل آخرها بأولها على أول نقطة ، فلو مشت خطا من غير استدارة ما كانت مستقيمة ، فلو كان هذا الصراط خطا لوصل إلى العدم ، لأنه خرج من الوجود ، فاستقامته عوده إلى ما منه ابتدأ عود آخر الدائرة إلى بدايتها وبذلك استقامتها

(الموقف المايتان والستة)

قال الله تعالى ، وما الله يريد ظلما للعباد ، وقال وما ربك بظلام للعبيد ، وقال ، ولا يظلم ربك أحدا ، وقال ، وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ، وقال ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، ونحو هذا ، إعلم أن الظلم ورد بمعنى النقص ، يقال ظلمت الثمرة إذا نقصت ، ومنه قوله تعالى ، كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا ، وورد بمعني وضع الأشياء غير مواضعها التي تستحقها بالحكمة والعلم ومجاوزة الحد ، وكلا المعنيين منفي عنه تعالى ، مستحيل عليه فانه إنما يتصرف عطاء ومنعا ، ضرا ونفعا ، بالعلم والحكمة والعدل ، لأنه العليم الحكيم المقسط بيده الميزان يخفض ويرفع ، فلا يمنع من يستحق ، الكل بعض ما يستحق ، ولا يعطي من يستحق البعض أكثر مما يستحق ، دنيا وأخرى حسا ومعنا ، تعالى عن ذلك فعطاؤه ومنعه ، وضره ونفعه ، تبع الاستحقاق والاستعداد . والاستعدادات الكلية ، هي حقائق الأشياء . فلو ظلم أحدا ونقصه مما يستحقه باستعداده لكان نقصه من حقيقته التي هو بها هو ، وذلك محال غير معقول . ولو زاد أحداً فوق مايستحقه باستعداده لكان زاد له على حقيقته التي بها هو هو ، وهو محال أيضا ، هذا حكم الاستعداد الكلي ، وأما الاستعداد الجزئي فليس له هذا ،

ولا هو موجب لحصول مايطلب ، مثلا ترى فى خدمة الملك رجلا عاقلا عالما سائسا مستجمعا للكمالات عندك . ويكون عند الملك فى مرتبة ترى أنت أنه مستعد لأعلى منها ، ومستحق لأكبر منها وتقول أن الملك قصر به عن استعداده واستحقاقه، وليس الأمر كما ظننت فان هذا الاستعداد جزئي لا أثر له فالاستعداد الكلي غير معلول ولا مجعول ، بخلاف الاستعداد الجزئي فانه معلول مجعول ، فلا تظن أن الحق تعالى العليم الحكيم يمنع أحدا مما يطلبه باستعداده الكلي الذاتي ، وليس هذا إلاّ من اقتضاء الأسماء الآلهية التى هذه الأعيان الثابتة صور لها ، فما يقتضيه الاسم الذى هو حقيقة هذا المخلوق هو استعداده ، وكيف يتوهم متوهم أنه تعالى ينقص أحدا من استحقاق استعداده ، أو يزيده فوق استحقاق استعداده ، وهو تعالى له ثلاث نسخ غيبية والرابعة شهادته ، النسخة الأولى هي موطن كون العالم شؤونا ذاتية له تعالى وهو التعين الأول ، والنسخة الثانية هي موطن كون العالم أعيانا ثابتة وهو التعين الثاني ، والنسخة الثالثة موطن كون العالم مكتوبا مسطورا فى اللوح المحفوظ ، والنسخة الرابعة موطن كون العالم أعيانا خارجية شهادية فما كان فى النسخة الأولى وهو العلم الذاتي المحيط المتعلق بما لا يتناهى فلا يصل اليه علم أحد إلاّ أن يكون محمداً صلى الله عليه وسلم وعلى آله فانه صاحب أو أدنى ، أعنى باطن الوجود والعلم ، وأما ماكان فى النسخة الثانية فانه يصل اليه الرسل عليهم الصلاة والسلام وبعض الكمل من الورثة المحمديين كالأقطاب والأفراد ، فان التعين الثاني الذي هو قاب قوسين منتهى عروجهم ومسراهم ، وأما ما كان فى النسخة الثالثة وهى اللوح المحفوظ فيصل الله كثيرا من الأولياء ، وهو مقصور على ما قبل يوم القيامة وبعد يوم القيامة ليس فيه علم ذلك ،

ومع كون علوم اللوح محصورة فقد قال مظهر الصفه العلمية الآلهية محي الدين الحاتمي رضى الله عنه ، لم يحط أحد من الأولياء بعلوم اللوح المحفوظ ، وأما النسخة الرابعة فهى هذه المشهودة المحسوسة فمحال أن يكون شيء فى النسخ الثلاث الغيبية ولا يظهر فى النسخة الرابعة ، ومحال أن لا يكون هناك شيء فى النسخ الثلاث ويكون ويظهر هنا فى النسخة الرابعة ، قال بعض الأكابر : خوف العامة من سوء الخاتمة ، وخوف الخاصة من سوء السابقة ، ونظر العارفين الى السابقة مختلف ، فمنهم من نظره الى ما خطه القلم فى اللوح المحفوظ ، ومنهم من نظره الى عينه الثابتة ، ومنهم من نظره الى مقتضى استعداده ، وهو إعلاهم ، فاحفظ هذا الموقف فانه يريحك من أتعاب كثيرة تفضى بك الى الجهل وسوء الأدب ، وتهمة الحق تعالى ، ويحط عنك أثقالا عظيمة ، يحكى عن الامام ابن الحسن الشاذلى رضى الله عنه أنه قال ، صحبنى إنسان وكان كلاًّ عليّ فباسطته يوما فانبسط ، فقلت له ما تريد مني ؟ وما حاجتك عندي ؟ فقال لى ياسيدى سمعت أنك تعلم علم الكيميا فجئتك لتعلمنى ، فقلت له صدقت وصدق من أخبرك ، ولكن أرى ذاتك لا تحتمل هذا العلم ، فقال بلى أحتمله ، فقلت له ، إنى نظرت الى الخلق فوجدتهم قسمين ، أعداء وأصدقاء ، فتعلقت باصدقائي لينفعوني فوجدتهم لا يقدرون أن ينفعونى بشيء لم يقدره الله لى ، فصرفت نظري عنهم ، ثم تعلقت باعدائى حذرا من شرهم فوجدتهم لا يقدرون على ضرى بشيء لم يقدّره الله تعالى ، فصرفت نظرى عنهم وتعلقت بالله تعالى ، فقال لى ، إنك لا تصل الى حقيقة هذا الأمر حتى تياس منّا ، إنّا لا نعطيك الاّ ما قدرناه لك فى الازل كما يئست من أصدقائك وأعدائك فهذه هى

الـكيميا التى أعرفها ، خذها أودعها

(الموقف المايتان والسابع)

قال تعالى ؛ يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ، خاطب تعالي الناس ويدخل معهم سائر العالم بالاحرى أخبرهم تعالى أنهم الفقراء الى الله أي الطالبون منه ما أنتم محتاجون اليه ، راغبون فيه ، فى كل نفس وحال ، حال إمكانكم وعدمكم ، وفى حال اتصافكم بالوجود فتطلبون منه حالة الامكان والعدم اعطاء الوجود لـكم وبعده طلبكم استمرار الوجود وما به بقاء الوجود عليكم فالاسم الله فى صدر الآية إسم المرتبة التى له تعالي كمرتبة الخلافة للخليفة والقضاء للقاضي ، فهو صفة مشتق لا إسم الذات لأن الذى تفتقر اليه الممكنات وتطلب حوائجها منه ، إنما هو المرتبة المسماة بالألوهية مرتبة الصفات والأسماء التي تنسب وتسند اليها جميع الآثار، فهي مرتبطة بالممكنات، والممكنات مرتبطة بها ارتباط فاعل بقابل ومؤثر فالطلب من الجهتين والارتباط فى الحيثيتين ، ففى الآية حذف الواو مع معطوفها للعلم به عند العلماء بالله تعالي، والنكته فى هذا الحذف أنه تعالي عبّر بالفقر فى حق الناس فعلمنا الأدب القولي كما هو واقع فى أيات كثيرة ، ولذلك فسرنا نحن الفقر بالطلب حتى لا ينفر السامع لذلك فى حقه تعالى ، وإن كان من هو أعلم وأفضل، أكثر أدبا عبر بالافتقار فى الجهتين حيث يقول فى القصص، فالكل مفتقر ما الكل مستغن، هذا هو الحق قد قلناه فلا تكني، فالـكل بالـكل مربوط وليس له عنه انفصال ، خذوا ما قلته عني ، غير أن بين الطلبين والافتقارين بونا بعيدا، فلذا أوردت الآية بصيغة الحصر أى أنتم الفقراء المفقر الحقيقى لاالأسماء التى تطلبكم لتفعل وتؤثر فيكم ، لأن معنى الطلب مرتبة الألوهية

للناس وغيرهم إنما هو لتظهر آثار الاسماء بظهور مؤثراتها، فان ظهور الأثر مستلزم ظهور المؤثر ضرورة ، وإنما كانت المرتبة طالبة للعالم ؛ لأن للحق تعالى كمالين ، كمال ذاتي وكمال أسمائي ؛ فالكمال الأسمائي موقوف ظهوره على ظهور الأسماء بظهور آثارها ؛ فان محي ومميت ، وقادر ومعطي ، وخالق ومصور ، من غير ظهور آثارها قوة وصلاحية لا فعلا ، فهي تطلب الخروج من القوة والصلاحية الى الفعل ، وليس الارتباط بين الأسماء والعالم والطلب المذكور موقوفا على وجود العالم ، كما قد يتوهم بل الناس والعالم جميعه مفتقر الى الله ، أعني مرتبة أسماء الألوهية وجودا وتقديرا ، حال العدم وبعده أزلا وأبدا ، ولهذا كانت اسماؤه تعالى قديمة أزلية ، والله هو الغني الحميد ، لفظة هو تأكيد ، لأن الله هنا إسم الذات لا باعتبار مرتبة، فهو إسم جامد غير مشتق، أي الذات الذى هو الغيب المطلق ، غني عن الناس وعن جميع العوالم ، وعن الأسماء وعن الوصف ، بالغنى والحمد ، ولكن لضرورة التفهيم وصف لا بالأصالة وهذا هو الكمال الذاتي والغنى المطلق ، وهو تعالى فى هذا الكمال الذاتي يشاهد جميع كمالاته الأسمائية شهودا علميا غيبيا جمعيا ، فهي كمالات مستهلكة فى الذات غير متميزة عنها ، يشهدها شهود مفصل فى مجمل ، كشهود النخيل الكثير والثمار والأغصان فى النواة الواحدة ، ولله المثل الاعلى ، فلفظة الله فى صدر الآية مثل لفظة الاله فى الكلمة المشرفة ؛ كلمة الشهادة، ولفظة الله فى عجز الاية مثل لفظة الله الواقعة بعد أداة الاستثناء ، فأين ما ذكرناه من التغاير بين لفظتى الله فى الآية ، فما ذكره المتكلمون فى كلمة الشهادة فى الكلية والجزئية وغير ذلك ، فما أبرد الحقائق على أكباد القلوب المنورة وما ألذها

(الموقف المايتان والثمانية)

قال تعالى ، وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ، كل من حمل أمرا ليوصله الي غيره فهو رسول لغة ، فالرسول فى الآية من باب الاشارة أعم من الرسول الذى يوحى اليه بشرع مستقل وأحكام جديدة ، كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، ومن الرسول الذى يوحى اليه باتباع شريعة من قبله ويبيّن له بالوحي ماهو من تلك الشريعة وخالفه الناس وتركوه وما ليس منها وأدخله الناس فيها ويؤمر بدعاء الناس الى تلك الشريعة والعمل بها ، وإن كان يوحى اليه بامور تخصه فى نفسه لا يؤمر بالدعاء اليها ، وهو فى العرف النبي كجميع أنبياء بنى إسرائيل الذين بين موسى وعيسي عليهم الصلاة والسلام ، فانهم كلهم متعبدون باحكام التوراة مأمورون باتباعها والعمل بها والدعاء إليها ، وليس واحد منهم بمستقل ، ومن ادعى أن واحداً منهم بدّل شيئا من أحكام التوراة إلي عيسى عليه السلام فعليه البينة ، ويسمون رسلا لغة ، كما قال تعالي ، واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ، أجمع المفسرون على أنهم رسل عيسى عليه السلام ، وقال ، وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ، ونوح عليه الصلاة والسلام هو أول الرسل إلى أهل الأرض ، كما فى صحيح البخاري فى حديث الشفاعة ، فالمكذّبون رسل نوح ، ومن الرسول الذي يلهم ونسميناه إلهاما تأدبا مع مقام النبوة ، وإلاّ فما يحصل للأولياء كذلك هو وحي ، لكن من غير واسطة ملك مشهود ، وبواسطة ملك غير مشهود ، وهو الوارث المحمدي الذي يؤمر بدعوة الناس الي معرفة الله تعالى وتوحيده التوحيد الذى جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام لا التوحيد العقلي ، وإلى اتباع محمد صلى الله

عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ، وهو المعني بقوله ، هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، أي التابع لي على طريق مخصوص يدعو الى الله على بصيرة كدعائه صلى الله عليه وسلم ، لا يدعو الناس على عماية وجهل ، فما أرسل الله تعالى رسولا مستقلا أو نبيا أو وليا إلاّ بلسان قومه ؛ ولسان قومه هو استعدادهم الذى يفهمون عنه ما يكلمهم به ، إذ المقصود من الكلام والخطاب إفهام المخاطب ، ولا يكون الفهم الاّ بالاستعداد ، ولو خاطب أحدا منهم بغير لسانه الذى هو استعداده مافهم عنه مايقول ، وبطلت فائدة الخطاب ، وأما اللسان الذي يكون سماعه بالاذن فقط فغير كاف فى المقصود من الخطاب وهو الفهم ، ولذا قال تعالي ، أن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، وقال تعالي ؛ وتعيها أذن واعية ؛ وقال تعالي ، إنما يستجيب الذين يسمعون ، وقال تعالي ؛ لهم آذن لا يسمعون بها ، وقال ، إنك لا تسمع الصم الدعاء ؛ وما كان صممهم من جهة آذانهم وإنما كان صممهم من جهة استعدادهم وعدم قبولهم وفهمهم لما يدعوهم اليه ، وقوم كل رسول أنواع ثلاثه ، عامة وخاصة ، وخاصة الخاصة ، فلو خاطب الرسول العامة بلسان الخاصة الذي هو غير لسانهم لأفسدهم ونفّرهم ، ولو خاطب الخاصة بلسان خاصة الخاصة الذى هو غير لسانهم لأفسدهم وأدخل عليهم ضررا عظيما وشرا كثيرا ؛ إذ كل نوع لا يفهم إلاّ الخطاب الذى يكون بلسانه ، وهو استعداده ، ولا يفهم إلاّ منه الفهم المقصود من الخطاب ، وهذا علي سبيل الغرض ، وإلاّ فلا يكلم رسول أي رسول أحدا من قومه بغير لسانه أبدا ، وإنما يكلم كل واحد بلسانه الذى هو مستعد لفهمه وقبوله ، إذ لا يرسل الله تعالى رسولا إلاّ بالعلم والحكمة فاذا رأيت من يدعي الأمر الآلهي بدعوة الناس إلي الله

وهو على غير ماذكرناه ، فاعلم أنه كاذب أو ملبس عليه ، فان الحكيم العليم يزرع كل بزر فى الأرض القابلة لانباته فما كل أرض تقبل كل بذر

وهل ينبت الخطى إلاّ وشيجه وتغرس إلاّ فى منابتهـا النخل

ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنّا معشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم ، أي استعدادهم ؛ وفى حديث آخر ، ما كلّم أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم إلاّ كان فتنة عليهم ، وفى صحيح البخاري عن علي عليه السلام ؛ حدثوا الناس بما يفهمون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ، فلسان العامة الذي يرسل به الرسول اليهم فيكلمهم به فيفهمون عنه هو الأمر بالواجبات والنهي عن المحرمات ، وما هو من هذا القبيل مما نظهر الحكمة فيه لأكثر العقول العامية ، ولسان الخاصة الذي يرسل به الرسول اليهم فيكلمهم به فيفهمون عنه ، هو ماتقدم مع الأمر بتصفية الاعمال من الشوائب كالعجب والرياء والسمعة، واجتناب المهلكات كالحسد والبخل والجبن، وطول الأمل وحب الدنيا ، وتحلية القلب بالمنجيات كالصبر والرضى، وتقصير الأمل والسخاء ونحو ذلك ، ولسان خاصة الخاصة الذي يرسل به الرسول اليهم فيكلمهم به ، هو ماتقدم مع كشف الحقائق الوجدانية لهم على حسب مراتبهم فى الاستعداد، فيبدى لهم من العلوم التي يجدها أهل الله تعالى بالوحي الالهامى من فوق طور العقل ، أعني انه لا يصل اليها العقل بفطرته وآلاته التى من عادته اقتناص العلوم بها ، وإنما يدركها بالوهب المجرد عن الآلات ، لا انه لا يدركها بوجه ولا حال ، فان المدرك لكل مايطيقه القوة البشرية هو العقل، لكن اما بآلات فى مرتبة، وذلك للعقلاء حكماء ومتكلمون وفقهاء، وأما بالفيض والوهب فى مرتبة وذلك للرسل والانبياء والاولياء ، فانهم لا يأخذون علومهم من المحسوسات ولا من

النظر والقياسات ، وإنما هو منزل روحاني على قلب كياني، ليبين لهم، أي ليظهر لهم ماهو مستجن فى صورهم وكامن فيهم من الاستعداد ، وانه لا يرقى أحد فوق استعداده،فمن كان استعداده في مرتبة العامة فقط ، فلا يمكن أن يرقى الي مرتبة الخاصة ، ومن كان استعداده فى مرتبة الخاصة فقط ،فلا يمكن ان يرقي الي مرتبة خاصة الخاصة ، ولو استعان بأهل السموات والأرضين ، وإن كان الانسان يظن أنه مستعد لكل مرتبة من مراتب الكمال ، فاذا جاءهم الرسول تبينت لهم مراتبهم ، وإن كان كل رسول يعلم مراتب الناس فى الاستعداد كشفاً أو فراسة أو بما شاء الله ، فيجب عليه مع هذا أن لا يكافح الناس بذلك صراحة، ولكن إن كان فبالاشارة ولسان الحال، ومن الورثة المحمديين المتحققين بوراثة قوله صلى الله عليه وسلم أعطيت جوامع الكلم ، من يكلم الانواع الثلاثة من قومه بالكلمة الواحدة فى المجلس الواحد ، فيأخذ كل نوع استعداده من تلك الكلمة الواحدة فيضل الله من يشاء ، أي بعد إرسال الرسول بلسان قومه وتبيينه لهم اختلافهم فى الاستعداد يضل الله من يشاء ، أي يحير من يشاء وليست الحيرة هنا بهذا المعني إلا للنوعين الأولين فانهم لا يهتدون ولا يعرفون ماأقعدهم عن مراتب الكمال ، وما سبب نقصهم ويهدى من يشاء لذلك ولا يشاء إلا ما علم ، وما علم إلا ماهو المعلوم عليه فى مرتبة استعداده ومقتضي حقيقته وهو العزيز المنيع أن تدرك وجوهه الخاصه فى مخلوقاته التي هي منشأ التفاوت والاختلاف فى الاستعداد ، الحكيم فيما يعطي ويمنع : فانه يضع كل شيء موضعه الذي يستحقه باستعداده

(الموقف المايتان والتاسع)

قال تعالى، وكلم الله موسي تكليما ، وقال، تلك الرسل فضلنا بعضهم على

بعض منهم من كلم الله ، وقال ، وناديناه ان يا إبراهيم ،وقال ، وإذ قلنا للملائكة ونحو ذلك مما يثبت الكلام له تعالى ، فاعلم أنه مضي عصر الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم وهم مجمعون على أنه تعالى متكلم وأن القرآن وهو مابين دفتي المصحف كلام الله تعالى كسائر الكتب المنزلة من غير خوض في شيء وراء ذلك ، فما قالوا متكلم بذاته ولا بصفة وجودية زائدة على ذاته ، ولا ان معنى متكلم خالق الكلام فيمن يتكلم من المخلوقات ولا أن كلامه نسبة من النسب ولا فرقوا بين التلاوة والمتلو ، والقراءة والمقروء ، والكتابة والمكتوب ، ثم لما كان أوائل القرن الثالث نبغت المعتزلة فقالت : هو تعالى متكلم بمعني خالق الكلام فيمن يريد به التكلم بما يريد من الكلام ، فموسى عندهم سمع كلام الشجرة بما خلقه الله فيها من الكلام ولم يسمع كلام الله تعالى ولم يثبتوا لله تعالى كلاما ، ولا غيره مما اثبته الصفاتيون من الأشاعرة وغيرهم إلا أبا هاشم ، فانه أثبت لله تعالى أحوالا خمسة ، وقالوا ما ينشأ عن الصفات من الآثار عندكم هو للذات من غير زائد عليها ، وقالوا القرآن وهو مابين دفتي المصحف الذى نتلوه بالسنتنا ، ونحفظه في صدورنا ، مخلوق حادث كسائر المحدثات ، ثم جاء الأشعرى إمام السنة والجماعة فقال ، كلامه تعالى هو المعنى النفسي القائم بذاته تعالى ، والقرآن وهو مابين دفتي المصحف كلام الله غير مخلوق ، فابدع قولا ثالثا فان السلف الصالح كانوا على إثبات القدم والأزلية لما بين دفتي المصحف من القرآن دون التعرض لصفة أخرى وراء ذلك مع عدم التعرض لكنه ذلك ، وكانت المعتزلة على إثبات الخلقية للقرآن ، وهو مابين دفتي المصحف دون التعرض لأمر آخر ، ثم كثر اللغط وارتفعت الأصوات بالخلاف بين فرق الأمة المحمدية ، إلى أن فسق بعضها بعضا ، ولعن بعضها

بعضا ، الى هلم جرا ، فاذا سمعت هـذا فأقول غير مقلد ولا متقيـد وإنما أقول ما فهمني الله تعالى في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بالتفهيم الرباني

خـذ ماتراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس مايغنيك عن زحل

إن سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم ، كالامام أحمد وأمثاله ما تحملوا أنواع الأذى وضروب المحن ، وصبروا على السجن والتغريب والهوان ، ولم يتفوهوا بالقول بخلق القرآن إلا لما ثبت عندهم من نصوص الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ان القرآن ، هو مابين دفتي المصحف محكوم له بجميع أحكام من أضيف ونسب اليه وهو الله تعالى من القدم والأزلية ، والتقديس والتنزيه عن أوصاف المحدثات ، كما هو ذلك للمعني النفسي القائم بالذات العليه حكما آلهيا شرعيا لالمناسبة بين المعنى النفسي القائم بالذات وبين ماتقرؤه وتحفظه وتكتبه ، ولا مشابهة بينهما ولا مماثلة ، ولا لحلول ولا لدلالة من الدلالات ، كما قيل ، فكما أنه تعالى لا يسأل عما يفعل لا يسأل عما يحكم ، إن الحكم إلا لله لا معقب لحكمه ، وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، هم أهل الآراء الصائبة والعقول المنورة بالطاعات واجتناب المنهيات ، وبالزهد فى الدنيا ، لا يمكن أن يخفى عنهم ماورد فى حق القرآن وهو مابين دفتي المصحف من الأنزال والتنزيل والايتاء ونحو ذلك ، وانه أنزال مخلوق إلى مخلوق ، وإيتاء محدث الى محدث ، ولـكن الحكم الشرعى والأمر الآلهي شرك بين مابين دفتي المصحف وبين المعني النفسي فى الحكم بالتنزيه والتقديس ألاترى الاحاديث القدسية الربانية فانها كلام الله تعالى بلا ريب ، إذ هي رواية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه ، بلا واسطة ملك بل من الوجه الخاص ، وحيث لم

يحكم لها الشارع بحكم الكلام النفسي لم يكن لها هذا الحكم ، كيف وهو تعالى يقول، ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، وقال، ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلاّ كانوا عنه معرضين ، كما أنه لا يعزب عن قلوبهم المنورة رضوان الله عليهم : إذ الكلام المنسوب اليه تعالي معنى من المعاني كالعلم ونحوه ، وانتقال المعاني عن محالها محال في الحادث ، فكيف بالقديم تعالى ، فلا ينتقل كلام أحد إلى أحد ، ولا علم أحد إلي أحد ، بعينه وذاته وإنما يخلق الله تعالي عند السامع والمتعلم معنى آخر يكون مثلا كالظل لما عند المتكلم والعالم ، فهذه الظلال التى الكلام القديم هي مدلولاته وكما أن العلم صفة العالم والصفة لا تفارق موصوفها ، كذلك الكلام صفة المتكلم لا يفارقه ، وكما أن الخارج الي العقل والخيال والحس هي ظلال المعلومات ، كذلك الخارج هي مدلولات الكلام لا عينه ؛ فلا قديم إلاّ الكلام النفسي وما حكم الشارع بقدمه كالقرآن الكريم وسائر الكتب المنزلة ، فالأمر استأثر به الشارع ، وكما أن حقائق المعلومات فى العلم ، أزلا وأبدا ، كذلك حقائق الكلمات المدلولات فى الكلام أزلا وأبدا فاذا أراد تعالي إظهار معلوم أظهره بالكلام القديم ، فالعلم قديم ، والمعلومات منها قديم وحادث. والكلام قديم ، والمدلولات منها قديم وحادث ، وكما أن المعلومات فى العلم ليس لها تقديم ولا تأخير ولا ترتيب ، فاذا ظهرت الي الوجود العيني أو العقلي أو اللفظي أو الرسمي ، حصل فيها تقديم وتأخير وترتيب ، فكذلك مدلولات الكلام القديم ليس لها فى الكلام النفسي تقديم ولا تأخير ولا ترتيب ، كلامه النفسي يدل على مدلولاته التى لا نهاية لها في آن واحد : فاذا ظهرت بالكلام القديم الى الوجود حصل لها ذلك ، فالكلام القديم تخصيص مراد بمراد تخصيصا بيانيا كشفيا ، كما أن الارادة تخصيص معلوم

بمعلوم تخصيصا تمييزيا ، فليس الكلام الا ترجمة عن الارادة والعلم ، أعني عند إظهار المعلوم المراد ، والا فالكلام حقيقة قديمة كسائر الحقائق الآلهية ، فليس كلامه عن سكوت بل لم يزل متكلما ولايزال فلا يشغله شيء عن شيء فكما أن علمه تعالى يتعلق بمعلوماته في الآن الواحد كذلك كلامه يدل على مدلولاته التي هي معلوماته في الآن الواحدوما ورد من كون بعض الأمور الحادثة سببا في كلامه كقوله ، أذكروني أذكركم.وكقوله، من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه ، وكقوله ، إذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي ، الحديث ، فانما هذا إخبار بانه يظهر ذكره لعبده عند ذكر العبد إظهار إيجاد فان إيجاد كل شيء من أعيان ومعان إنما هو بالكلام كما قال إنما قولنا لشيء إذا أردناه الآية ، وإلا فالكلام النفسي كما قدمنا ليس فيه ترتيب وتقديم وتأخير وسبب وشرط ؛ وإنما جاء الشرط والمشروط والسبب والمسبب في الايجاد العيني الخارجي ، وصل ، زعمت الاشاعرة أن موسى عليه الصلاة والسلام سمع الكلام النفسي القائم بالذات العلية فما أدرى كيف تصوروا هذا والكلام النفسي عندهم حقيقة واحدة لاتتعدد ولا تتجزأ فلو سمع موسى المعنى النفسي للزم أنه سمع مالا بداية له ولا نهاية وقد روى النسائي في سننه أنه تعالى قال لموسى إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان كما زعمت أن الكلام النفسي يتنوع الى أمر ونهي ، ووعد ووعيد ، وخبر واستخبار ، الى غير ذلك من أنواع الكلام الحادث وما تفطنت أن التنوع إنما هو للكلمة الصادرة عن المصدر الواحد ، وهو الكلام الأزلي الأبدي ، فانه واحد مطلق قديم ، والكلمات مقيدة بالزمان والمكان متعددة متكثرة متنوعة الى معان من

أمر ونهي ونحو ذلك ، والى أعيان وأعراض ونحو ذلك ، ولا يقدح تعدد هذه الأنواع وحدوثها في وحدة المبدأ والمصدر لها وقدمه الذي هو الكلام النفسي كما لا يقدح تعدد متعلقات الصفات كلها وحدوثها في وحدة الصفات وقدمها فكلامه تعالي واحد وكلماته كثيرة كما قال ، قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر الآية ، وكلماته منها التامة والناقصة بالنسبة اليها ، وكلامه تعالى لا نقص فيه كسائر ما ينسب اليه تعالى ، فليس الكلام النفسي الا مبداء الايصال مراد المتكلم الي المخاطب فكيفما وصل سمي كلاما كما هو لغة ، ولهذا كان من ضروب الوحي أن يخلق الله تعالى في قلب الموحي اليه علما ضروريا بادراك ما شاء الله تعالى ادراكه في الكلام النفسي من غير أختصاص بجهة ولا إذن وهذه الحالة هي حاله الوحي بغير واسطة الملك ، وهي التي أشار اليها صلى الله عليه وسلم بقوله ، لما سئل كيف يأتيك الوحي ، كما في صحيح البخاري ، فقال : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، والمراد من صلصلة الجرس الأزمة وهو الشدة والدهش والهول والصعق والغيبة عن كل شي حتى عن نفسه ، وهذا الضرب هو المشار اليه أيضا بقوله ، وما كان لبشر أن يكلم الله الا وحيا ، ومن أولياء الامة المحمدية من يذوق تنزيل القرآن العظيم الى اليوم فاذا أراد الله تعالي انزال شيء من القرآن علي الولي يجد ما أنزل عليه عنده منظوما ، كما هو من غير أن يسمع صوتا أو يرى واسطة ولا شيئا من الكيفيات ، ولا يكون لهم هذا الا حال صعقهم وغيبتهم عن العالم وعن أنفسهم ، وقد رأينا من أصحاب هذا الحال والحمد لله ويتكرر عليهم إنزال الآية بحسب ما يريد الله منهم ، وهم حالة هذا التنزيل

معصومون ، إذ كلام الله تعالى ما تنزّلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون ، روى عن أبي يزيد رضي الله عنه أنه قال متمدحا ما مت حتي استظهرت القرآن ، يريد بهذا التنزيل تدقيق ليس الكلام الاّ اظهار المعلوم ، وليس المعلوم الاّ عين العلم ، وليس العلم الاّ عين الذات العاملة ، فليس الكلام الاّ ظهور الذات ، فهي الظاهرة بكلامها ، فكلاهما وجودها ، وكلماتها موجوداتها ، لأن الأسماء مرائي الذات بها تظهر وفيها تنظر ، فالمتجلي قديم ، والمتجلي به له وجهان ، وجه الى المتجلي فهو قديم أزلي ، ووجه الي المتجلى له ، فهو حادث كالمتجلي به ، ولا حلول في هذا وإنما هو كمتجلي المعاني في الحروف والألفاظ ، قال تعالي ، فاعلموا إنما أنزل بعلم الله ، أي القرآن المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم ، نزل ملتبسا بعلم الله ، وعلم الله عين ذاته ، وقال ، أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ، وقال ، ويرى الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك ، والذين أوتوا العلم بأن القرآن كلامه تعالي وهو تجليه وظهوره بذاته ، كلماته هم الملائكة ، فانه قال ، والملائكة يشهدون ، أي يشهدون هذا التجلى ، وكذا الانبياء والرسل والأولياء المحمديون عليهم الصلاة والسلام ، قال في العلم في قوله ، أوتوا العلم للعهد ، وهو العلم الناشيء عن التجليات وهو علم الذوق لا مطلق العلم ، فانه ليس كل علم ولا كل عالم يحصل له هذا ، ليس هذا بعشك فادرجي ، تدقيق الكلام نسبة ولا تحقق لنسبة الاّ بالمنتسبين ، فهي عينهما فكن عين القائل ، كن وعين المقول له ليكون فافهم ، نقض وصل ، كل كلام هو كلام الله فلا كلام لغيره تعالى ، إذ الكلام من توابع الوجود ، فما لا وجود له الاّ بالمجاز ، فلا كلام له الاّ بالمجاز ، ولا وجود الاّ له تعالى ، فلا كلام

الاّ كلامه تعالى ، كما أنه لا سميع الاّ هو تعالي ، فهو المتكلم السميع كلامه ،
(تنبيه) الكتب والصحف المنزلة على الرسل ما عدا القرآن الكريم إنما
أنزلت عليهم معاني مجردة ، وهم عبروا عنها بلغاتهم كالعبرانية والسريانية
وغيرهما فلذا قبلت الكتب الآلهية التحريف ما عدا القرآن العظيم ، حيث
أن ترجمتها كانت من الرسل عليهم الصلاة والسلام ، والترجمة تقبل التحريف
بخلاف المعنى فانه لا يمكن تحريفه ، وأما القرآن الكريم فان الله تعالى أوجده فى
قلب جبريل وسمعه منظوما عربيا معجزا كما هو عندنا ، قال تعالى ، نزل به
الروح الأمين ، الى قوله بلسان عربي مبين ، فالباء باء الملابسة ، وقال ، وهذا
كتاب مصدق لسانا عربيا ، وقال ، وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا ، وحيث كان
ناظمه الله تعالي ولم يترجمه عن الحق مخلوق كان محفوظا من التحريف ، ذكر
الأسيوطي رضي الله عنه فى الخصائص أنه حضر مجلس المأمون بن الرشيد
فى خلافته يهودي فتكلم فأعرب عن بلاغة وبيان ، وذلاقة لسان ، وقوة جنان ،
فاعجب به المأمون فعرض عليه الاسلام فامتنع ، وبعد برهة من الزمان حضر
اليهودي مجلس المأمون لمصلحة ، فرآه المأمون مسلما فسأله عن سبب إسلامه ،
فقال له ، إنك لما عرضت عليّ الاسلام حصل عندي اضطراب فعمدت الي
التوراه فكتبت منه عدة نسخ فبدّلت وغيّرت ، وقدّمت وأخّرت ،
وذهبت بها الي مدارس اليهود فتساقطوا عليها واشتروها ، ثم عمدت الى
الانجيل فكتبت منه عدة نسخ وفعلت بها مافعلت بالتوراة وذهبت بها الي
البيعة ، فتساقط النصارى عليها واشتروها ، ثم عمدت الى القرآن فكتبت منه
عدة نسخ وفعلت بها ما فعلت بالتوراة والانجيل وذهبت بها الي الكتبيين
فكل من رأى نسخة منها ضربني بها وقال ما هذا بقرآن ، فعرفت الدين الحق

فاسلمت ، (فائدة) ما من رسول ولا نبي ولا ولي الا ويكلمه الحق تعالى بما شاء كيفما شاء : تارة بغير واسطة وتارة بواسطة مشهودة وغير مشهودة ، فاذا كلمهم بغير واسطة أو بواسطة غير مشهودة سمعوه بقلوبهم ، واذا كلمهم بواسطة مشهودة سمعوه بآذانهم وقلوبهم ، لأن الكلام النفسي محل سماعه القلوب والأذهان ، واللفظي محل سماعه الآذان ، ويعلمون كلام الحق علما ضروريا كسائر الضروريات التي لا يطرقها ريب ولا تردد بعلامات ، جعلها لهم فى معرفة تجلياته وسماع كلامه ، يقول الشاذلي رضي الله عنه ، وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة ، ويقول محيي الدين الحاتمي رضي الله عنه ، إذا كلمك لم يشهدك ، واذا أشهدك لم يكلمك ، فالشاذلى طلب دوام المشاهدة فى الصور بحيث لا يرى الا الله ، ولا يكلم الا الله ، ولا يكون الا مع الله ، فى جميع ما يكون منه كما روي عن الجنيد رضي الله عنه أنه قال ، لى ثلاثون سنة أتكلم مع الله والناس يظنون أنى أتكلم معهم ، والحاتمي كلامه فى المشاهدة التى هي غيبة محض وفناء صرف ، فلا تكون فيها مكالمة لأن المقصود من الكلام الافادة ، والفانى الغائب لا يسمع ولا يحس ولا يفهم فمكالمته عبث ، ويتعالي الحكيم عن العبث ، فالمشاهدة بهذا المعنى لا مكالمة فيها ، وإنما حضر موسي من بين الرسل والانبياء علي جميعهم الصلاة والسلام ، بالكليم لذوق اختص به كما قال إمام العارفين محيي الدين رضي الله عنه ، ولعل فقيها قحا يقف على هذه الكلمات فيقول هذه كفر وردة وزندقة ومروق من الدين ، فان الفقهاء أهل الفتاوي أجمعوا على أن من أدعي رؤية الله أو سماع كلامه فهو مرتد مباح الدم ، فالله يغفر لي ولهذا الفقيه وللفقهاء أصحاب الفتاوي (عائدة) كل كلام ينسب لموجود فذلك الكلام بحسب مرتبة ذلك الموجود ، فاذا كان الموجود

مطلقا كان كلامه مطلقا ، لا يتقيد بقيد ولا يحكم عليه بحكم ، كوجوده وليس الا الحق تعالى ، وإذا كان الموجود مقيدا ببعض القيود دون بعض ، أو مقيدا بجميع ما يدرك من القيود فكلامه كذلك ، فالكلام المنسوب الى الحيوانات التي لها صوت وليس لها مخارج الحروف ، والتي لا صوت لها كالنملة ، وإلى الجمادات كالشجرة والحجارة ليس هو ككلام الآدمي إصالة كما لا يسمعه السامع بحروف وأصوات فانها ليست لها آلات ذلك ، ولهذا لما سرت الروح في عجل السامري خار وما تكلم كالانسان ولا كغيره من سائر الحيوان ، لأن المراتب حاكمة فلا يظهر الروح فيها الا بحسبها ، وإن الله قادر على إخراج الثمر من الحجر ، ولكن بعد جعل الحجر شجرا ، وإنما تكلم النبي أو الولي بكلامها الذي هو لمرتبتها الحيوانية أو الجمادية فيخلق الله تعالى في قلب النبي أو أذنه أو أذن من شاء من عباده مرادها بكلامها ، فيسمعه بحرف وصوت أو بغير صوت ولا حرف ، وان تخصيص السماع بالأذن أمر عادي والا فكل قوة يمكن أن يكون لها ما لغيرها من سائر القوى ، والأشياء كلها متكلمة وكلامها بحسب مراتبها ، وإنما خرق العادة في المكاشفة للنبي والولي بسماع كلامها بالقلب أو الأذن الذي ليس هو من جنس كلامنا ، تتمة مما غلط فيه المتكلمون قولهم بعد اثبات الصفات الثبوتية والسلبية التي أثبتوها لله تعالى ، ويستحيل عليه تعالى أضدادها مع أن الأمر ليس كذلك ، فان صفات الله تعالى لا ضد لها ، لأن الضدين إنما يتواردان حيث لا يخل المحل عن أحدهما ، وإنما ذلك في الحادث القابل للكمال والنقص ، وأما الحق تعالى فان ذاته لا تقبل النقص ، فصفات الكمال الثابتة له لا ضد لها ، فعلمه تعالى لا ضد له ، وكذا قدرته وارادته وكلامه وسمعه وبصره ، ونحوها تكميل الصوفية الذين هم سادات طوائف

المسلمين ، لا ينفون الصفات التى أثبتها الأشاعرة كما نفاها المعتزلة والحكماء ، ولا يثبتونها كما أثبتها الأشاعرة ، فان قول الأشاعرة فى صفات المعاني أنها موجودة في نفسها زائدة قائمة بالذات ، بحيث لو كشف لنا رأينا قيامها بالذات يلزم منه استكمال الذات بالزائد ، ولولا ذلك الزائد لكانت ناقصة وهو تعالى كامل الذات ، فمحال استكماله بالزائد ، فان فيه نقص الذات والنقص محال ، فالاستكمال بالزائد محال ، وقولهم ، أعنى الأشاعرة فى الصفات ، لا عين ولا غير ، وتفسيرهم الغيرين بما يصح الانفكاك بينهما كلام لا روح له ، خال عن التحقيق ، ولا تسمى الصوفية ماينسب اليه تعالى من الكلام وغيره بالصفات الأ على سبيل المجاراة والتنزل فى مقام التفهيم والتعليم ، وإنما تسمى ذلك بالأسماء ؛ فانه تعالي ما أطلق فى كتبه ولا على السنة رسله عليهم الصلاة والسلام ، لفظة الصفة ولا النعت ، وإنما ورد الاسم ، قال تعالى ، سبح اسم ربك ، وقال ، له الأسماء الحسنى ، بل نزه نفسه عن الصفة فقال ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وتسميتها أيضا بالنسب لأن النسب أمور معقولة ، لا موجودة ولا معدومة ، فكل ما ينسب اليه تعالى يقولون فيه نسبته كالعلم وغيره ، فهي عندهم لا موجودة خارجا ؛ ولا معدومة عقلا

(الموقف المايتان والعاشر)

قال تعالى ، فاعلم أنه لا إله الا الله ، متعلق الأمر بالعلم إنما هو المرتبة الألوهية فانها كالخلافة للخليفة فهي التي تعلم ولا تشهد من كل وجه والعلم المأمور به ، العلم الزائد على ما في الفطرة لأن الامر بتحصيل الحاصل محال إذ ما جهلها أحد من كل وجه ، وقال تعالى ، ويحذركم الله نفسه ، متعلق

النهي والتحذير ، إنما هو الذات فانها التي لا تعلم ولكن تشهد ، فاذا علمت فلا تقل إنك شهدت فما كل معلوم يشهد ، وإذا شهدت فلا تقل إنك علمت ، إذ العلم يقتضي الاحاطة والاحاطة محال ، فالعلم محال ، وكل حقيقة العلم بها غير الجهل بها ، الا هذه فان الجهل بها عين العلم بها ، فهي النكرة التى لا تتعرف ، والمعرفة التى لا تتخلف ، إنما تنكر لو كان هناك شيء سواها ولا يكون وإنما تعرف ، ولو عرف مبدأها ومنتهاها ، ولا يكون باللحيرة العمياء ، والداهية الدهياء ، والمهلكة الفيحاء ، الصفات هى المدركة لأنها الظاهرة بآثارها ، فليس المدرك المشهود الا الصفات لا الذات ، بل الذات هي المدركة المشهودة لا الصفات ، إذ الذات هو المقومة للصفات عند ما أراد العقل أن يطير فى هذا الفضاء الواسع المظلم ، قيل له الزم مكانك واعرف مقامك ، فانه لا رسم ثمة ولا آثر ، ولا حديث ولا خبر ، فعصى وطار فما وجد أثرا ولا عين ، ولا من ولا الى ولا أين ، فرجع مكسور الجناحين ، مكفوف العينين ، بخفى حنين ، فقيل له قد قيل لك من قبل ، ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد ، فما حذرك الا رأفة ورحمة بك ، فعصيت وأبيت ، وزعمت وتمنيت ، فارجع الى طريق غير طريقك ، وأصحب فريقا خير فريقك ، فما كل بيضاء شحمه ، ولا كل سوداء تمره

(الموقف المايتان والحادى عشر)

قال تعالى ، فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ، الأمن من مكر الله كبيرة كاليأس من رحمته ، وكلما اتسع نطاق معرفة العارف اشتد خوفه ، فالخوف من الله تعالى من لازم المعرفة وبقدرها ، كما ورد ، أنا أعرفكم إني

لأعرفكم بالله وأشدكم له خشية ، خرجه الشيخان وخرج عبد الرزاق إني لأرجو أن أكون أتقاكم بالله وأعلمكم به ، وقال تعالى ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ، أى العلماء بالله لامطلق العلماء ، إذ ما كل عالم يخشى ، ولا كل علم يورث الخشية ، وهو من المقامات الملازمة المستصحبة الي جواز الصراط وان اختلفت عليه الأسماء فسمي عند أهل البدايات خوفا ، والمتوسطين قبضا ، وأهل النهايات هيبة واجلالا ، فان النبي أو الولي وان أطلعه الله على حاله ونهايته فى اللوح المحفوظ ، أو على عينه الثابتة ، فانه لا يطلع على ما وراء ذلك وفوقه ، ولا على ما استأثر الله به ، كما قال السيد الكامل ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، وفى الصحيح ، فى حديث الشفاعة تقول الرسل يومئذ فى الموقف ، نفسي نفسي ، وكل شيء يمنحه الله تعالى أولياءه يجوز أن يكون باطنه شرا واستدراجا ومكرا ، كالأحوال والمقامات ، والمكاشفات وخوارق العادات ، الا العلم فانه أفضل ما منح الله به أولياءه ، إذ لا يمكن أن يكون حبالة للمكر والاستدراج ، أعني علم العلماء بالله تعالي ، لأنه يشهدك امكانك وافتقارك فى كل نفس الى الله تعالى ، وذلتك وعبوديتك ، ولو غفلت أو نسيت أو نمت رجعت فى ذلك الى أصل صحيح لا يمكن أن يتبدل أو يتغير أو يتقلب ، فان انقلاب العلم جهلا محال ، دخلت مرة خلوة فعند ما دخلتها انكسرت نفسي وضاقت على الأرجاء وفقدت قلبي ، واذا المعرفة تكره ، والأنس وحشة ، والمطايبة مشاغبة ، والمسامرة منا كرة ، فكان نهاري ليلا ، وليلي ويحا وويلا ، ومكن الشيطان بالتمريج والتخليط وأى قربة اردتها أبعدت بها ، فلم يبق معنى من أنواع الصلاة الا الصلاة ، وفى أثناء هذا الابتلاء رأيت رسول الله صلى الله

عليه وسلم فى المنام ، دخلت عليه بيتا كان صلى الله عليه وسلم جالسا فيه مع جماعة ، فبنفس ما رآني أخذ بطرفي مسبحة كانت فى يده ورفعهما الىّ وقال والدعاء ، فعرفت أنه يريد أني مشتغل بالذكر والدعاء فانشدته

أتضحك بالدعاء وتزدريه   وما يدريك مافعل الدعاء

سهام الليل لا تخطى ولكن   لها أمد وللأمد انقضاء

فسر صلى الله عليه وسلم بانشاد البيتين والتفت الي الحاضرين معه يمدحني لهم ففهمت من اشارته صلى الله عليه وسلم بالدعاء ان الخطب جسيم ، والأمر عظيم ، فكان بعد ذلك شغلى الدعاء والتضرع وكشف الرأس ، فكنت أدعو بقوله صلى الله عليه وسلم ، اللهم أني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك : أنت كما أثنيت علي نفسك ، وبقوله صلي الله عليه وسلم ، اللهم أنت ربي لا إله الا أنت خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما أستطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ ، وأبوء بذنبي فاغفر لى ، فانه لا يغفر الذنوب الاّ أنت ، وبقوله صلى الله عليه وسلم ، ياحى ياقيوم برحمتك استغيث ، اصلح لى شأني كله ؛ ولا تكلني الى نفسى طرفة عين ، وكانت ترد علىّ الواردات فى الوقائع مشيرة وآمرة بالصبر ، ورأيت فى المنام جارية بارعة الجمال ، فلما أفقت تمنيت أنى سألتها عن اسمها ولمن هى ، فلما عاودت النوم رجعت الىّ فسألتها لمن هي ، فقالت لك ، وعن اسمها ، فقالت ، الناجية ، فتفاءلت بالنجاة من هذه المحنة ، وطالت هذه الأيام فكانت كأنها أعوام

أرى ساعة الهجران يوما ويومه   يخيل لى شهرا وشهره عاما

بعد ما كنت أقول

أرضى طوال الليالى ان خلوت بهم   وقد أديرت أباريق وأقداح

الى أن تنفس صبح الفرج فانجاب الضيق والحرج فقلت

فما أحلى الأمان بعيد خوف   وما أحلى الوصال بعيد هجر

وما أحلى التدانى[1] بعيد بعد   وما أحلى اليسار بعيد فقر

الخ الأبيات ، وفى آخر أيام هذه الخلوة بشرت ، فورد علي أولا فى الواقعة قوله تعالى ، قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، ثم بعده قوله تعالى ، وإذ قال ربك للملائكة أنى جاعل فى الأرض خليفة ، ثم بعده قوله ، واستعينوا بالصبر والصلاة ، والحمد لله رب العالمين .

(الموقف المايتان واثنى عشر)

قال تعالى ، وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك ، الآية بطولها ، كل كلام وقفنا عليه لمتكلم على هذه الآية ، إنما يجعل قول الملائكة هذا قدحا فى آدم وبنيه ، والذي ورد به علينا الوارد الآلهى غير هذا وهو أنهم عليهم الصلاة والسلام علموا أن نوع الخليقة لا الخليفة يقع من بعضهم ما ذكروه من الفساد وسفك الدماء ، وأما الخليفة آدم ومن ورث الخلافة من بنيه فمحال أن يقولوا فيه ذلك بعد أن أعلمهم الحق تعالى بقوله ، إني جاعل في الأرض خليفة ، فانه لا يخفى عن عاقل أن الملك لا يجعل خليفة الا من علم أنه على غاية من الكمال والطاعة ، وعلم الحق تعالي

(١) خ : التلاقي

لا يتخلف ، فقولهم ، أتجعل فيها ، استفهام واستعلام لما جهلوه من الحكمة في جعل الخلافة فى جنس بنى آدم ، وبعضهم علي ما ذكروه دون جنس الملك وهم علي ما ذكروه ، فقالوا مستفهمين عن الحكمة فى كون الخليفة من الجنس الذي منه مؤمن وكافر ، ومطيع وعاص ، وعالم وجاهل ، دون الجنس الذي هو خير محض كله ، ونور صرف وطاعة لا تشوبها معصية ، وكان اختلج فى عقولهم الميل الى أن الحكمة تقتضي أن يكون الخليفة من الجنس الملكى ، غيرة على الجناب الالهى فى قصدهم ، فاعلمهم الحق تعالى بجهلهم فيما مالت اليه عقولهم قبل ظهور وجه الحكمة ، بقوله ، وما كنتم تكتمون ، وأزال جهلهم فيما استعلموه ، وبيّن لهم أن الحكمة تقتضى كون الخليفة من جنس الآدمي لا الملك ، فانه الكون الجامع للحقائق الالهية والكونية المختص بالصور الرحمانية ، وأقام لهم البرهان بتعليمه الاسماء التي جهلتها الملائكة فما سبّحوا الحق تعالي بها ، ولا نزهوه ، ولكون نشأة الملك لا تقتضيها لا غير ، وأما آدم وبنوه الخلفاء فنشأتهم تقتضي تعلق الاسماء كلها بها لخلقها باليدين وجمعها للصورتين ، الصورة الالهية من حيث الباطن ، والصورة الكونية من حيث الظاهر ، وليست هذه الجمعية لجنس الملك ، فلهذا كان الخليفة الأول آدم ومن ورث الخلافة من بنيه يظهر بجميع الأسماء الكونية والالهية ، فليس قولهم أتجعل فيها الخ ، استفهاما انكاريا فانه لو كان كذلك لكان هنا بمعني النهي ، وهو إنما يكون ممن يجوز له أن ينهى من يجوز نهيه ، وهذا محال أن يتصور من الملائكة للحق تعالي ، وهم الأدباء الأمناء ، الأتقياء الأبرياء ، كيف والحق تعالى يقول فى حقهم ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الليل

والنهار لا يفترون ، ويقول ، ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ،فانظر الي هذه العنديه وشرفها وما يقتضيه نظم هاتين الآيتين من التشريف والتعظيم ، إن كنت من أهل الذوق العربي الظاهري فاحري إذا كنت من أهل الظاهري والباطني ، ويقول وهم لا يستكبرون ، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ، ويقول ؛ وقالوا إتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، ويقول ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون . ويقول ، بأيدى سفرة كرام بررة ؛ الي غير ذلك فيعدّ تزكية الله تعالى لهم، وتبرئتهم من كل عيب ونقص ، ووصفهم بكل كمال يسوغ أن تحمل الآية على ضد ذلك ، الا أن يكون المراد بالملائكة علي ما نقله الشعراني عن الخوّاص رضى الله عنهما ، ملائكة الأرض وهم غير معصومين فحينئذ يسهل الخطب ، ولكن الجمهور من أهل الظاهر والباطن على خلاف هذا ، والله أعلم

(الموقف المايتان والثالث عشر)

قال تعالى ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، ذكر تعالى ذلك في مواضع من القرآن أثبت تعالى العلم له ونفاه عن غيره ، أعنى من أثبت نفسه غيرا ، ومن أصدق من الله قيلا ، فهو تعالى العالم لا غيره يعلم علما مطلقا عام التعلق بكل مايصح أن يعلم فى مرتبة تجرده عنكم وهي مرتبة الله ويعلم علما مقيدا بكم ومنكم فى مرتبة تقيده وتعينه بكم وهذه مرتبة العلم المذكور فى قوله تعالى حتى تعلم ولنعلم ويعلم وأنتم لا تعلمون من حيث غيريتكم وسوائيتكم فلا علم لكم قديم ولا حادث وكما أن الله يعلم وأنتم لا تعلمون فكذلك فالله يريد

وأنتم لا تريدون ، والله يقدر وأنتم لا تقدرون ، والله يتكلم وأنتم لا تتكلمون ، والله يبصر وأنتم لا تبصرون ، والله يسمع وأنتم لا تسمعون ، لأن هذه كلها توابع الوجود ، وحيث لم يكن الوجود من أنفسكم وذواتكم لم يكن لكم شيء من توابعه ، فاذا توهمتم ، وتخيلتم ، إن شيئا من ذلك لكم ، فهو خيال باطل ، وإنما ذلك لوجودكم ، الذي به أنتم ، أنتم ومن جهل ما منه يعلم ، فكيف يصح أن يعلم ، أو يسمى عالما فالواجب على الطالب أن يطلب معرفة مابه يعلم ، ثم يطلب أن يعلم مايعلم ، فمن كشف عنه الغطاء عرف نفسه فعرف ذلك ، ومن بقي في حجابه بقي جاهلا ، مركبا جهله بنفسه وجهله بجهله بها ، وهذا على سبيل التحديث بالمألوف ، وإلاّ فكما أنه لا يعلم كذلك لا يجهل ، لأن الجهل والعلم إنما يتواردان على محل قابل

(الموقف المايتان والأربعة عشر)

قال تعالى ، طه ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى إلاّ تذكرة لمن يخشى ، هذا نداء من الحق تعالى لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ، واشفاق عليه ، واخبار له ، وبشارة بانه تعالى ما أنزل عليه القرآن ، أي ما تجلى عليه وكشف له ، وأنزل عليه القرآن إنزال كشف ، وهي حضرة الجمع والوحدة المطلقة ليشقى ، كان صلى الله عليه وسلم ، إذا نزل من شهادة حضرة القرآن والجمع إلى حضرة الفرقان والتعدد ، رأى أن ذلك الشهود أعني شهود القرآن نقص في مقامه ، وهو مقام رسالته صلى الله عليه وسلم فخلل بواسطته قادح في كمال عبوديته ، فكان يحب ستر ذلك عنه صلى الله عليه وسلم وهو معنى ماورد في صحيح مسلم وغيره ، أنه ليغان على قلبي فاستغفر الله في

اليوم مائة مرة ، فهو غين أنوار كما قال العارف لاغين أغيار ، فاخبره الحق تعالى أنه لا يشقى بهذا ، بمعني أنه لاينقصه شيئا من مقام رسالته ومرتبة وساطته ، وخدمته وعبوديته وجه آخر ، خاطبه تعالى بهذا ، حيث كان الغالب على ظاهره صلى الله عليه وسلم شهود الفرقان وهو مقام الرسالة ، فكان يتعب ويشقى بغلبة هذا الشهود ، فانه يقتضى من العبودية الوفاء بحق الربوبية،والوفاء بما تقتضيه الربوبية من العبودية على الكمال محال ، حتي من الرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ فلذلك كان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورمت قدماه ، وجاع حتى شد الحجر على بطنه ، إلاّ تذكرة لمن يخشى ، أي ما أنزلنا عليك القرآن أو على غيرك نزول كشف وهي حضرة الجمع إلاّ تذكرة لروحك بما تقدم لها من العلم والكشف ، ثم نسبت تلك الحضرة بنزولها الى حضرة الفرقان ، فغلبت خشيتها على أمنها وضيقها على سعتها ، إذ بمشاهدة حضرة القرآن يخف الحرج ، ويحصل الفرج ؛ والراحة والسعة طبعا باطنا ، وان أعطى شهود الفرقان ضد ذلك ظاهر شرعا ، فان حضرة القرآن حضرة الذات ، وهي ظلمة محضة لا نور فيها أصلا والأكمل اعتدال الشهودين وهو المراد بالخطاب بهذه الآية ونحوها ، وهو مقام الرسل والورثة الكمّل صلى الله عليهم أجمعين ومن لم تغلب عليه الخشيه لا ينزل عليه القرآن ولا تتجلى له تلك الحضرة ، فلا يكون من أهل الشهود والعيان ، فمقام الرسالة إنما هو من حضرة الفرقان ؛ رب وعبد ، عابد ومعبود ، قال تعالى ، تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، فعلل تعالى نزول الفرقان بالنذارة وهي مقام الرسالة، وحضرة القرآن هي شهود كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه

كان ، وقوله ، إنا كل شيء خلقناه بقدر ، على قراءة رفع كل

(الموقف المايتان والخامس عشر)

قال تعالى ، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ، إعلم أن الحق تعالى يضرب الأمثال بأفعاله كما يضربها بأقواله ، لأن المقصود من المثل التوصيل الى الافهام حتى يصير المعقول مثل المحسوس ومن جملة الأمثال المضروبة بالأفعال ، خلق الحروف الرقمية ، فان في أرقامها من الأسرار مالا يحيط بها الا العليم الحكيم ، ومن جملتها لام الف ، ففيها اشارات خفية وأسرار ورموز كثيرة واعتبار منها أن تركب هذين الحرفين لام والف ، كتركيب الوجود الحق مع صور الخلق فهما حرفان باعتبار ، وحرف واحد باعتبار ، كما أن صور الخلق هي شيء واحد باعتبار ، وشيئان باعتبار ، ومنها أنه لا يدري أي الشعبين الألف ، وأيهما اللام ، فان قلت اللام هو الشعب الأول صدقت ، وان قلت الألف هو الشعب الأول صدقت ، وإن قلت بالحيرة صدقت ، كما أنك إن قلت ، الوجود الحق هو الظاهر والخلق الباطن صدقت ، وإن عكست صدقت ، وإن قلت بالحيرة صدقت ، ومنها أن الحق والخلق اسمان والمسمى بهما واحد ، وهو الذات الظاهرة بهما ، كذلك قولنا لام الألف إسمان والمسمى بهما واحد ، لأنهما علامتان على حرف واحد ، ومنها أنها لا تظهر صورة هذا الحرف المسمى لام الف بأحد الحرفين دون الآخر ، كذلك لا يظهر كل واحد من الوجود الحق أو الخلق بدون الآخر ، فان حقا بلا خلق لا يظهر ، وخلقا بلا حق لا يوجد ، ومنها أن شعبتى لام الف يجتمعان ويفترقان ، فكذلك الحق والخلق يجتمعان في الذات الحقيقية الكلية ، ويفترقان فى المرتبة ، فمرتبة

الآله الخالق غير مرتبة العبد المخلوق ، ومنها أن الراقم تارة يبتديء الرقم من الشعب الأول فى الصورة ، وتارة يبتدىء من الشعب الثاني فى الصورة ، فكذلك معرفة الحق والخلق ، تارة تتقدم معرفة الخلق على الحق ، وهي طريق من عرف نفسه عرف ربه ، طريقة السالكين ، وتارة تتقدم معرفة الحق على الخلق ، وهي طريقة الاجتباء والجذب طريقة المرادين ، ومنها أن الادراك العامي لا يدرك الأحرف لا ، وهو المسمى وهما شيئان فى نفس الامر ، لام والف ، فكذلك الادراك العامي لا يدرك الاسمى الخلق وهما شيئان فى نفس الامر حق وخلق ، ومنها أن اللام والألف لما امتزجا وتركبا بصورة خفيا معا ، وكذلك الوجود الحق لما تركب مع الخلق تركيبا معنويا خفي فى نظر المحجوبين ، فانهم لا يرون الا خلقا كما أن الخالق خفي في نظر أرباب وحدة الشهود ، فلا يرون الا حقا ، فقد خفي الحق والخلق معا ، لكن من جهتين ، ومنها أنه إذا اختلط شعبتا لام الف ولم يبق لصورة لا وجود فى نظر الناظر زال معنى لا ، وكذلك العابد والمعبود ، والرب والمربوب ، إذا حصل الفناء وهو الاتحاد عند القوم رضوان الله عليهم زالا معا ، إذ بزوال العابد يزول المعبود ، وبزوال المربوب يزول الرب ، كما هو الشأن فى كل متضايفين يزول أحدهما بزوال الآخر ، فيزولان معا وعلى هذا قس واعتبر

(الموقف المايتان والستة عشر)

ورد فى صحيح البخاري وغيره عنه صلى الله عليه وسلم ، الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما فى ليلة كفتاه ، يعني عن قيام تلك الليلة والتهجد فيها وإنما كانت لهما هذه الفضيلة العظمى والمزية الكبرى لأنه ورد فى صحيح

البخاري وغيره أيضا ، ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول ، هل من داع فاستجيب له ، هل من تائب فاقبله ، هل من مستغفر فاغفر له ، الى طلوع الفجر وهاتان الآيتان جامعتان لهذه الأشياء الثلاثة التوبة فى قوله سمعنا وأطعنا، والاستغفار فى قوله غفرانك ربنا ،والدعاء فى قوله ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا، الى آخر السورة

(الموقف المايتان والسابع عشر)

قال تعالى ،إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر ، صدر هذه السورة بشارة وآخرها بشارة وأكد الحق تعالي فيها تبشيره وأخباره وما بينهما أمر يشكر هاتين البشارتين،والنعمتين الجسيمتين وبيان كيفية شكرهما فقال له صل لربك أى كن مصليا لربك لاحقا به لحوقا معنويا وقريبا منه كذلك وليس اللحاق به تعالى والقرب منه الا بالتحقيق باسمائه وصفاته بعد التخلق والتعلق بها والأعراض عن كل شيء فان المصلي لا ينظر إلا الى السابق ولا همة له الا فى اللحاق به وانحر شاحح على ذلك وتقدم على غيرك بعزم قوى وهمة عالية،ونافس كل منافس،وصدرها بشارة بأعطاء الخير الكثير ومنه الكوثر نهر الجنة المعروف وعجزها بشارة بدفع كل شر جليل وحقير والتأمين من كل مخوف ، يقول تعالى لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم،إن المسمى كافرا بك ومنافقا معك،وشانئا لك،كله هو والهو عبارة عن الحقيقة الغيبية السارية فى كل موجود من حيث أن الموجودات كلها مظاهر أسماء مرتبة تلك الحقيقة وهي الألوهية فما كان من مظاهر تلك الأسماء مظاهر جمال وخير فهو محب لك صلى الله عليه وسلم،وما كان منها مظهر جلال وشقاوة فهو شانىء لك من حيث المظهرية لعدم المجانسة لك

والمناسبة ولـكنه أبتر بالنسبة اليك بمعنى أنه لا أثر له فيك . ولا له قـدرة على أيصال الضر اليك؛ وما ورد من أنه صلى الله عليه وسلم سحر وكان يخيل اليه أنه فعل الشيء وما فعله، وكان الشيطان يعترضه صلى الله عليه وسلم بشعلة نار، وكان يشد عليه في الصلاة ليقطع صلاته عليه ونحو ذلك مما في الاخبار الصحيحة ، فانما هي عوارض زائلة غير قادحة في البشارة بالتأمين ، وحكمة عروض هذه العوارض وأمثالها بيان أنه صلى الله عليـه وسلم من حيث صورته العنصرية البشرية من جملة البشر ولـكنه تعالى أكرمه ، ومن كل مكروه عصمه ، كما أنه من كل مخلوق أمنه فلفظة هو على حسب هذه الاشارة خبر لا ضمير فصل، والأبتر نعت له من هذه الجهة فقط وان الثانية ليست لتأكيد الأخبار بان شانئك هو ؛ فان هذا معلوم عنده صلى الله عليه وسلم لا يعتريه تردد فيه ولا انـكار له وإنما هي لتأكيد المبشّر به وهو ان شانيه لا أثر له فيه ؛ ولا يصل اليه منه شر كما يصل الى غيره

(الموقف المايتان الثامن عشر)

قال تعالى ، إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ، أخبر تعالى أن من وصل الى المرتبة الوسطى من مراتب التقوى ، وحصل عليها بان صار يتقي بالحق تعالى في كل فعل وترك ، وورد وصدر بمعني أنه تعالي هو وقاية هذا المتقي فلم ينسب لنفسه شيئا مما يصدر عنه: من طاعة ومعصية، وحسن وقبيح، لا علي طريق الجبرية، ولا علي طريق الـكسبية، لأنه شاهد الفاعل الحقيقي، والمصدر الـكلي ؛ فشاهد نفسه من حيث مخلوقيته كسائر الجمادات فـكما لا ينسب العقلاء الى الجماد فعـلا أو تركا إلا على جهة المجاز فـكذلك هو في شهوده هذا وأما النسبة التي أثبتها الشارع في قوله افعل أو

اترك ، أوفعلت أو تركت ، فهو لا ينفيها بل يسلمها مع الجهل بحكمتها ومع هذا الشهود وهذه المعرفة الحاصلين لهذا المتقى فانه يصير علي أداء المـامورات الشرعية ، وترك المنهيات الوضعية ، فلا يتعدى الحدود الشرعية بل لا يقربها لأنه من حيث هـذا الشهود ، صار من الصنف المخاطبين بقوله تعالى فلا تقربوها، يعنى الحدود الشرعية ، كما أن قوله تعالي فلا تعتدوها ، يعني الحدود الشرعية، خطاب لصنف آخر ، فالصنف الأول يعاقبون على مقاربة الحدود ، والصنف الثانى لا يعاقبون على المقاربة ، وإنما يعاقبون على اعتداء الحدود ومجاوزتها ، لأن كل من علت رتبته وأزلفت منزلته يعاقب على ما لا يعاقب عليه من هو أسفل مرتبة وأبعد منزلة ، كما هو فى الشاهـد فى خاصة الملك ورعاياه بل صاحب هذه المرتبة إن كان من الصابرين فهو أشد حذرا وخوفا وتوقيا وقياما بالأمر والنهي الشرعيين من الذي ليس له هذا الشهود من العباد والزهاد عناية من الحق تعالي به وهذا المقـام والشهود وسط وفوقه مقامات كما قيل

وهذا مقام فى الوصول وفوقه مقامات أقوام على قدرهم قدري

وبعد الوصول الي هذا المقام تتميز السعداء من الأشقياء ، فمن اتقي وصبر ، كما قال، أنه من يتقي ويصبر على أداء الأوامر واجتناب النواهى فقد صار من المحسنين ، وإن الله لا يضيع أجر المحسنين ، وما على المحسنين من سبيل ، فضلا منه تعالى ومنة ، وأما من يتقي ولا يصبر على أداء الأوامر واجتناب النواهي ويتعدي الحدود الشرعية فهو من الأشقياء المحرومين ، والزنادقة الملحدين المعنيين بقوله، إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا، وهو ممن أضله الله على علم من حيث علمهم بمرتبة الأتقياء بالله تعالى وعلي

جهل من حيث جهلهم بحكمة الحكيم العليم تعالى فيما شرّعه من الأمر والنهي ، وفيما رتّبه من الحدود والزواجر ، عرفوا شيئا وفاتهم أشياء، فتخيلوا وظنوا أن الاوضاع الشرعية خاصة بمن لم يصل الي مقامهم ، فقيل لهم وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم : نعوذ بالله من الجور بعد الكور ، وأما من جاوز هذه المرتبة وعلاها فقد جاوز الصراط وتخلص فلا رجوع له ، ولذا قال العارف ، ما رجع من رجع الاّ من الطريق، ولو وصلوا ما رجعوا

(الموقف المايتان والتاسع عشر)

قال تعالى ، ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ، الآية ، إعلم أن الرحمة ذاتية وصفاتية ، وكل منها عامة وخاصة ، فالذاتيتان هما المذكورتان فى البسملة فى قوله ، بسم الله الرحمن الرحيم ، والصفاتيتان هما المذكورتان فى الفاتحة فى قوله ،الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، فاسم الرحمة فى قوله ، ورحمتي أعم من الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية ، فاسم الرحمه يتناولهما لفظا ، أعني الرحمة الذاتية العامة ، والرحمة الذاتية الخاصة ؛ ولذا أضيف لفظة الرحمة الى الضمير الذي هو كناية عن الذات الذي تضاف الأشياء اليه ولا يضاف هو الى شيء ، وهو غيب الغيب وحقيقة الحقائق وتسمي الرحمة الذاتية بالامتنانية الحبية لأنها عبارة عن التجلي الذاتي الأقدس ، الذي كانت به الاستعدادات الكلية للأشياء لقبول التجلى ، فهي الوجود من حيث انبساطه على الحقائق العلمية والاعيان الشهودية ، وهذه الرحمة واحدة بالذات ، متعددة بتعدد النسب والاعتبارات ، والتعدد عين المتعدد وعموم هذه الرحمة شمل كل شيء ، حتي

الغضب والآلام والعذاب ونحو ذلك مما يتخيل أنه مناف لها ، لأن الكل تجل من تجليات هذه الرحمة العامة التى وسعت كل شيء ؛ فانه تعالى أطلق ، ولفظ الشيء يعم كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه لغة ؛ فبهذه الرحمة إيجاد كل موجود ولا يقال فى هذه الرحمة أنها تسع الحق تعالى أولا تسع ، لأنا قدمنا أنها عين الوجود ، والوجود عين الذات ؛ والشيء لا يسع نفسه ولا يضيق عنها ؛ ومن هذا قوله . ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ؛ فرحمته هنا عين ذاته كعلمه ، ولسعة هذه الرحمة وشمولها وسعت أسماه تعالى بظهور آثارها بظهور الكائنات ، وأما الرحمة الذاتية الخاصة فهى الرحمة الرحيمية المقيدة بالمتقين وبالمحسنين ، كما فى قوله تعالى ، إن رحمة الله قريب من المحسنين ، وهي التى أوجبها نفسه علي نفسه فى قوله ، كتب ربكم علي نفسه الرحمة ، وبما قررناه تعلم أن الضمير المتصل فى قوله فسأكتبها عائد على الرحمة الخاصة الذاتية المفهومة من لفظة الرحمة المضافة الى الياء التى هي كناية عن الذات ، لا على الرحمة الذاتية العامة التي وسعت كل شيء ، فهذا المساق يشبه التوزيع ولولا أن الأمر على ما ذكرناه لتناقض صدر الآية مع عجزها ، إذ السعة تقتضي الاطلاق ، وقوله فسأكتبها الخ ؛ نص فى التقييد ، والتناقض محال للذين يتقون ، أي يطلبون التقية والستر به تعالى بان يصير الحق تعالى تقيتهم ووقايتهم من كل شيء وذلك بالدخول فى جنة الذات المشار اليه بقوله ، يا أيتها النفس المطمئنة ، الى قوله وادخلي جنتي ، وأما الرحمة الرحمانية الصفاتية العامة فهى الرحمة التي أخرجها الحق تعالى الي أهل الدنيا ، فبها يتراحمون ويتواصلون حتي تضع الدابة حافرها على ولدها ولا تضره ، كما ورد فى الخبر ، أن لله مائة رحمة أخرج منها الى الدنيا رحمة واحدة ، الحديث ،

والماية هي أسماؤه تعالى ، وأما الرحمة الرحيمية ، الخاصة الصفاتية ، فهى التى يرحم بها تعالى من يشاء من عباده ، وهي التي تتوقف علي المشيئة الربانية ، كما قال ، والله يختص برحمته من يشاء ، ونحو ذلك ، وهي التى يتخلق بها المتخلقون ، ويتحقق بها المحققون من رسول ونبي وولي كامل ، وهي التي وصف الحق تعالي بها محمد صلي الله عليه وسلم فى قوله ، بالمؤمنين رؤوف رحيم

(الموقف المايتان والعشرون)

قال تعالي ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، الآية ، تسلية من الحق تعالى لعباده الصابرين على ما أصابهم ، بأنه هو عوض وخلف لهم مما فقدوه مما يلائم طباعهم ، إذ الصبر حبس النفس علي ماتكره ولا تكره النفوس إلا مالا يلائمها حاضرا ، ولو علمت أنه خير لها فى الآجل فلابد للنفوس من التألم النفساني الطبيعي ولا تقدر على دفعه الا إذا طرقها حال غالب قاهر يغنيها عما به تتألم ، كما يغنيها عما به تتلذذ ، ولكون التألم النفساني الطبيعي لا يقدر الانسان على دفعه ، بكت الأكابر وتأوهت ، وأنت واستغاثت ، وسألت رفع الآلام ، بخلاف التألم الروحاني فان الانسان يقدر علي رفعه ، ولهذا ترى الأكابر مبتهجة فى بواطنها ، مسرورة راضية واثقة بحسن اختيار الله تعالي لها ، مطمئنة عند نزول الآلام والموجعات بها ، وليس هناك شيء غير ملائم بالذات ولا شر بالذات ، وإنما ذلك بالنسبة إلي القوابل والاستعدادات الجسمانية ، وأما الحقائق الغيبية فكل شيء نزل بها فهو ملائم لها بل لا ينزل بها غير ما هي طالبة له بلسان حالها ، فأخبر تعالى الصابرين علي فقد الملائم كالصحة والغناء ، والعز والأمن ، والمال والولد ، إنه هو تعالي خير لهم مما

فقدوه إذا عرفوا أنه هو تعالي وجودهم الملازم وبدهم اللازم ، وما فقدوه من الأشياء الملائمة إنما هو أمور وهمية خيالية ، وقال تعالى ، لهو والهو هو الحقيقة الذي لايدري ولا يعرف ، ولا يسمى ولا يوصف ، وهو غيب كل شهادة ، وحقيقة كل حق ، لا يزول ولا يحول ، ولا يذهب ولا يتغير ، فليس المراد بالهو ضمير الغايب المقابل للمتكلم والمخاطب ، وما قال تعالى ، لأنا لان الانا متعين بالحضور وكل متعين متقيد من حيث ذلك التعين وخير أصله أخير ، فهو يدل علي المشاركة والمفاضلة ، ولا مشاركة ولا مفاضلة ، ولكنه تعالى يخاطب عباده بالمعروف ويماشيهم علي النهج المألوف ، وإلاّ فاي مشاركة بينها الوجود والعدم ، وأي مفاضلة بين الحقيقة والوهم ، فمن وجد الله لم يفقد شيئا ، ومن فقد الله لم يجد شيئا ، وفى المناجاة العطائية ماذا وجد من فقدك ، وما الذي فقد من وجدك

(الموقف المايتان واحد وعشرون)

قال تعالى ، ألا الي الله تصير الأمور ، وقال ، واليه يرجع الأمر كله ، وقال ، واليه ترجعون ، وقال ، اليه مرجعكم ، ونحوهذا ، إعلم أن مصير الأمور كلها إلى الله ورجوعها اليه ، ورجوع المخلوقات اليه تعالى إنما يكون بعد القيامة ، والقيامة إنما تكون بعد فناء المخلوقات ، ومن مات فقد قامت قيامته علي لسان رسول الله صلي الله عليه وسلم . والموت موتان موت اضطراري عام ، وموت اختياري خاص ، وهو المأمورية موتوا قبل أن تموتوا ، على لسان رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فمن مات اختيارا فقد قامت قيامته وصارت الأمور عنده الى الله ، فرجعت أمرا واحدا ورجع الى الله فرأى الله بالله ، إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا ، علي لسان رسول الله صلي الله عليه وسلم خرجه

الطبراني ، وذلك لفناء المخلوقات في شهود هذا الميت المبعوث فما بقي عنده الاّ أمر واحد ، أي وجود واحد ، وما من شيء يكون بعد الموت للعموم الاّ وفي هذه الدار نموذج منه للخصوص ، قل أو جل ، وصيرورة الأمور كلها الى الله تعالى إذا اعتبرت من جهة صورها ، إنما يكون ذلك حكما لا عينا ، فيرى من مات وقامت قيامته الكثير واحدا لوحدته الحقيقية ، والواحد كثيرا لكثرته النسبية الاعتيادية ، والأعيان التي هي الجواهر لا تنعدم أبدا ، والخلق الجديد دائما دنيا وآخرة ، إنما هو في الصور التي هي أعراض وكل شيء سوى الوجود الذي هو أمر الله فهو عرض

(الموقف المايتان الثاني والعشرون)

قال تعالي : والذين اهتدوا زادهم هدى وأتاهم تقواهم ، الذين اهتدوا بالايمان وعمل الصالحات زادهم هدى بكشف ما آمنوا به وإظهار أسرار ما عملوا من الطاعات ، كما قال ، واتقوا الله ، ويعلمكم الله ؛ وفي الخبر ، من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم ؛ فالذين يعلمهم الله اياه إذا عملوا بما علموا هو كشف سر ما عملوا به ، فليس علي المكلف الاّ الايمان والعمل بالوارد من التكاليف فعلا وتركا والوقوف عند الحدود مع اعتقاد حقية ذلك كله جزما وعدم التعرض للكيفيات والتأويلات ، والحق تعالى يكشف للمؤمن العامل عن بواطن الأمور وحقائق الأشياء ، فيرفعه من مرتبة الايمان الذى هو تصديق المخبر فيما أخبر به ، وهو علم اليقين الى عين اليقين وحق اليقين ، فيصير ماكان ايمانا مشاهدة وعيانا ، وهذه هي زيادة الهدى وهي المعبر عنها بزيادة الايمان في غير ما آية وحديث ، من باب تسمية المسبب باسم السبب حيث كان الايمان الذي هو قول وعمل واعتقاد سببا في زيادة

اليقين والحصول علي عينه وحقه كما أن الكفر وعدم الأعمال الصالحة سبب فى زيادة الضلال والحصول علي الطبع والرين ، كما قال ، وأما الذين كفروا فزادتهم رجسا الى رجسهم ، وقال ، فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، وقال ، بل وان علي قلوبهم ، ونحو ذلك ، واليقين مرتبة لا يقبل صاحبها الزيادة فى مشهوده وان قبل زيادة الظهور والكشف ، والفرق بين هذه الثلاثة هو أن علم اليقين يحتاج فى اثباته الى دليل ويقبل التشكيك ، وعين اليقين يحتاج الى دليل ولا يقبل التشكيك : وحق اليقين لا يحتاج الى دليل ولا يقبل التشكيك : وجميع علوم الأذواق وهي العلوم الحاصلة بالتجليات لمن شاء الله تعالي من عباده من القسم الثالث فزيادة الهدى إذا ليست زيادة اشياء يؤمن بها ، وإنما هي زيادة فيما يؤمن به ، أي زيادة كشف معلوم الاولياء ليست بزيادة على ماجاء به محمد صلي الله عليه وسلم ، إذ لا يأتون بأمر ولا نهي جديد ولا خطر ولا وجوب ، وإنما يكشف الحق لهم عن أسرار ما جاء به محمد صلي الله عليه وسلم وحقائقه وبواطنه وحكمه ، فان لكل ظاهر باطنا ، فظاهره ملكه وباطنه ملكوته ، قال تعالي ، وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، فلا يحصل الايقان الزائد علي الايمان فى الاشياء الأ بكشف بواطن الاشياء والاطلاع على ملكوتها

(المرقف المايتان الثالث والعشرون)

قال تعالى ، قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، الخ السورة ، أل فى الكافرون للجنس المخصوص وهم الذين حقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون أى لا يرجعون عن كفرهم بحسب مرتبة كفرهم وهم المعنيون

بقوله ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين ، وقوله ، إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، الخ ، الآية ، ونحو هذا ، والكفر الستر لغة ، فكل من ستر شيئا وجحده فهو كافر ساتر بالنسبة لما ستره وجحده ، وهو أنواع كالشرك وقد يطلق كل منهما على الآخر ، وفى صحيح البخارى ، كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وكما أن الكفر أنواع فالداعون الى الخروج من هذه الأنواع أنواع ، منهم من يدعو الي الخروج من الكفر الأعظم ، ومنهم من يدعو الى الخروج من الكفر الأصغر الي ما بينهما ، قل يا أيها الكافرون الجاحدون وحدانية الآله تعالى ، الداعون معه إلها آخر ، أما استقلالا كالقائلين بالاثنين ، وأما تقريبا كالقائلين ماتعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفى ، لا أعبد ما تعبدون من الشركاء ، ولا أنتم عابدون ما أعبد وهو الآله الواحد الأحد لما خفت عليكم كلمة العذاب ، وما يبدل القول لديه تعالى ، قل يا أيها الكافرون الجاحدون تنزيه الحق تعالي ، القائلون بتشبيهه بخلقه مطلقا ، كالمجسمة والحلولية والاتحادية المنكرون والمؤولون بقوله ، ليس كمثله شيء ، لا أعبد ما تعبدون وهو الآلة المشبهة بمخلوقاته مطلقا فانه إله مخلوق اخترعه عابده فى تخيله ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وهو الآله المنزه فى تشبيهه ، قل يا أيها الكافرون الجاحدون تشبيه الحق تعالى ، القائلون بتنزيهه مطلقا فى جميع المراتب ، المنكرون والمؤولون لما ورد فى الكتب وسنن الرسل من تجليه بصور مخلوقاته من غير حلول ولا اتحاد ، ونعته بنعوت المحدثات كالنزول والهرولة ، والقدم والضحك ، والوجه والعين ، والجنب والجوع والعطش ، ونحو ذلك لا أعبد ما تعبدون وهو الآله المنزه مطلقا فى جميع المراتب المحكوم عليه بانه على كذا ، ولا بد ولا يكون على كذا ، المحجور عليه بالعقول والافكار ، ولا

أنتم عابدون ما أعبد ، وهو الآله المنزه المشبه أعني منزه حالة تشبيهه ، قل يا أيها الكافرون الجاحدون انفراد الحق تعالى بايجاد كل موجود ، القائلون بتأثير الطبائع والأفلاك ، أو لأسباب العاديه بطبعها ، أو بقوة أودعها الله تعالى فيها ، أو أن العبد يخلق افعاله الاختيارية كما يقوله المعتزلي ، لا أعبد ماتعبدون ، وهو الآله الذي له شريك في فعل من أفعاله ، أو حكم من أحكامه ، فقوله ، لا أعبد ما تعبدون ، ما أعبد ، ولا أنتم عابدون ماأعبد ، المقصود به أهل الكفر الأكبر ، وقوله ، ولا أنا عابد ماعبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد ، المقصود به ما عدا أهل الكفر الأكبر من سائر الطوائف والملل والنحل ، فما في كلام الحق تعالى تكراره ولكم دينكم الدين الجزاء أي لكل طائفة منكم جزاء بحسب مرتبة كفرها ، فكما أن الكفر أنواع فالجزاء أنواع ، فلكل كفر جزاء ، ولي دين ، أي لي جزاء عام وهو التلذذ والتنعم بنعيم كل معتقد حيث كان آلهي ومعبودي مطلقا لا حكم عليه ولا تحجير ، والعابد للآله المطلق له النعيم المطلق

(الموقف المايتان الرابع والعشرون)

قال تعالى ، ولمن خاف مقام ربه جنتان . وقال في السورة نفسها ، ومن دونهما جنتان ، إعلم أن العباد على قسمين اشقياء وسعداء ، والسعداء على قسمين أبرار أصحاب اليمين ومقربون سابقون ، فالأشقياء لا خوف عندهم ، والسعداء لهم خوف ، وخوفهم نوعان ، خوف الاجلال والتعظيم والمهابة ، وهو للمقربين السابقين ، فان الخوف منه تعالى على قدر المعرفة به ، فمن كانت معرفته أتم كان خوفه أكمل ، ولذا قال السيد الكامل صلى الله عليه وسلم ، اني لأعرفكم (١) بالله

---

(١) وفي نسخة : أنا أعرفكم بالله

تعالى وأشدكم له خشية ، وخوف النار والأغلال والعذاب والنكال هو للأبرار أصحاب اليمين وليس الخوف من لازمة الاجلال والاعظام ، فان الانسان يخاف الحية والعقرب من غير تعظيم ولا اجلال ، ولما كان خوف الابرار والمقربين مختلفا فى النوعية كان جزاؤهما مختلفا فى العين والماهية فجزاء المقربين دخول جنتي الذات والصفات وهو جزاء معنوي ودخول معنوي، حيث كان خوفهم معنويا جزاء وفاقا إذ الجزاء من جنس العمل وهما الجنتان المتقدمتان في الذكر فى السورة فهما مقدمتان رتبة وذكرا وجميع ماذكر فى هاتين الجنتين هو من الأمور المعنوية فقوله ، ذواتا أفنان ، إشارة الى كثرة التجليات الذاتية والصفاتية وتشاجرها وتباينها ، بحيث لايشبه تجل تجليا أبد الآبدين ، وقوله فيهما عينان تجريان ، إشارة الى جريان العلوم اللدنية والالهامية وتتابعها على الدوام لمن دخل هاتين الجنتين ، فالعلم اللدني هو الوارد من الوجه الخاص الذى لكل إنسان ، والعلم الالهامي هو الوارد بواسطة الملك الغير المحسوس ، فبين العلمين فرقا الواسطة وعدمها وقوله ، فيهما من كل فاكهة زوجان ، إشارة الى أن فى هاتين الجنتين من كل ما تستلذه الأرواح ، وتتنعم به القلوب نوعين كالمشاهدة والمكالمة ، والحضور والغيبة ، والسكر والصحو ، والبقاء والفناء ، والجمع والفرق ، ونحوها ، وقس على هذا مالم أذكر ، وهاتان الجنتان لا نهاية لهما ولا حد ونعيمهما لمن دخلهما دنيا وبرزخا ، والآخرة واللذة فيهما أتم والتنعم أكمل ، بل لانسبة بينهما ، وبين الجنتين المذكورتين بعد ، وجزاء الابرار دخول جنتين محسوستين ، لأن ما خافوه محسوس وهما المذكورتان فى قوله ، ومن دونهما جنتان ، فهما دون الأولين فى القدر والسعة واللذة بل هاتان كلاشيء ، بالنسبة للأولين فانهما لا يدخلان

تحت الكم والكيف ، وما ذكر فى الجنتين الأخيرتين كله محسوس ولهما نهاية وحد فى أنفسهما لا فى نعيمهما ، وهما الجنتان اللتان ورد الخبر بهما كما فى صحيح البخاري جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، فمن فى قوله ، ولمن خاف مقام ربه ،واقعة على الصنفين الخائفين من الأبرار والمقربين مع اختلاف خوفهما ، فهو مقول بالتشكيك كما أن المقام هو بالنسبة الى المقربين بمعني الحضرة الربانية ، وبالنسبة الى الأبرار مقام العباد بين يدى الحق تعالي ، وقوله ، جنتان ومن دونهما جنتان ، هو على طريقة التوزيع فان الاخبار واقع على الصنفين من المقربين والأبرار

(الموقف المايتان الخامس والعشرون)

قال تعالى ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، أي لولا وجود دفع الله الاسم الجامع لأسماء الجلال والجمال والرضى والغضب الناس الذين هم مظاهر أسماء الجلال والجمال والرضى والغضب ، بعضهم يعني مظاهر أسماء الجلال والشر والغضب ببعض ، بمظاهر أسماء الجمال والخير والرضي ، والاسم الجامع هو المدافع والمدافع فى الجهتين من حيث الناس الذين هم مظاهر الصنفين كما قال ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وإن هذين الصنفين أعنى مظاهر أسماء الجلال والجمال المعبّر عنهما باليدين فى الآيات والأحاديث دائما فى مدافعة ومغالبة ومشاققة حتى فى الشخص الواحد ، كما ورد أن الملك لمة وللشيطان لمة، فالمطاردة والمدافعة بين مظاهر الجلال والجمال لا تنفك دائما ، كمطاردة الليل والنهار بالنور والظلمة، لفسدت الأرض أنحل نظامها وزلزلت زلزالها اذ لولا وجود دفع الله أهل الكفر بأهل

الايمان وهم مظاهر الاسم الله الجامع للجلال والجمال لاستولي الكفر على أهل الأرض وقد قضي تعالى أنه اذا لم يبق علي وجه الأرض من يقول الله الله قامت القيامة فانفطرت السماء وطويت الأرض، وانقلب الامر الى الآخرة كما أنه لولا وجود مدافعة الله الشيطان بالملك لفسدت الأرض ، أرض النفوس التي هي محل البذور والالقاء كما قال، فألهمها فجورها وتقواها ، ولكن الله ذو فضل على العالمين ،أي ذو إفضال وامتنان بوجود مدافعة مظاهر الخير لمظاهر الشر كمدافعة أهل الكفر بأهل الايمان،ومدافعة الملك للشيطان، ويكون العالمين علي هذا عاما أريد به خاص إشارة أخرى،ولولا دفع الله الناس الآية ، الناس يعم الجن والانس والجن يعم الملائكة وجميع الأرواح والعالم كله ذو روح فيكون دفع الله الناس بعضهم ببعض يعم العالم كله أعلاه وأسفله ، أعني مدافعة الأسماء بعضها ببعض التى العالم كله مظاهرها،لفسدت الأرض لانحلت واضمحلت، المرتبة الامكانية التي هي الأرض القابلة لظهور الأسماء المتدافعة المتغالبة بل ولا كانت ولا وجدت فانه لا قيام ولا بقاء لهذه الأرض الا بمدافعة أسماء الجلال والجمال التى اشتملت عليها مرتبة الألوهية المسماة بالله بعضها ببعض ومغالبتها ومداولتها فى الغلبة لأن العالم كله إنما كان عن الطبيعة والعناصر وهي مظاهر الأسماء ومدافعة بعضها لبعض ومغالبتها ضرورية ولولا ذلك الميل ما حدث شيء لأن الاعتدال لا يكون عنه شيء ولكن الله ذو فضل على العالمين ، ذو افضال علي العالمين ، وهو كل ما سواه تعالى أمتن علي جميع العالم بوجود مدافعة الله الناس الذين هم مظاهر أسمائه فتم إيجاد مظاهر الجمال والجلال إذ الممكنات تطلب الايجاد والتأثر ، كما أن الاسماء تطلب الظهور والتأثير والوجود

كله خير والشر هو العدم فالعالمين على مقتضى هذه الاشارة علي أصل وضعه

(الموقف المايتان السادس والعشرون)

قال تعالى ، ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، المطلوب من الواقف على هذا الموقف أن يعطيه ما يستحقه من التأمل والانصاف فانها مسئلة تكسرت فى البحث عنها أظافير كثيرين ليعلم أن الأشياء الممكنة معلومة للحق تعالي حالة عدمها بعلم محيط اجمالى فى تفصيل لا يتناهى ، والمشيئة المذكورة فى هذه الآية هي المشيئة الوجودية ، أعطي كل شيء أي موجود خلقه طبيعته واستعداده كما هي فى قوله ، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ، أي موجودا لا الشيئية الثبوتية كما هي فى قوله ، إنما قولنا لشيء ، الآية ، وهي الشيئية المعلومة المجردة عن الوجود العيني ولحقائق الممكنات استعدادات كذلك معلومة له تعالى ، ثابتة معدومة وكما أن عدم الممكنات السابق على وجودها غير مراد ولا مجعول ، فكذلك استعداداتها وطبائعها الكلية غير داخلة تحت الارادة والجعل ، لأنها اقتضاآت أسمائية آلهية التى هي حقائق أول ، وهذه حقائق ثواني ، والممكن من حيث هو ممكن بالنظر الى حقيقة الامكان لا يقتضى شيئا لذاته ، فلا بد له من مرجح ، إذ وقوع أحد المتساويين بلا مرجح محال لما يلزم من التساوي وعدم التساوي ، والمرجح لا يرجح الا بالعلم وإرادة المتقدمين على الترجيح وبالنظر الى كون علمه تعالي قديما محيطا لا يقبل التغيير لاستحالته فالممكن المعلوم حالة عدمه لا يقبل التغيير لما يلزم من انقلاب العلم جهلا ، إذ المحال كانت معنوية أو عينية تعطى الحال بها أحكاما ليست له بمجرد النظر الي ذاته فلزم من هذا أنه تعالي لا يعطي حقيقة

وذاتا من ذوات الممكنات حالة ايجاده من الأحوال والصفات الاّ ماعلمه منه حالة عدمه لطلبه ، لذلك باستعداده وطبعه الذي هو مقتضى حقيقته إذ انقلاب الحقائق محال وصح قول حجة الاسلام الغزالي رضي الله عنه ، ليس في الامكان أصلا أحسن ولا أتم ولا أكمل مما كان ، أي مما هو عليه كل ممكن في الحال ويكون عليه فى الاستقبال من الأحوال والصفات دنيا وأخرى ، يعنى أنه ليس فى الممكن الجائز أن يكون فى حق أفراد كل حقيقة وذات نسبت الى الوجود في العالم أعلاه وأسفله أحسن وأتم وأكمل مما كان ، أي مما أعطيت أشخاص كل حقيقة من الأحوال والصفات والأوضاع ، لأنه تعالى فعل بها وأعطاها ماتطلبه باستعدادها وتستحقه بطبعها الذي علمه منها حالة عدمها ، فكما أنه تعالى أخبر أنه لا يعطيها فى النهاية إلاّ وصفها بقوله ، سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم ، ولا يظلم ربك أحدا ، لأنه علمهم على تلك الصفات والاحوال فى الدنيا ، فكذلك فى البداية لم يعطهم من الأحوال والصفات إلاّ ماعلمهم عليه قبل وجودهم وهي استعداداتهم لأنه علمهم متى وجدوا يكونوا على تلك الأحوال والصفات والهيئات والأوضاع لأنها مقتضي استعداداتهم التي هي حقائقهم أو لوازم حقائقهم ومن البين أن العلم ظل المعلوم وحكاية عنه ، فهو تابع له ولا أحسن ولا أكمل ولا أتم ولا أبدع ولا أحكم من إعطاء كل مستعد ماهو مستعد له فانه لا يطلب غيره بل لا يقبله ، فانه لا يصلحه ولا يمشى به على حقيقته إلاّ ذلك ، ألا ترى مثلا إلي استعداد الشمعة للانطفاء بالنفخ ، واستعداد قبضة الحشيش اليابس للاتقاد به ، ولو أراد النافخ إذا كان غير عالم بالاستعداد ولا حكيم فيعطى كل شيء مايستحقه ايقاد الشمعة بالنفخ ماقبلت ذلك ، لأنه خارج عن استعدادها كما أنه إذا أراد اطفاء

قبضة الحشيش بالنفخ ما قبلت ذلك كذلك ، والفعل والفاعل واحد ولكن الاستعدادات مختلفة والطبائع متباينة فالتجلي الآلهي واحد وحقائق الممكنات تقبله بحسب استعداداتها وقوابلها فمن الاستعدادات مايعم جميع أشخاص الحقيقة الواحدة كالتعدي مثلا لحقيقة الحيوان والنبات وقد ينفرد كل نوع من انواع الجنس الواحد باستعداد وطبيعة كاستعداد أنواع الحيوان المصوت، كل نوع الى صوت يخالف الآخر ،وما ذلك إلاّ لاختلاف الاستعدادات وقد لاتنحصر الاستعدادات فى أشخاص النوع الواحد ، ولا فى أنواع الحقيقة والجنس الواحد، والحق تعالى واسع عليم بالاستعدادات على اختلافها، حكيم يضع الأشياء مواضعها التى تستحقها، جواد يعطي كل مستعد مايطلبه باستعداده، وهو معني أعطى كل شيء خلقه أي طبيعته واستعداده ، ثم هدى ، أي بين ويسّر وساق كل شيء بعد إيجاده الى ماهو مستعد له قبل ايجاده ، فليس له تعالي الا إعطاء الوجود للأحوال والصفات لكل مستعد حسب استعداده وطلبه لذلك بلسان حاله الذي هو الاضطرار ، وهو تعالي يقول ، أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ، فكلام حجة الاسلام رضي الله عنه ، إنما هو فى بيان انه تعالى ماظلم أحدا من خلقه ولا عدل به عما علمه منه حالة عدمه ولا نقصه خردلة مما طلبه باستعداده وخلقه وطبيعته ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، إن نقصا فنقص ، وإن كمالا فكمال ، وبهذا كانت له الحجة البالغة على مخلوقاته ، وفى بيان ان الأحوال والصفات والأوضاع المجعولة التابعة للحقائق والذوات والماهيات الغير المجعولة لا يمكن ان تكون أعلا مما هي عليه ولا أدون ، لأنها مقتضي استعدادات الحقائق والذوات من غير تعرض لشيء آخر وراء ذلك أصلا ، ولو قيل لحجة الاسلام ، هل في

الامكان العقلي أن يخلق الله تعالى حقائق أحسن واتم واكمل مما خلق أعنى قدّر ؛ لقال هو ممكن عقلا اذا أرادوا ما كشفنا فهو محال ، لأن العالم مخلوق علي الصورة الآلهية ، وحجة الاسلام إنما يتكلم مع الجمهور اصحاب العقول فهو يقرّب الأمر الى عقولهم ولو قيل له وهل فى الامكان ان يعطي تلك الحقائق صفات وأحوالا أعلى أو أدون مما تقتضيه استعداداتها التي علمها عليه قبل نسبة الوجود اليها ، لقال لا يمكن لأن القدرة إنما تتعلق بالممكن ووقوع خلاف العلم الآلهي مستحيل ، ولو قيل له ، وهل فى الامكان ان يخلق الله تعالي حقائق تقتضى باستعداداتها احوالا وصفات هي أحسن وأكمل وأتم مما كان ؟ لقال نعم ، كيف وهو تعالى يقول ، إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ؛ فاطلق فجاز أن يكون أعلا وقال ، إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم مايشاء ، فاطلق كذلك وقال ، يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ، فقيّد بعدم المثلية وقال ، إنا لقادرون على أن نبدّل خيرا منهم ، فقيّد فى هذه الآية البدل بالخيرية يؤيد حمل كلامه رضى الله عنه على ماذكرناه لاغير قوله ، الذي بنى عليه هذه المقالة عند ما تكلم فيما يثمر التوكل مانصه باختصار بعض الكلمات هو أن تصدق يقينا ان الله لو خلق الخلائق كلهم علي عقل أعقلهم وعلم أعلمهم ، وأفاض عليهم من الحكمة مالا منتهى لوصفه ثم كشف لهم عن عواقب الأمور واطلعهم على أسرار الملكوت ، وأمرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلم والحكمة لما اقتضى تدبير جميعهم ان يزاد فيما دبّر الله به الخلق فى الدنيا والآخرة جناح بعوضة ، ولا ان ينقص منه جناح بعوضة ، ولا ان يرفع عيب أو نقص ، أو مرض أو ضر عمن بلي به ، ولا ان يزال غنى ، أو صحة أو كمال ، او نفع عمن انعم عليه ، بل

كل ماخلق الله من السموات والأرض وكل ماقسم الله بين عباده من رزق وأجل ، وسرور وحزن، وعجز وقدرة ،وإيمان وكفر ، وطاعة ومعصية ، عدل لاجور فيه ، وحق لاظلم فيه ، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ماينبغي ، وبالقدر الذي ينبغي ، وليس فى الامكان أصلا أحسن منه ولا أتم ولا أكمل ، ولو كان، وادّخره مع القدرة ، لكان بخلا يناقض الجود ، وظلما يناقض العدل ، ولو لم يكن قادراً لكان عاجزا والعجز يناقض الألوهية يعني رضي الله عنه أنه تعالي أعطاهم ما أعطاهم وكشف لهم عن علمه بالأشياء فى العدم فعرفوا استعداداتها وطبائعها التى تقتضيها له،وحقائق الاشياء طالبة لصفاتها واحوالها وأوضاعها التي تعرض لها بعد الايجاد العينى، طلبا طبيعيا لزوميا ، ورأوا تلك الصفات والأحوال على اختلاف أزمنتها وامكنتها ، مترتبة ترتيبا اقتضائيا ، بحيث تكون الحالة الأولي جاذبة للتى بعدها ، مستلزمة لها ، كحلق السلسلة يجذب بعضها بعضا جذبا طبيعيا وان الكثيف الثقيل استعداده وطلبه يقتضي أن يكون اسفل ، ولا يليق به ويصلحه الا ذاك ، كالأرض وماخلق منها من حيوان وانسان ، وان اللطيف الخفيف استعداده وطبيعته يقتضي أن يكون أعلا كالسموات وما خلق منها من ملك ونحوه وإن البارد اليابس كالارض لا ينتظم أمره الا بمجاورة البارد الرطب كالماء ، وإن اليابس الحار كالنار لا ينتظم أمره الاّ بمجارة الحار والرطب كالهواء ، وقس على هذا ، فلو عكس هؤلاء الذين أمرهم الله تعالي أن يدبروا الخلق بما أفاض عليهم وأعطاهم من العلم والحكمة خردلة ما انتظم العالم بل لا يمكنهم زيادة خردلة ولا نقصانها ، لانه قلب للحقائق وهو محال وتغيير لمعلوم العلم أزلا ، وهو محال أيضا إذ العلم لا بد له من معلوم ومتى ما ظهر ظهر طبق ما تعلق به العلم القديم لا أزيد

ولا أنقص بزمانه ومكانه ، لا يتقدم ولا يتأخر ، فهو تعالى يخلق ما يشاء ويختار ولا يشاء ويختار الاّ ما علم من كل معـلوم حال عدمه وهو ما عليه كل ممكن حالة وجوده من جميـع أحواله وصفاته التى لانهاية لها فى الدار الدائمة فلا يصح أن يقال الحق تعالى يعجز عن شيء بل هو القادر المطلق ، ولـكن يقال الحق تعـالى لا يفعل الاّ ما أراد واختار ولا يريد ويختار الا ماعلم والمعـلوم لا يتغير ، فلو كان فى الامكان خلاف الواقع بحسب ما عليه كل ممكن من الاحوال والصفات مع طلب الممكن أي ممكن كان من الممكنات باستعداده ولسان حاله الأحسن والا كمل بالنسبة الى ما أعطى من الصفات والاحوال على سبيل فرض المحـال ، إذ لا يطلب شيء غير ما هو مستعـد له البتة ، لكان بخـلا يناقض الجود ، وظلما يناقض العدل ، والبخل والظلم محال ، فاللازم وهو منع المستحق ما هو مستحق له طالب له باستعـداده محال ، والظلم وضع الأشياء غـير مواضعها التي تستحقها باستعداداتها ، والعلم والحكمة ولو لم يكن قادرا على ما يريد لـكان عاجزا والعجز محال،فهو تعالى عالم قادرمريد مختار، ولعلمهوارادتهواختيارهلا يعطي شيئا فى الممكنات الا استعدادهلانه مقتضي الارادة المترتبة على العلم المترتب علي المعلوم فتبين من هذا أنه لا اعتزال ولا فلسفة ، ولا جبر ولا إيجاب في قول حجة الاسلام في هذه المسئلة بل هو كلام صفة الصفوة من أهل السنة والجماعة والحاصل ان حجة الاسلام رضى الله عنه رمز بهذه المقالة الى سر القدر المتحكم فى الخلايق ، وهو الذى تنتهـى اليه الاسباب والعلل،وهو لا سبب له ولا علة،فلا يقال فيه لم ولا كيف، قال رضي الله عنه بعد ما قدمناه من كلامه وهذا الآن بحر ذاخر عظيم عميق واسـع الاطراف مضطرب

الامواج غريق ، فيه طوائف من القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض ولا يعقله الا العالمون، ووراء هذا البحر سر القدر الذى تحير فيه الأ كثرون، ومنع من أفشاء سره المكاشفون ، الى آخر المقالة فاعتاص هذا الرمز على الافهام،من الخاص والعام ، وتباينت فيه الآ راء من لدن عصر حجة الاسلام الى هلم جرا حيث كان هذا الرمز موزعا بين طريقة المكاشفين ؛ وطريقة المتكلمين ؛فهم بين معتقد مجيب ،ومنتقد غير مصيب،أما العارفون بالله فقد عرفوا صحة معناها، وأصل مبناها ،غير أنه ما أستقام لهم تطبيق اللفظ على المعنى المراد الاستقامة الخالية عن تكلف المسالمة من الاعتراض ، وكنت أنا الحقير أقول عند المذا كرة مع الاخوان فى هذه المسألة المعنى صحيح واللفظ مشكل الى أن ورد هذا الوارد ، وأما غير العارفين من مجيب ومعترض فهم يتخبطون بين كلام أهل السنة والاعتزال،والكل فى ناحية عن مرمى حجة الاسلام ، وأ كثر من بسط الكلام، فى هذه المقاله من الذين وقفنا على كلامهم الشيخ المتفنن احمد بن مبارك السجلماسى ثم الفاسي فى كتابه الابريز ؛وقال انه فعل ذلك نصيحة للمسلمين ، والله ينفعه بقصده فانه معذور ، وهو من القادحين فى هذه المقالة، وممن لم يشم رائحة للمعنى الذى ذكرناه ولولا خشية التطويل لجلبنا أجوبة المجيبين واعتراض المعترضين ، فلا تحجبنك أيها الواقف على ما كتبناه جلالة المتكلمين فى هذه المسئلة وحقارة هذا الكاتب عن أخذ ضالتك عند من وجدتها فتكون ممن حرم الافادة وحجر على الله أن يتفضل على من شاء، وجرت ذيلها عليك آية وقالوا، لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك .

(الموقف المايتان السابع والعشرون)

قال تعالى ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، إعلم أن الحق تعالى له الفعل والاختيار المطلق مالم يتقيد بمظهر ويتعين بتعين ،فانه حينئذ لا يكون فاعلا مختارا فى المظاهر الا بحسب استعداداتها وطبائعها فان التقيد بالأعيان يحكم على الوجود الحق فلا يظهر فيها الا بحسبها فله تعالى في كل عين فعل، واختيار ، هو مقتضى تلك العين فان الاستعدادات الكلية غير مجعولة ، فعمله تابع لعلمه وعلمه تابع لمعلومه رتبة فهو تعالى قادر أن يخرج من الحجر ثمرا ولكن بعد أن يجعل الحجر شجرا ، هكذا فلتعرف الحقائق وتفهم الدقائق

(الموقف المايتان الثامن والعشرون)

قال تعالى ، ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ، أي وعد الله حق ثابت وقوعه لمن وعده ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ، فقالوا بحقية الوعيد كذلك ،وهو خطأ لأنه تعالى يحب المدح كما ورد فى الصحيح فحيثما ذكر تعالى الوفاء بالوعد فانما ذكره للتمدح والامتنان والوفاء بالوعيد ليس هو مما يتمدح به فانه دليل الحقد والجفاء والغلظة ، وليس فى اخلاف الوعيد نقص، كما توهم بل هو عين الكمال ولا يسمى خلفا عادة وانما يسمى عفوا وغفرانا وسماحة وكرماوسؤددا قال بعضهم يمدح نفسه باخلاف الوعيد.

واني اذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

كيف وهو تعالي يحثنا على الخلق ويأمرنا به ويرغبنا فيه فى غير ما آية وحديث، ويمدحنا به ولا يفعله هذا محال إذ لا أحد أحب اليه المدح من الله تعالى. كما فى صحيح البخارى ،ولو لم يفعله أدخل تعالي نفسه تحت قوله أتأمرون الناس بالبر

وتنسون أنفسكم ، والعقل اذا نظر الى أنه تعالى لا ينتفع بطاعة كما قال، لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولا يتضرر بمعصيته فانه غني عن العالمين ،لا يحكم بعقوبة ولا مثوبة وإنما الشارع جاء بتعيين هذا وهذا ترجيح لأحد الجائزين فى العقل مع توقف ذلك على المشيئة الآلهيه من غير إيجاب. ولا يوجد فى الكتاب ولا فى السنة دليل نص لا يتطرق اليه احتمال فى عقوبة العاصى ولابد بحيث لا يرجى له عفو ولا سماح ولو بعد حين ، وانه تعالي لا يخلف وعيده ، فله تعالى أن يخوّف عباده بما شاء من قول أو فعل، وقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ، الآية ماهو دليل نص علي أن المشرك مطلقا يتسرمد عليه العذاب أبد الآبدين وإنما دلت الآية على أنه لا يغفره بمعنى أنه لا يستره بل لابد من عقوبته وتعذيبه وهل بعد هذا التعذيب والعقوبة عفو وسماح أولا ، ليس فى الآية دليل على أحدهما وما ثم نص يرجع اليه فى تسرمد العذاب على أهله ،كما هو فى تسرمد النعيم لأهله فلم يبق الا الجواز ، ودعوى الاجماع باطلة ،وقد تقدم ذلك فى موقف، انا فتحنا لك،قال تعالى ،ياأيها الناس إن وعد الله حق، وما قال ووعيده،وقال ان وعد الله حق،وما قال ووعيده، مع أن هذه الآية ذكرها عقب التهديد والتخويف ، وهو قوله ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما ،الآية ،وقال فى طائفة من الملائكة ، ويستغفرون للذين آمنوا ،وقال، فى طائفة أخرى منهم ،ويستغفرون لمن فى الأرض،يعني بني آدم فعمم وقال حكاية عن الخليل عليه الصلاة والسلام ،فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ،وقال حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام إن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ، ولملاحظة هذا المعني العظيم وغيره ردد صلى الله عليه وسلم هذه الآية ليلة كاملة ، كما

وردفي الخبر فلو لم يكن العفو والسماح جائزا ولو بعد حين مافوّضه اليه الانبياء ولا سألته الملائكة على جميعهم الصلاة والسلام فان الانبياء والملائكة أعرف الخلق بالله تعالى وبصفاته وأفعاله فكل ذنب يجوز العفو عنه بترك العقوبة عليه إصالة إلاّ الشرك ولا كل شرك بل ما كان عن تقليد كما حكى تعالي عنهم، بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، وقولهم إنّا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم مقتدون، فان هؤلاء مانظروا ولا اعتبروا ولا اجتهدوا بل عطلوا نعمة العقل التى هي اعظم نعمة انعم الله بها علي الانسان، وأما اذا كان الشرك بعد النظر والاجتهاد وبذل الطاقة فادّاه نظره القاصر الى الشرك فهذا لا نص فى القطع إنه لا يغفر له، قال تعالى ، ومن يدع مع الله آلها آخر لا برهان له به ، وهذا له برهان فى زعمه وان كان ليس ببرهان فى نفس الأمر، فان النظر الصحيح المستوفي الشرائط لا يصل به صاحبه الى الشرك، كيف وقد قال تعالى لا يكلّف الله نفسا الا وسعها، وقال ، لا يكلّف الله نفسا الا ماآتاها، وهذا عمل جهده وبذل وسعه، وأهل الله العارفون به مجمعون على أن المجتهد فى الأصول وهي المسائل التي لا يكفى فيها الا القطع أعني العقائد العقليات معذور ، كما هو فى الفروع وهي المسائل التي يكفى فيها غلبة الظن وهي العمليات ووافق أهل الله حجة الاسلام الغزالى نظرا في كتابه، التفرقة بين الايمان والكفر والزندقه، وإلا فهو من أكابر أهل الله ووافقهم أبو الحسين العنبري والجاحظ من المعتزلة ، ولا تقل ايها الواقف أسرفت وأفرطت ، فانه والله توقفت فى كتابة هذا الوارد ثلاثة عشر شهرا بعد وروده إلى أن أذن الله تعالى فى كتابته ومن اطلعه الله على شرف هذا النوع الانساني وعناية الله به وماخصه به من تسخير الافلاك وسجود الاملاك، قال بما قلناه وما استبعد

فى حقه فضلا من الله تعالي وفى صحيح البخاري فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة

(الموقف المايتان التاسع والعشرون)

قال تعالى حكاية قول العبد الصالح خضر عليه السلام، ومافعلته عن أمري، إعلم أن المخلوقات منقسمة الى عالم أمر وعالم خلق: فلكل فرد من أفراد عالم الخلق حتى الذرة أمر يخصه من عالم الأمر يدبره وعالم الخلق هو السبب فى ايجاد عالم الأمر من الأمر الكل، قال امام العارفين محيي الدين رضي الله عنه

وما الفخر إلا للجسوم وكونها　　مولدة الأرواح ناهيك من فخر
ألا ان طيب الفرع من طيب أصله　　وكيف يطيب الفرع من مخبث النجر

هكذا قال وقال أيضا، هل الصورة سبب فى وجود الروح الأمدي، أو الروح الامدي سبب فى وجود الصورة، فانه قال تعالى فى خلق عيسى عليه الصلاة والسلام، فنفخنا فيه من روحنا يعني فكانت صورة عيسى عليه السلام وقال فى خلق آدم عليه الصلاة والسلام، فاذا سوّيته و نفخت فيه من روحي، يعني وان كانت الواو لا تقتضي الترتيب لكنه يحتمل ان تسوية الصورة مقدمة على نفخ الروح، والذى عندي انهما متلازمان بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر وان وردفي الصحيح فى ذكر اطوار الخلقة الانسانية، نطفة ثم علقة ثم مضغة، ثم ينفخ فيه الروح فيحتمل أن يكون المراد بنفخ الروح هنا ظهور آثار الروح وهو الحس والحركة والتغذى، فعند ابتداء صورة الانسان تكون روحها روحا جمادية بمعنى أنها لا تفعل الا فعل روح الجماد وهو إمساك اجزاء الصورة وجواهرها بعضها على بعض، ولا يظهر عنها فعل غير هذا

وعند ماتصير الصورة تنمو وتتغذى تكون روحها روحانياتية، بمعني أنها تفعل ماتفعل روح النبات، وهو النمو والتغذى لاغير وعند ما يظهر فى الصورة الاحساس والحركة، تكون روحها روحاحيوانية بمعنى انها تفعل فعل روح الحيوان وهو الحس والحركة والتخيل، وعندما تظهر منها الآثار التي لاتظهر إلاّ من الانسان وهي الفكر والتدبير ونحوهما، فهي إنسانية اختلفت اسماؤها باختلاف مايظهر عنها من الآثار زيادة ونقصانا وهي واحدة لاتتعدد فى ذاتها ولكن فى صفاتها ولا تتجزأ ولكن تكون آثارها وتظهر بحسب استعداد الصور لظهور آثار الروح عنها، فصورة بغير روح لاتكون، وروح بغير صورة لاتكون، إما عنصرية أو طبيعية أوخيالية أو روحانية كما يقول الحكيم فى الصور الجسمانية انها مركبة من جوهر الهيولى وجوهر الصورة، وكلاهما لايوجد بدون الآخر فالصورة الجسمية مركبة منها والروح لاتدرك نفسها فى غير صورة أبدا لادنياولا برزخا ولاأخرى، ولو لم يكن لهامركب تدبّره لالتحقت بالعدم، فنفس إرادة الحق تعالى من الطبيعة التي هي ظاهر الأمر الرّباني، نفس إرادته تعالى من الأمر الكل روحا يختص تدبيرها بتلك الصورة فى عالم الأجسام ولعالم الأمر أمر واحد يجمعه قال، وإليه يرجع الأمر كله، وقال وما أمرنا الاّ واحدة، كما أن لعالم الاجسام جسما واحدا يجمعه هو الجسم الكل، وعالم الأمر حاكم على عالم الجسم ومسلط عليه، والكل تحت تدبير الحق وتسخيره، قال تعالى، الاله الخلق، والأمر، وقال يدبر الأمر، وكل فاعل فى عالم الخلق إنما يفعل ماينسب اليه من الأفعال بأمر عالم الأمر أعنى أمره الخاص به فاذا فعل الفاعل أي فاعل كان من عالم الخلق فعلاما بأمر أمره الخاص به، المضاف اليه، فقد يكون ذلك الفعل صوابا

وقد يكون خطأ، وقد يكون طاعة، وقد يكون معصية، فان الأمر الخاص بالمخلوق الخاص هو منفذ لأمر الحق تعالى في ذلك شرا كان أو خيرا، نفعا كان أو ضرا، وأما إذا فعل الفاعل فعلا ما بأمر الأمر الكل الجامع للامور كلها فلا يكون الاّ صوابا وطاعة، وهذا لا يكون الا لنبي أو وارث فلهذا قال العبد الصالح خضر قاطعا لاعتراض الكليم عليهما السلام ما فعلته عن أمري، بمعنى ما فعلته فعلا ناشئا عن أمري الخاص بي، المضاف اليّ بل فعلته فعلا ناشئا عن الأمر الكل الذي لا يأمر بالفحشاء، ومراده بقوله ما فعلته الأفعال الثلاثة، خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، إلاّ الفعل الأخير فقط، ولما كان الكليم عليه الصلاة والسلام علي علم وهو أن من كان فعله بأمر الأمر الكل لا يكون الاّ صوابا وطاعة، سلم واستسلم، ولما كتبت هذا الموقف رأيت أني أوتيت بكتاب، وقيل لى هذا كتاب الشيخ محي الدين بن العربي رضى الله عنه الذي ألفه فى الروح فتصفحته، والحمد لله رب العالمين

(الموقف المايتان والثلاثون)

قال تعالى، وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما، وجوه الحق تعالى هي أسماؤه ونسبه سميت نسبا من حيث أنها لا موجودة ولا معدومة، وسميت اسماء لأنها تدل عليه دلالة الاسماء على مسمياتها وان كان لا يخلو إسم منها عن رائحة الوصفية لانه تعالى إنما يذكرها على وجه الثناء والثناء لا يكون بالاسم العلم المجرد عن الوصفية وسميت وجودها من حيث أن ظهور الحق تعالى لمن ظهر له لا يكون الاّ بها ولذا سمي العضو الذى هو أول ما يظهر من الانسان لمقابله وجها لأنه يظهر به أولا ووجوه الحق تعالى

عنى أسماؤه لا نهاية لها ولا يحاط بها بنص قول السيد الكامل صلى الله عليه «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك» يعني لنا والا" فأسماؤه تعالى قديمة بالنسبة اليه، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك وبقوله فى حديث الشفاعة كما هو فى صحيح البخاري، فاحمده بمحامد يعلمنيها لا تحضرني الآن، والحمد لا يكون الا بالثناء بالوصف الجميل وبقوله، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك رواه البخاري، وبقوله لا أحصى ثناء عليك، لا أبلغ كل ما فيك فليس عند العالم من الاسماء الا ما تطلب العالم ويطلبها وما عدا ذلك فاختصاص لبعض الخواص، ومع كون وجوه الحق تعالى لا نهاية لها فهي ترجع الي أصول سبعة، وهي أئمة وأمهات وكليات، وأصول لجميع الوجوه، وهي القادر، والمريد، والعالم، والمتكلم، والسميع، والبصير، والحي، عند المتكلمين، والحى، العالم المريد القائل القادر الجواد، المقسط عند الطائفة العلية وأمام هذه السبعة هو الوجه الحي فهو إمام الأئمة باشارة هذه الاية الكريمة، فله عنت الوجوه وخضعت، لأنه الشرط فى التسمى بكل واحد منها والشرط مقدم على المشروط رتبة وطبيعة. فاسم الحي منبع الكمال الذي يستوعب كل كمال يليق به بحسب ما اقتضته ذاته ومرتبته فهو عين الكمال المشعر بجملته، الشامل لجميع الوجوه من حيث ما تضمن من الكمالات إذ معنى الحي فى حقه تعالى هو اقتضاء الوجود للفعل والادراك، فجميع الوجوه داخلة تحت هذا واخص الوجوه وأشدها لزوما للوجه الحي الوجه القيوم ولم يرد فى القرآن، وأكثر السنة ذكره الا" مقرونا به حتى قال بعض سادات الطائفة، الحي القيوم اسم واحد مركب تركيب مزج كبعلبك ونحوه كما قال بعضهم ذلك فى الواحد الأحد والرحمن الرحيم ومعني

القيوم القائم بنفسه المقوّم لغيره، فهو قريب من الوجه الحي، فانه تعالى حي لذاته وحياة كل شيء إنما هي من حياته ، ويلي الوجه الحي من هذه الوجوه التي هي أئمة وأصول الوجه العليم حتى جعله بعض القوم إمام الأئمة وقدّمه على الوجه الحي نظرا إلى عموم تعلقه باقسام الحكم العقلي كلها وإشارة هذه الآية ترد هنا القول وتقرع صاحبه ،وقد خاب من حمل ظلما، أي أخطأصوب الصواب من آخر الوجه الذي عنت الوجوه له، وهو الحي القيوم ، وقدّم غيره من الوجوه ، فان الظلم وضع الشيء في غير موضعه اللائق به الذي يستحقه

(الموقف المايتان الواحد والثلاثون)

قال تعالى ، والله لا يهدي القوم الكافرين الظالمين، وقال، إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون، وقال أليس الله باعلم بالشاكرين، وقال ويؤت كل ذي فضل فضله، وقال : وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الاّ من يؤمن بآياتنا ، وقال والزمهم كلمة التقوى ، وكانوا أحق بها وأهلها في هذه الآيات ونحوها اشارات الى مايقوله القوم رضي الله عنهم من الاستعداد الثابت للممكنات حال عدمها فهي لا تجري الاّ اليه ولا تمشي إلاّ عليه بعد ايجادها العيني قوله ، إن الذين كفروا ، الخ الاية أي الذين كفروا باستعدادهم لا يمكن إيمانهم بعد إيجادهم يعني ان المرجح تعالى لا يرجح ولا يريد الاّ كفرهم لما علمه منهم ووقوع خلاف المعلوم محال ولا يخرجهم استعدادهم عن إمكان إيمانهم بالنظر الى حقيقة الممكن فانه مايصح وجوده وعدمه ولكن إيمانهم غير ممكن بالنظر الى جهة أخرى لا يقال إنما امتنع ايمانهم لما خطه القلم الاّ على في اللوح المحفوظ لأنا نقول ومن أي حضرة استمد القلم ما كتب في اللوح فمرادنا بحضرة الاستعداد الحضرة التي استمد القلم منها ما كتب وهي

حضرة العلم بالمعلومات واستعداداتها، وأحوالها التي تكون عليها إذا وجدت، وقوله، إن الله لا يهدي القوم الظالمين، ليس المراد انه لا يحب هدايتهم ولا يرضاها، بل لا يرضى لعباده الكفر ولكنه لما علم استعداداتهم وما سيكونون عليه من عدم قبولهم للهداية أراد بهم ماعلمه منهم فلم يخلق لهم الهداية، وقوله، أليس الله باعلم بالشاكرين، جواب للكفار القائلين، أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا فما علل اختصاص هؤلاء الضعفة بالايمان الا بكونه تعالى تعلق علمه القديم بانهم من الشاكرين، يريد أنه علّمهم على هذا فاعطاهم اياه وأوجده لهم لاستحقاقهم إياه باستعدادهم وقوله والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ولا أحقية ولا أهلية قبل الاسلام، وإنما أحقيتهم وأهليتهم كانت باستعدادهم الذي منه يستمدون، وعليه يعتمدون، وقوله، ويؤت كل ذي فضل فضله، أي يعطي تعالى كل صاحب فضل فضله بمعنى يوجده له، اخبر تعالى أن الفضل ثابت لصاحب الفضل قبل اعطائه تعالى له ثم هو تعالى يعطيه له أي يوجد فلله ممكن الاستعداد وللحق تعالى الايجاد، وقوله، وما أنت بهادى العمي عن ضلالتهم أن تسمع الاّ من يؤمن بآياتنا يعنى لا يبصر ولا يسمع دعاك ويهتدى بهداك الاّ من كان له استعداد أزلي أنه يؤمن بآياتنا عند ايجاده وارسال الرسل اليه واعلم أن كل ماتقوله الطائفة العلية رضي الله عنها له دليل من الكتاب والسنة عرفه من عرفه وجهله من جهله لأن طريقتهم مؤسسة على الكتاب والسنة غير أن من علومهم أموراً وجدانيات لا يمكن أن يقام عليها دليل ولا تحد بحد، وان الوجدانيات المحسوسة لا تحد فكيف بهذه على أن كلامهم فى العلوم الخاصة بهم إنما يكون مع ابناء جنسهم وأهل جلدتهم المؤمنين بهم وبكلامهم فلا يطالبونهم بدليل وعدم الدليل لا يوجب

عدم المدلول فقد اتفق أهل النظر على أن عدم الدليل لا يوجب عدم المدلول اذ العالم عندهم دليل على وجود موجده تعالى واتصافه بالصفات الأربعة التى لا يمكن لفاعل أن يفعل الا بعد الاتصاف بها وقد كان تعالى ولا عالم وذلك ان القوم رضوان الله عليهم لما استقامت ظواهرهم وبواطنهم على الطاعات واتباع السنة قولا وعملا وحالا قوي نور إيمانهم فتثوروا أي بحثوا قاموس القرآن والسنة إذ ذلك بستانهم الذى فيه يتنزهون، وفى ارجائه يترددون، ظهرت لهم منها اشياء كانت مندمجة مستورة عن العموم وماهي بخارجة عن الأصل الذى هو الكتاب والسنة ولا زائدة عليه حتى يقال الحقيقة غير الشريعة كلا وحاشا وإنما ظهرت اسرار الكتاب والسنة واشارتهما ظهور السمن من اللبن عند ماخض وحرك، فهل يقال السمن ليس من اللبن وإنما كان السمن باطنا فى اللبن فظهر منه عند ماخض بصورة غير الصورة المعروفة من اللبن وهو هو فاقبل ياأخي ماجاءك من كلام أهل الله تعالى أعنى الصادقين لا كلام كل ناعق فما فهمته على وجهه فتلك الغنيمة الباردة، وما اعتاص عنك فهمه فكله الى أهله كما تفعل فى متشابه الكتاب والسنة مع التصديق به إلى أن يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده بدلالتك على من يفك لك معماه ويفصح لك عن معناه ولقد رأيت في الرؤيا رجلا تعلق بي وقال شممت منك رائحة حي ليلا فقلت له : ما أنا منهم ولكنى من المؤمنين بوجودهم، المصدقين بكلامهم، فقال لى كيف السبيل اليه، فقلت له اذا أرادك خلق فيك الطالبية وفى مطلوبك المطلوبية كأنى أردت بهذا أن الحق تعالى يخلق فى المطلوب الذى هو الشيخ بهمة المريد وقوة صدقه مايطلبه المريد منه وما تذكرت هذه الرؤيا الا سبقتنى دموعي فاياك ياأخي أن يصدك صاد أو يعارضك معارض

عن محبة هذه الطائفة العلية والتصديق لكلامهم فان محبتهم عنوان السعادة والأعراض عنهم عنوان الشقاوة

(الموقف المايتان الثاني والثلاثون)

قال تعالى، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، هذه محبة مخصوصة منه تعالى لهؤلاء القوم كما أن محبتهم له تعالى مخصوصة ولمحبته لهم ومحبتهم له آثار مخصوصة ، وثمرات منصوصة ، والاَّ فالحق تعالى يحب جميع مخلوقاته كما أن جميع مخلوقاته يحبونه وذلك أن الميل والحركة معنوية أو محسوسة فى كل متحرك لا تكون الاَّ لمحبوب فهو تعالى ما مال الى إيجاد شيء وتحرك الحركة الارادية المعنويه الأ محبة فى ذلك الشيء كما أن كل مخلوق يحب المحسن اليه ولا محسن الاَّ هو تعالى فهو يحب الله تعالى وان لم يشعر ويسمى محبا لله في نفس الأمر وأما بغضه تعالى لبعض الخصوص كقوله، إن الله لا يحب كل كفار أثيم ، لا يحب الكافرين ، لا يحب المعتدين ، لا يحب المسرفين ، فذلك بغض مخصوص لأهل صفات مخصوصة فهو فى مقابلة محبته تعالى لأهل صفات مخصوصة كقوله ، إن الله يحب التوابين والمتطهرين ، يحب المحسنين ، يحب الصابرين ، ونحو ذلك فهذه محبة مخصوصة منه تعالى لهم جزاء محبته منهم له تعالى مخصوصة فانه تعالى جعل الأمر تارة منه الينا وتارة منا اليه ، كما قال ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، وقال، يحبهم ويحبونه، وقال، فيما منا اليه أوفوا بعهدي أوف بعهدكم ،وقال إن تنصروا الله ينصركم ، فتارة تكون البداية منه والجزاء منا وتارة تكون البداءة منا والجزاء منه ولكل من المحبتين ثمرة أعني محبة الخواص له ومحبته للخواص ، فثمرة محبتهم له القيام بمطالبه تعالى سواء كان الطلب جازما أو غير جازم والكف عن نواهيه

سواء كان طلب الكف طلبا جازما أو غير جازم وثمرة محبته تعالي لهم أن يكشف لهم عنهم فلا يجدون غير أولا سؤالهم كما ورد فى الخبر فاذا أحببته كنته وفى رواية كنت سمعه وجميع قواه الحديث

دنا فتدلى رب عبد وعبده فلما التقينا لم يكن غير واحد

وحينئذ تتضاعف محبتهم وتتزايد تقرباتهم

وابرح مايكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

قال إمام المحبين وسيد المحبوبين وجعلت قرة عيني فى الصلاة

(الموقف المايتان الثالث والثلاثون)

قال تعالى ، وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، وورد فى الخبر أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه وان فى دينه رقة ابتلى على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على وجه الأرض، وما عليه خطيئة ، أخرجه الامام احمد فى المسند له والترمذي وابن ماجه وورد فى خبر آخر ، أشد الناس فى الدنيا بلاء نبي أو صفي ، رواه البخاري فى التاريخ ، وورد فى خبر آخر ، أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون لقد كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ولأحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء ، رواه الحاكم فى المستدرك والترمذى والنسائى هذا فى الغالب والا فقد ورد فى بعض الأخبار أن لله عبادا يحييهم فى عافية ويميتهم فى عافية ويبعثهم فى عافية ويحشرهم فى عافية ويدخلهم الجنة فى عافية ذهب عنى مخرجه ، واعلم أنه لا إشكال ولا تعارض فيما بين الآية والأحاديث فان الآية واردة فى مسمى المصيبة حقيقة وهو الذى لا تكفر به خطيئته ولا ترفع به درجة ، والأحاديث واردة فى مسمى

المصيبة مجازا بحسب الظاهر وهو المسمى ابتلاء واختيارا وتمحيصا وبهذه الأسامي ورد فى الكتاب والسنة بكثرة وجاء بلفظ المصيبة قليلا مجازا فلهذا نقول ما يحل بالانسان من الآلام التي لا توافق الطبع ثلاثة أنواع مصيبة وهو ما يصحبه التسخط والاعتراض وهو خاص بالكفار وبعض ضعفة الايمان وابتلاء وتمحيص واختبار وهو الذى يصحبه الصبر وعدم التسخط ، وهو لاهل الايمان الكامل ، ورفع درجات وهو ما يصحبه الرضي ويحصل به الترقي فى درجات القرب وهو خاص بخاصته الخاصة من الأنبياء والكمل من ورثتهم فليس للأنبياء وورثتهم كسب يوجب أن يكون ما يحل بهم مصيبة وما يكتسبه الانسان أما كفرا ومعاص كفارا وأما معاص أهل قطيعة ممن ينسب الى الايمان وأما معاصى لا يخلو أهل الايمان منها غالبا وما معاصى صورة لا حقيقة وهو ما سماه الله تعالى معصية فى حق الأنبياء وسموه هم كذلك أدبا لكمال معرفتهم بالله تعالى وعلو مرتبتهم على من سواهم عليهم الصلاة والسلام ولو صدر من غيرهم ما جرى عليه اسم المعصية شرعا ولا خاف فاعله عقوبة عليه أصلا كمعاصيهم التي خافوها يوم القيامة وذكروها فى ذلك الموقف الهائل مثل الأكل من الشجرة ناسيا والناسى لا يدخل تحت حد العاصي ، فانه الفاعل التارك بقصد المخالفة وقد قال تعالى : وعصى آدم ربه ، ومثل كذبات الخليل عليه الصلاة والسلام الثلاث وهي قوله لسارة أنها أختى ، وقوله بل فعله كبيرهم هذا ، وقوله انى سقيم وهذه معاريض فيها مندوحة عن الكذب ومثل دعوة نوح عليه الصلاة والسلام علي قومه عند ما يئس فى ايمانهم وسؤاله ربه ماليس له به علم وهو قوله رب إن ابني من اهلي ومثل قتل الكليم عليه السلام القطبي الكافر ونحو هذا

مما خافوه وبكوا منه ولو صدر منهم غير هذا لذ كروه.في ذلك اليوم الذي يتلي فيه السرائر فما يحل بالكفار ، وضعفة الايمان فهو مصيبة وما يصيب خاصة المؤمنين فهو تكفير سيئات كما ورد فى الأخبار الصحيحة ، وما يصيب خاصة الخاصة كالأنبياء والصالحين الأمثل فالأمثل ، فهو ترقي درجات ونعم خفيات ؛ وقد أمر الله تعالى رسوله الأكرم محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقول للكفار لن يصيبنا الاّ ما كتب الله لنا ، أى لا علينا لحسن عاقبته وعظيم فائدته وفي ضمنه لن يصيبكم الا ما كتب الله عليكم لا لكم لشؤم عاقبته كشؤم بدايته وسوء باطنه كظاهر فما يحل بالانبياء والامثل فالأمثل ظاهره محنة وباطنه منحة ، وهو تعالى قادر أن يرفعهم (١) درجات الكمال من غير ابتلاء ولكن حكمته اقتضت هذا فلا يسئل عما يفعل فانظر يا أخى ما أوضح الحقائق ، وما أجلاها وما أبردها على القلوب المنورة ، وما أحلاها .

(الموقف المايتان الرابع والثلاثون)

قال تعالى ، إنّا كل شيء خلقناه بقدر ، قراءة أبي السماك برفع كل أي كل شيء خلقناه بتقديرنا له وتصورنا إياه فى علمنا هو نحن لان التصور ليس بزائد على المتصور فوجوده وجوده ولا وجود للمقدر المتصور اسم مفعول غير وجود المتصور اسم فاعل ، رأيت كأنني دخلت مسجدا للصلاة فيه فكلمني انسان وجاوزني فتبعته وقلت له إنك كلمتني فماذا قلت لك أتقول الوجود غير الموجود فقلت الوجود عند الطائفة العلية حقيقة واحدة ذات لا صفة ، لا تتجزأ ولا تتبعض ولا تتعدد ، وتعدد الموجودات لا يؤثر فيه تعددا لأنها نسبة واضافاته واسماؤه وليس هو الحصول ولا الثبوت ولا

---

(١) خ . يرقيهم

التحقيق كما هو عند المتكلمين والغير أن عند المتكلمين أمرين وجوديين بمعني أن كل واحد من الغيرين له وجود مستقل بنفسه وعند الطائفة العلية الغيرية لفظية مجازية لا حقيقة لهـا ولا وجود الا فى اللفظ. والموجود اسم مفعول هو الذى وقع عليه الوجود فلا يجوز اطلاق لفظة موجود على الحق تعالى الا لضرورة تعليم ونحوه ، واذ قلنا الوجود ذات لا يقبل التعدد فقولنا فى المحدث موجود معناه له نسبة الى الوجود أو اضافة أو نحو ذلك فالموجودات ما استفادت الوجود من الوجود الحق تعالى وإنما استفادت المظهرية للوجود الحق بمعني أنها محال لظهوره وهو الظاهر بأحوالها ونعوتها فوحدة الموجودات حقيقة لوحدة العين وهو الوجود الذات الحق وتعددها مجاز لأنها ما تعددت الا بتعينات وتميزت بتميزات ونسب عدميات فهو الظاهر وهو الصور بحسب ما يعطيه استعداد كل عين ممكنة فيظهر بذلك الاستعداد ولما ظهر الوجود الحق منعوتا بنعوت المحدثات الممكنات احتجب عن البصائر والابصار فظن الظانون وتوهم المتوهمون أن الوجود التي ظهرت به هذه الصور فى المدارك البشرية وقامت به هذه النعوت والصفات هو وجود حادث خلقه الله تعالي للممكنات وهو وهم باطل لانه لو كان فاما أن يكون جوهرا أو عرضا ولا جائزان يكون جوهرا أو عرضا ولا جائزا أن يكون جوهرا ولا عرضا وقد تقدم برهان ذلك فى أثناء هذه المواقف فالموجودات كلها ليست الا تجريدات جردها الوجود الحق فى نفسه من نفسه لنفسه فالوجود المنسوب اليها وجوده وليس الوجود بصفة للموجود كالبياض والسواد مثلا فيكون غيرا زائدا كما أن العدم ليس هو بشىء زائد علي المعدوم فيكون غيرا وإنما هو نسبة واضافة لهما ولم نتعرض لمذاهب المتكلمين والفلاسفة فى غيرية

الوجود وزيادته أو عدمها،لأنهم وان اختلفوا فى عينيته وغيريته فهم متفقون على أن الموجودات موجودة فى نفس الأمر كما هي في المدارك البشرية إما بوجود حادث عند المتكلمين،وإما بالوجود القديم عند بعض الفلاسفة، وليس هذا بمذهب الطائفة العلية فان الموجودات عندهم لا وجود لها إلا فى المدارك لا فى نفس الأمر،وإنما الوجود له تعالي،والموجودات نسبة واعتباراته وتعيناته وظهوراته، وكلها أمور عدمية ظهرت في المدارك البشرية للحجاب الذي وصفت به، وهو الجهل والوجود الذي نسبت اليه الموجودات وجود خيالي ، فليس هو عند التحقق عينها ولا غيرها كما أنه ليس عين الحق تعالى ولا غيره فليس الوجود الحقيقي الا له تعالى والعالم كله أعلاه وأسفله له الوجود الخيالي المجازي

(الموقف المايتان الخامس والثلاثون)

قال تعالى ، مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ، كل شيئين متقابلين فلابد أن يكون بينهما حاجز معقول يفصل بينهما بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر يسمي برزخا لا يكون عينهما ولا غيرهما وفيه قوتهما معا بمعنى أنه لا يكون عين كل واحد من المتقابلين من كلتى وجهتيه بل له وجه الى هذا ووجه الى هذا ، مع أنه لا يتجزأ ولا يتبعض،ولا ينقسم يكون بين محسوسين كالخط المعقول الفاصل بين الظل والشمس،وقد يكون بين معقول ومحسوس ، وقد يكون بين موجود ومعدوم وبرزخ البرازخ كلها وأجمعها الحقيقة المحمدية ولها أسماء متعددة باعتبارات وتنزلات وظهورات وهي هي لاغيرها وهذه الحقيقة البرزخية هي أحد الأشياء الثلاثة التى يتعلق العلم بها ، وما عدا هذه الثلاثة فعدم محض لا يعلم ولا يجهل

ولا توصف بوجود ولا عدم فى حد ذاتها ولا بحدوث ولا قدم ، ولا بتقدم على العالم ولا بتأخر عنه ، وهي حقيقة جميع الموجودات وهي فى القـديم قـديمة وفي الحادث حادثة كالحقائق الكلية المعقولة ، مثل العالمية والقادرية والارادية ونحوها فليس هي الحق تعالى بوجـه ، ولا العالم لحادث بوجه ، وهي الحق تعالي بوجه وهي العالم بوجه ، كل هذا تصدق فيه إذا حكمت به، فهي البرزخ بين الوجود المطلق والعدم المطلق، ومرتبة الانسان الـكامل برزخ بين مرتبـة الالوهيـة والمخلوقات فهو برزخ بين معقول ومحسوس والبرزخ من حيث هو لاموجود ولا معدوم ، ولا مجهول ولا منفي، ولا مثبت كالصور المدركة فى المرايا وفى كل جسم صقيل ، فانك تعلم أنك أدركت شيئا بوجه وتعلم أنك ماأدركت شيئا بوجه،فأنت صادق إن قلت أدركت أو قلت ما أدركت ، والصورة ما حلت فى المـرايا وفي غيرها من الاجسام الصقيلة ولا هي بينك وبين المرايا ، وليست تلك الرؤية بانعكاس صورة المرئي الى العين ، وإنمـا الحق تعالى أجرى العادة بخلق رؤية الصور البرزخية الخيالية عنـد مقابلة الصور الجسمانية للاشياء الصقيلة كالمرآة ونحوها من الاجسام الصقيلة ، وليس البرزخ غير الخيال ،فهو هو عينه وله أربـع مراتب ، وحقيقة البرزخيه الخيالية فى الجميع واحدة ، الأولي البرزخ المسمي بالخيال المنفصل ، وبالخيال المطلق، وبالعماء وبالحق المخلوق به كل شيء، وهو البرزخ بين المعاني التى لا أعيان لها فى الوجود كالعلم والثبات ونحوها وبين الأجسام النورية والطبيعة وفيـه تظهر الصور المرئيـة فى الأجسام الصقلية مثل المرايا ونحوها وشأن هذا البرزخ الخيالي العمائي تكثيف اللطيف المطلق وهو الحق تعالي فانه من هذا البرزخ الخيالى ظهر موصوفا بصفات

المحدثات منعوتا بنعوتها كما ورد في الكتب الآلهية وسنن الانبياء من المتشابهات وتلطيف الكثيف المطلق، ومنه اتصف الممكن المحدث بالصفات الآلهية كالحياة والعلم والقدرة ونحوها ، فالبرزخ العمائي هو الخيال والصور المرئية فيه هى المتخيلات ، وفى هذه المتخيلات ما يرى بين الحس ومنه ما يرى بعين الخيال، كرؤية تحول الحرباء فى الألوان التى تمر عليها ؛ فهذه رؤية بعين الخيال لا بعين الحس، وذلك أن العين الباصرة لها الادراك بعين الحس وبعين الخيال، فان رسول الله صلي الله عليه وسلم ،كان يري جبريل فى صورة وحيه الكلبي بعين الحس فيعرف أنه جبريل وأنه روح متجسدة ، ويراه غيره بعين الحس فلا يعرف أنه جبريل ولا يشك أنه وحيه الكلبي نفسه ، وأهل الشهود أرباب التخيلات يشهدون العالم متحولا متبدلا منتقلا فى كل لحظة لأنهم يشهدونه بعين الخيال وبهذه العين يدركون جميع التخيلات الحاصلة لهم فى الدنيا والآخرة؛ وأهل الحجاب يشهدون العالم ثابتا على حالة واحدة لأنهم يشهدونه بعين الحس لأن موطن الدنيا. وطن النظر بعين الحس ؛ وإنما خص الحق تعالى بعض الخواص بالنظر بعين الخيال فى الدنيا أحيانا لأنهم تجاوزوا موطن الدنيا حكما ووصلوا الي البرزخ الذى هو موطن النظر بعين الخيال، وصور جميع الجسمانيات هي فى هذا البرزخ الخيالى صور روحانية خيالية على وجه لطيف لا يمتنع فيه التداخل ولا التزاحم ولا ايراد الكبير على الصغير، بل ولا الجمع بين الضدين، ولا وجود شخص واحد فى مكانين ، وفيه رأي صلى الله عليه وسلم موسي عليه السلام قائما يصلى فى قبره ، ورآه فى السماء السادسة كما في الصحيح . ولا يقال لشيء إنه مستحيل وجوده فى هذه الحضرة أبدا، ففيه تتجسد المعاني كتصور الموت

فى صورة كبش وفيه توزن الأعمال، وفيه تجادل سور القرآن عن صاحبها كما جاء فى الأخبار الصحيحة ، وفيه تتروحن الاجسام الكثيفة، كما ورد فى حديث الاسرا الذى أنكره كثير من الفلاسفة المتعقلة، الثانية البرزخ المسمى بالخيال المتصل والخيال المقيد ويسمى بأرض السمسمة وأرض الحقيقة وهو البرزخ الخيالي تظهر فيه الصور الجسمانية الكثيفة التى تقبل التجزؤ والتبعيض والخرق والالتئام ، وهي المركبة من العناصر صورا مركبة لطيفه، لا تقبل التجزؤ ولا الخرق ولا التبعيض ، ولا يمتنع فيها ايراد الكبير على الصغير ولا تصور المحال ، ومنه ورد، اعبدالله كأنك تراه ، ومن شأن هذه المرتبة تلطيف الكثيف المقيد لأن المحسوسات الكثيفة تظهر فيها بصور لطيفة روحانية كما قدمنا ، وتكثيف اللطيف المقيد ومنشأ هذه المرتبة البرزخية الخيالية مقدم الدماغ وهي التى تمسك صور المحسوسات عند غيبوبتها كما يرى الانسان مثلا مدينة ثم يغيب عنها، فاذا تذكرها رآها كما كان رآها، فيظن أنه رآها فى موضعها فى غير هذه المرتبة الخيالية وهو ما رآها الآن فى هذه المرتبة البرزخيه الخيالية الدماغية ، والفرق بين البرزخ المسمي بالخيال المنفصل والبرزخ المسمى بالخيال المتصل هو أن المتصل يذهب بذهاب المتخيل اسم فاعل كما هو فى أنواع السحر والسيميا ونحوهما، كما قال تعالى ،يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى، وهي لا تسعى في الحقيقه وانما هي تسعي فى خيال المسحور بسبب السحر لا غير، والخيال المنفصل لا يذهب بذهاب المتخيل له فانه حضرة ذاتية قابلة لتجسد المعاني والارواح دائما، الثالثة البرزخ الخيالى النومي، وهو البرزخ بين الموت والحياة فان النائم لا حي ولا ميت بل له وجه الي الموت ووجه الي الحياة، وفى هذه المرتبة يري الانسان ربه متصورا بصور المحدثات

ومنه ما ورد فى الخبر عنه صلي الله عليه وسلم ، رأيت ربي فى صورة شاب أمرد له وفرة وفى رجليه نعلان، وعلي وجهه فراش من ذهب،فهو من صور البرزخ المسمي بالخيال المقيد ويرى الانسان نفسه فى مكان غير المكان الذى هو فيه ، فهو فى مكانين وهو هو لاغيره وأمثال هذا من المحالات المنامية، والكل صحيح، الرابعة البرزخ الخيالى الذي تنتقل اليه أرواحنا بعد الموت الطبيعي وهو المسمي بالصور فى قوله فاذا نفخ فى الصور ،وبالناقور فى قوله، فاذا نقر فى الناقور ، فانه مثل المراتب المتقدمة فى كون صوره خيالية وكل ماندركه فى البرزخ من نعيم لاهله وعذاب لاهله فانما يدركونه بادراكات هذه الصور البرزخيه الخيالية كما قال تعالى ، النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعه ادخلوا آل فرعون أشد العذاب

(الموقف المايتان السادس والثلاثون)

قال تعالى ، سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ، الآيات هذا كلام حق أريد به باطل، أي لو شاء الله عدم اشراكنا ما اشراكنا ولو شاء عدم تحريم شيء مما حرمناه مافعلنا،فانه لايقع منا إلا مايشاء وهذا حق ووجه إرادتهم الباطل بهذا الحق أنهم جعلوا كلما شاءه الحق بعباده هو مرضي له ، محبوب لديه،وهذا باطل ، فان الحق تعالى يشاء بعباده ماعلمه منهم أزلا والذي علمه منهم أزلا هو ماتقتضيه حقائقهم ويطلبونه باستعدادهم من خير وشر ، وتوحيد وكفر ، فمشيئته تابعة لعلمه، وعلمه تابع لمعلومه ، ومعلومه منه مهتد وضال ، وموحد ومشرك ، وشقي وسعيد ، وصادق وكاذب ، فان مخلوقاته تعالي مظاهر أسمائه، وأسماؤه منها مايقتضي الجمال والرحمة وهو حظ أهل السعادة أصحاب القبضة اليمنى، ومنها مايقتضي

الجلال والقهر وهو حظ أهل الشقاوة أهل القبضة الشؤمي ، فمشيئته تعالى لأمر ليست عنوانا على محبته له ورضاه به، فانه لا يرضى لعباده الكفر وقد شاء كفر كثيرين منهم، وإنما المشيئة عنوان على أنه سبق علمه أزلا بما يشاؤه أبدا، فلو كان كل مايشاؤه بعباده خيرا للزم ان يكون إرسال الرسل وتشريع الشرائع عبثا ، فانها جاءت بالأمر والنهي وبيان قبضة اليمين وقبضة الشمال ، كما قال تعالى فمنهم شقي وسعيد ، وهذا الذي حكاه الحق تعالى عن المشركين ،وان كل مايشاؤه الله تعالى بعباده فهو خير عقد ثالث ،فان عقيدة أهل السنة أنه تعالى يشاء بعباده الخير والشر، وعقيدة المعتزلة أنه تعالى لا يشاء بعباده إلا الخير ، ومشيئة الشرور هي من العباد لا من الحق تعالى، فلو كشف الله تعالى لعبد من خواص عبيده عن سابق علمه منه وعما تقتضيه عينه الثابتة لصح له وقبل منه أن يقول فعلت مافعلت بمشيئة الله وأمره الارادي الذي هو أعم من المحبوب والمكروه له تعالى ، ولهذا قال قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا، أى هل عندكم علم بما تقتضيه استعداداتكم وكشف عن اعيانكم الثابتة فبينوه لنا ، وانكم ما أشركتم وحرمتم ما حرمتم وفعلتم مافعلتم إلا بعد أن كشف الحق تعالى لكم عن مشيئته بكم ، التابعة لعلمه ، وهذا هو العلم المتعلق بسر القدر الذى هو سبب الأسباب وعلة العلل ، وحيث لم يكن عقدهم من هذا القبيل فما فعلوا مافعلوا إلا بالظن ولهذا قال ، إن تتبعون إلا الظن ، أى ماأشركتم وحرمتم ماحرمتم إلا بالظن والظن أكذب الحديث فانه خطرات نفسانية يوحيها الشيطان إلي أوليائه ، وحيث كان الأمر كما أخبر الله عنهم فلا حجة لهم بمشيئة الله تعالى اشراكهم وافتراهم عليه بتحريم ماحرّموا ، بل له تعالى الحجة عليهم ولهذا قال، قل فلله الحجة البالغة عليكم، فى شرككم

وجميع أفعالكم المخالفة لأمره ونهيه تعالى فانه تعالي ما شاء بكم إلا ما طلبته أعيا نكم الثابتة بالسنة حالها، وهو تعالي الجواد المطلق فلا يرد سؤال الاستعدادات وهي الاقتضاءآت الاسمائية والوجوه الخاصة التي هي حقائق أول لحقائق المخلوقات فما حكم عليكم إلا بكم ومنكم بل أنتم الحاكمون على أنفسكم فان الحاكم محكوم عليه أن يحكم فى القضية بما تقتضيه ذات القضية

(الموقف المايتان السابع والثلاثون)

قال تعالى ، وما كنا عن الخلق غافلين، أى ماوجدنا غافلين عن شيء خلقناه من عالمي الخلق والأمر بأن تركنا أمداده بما يكون به بقاؤه، ومدة ارادتنا بقاءصورته بل نمد كل مخلوق بما تبقى به صورته، وليعلم أن الحق تعالي ماخلق صورة من الصور الطبيعية أو العنصرية إلا خلق لها أرواحا تدبرها مدة ارادته تعالي بقاءها فاذا أراد تعالى انحلال تركيب صورة من صور المخلوقات قطع عنها الامداد الذى يكون به بقاؤها فتداعى أركان تلك الصورة الى الخراب ويحصل الحادث الأعظم المسمى بالموت كما فى الحيوان أو تفرق الاجزاء كما فى النبات والجماد ولهذا يقول بعض المتكلمين، إن القدرة الآلهية لاتتعلق بالاعدام وأن الاعدام ما هو إلا قطع المدد الذى يكون به بقاء صورة المخلوق، فذلك اعدامه لاغير كالسراج مثلا فان صاحبه مادام يريد بقاه مشتعلا يمده بالزيت،فاذا أراد انطفاءه قطع عنه الزيت فينطفىء السراج بنفسه لا بفعل فاعل فأما الصور العنصرية، فان الحق تعالى جعل لها أرواحا كثيرة تدبّرها أعظمها تدبير الأرواح الأربعة المسماة بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ومجموعها يسمى بالطبيعة والروح المسمي بالدافعة، والروح المسمى الماسكة، والروح المسمى بالغاذية. وغيرها من الأرواح التي تسميها الحكماء

بالقوى الجسمانية وجعل تعالى هذه الأرواح متضادة متباينة الأفعال لحاجة الصورة الجسمية لذلك، فمتى ضعف روح عن فعله وأداء وظيفته طلب الامداد من الحق تعالي بروح مناسب له ليتقوى به ويدفع الغلبة عن نفسه، فيهيء له الحق تعالى غذاء أو دواء، ولهذا جعل الحق تعالى الأغذية والأدوية، فليست الأغذية والادوية الاّ أرواحا تحملها صور جسمانية دوائيـة أو غذائية الى الأرواح الأصلية ليتقوى بها من حصلت عليه غلبته من مقابله مثـلا إذا ضعف الروح الدافع عن فعله، وغلبه الروح الماسك طلب الروح الدافع غذاء مناسبا له يتقوى به حتى يفعل فعله ويؤدي وظيفته أو دواء مناسبا له ولهذا كانت الأدوية المسهلة، وكذا إذا ضعف الروح الماسك عن فعله وأداء وظيفته وغلبه الروح الدافع طلب غذاء مناسبا له أو دواء مناسبا، ولهذا كانت الأدوية القابضة وقس على هذا ، وإذا أدت الصورة الغذائية أو الدوائية روحها إلى الروح الذي طلبها فسدت وخرجت من الجسم أما بالقيء أو الغائط أو البول أو غير ذلك، فلا تشتهي الأرواح وتطلب الا أرواحا مناسبة لها ولا تطلب الصور الجسمانية الدوائية أو الغذائية إلا بالغرض لكون الأرواح المناسبة لها تصل اليها بواسطة الصور الغذائية أو الدوائية ، فسبحان العليم الحكيم له الخلق أي خالق الصور والأمر ، أي تدبير الخلق بالأمر ، وهي الأرواح الامرية الموجودة لا عن مادة، ولولا التضاد بين افعال هذه الأرواح الجسمانية ما استقامت صورة الجسم أي جسم كان من الأجسام العنصرية ولهذا إذا غلب واحد منها الغلبة التامة، حتى لم يبق لمقابله أثر فسدت الصورة ، كما إذا غلبت الحرارة ولم يبق للبرودة والرطوبة أثر أو العكس ونحو ذلك من أفعال الارواح الجسمانية فما قامت الصورة إلا بوجود هذه الأرواح المتضادة الأفعال

(الموقف المايتان الثامن والثلاثون)

قال تعالى، وما بكم من نعمة فمن الله، أي ما من نعمة متلبسة بكم منسوبة اليكم بالمجاز إلاّ وهي صادرة من الله تعالى راجعة اليه بالحقيقة، فان أعظم نعمة على كل موجود وجوده، وتوابع وجوده، وامداده بما به بقاء وجوده والكل من الله إلي الله حقيقة، ولما يقال فيه مخلوق وسوى وغير مجازا، فالوجود المنسوب إلي المكوّنات، المفاض على المخلوقات، هو وجوه تعالى مفاض منه عليها لا كالافاضة المعروفة فان ذلك محال على الوجود الواجب القديم، والحياة المنسوبة إلى كل حي هى حياته تعالى لاغيرها، والعلم المنسوب إلى كل عالم هو علمه تعالى لاغيره، وكذا الارادة والقدرة والسمع والبصر وباقي الكمالات كل ذلك منه واليه بلا حلول ولا اتحاد ولا امتزاج، ويا عجبا ممن يرمي الطائفة العلية بشيء من ذلك فكيف يحل الوجود فى العدم، أم كيف يتحد الحدوث بالقدم، أم كيف يتصور امتزاج المعاني بالكلم، فلاوجود قديما ولا حادثا إلاّ وجوده تعالى، ولا حياة قديمة ولا حادثة إلا حياته تعالي، فان الحياة هي اقتضاء الوجود للفعل والادراك، فدخل فى الفعل جميع ماهو من قبيل الأفعال وفى الادراك جميع الصفات الكمالية وحيث كان الوجود ليس الاّ له وتوابع الوجود ليست الاّ له حقيقة، فمحال أن يكون الوجود لغيره حقيقة، لأن الوجود حقيقته واحدة لا تتعدد ولا تتبعض، كما أنه من المحال أن تكون الصفات التابعة للوجود لغيره تعالي حقيقة إذ الصفات لا يظهر بها غير من هي له أبدا، فالكل منه له، والمسمى خلق الله وغير الله إنما هى تجريدات جرّدها الحق تعالى من نفسه لنفسه فى نفسه، كتجريد البيانيين يخاطب الانسان نفسه بنفسه بما يريد ويسمعها بها، ويجيبها بها، ويحاورها بها، ويعاتبها بها،

وينصحها بها، فيقبل بها أو يرد بها، وهو هو لا ثاني له فانه واحد بالحقيقة غير متعدد ، كرجع الصدا فانه ليس هناك إلا الصوت حقيقة وعلما وهو اثنان مجازا ووهما

(الموقف المايتان التاسع والثلاثون)

قال الله تعالى، قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد، الي آخر السورة، ورد فى أسباب النزول أن المشركين أو اليهود ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنسب لنا ربك الذى تدعو الناس الى عبادته، أى بيّن لنا أصله وهو مرادهم بنسبه فنزلت هذه السورة فى بيان نسب الرب تعالي وزادت على بيان النسب بيان الحسب ، وهو ذكر الصفات الجميلة والكمالات الجليلة فالنسب قوله ، قل هو الله أحد ، والحسب قوله الله الصمد الخ السورة ؛ لأن الحسب مأخوذ من الحساب ، وهو تعديد صفات الكمال . قل أمر له صلى الله عليه وسلم، فجوابهم تلاوة هذه السورة الشريفة عليهم، قوله هو الهو هنا مبتدأ لفظا ومعني فانه يشار به الى الذات الغيب المطلق فهو غيب الغيوب الذي لا شعور به لأحد إلاّ من حيث أنه لا شعور به بمعني أنه يشار به الي الذات من غير ملاحظة شيء من غيبة أو حضور أو خطاب، كما هو فى الاصطلاح والاّ فالذات من حيث هو لا دلالة للفظ عليه ولا علم لاحد به؛ فليس الهو هنا بضمير يطلق علي كل غائب ، كما هو عند النحويين بل هو إشارة الى كنه الذات الذي لا يعلم ولا يدرك ، حيث كان شأن مالا يدرك ولا يعلم أن يكون غائبا لا غير، والاّ فهو الغائب الحاضر عند التحقق كما أن المراد بالهو هنا الهوية المجردة لا الهوية السارية إذ للهو اعتباران فباعتبار التجرد عن المظاهر والتعينات يسمى هوية مرسلة ومطلقة، وباعتبار

سريانه فى المظاهر وقوميته لكل موجود يسمى هوية سارية ويسمى الذات فى مرتبة إطلاقها بالمعجوز عنه عند أرباب هذا العلم، فلا يتعلق به علم من كل مخلوق، وعن هذه المرتبة أخبر صلى الله عليه وسلم بقوله، وإن الملأ الأعلي ليطلبونه كما تطلبونه وحيث لا يتعلق به علم فى هذه المرتبة فلا يصح عليه حكم، إذ كل علم وعالم ومعلوم وحكم وحاكم ومحكوم به إنما هو متقوّم بالذات فليس هو الذات المشار اليه بالهو، فلا يتصور، ولا يعلم، فلا يحكم عليه، وكما أنه لا يعلم لا يجهل، إذ التصور أول مراتب العلم والجهل لا يرد الا على مايرد عليه العلم فلا يقال فيه معلوم ولا مجهول، ولا موجود ولا معدوم، ولا قديم ولا حادث، ولا واجب ولا ممكن فهو مادة العدم والوجود المقيدين، أو المطلقين اذ حقيقة العدم المطلق هو الذات المتجرد تجردا أصليا، أي غير نسبي، كما أن العدم المقيد هو الذات المتجرد تجردا نسبيا، فلولا تقوّم العدم المطلق والعدم المقيد بالذات ماصح عليهما حكم ولا استقامت عليهما عبارة، ولا كان لهما تصور حتى قيل هذا مطلق وهذا مقيد، وحكم المطلق عدم قبول الوجود العيني، وحكم المقيد قبول الوجود العيني، الى غير هذا والعدم المطلق وان لم تكن له صورة علمية كالعدم المقيد فله وجود فى بعض مراتب الوجود الأربعة، كما أن حقيقة الوجود المطلق هو الذات المتعين تعينا أصليا أي غير نسبي وحقيقة الوجود المقيد هو الذات المتعين تعينا نسبيا، والتعين غيب محض فى الذات المتجردة فاذا اقتضت ظهورها بتعينها به صار ما كان هو الذات العدم هو الذات الوجود، وما كان غيبا تعينا ومظهرا، فظهور المعدوم من العدم هو تعيّن الذات الوجود وتسمى الذات عند هذا الاقتضاء الذات الوجود، وتسمى القضايا موجودات ومراتب فالوجود المطلق عندما يتجلى

علي أعيان الممكنات وتنصبغ بنوره وينصبغ باحكامها، يصير وجودا مقيدا بالنسبة الى الممكن مع اطلاقه حالة تقييده بها، فهو المطلق المقيد، المتجرد المتعين،قوله الله بدل بعض من كل، باعتبار كون الذات مادة الوجود والعدم، وبدل شيء من شيء باعتبار كون الوجود عين الذات، وهو هنا اسم الذات الوجود المطلق، كما أن الرحمن اسم الذات باعتبار الوجود المنبسط على أعيان الممكنات الثابتة: فالجلالة هنا علم مرتجل وليس بمشتق ولا رائحة فيه للوصفية ولا اعتبار نسبة، فهو دال علي الوجود الذات لا من حيث نسبة ما يوصف بها كالاسماء الجوامد للأشياء، فليس هو الجلالة المشتقة المذكورة بعد، فان تلك اسم المرتبة لا اسم الذات ولهذا قال من قال من أئمة هذا الشأن لا يصح التخلق بالاسم الله من حيث أنه اسم ذاتي لا يتوهم معه دلالة على غير الوجود الذات،وله قال الأشعري رضي الله عنه،قد يكون الاسم عين المسمى نحو الله فانه علم على الذات من غير اعتبار معنى فيه يعني لأنه اسم الوجود والوجود عين الذات فانه يقول الوجود عين الذات وله قال سيبويه رضي الله عنه، الله أعرف المعارف فلا أعرف من الوجود لأنه بديهي، والأشعرى وسيبويه وان لم يشعرا بما قلناه، ولا قصدا المنحي الذى نحوناه، فقد تبرق على بعض القلوب بوارق فتصدر منها من غير قصد بعض الحقائق،وما انتشر الخلاف فى الجلالة الا لعدم العلم بالفرق بين الجلالتين، قوله أحد هو بدل ثان ،وهو اسم الذات الوجود باعتبار تعين ولا ظهور لشيء من اسم أو صفة أو كون، فانها نسب والأحد من كل وجه لا يقبل النسب فالمراد بالأحد ما يكون واحد من جميع الوجوه فهو البسيط الصرف عن جميع أنحاء التعدد عدديا أو تركيبيا أو تحليليا، فهو اسم الذات الوجود بشرط لا شيء مع الذات

والهو المتقدم الذكر يشار به الى الذات في مرتبتهما المشعور به لا بشرط شيء، ولا بشرط لا شيء فالأحدية اسم الذات الوجود المطلق عن الاطلاق والتقييد، لأن الاطلاق تقيد بالاطلاق، والمراد أنه لا شيء من قيد واطلاق، ولهذا جعل الأحد بعض سادات القوم رضى الله عنهم أول الأسماء، لأن الاسم موضوع للدلالة، وهي العلمية الدالة على عين الذات لا من حيث نسبة من النسب أو صفة من الصفات، فلا يعقل معه الا العين من غير تركيب، فليس الاحد بنعت وإنما هو عين، ولهذا منع أهل الله رضي الله عنهم أن يكون لأحد من ملك أو بشر تجل بهذا الاسم، لأن الأحدية تنفي بذاتها أن يكون معها ما يسمى غيرا وسوى، وهي أول المراتب والتنزلات من الغيب الي المجالى المعقولة والمحسوسة، كما أن أول التعينات الوحدة وهي الذات مع التعين الأول وهي الحقيقة المحمدية، فهي البرزخ بين غيب الغيوب الذات المجرد وبين الكثرة النسبية وهى مرتبة الاسماء، وبين الكثرة الحقيقية وهي مرتبة الأكوان، وقولنا الأحد أو الوجود اسم الذات تقريب للامور الوجدانية للأفهام لأن اسمها معنى قائم بها فهو صفتها وصفتها عين ذاتها، فهذه المرتبة أحدية جمع جميع الأشياء الآلهية والكونية المتكثرة بنعوتها وكل ما تتحد به الامور الكثيرة فهو أحديه جمع جميعها، كالحقيقة الانسانية فانها أحدية جمع جميع بني آدم، والبيت فانه أحدية جمع جميع السقف والجدران وما يتفصل اليه البيت قوله الله هو خبر عن المبتدأ والجلالة هنا مشتقة فهو اسم المرتبة المسماة بمرتبة الصفات المحيطة التعلقات، اذ كل موجود قديما كان أو حادثا فله ذات ومرتبة، فذاته حقيقته التى تقوم بها مرتبته، والمراتب أمور اعتبارية، ومرتبته هي حقيقته من حيث جمعها للأسماء والنسب

والاعتبارات اللائقة بها ، وهي التى تضاف اليها الآثار دون الذات الوجود المطلق من حيث هو مطلق عن كل اسم ووصف ونسبة لما تقرر أنه لوكان التأثير للوجود المجرد عن النسب لكان تاثيره إما بايجاد مثله أو ضده وكلاهما محال، فتعين التأثير للمرتبة وهى الألوهيه التى أمرنا بتوحيدها بمعنى اعتقاد أحديتها وعدم الشركة فيها ، ولا يفهم من الأمر بالتوحيد ما يدل عليه لفظه فقط ، بل المأمورية به هو توحيد الخاصة وتوحيد العامة إنما يقبل بمحض الفضل، قيل لى فى واقعة من الوقائع، التوحيد ابطال التوحيد بمعنى أن التوحيد الحقيقى المطلوب هو الذى يبطل معه ويرتفع منه ، ما يدل عليه لفظ التوحيد فانه يدل بجوهره علي موحد اسم فاعل وعلى موحد اسم مفعول ، وفعل قائم بالفاعل وهذه كثرة لا وحدة فيها فاذا لم يبق إلاّ واحدا يعلم أنه واحد لاشريك له فى ذاته، ولا فى صفاته، ولا فى أفعاله، ولا فى أحكامه ولا فى أسمائه ، فهناك يصدق التوحيد وتبطل الكثرة بابطال ما يدل عليه التوحيد وزواله،والى هذا أشرت من قصيدة

وما الدين الا توحد وما غيرنا يوحدنا فغيرنا الشرك والرجس
وما التوحد المقبول قولا وإنه لفعل فلا يغررك جن ولا إنس
وما هو الاّ أن تصير الى الفنا وتصعق ليس ثم روح ولا حس

فالمنظر الوحدة من حيث هي لا من حيث الموحد لها،فان كانت عين الموحد بها فهي نفسه ، وان لم تكن عين الموحد فهو تركيب لا توحيد وما هو مطلب الرجال ولا مقصودهم، أخبر تعالى إن نسب أي اصل رب محمد الذي يدعو الناس إلى عبادته هو الذات الغيب المطلق ، غيب الغيوب مادة العدم والوجود المشار اليه بالهو المتنزل إلى مرتبة الوجود المطلق المجرد عن

كل مايحكم بزيادته المعبر عنه بالله الجلالة الغير المشتقة من شيء، المتنزّل الى مرتبة الأحديه التي هي مجلي ذاتي ليس للأسماء ولا للصفات ولا لشيء من الكائنات فيها ظهور وهي المسماة بالأحد المتنزل إلى مرتبة الأسماء والصفات وهي الألوهة وهي مرتبة اعطاء كل ذي حق حقه من الحق والخلق المسماة بالجلالة المشتقة، وهو الله رب محمد الاسم الجامع لمعاني أسماء الآله جميعها فهو يتضمن جميع الأسماء ولا تتضمنه وينعت بها ولا تنعت به، فلذا كان أحدية جمع جميع الأسماء قوله الصمد هو المصمود المقصود في الحاجات لطلب نفع ودفع ضر، وليس هذا لغير الله تعالى قوله يلد أي لم ينفصل منه تعالى جزء فيتكون منه شيء كما تنفصل النطفة من الأب فيتولد منها الابن وكما ينفصل الريح من بعض الحيوان فيتولد من ذلك الريح مثل ذلك الحيوان، وكما تنفصل النواة والبذرة فيتولد منها أمثال أصولها التي انفصلت عنها فليس في شيء منه تعالى شيء، وإنما تتكون الاشياء عنه تعالى بالتوجه الارادي المعبر عنه بكن لا باتصال ولا بانفصال ولا بمعالجة ولا بمزاولة، ولم يولد أي لم يتولد تعالى عن شيء فيكون منفصلا عن شيء فانه الأول بلا بداية فليس فيه تعالى شيء من شيء، ولم يكن له كفوأ أحد الكفؤ المثل بكسر الميم والأحد بمعنى الواحد موضوع للعموم في النفي، فلا مثل له تعالى في ألوهيته كما قال ليس كمثله شيء على زيادة الكاف وعدم زيادتها أيضا لأنه على فرض وجود المثل فهو مجعول له تعالى لأنه بجعله وخلقه كما ورد أن الله خلق آدم على صورته وهو في التحقق مثل بفتح المثلثة كما قال ولله المثل الأعلي في السموات والارض وهو أي المثل العزيز الحكيم فمرتبة الألوهية التي للذات العلية لامثل لها ولا ثاني وهي التي أمرنا بتوحيدها وجاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام

للعباد طالبة منهم أن يقولوا لا آله إلا ّ الله لقول الرسل لهم قولوا لا إله إلا الله فلا تجعل لله تعالى كفوًا ولا مثلا،وأما الضد فله ضد من حيث أنه المعبود وضده العابد، وأنه الرب فضده المربوب، وأنه المالك فضده المملوك، وأنه الرحمن فضده المرحوم إلى غير هذا، هذا شأن الجلالة المشتقة التي هي اسم المرتبة كالسلطنة والقضاء ونحوهما من المراتب، وأما الجلالة التي ليست بمشتقة وهي إسم الوجود الذات فلا مثل لها ولا ضد،ولا تنزه مطلقا،ولا تشبه مطلقا، فانها عين الضدين والمثلين والشيء لا يشبه بنفسه ولا ينزه عن نفسه فلا تشبيه فى العالم ولا تنزيه من هذه الحيثية، وقد ورد فى الخبر بروايات متعددة أنه صلى الله عليه وسلم قال فى هذه السورة تعدل ثلث القرآن ووجه ذلك أن المعلومات منحصرة في ثلاث من وجه حقيقة فاعلة وهي الحق تعالى الآله وما يتعلق به من ذات وصفات وأفعال وأحكام، وحقيقة منفعلة وهي العالم وهو اسم لما سوي الحق تعالى جميعه أسفله وأعلاه، وحقيقة جامعة بين الفعل والانفعال وهي حقيقة الانسان الكامل البرزخ بين حقيقة الفعل والانفعال، فكل مادل عليه الكلام القديم وهو القرآن لا يخرج عن هذه المعلومات الثلاث وهذه السورة تضمنت الكلام على الحقيقة الأولى فهي ثلث القرآن لهذا

(الموقف المايتان والأربعون)

قال تعالى،بسم الله، إعلم أن القائل بسم الله فى أول أفعاله لا يخلو إما أن يكون سنيا فالباء فى حقه معناها الاستعانة قال بهذا المعني أو خلافه لجهله بحقائق الأمور وموارد المعاني، فانه يرى الفعل لله تعالى من حيث الخلق وله من حيث الكسب ان كان أشعريا ومن حيث الجزء الاختياري إن كان

ماتريديا وله دخل فى الفعل ولا بد، ويستعين بالله تعالى عليه حيث أمر تعالي بذلك ، قال تعالى ، استعينوا بالله ، وقال ، وإياك نستعين ، وفي الصحيح ، لاحول ولا قوة إلا بالله ، وإن كان عارفا بالله تعالى فالباء فى حقه بمعني من، فانه لايشهد له فعلا. وإنما يشهد صدور الأفعال من الله الوجود الحق المقوّم لكل صورة تظهر الأفعال عنها بادىء الرأي فيرى نفسه وكل مخلوق آلات يفعل الله بها مايشاء، وأقلاما يحركها فيما يريد ويقدر، المتعلق مما يناسب الفعل الذي جعلت البسملة مبدأ له فاذا سألنا أجنبي قلنا تقديره خلق الشيء الفلاني صادر من الله فاذا قدّرناه لأهل طريقنا قلنا مثلا التلاوة صادرة من الله أو الذكر أو الصلاة أو غير ذلك، فان تلاوتنا من أفعالنا، وأفعالنا مخلوقةله تعالى وكل فعل من أفعالنا له اسم يخصه من أسماء الحق تعالى التي لانهاية لها، وإن الحكمة فى تشريع التسمية فى أول كل فعل مباح أو مشروع هي اظهار التبرئة بالقول من دعوى الفعل للانسان كما هو فى نفس الأمر فاذا كان الفعل غير مشروع ولا مباح، لم تشرع التسمية أدبا من نسبة صدور ماعليه اعتراض من الشارع منه تعالى، هذا حظ العارف فان كان محققا فهو فوق العارف فانه يزيد بمراعاة الادب فاذا كان الفعل عليه اعتراض من الشارع ولو فى الظاهر فانه ينسبه لنفسه كالمعتزلي ويصير قدريا فى ظاهره، وقوله دون باطنه واعتقاده كما قال أحد الأدباء، فأردت أن أعيبها يعني السفينة، وقال الآخر، وإذا مرضت فهو يشفيني، وهذا النوع من اعتزال عين الكمال وإما أن يكون أعنى القائل بسم الله معتزليا فالباء فى حقه معناها الملابسة لأثر لمدخولها فى الفعل ، وكذا قال صاحب الكشاف وإن قال معناها خلاف هذا فهو مكابر لأنه يرى أنه خالق الافعال الاختيارية ولهذا عنده ترتب الثواب على الطاعة، والعقاب

على المعصية، فباء إسم الله عنده للمصاحبة والملابسة كما في قولهم دخلت عليه بثياب السفر؛ فان المعتزلي يعتقد أن الله تعالى أعطاه القدرة على أفعاله الاختيارية وفوّض اليه بعد ذلك إن عمل صالحا فلنفسه وان أساء فعليها، فهو هالك وأهلك منه من قال أن القدرة والفعل له معا كمدعي الربوبية من الهالكين

(الموقف المايتان واحد والأربعون)

قال الله تعالى ، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، التوبة أنواع باعتبار ما منه المتاب، فطائفة تتوب من المعاصي وطائفة تتوب من الطاعات أي من نسبتها اليها مع فعلها، وطائفة تتوب من طلب الأعواض والاجور وطائفة تتوب من التوبة قال ابن العريف الصنهاجي رضي الله عنه

قد تاب قوم كثير وما   تاب من التوبة إلاّ أنا

فالتائبون عام وخاص، وخاص الخاصة ، ولفظ التوبة يعم الجميع لغة ، ولكن إشارة الآية الكريمة على ما أعطانا الالهام الآلهي فرقت بين توبة العموم ، سمّتها تطهيرا ، وبين توبة الخصوص سمّتها توبة، إذ ليست أدناس مخالفات ، وأوضار نسب طاعات ، فالمحبوبون الأولون المقدمون في الذكر لتقدمهم رتبة هم الخاصة وخاصة الخاصة التائبون من التوبة ، فالخاصة وهم العارفون بالله توبتهم الرجوع منه اليه تعالى، وخاصة الخاصة وهم العلماء بالله تعالى توبتهم الرجوع اليه من رجوعهم أي من نسبة الرجوع اليهم ، إذ لا يرجع إلاّ موجود حقيقة ولا وجود لهم فتوبتهم من دعوى الوجود ، واليه يشير قائلهم

إذا قلت ما أذنبت قالت مجيبة   وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

فليس في الحقيقة الاّ هو الراجع والمرجوع اليه، فهو التائب كما قال تاب

عليهم ، فالتوبة فعله والفعل قائم بالفاعل وهؤلاء التائبون هم المعنيون بقوله صلى الله عليه وسلم ، إن الله يحب كل مفتن تواب .و فتنتهم إنما هي طرؤ الغفلة عليهم من هذه المشاهدة لما هو لازم البشرية من الغفلة والنسيان ،فاذا تذكروا تابوا توبتهم الخاصة بهم ،فهم أحق وأولى بمحبة الله تعالى لهم ،وأما المتطهرون فهم التائبون من العامة سواء التائبون من المخالفات ،ومن طلب الأعواض على الطاعات ونحوهما ، ومحبة الله تعالى للمتطهرين ، أي التائبين من العامة إنما هي ببركة التائبين الأولين ، وبالتبع لهم لاشتراكهم في المعنى الذى هو الرجوع وإن كان بين الرجوعين فرقان بعيد ، إذ التوبة هي الرجوع الحقيقى وذلك بالتبرؤ من نسبة الرجوع الذي هو معنى التوبة الى العدم ونسبته الى الوجود ، كما هي توبة خاصة الخاصة ، أو الرجوع به منه اليه كما هى توبة الخاصة ، وما عدا هذين الصنفين فتوبتهم بمعني رجوعهم تطهير لا رجوع ، لأنهم ما رجعوا بعد إليه وإنما رجعوا من عدم الي عدم ،ومن كون الى كون ، وما تاب أحد ولا تطهر بمعنى تاب الا بعد توبة الله تعالى عليه ، كما قال ، تاب عليهم ليتوبوا ، فتوبتهم اليه فرع توبته عليهم ، أى فيهم ،فعلى بمعنى في اذ هم ظروف التوبة وهو فاعلها ليتوبوا أى لتنسب التوبة اليهم حيث أنهم ظروف وآلات لافعاله ، فهو الفاعل حقيقة والنسبة اليهم مجازا

(الموقف المايتان الثانى واربعون)

قال تعالى ، وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته ، الآية ، إعلم أنه لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ، أن يقول للناس ، ياأيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ، والذين سعوا فى آياتنا معاجزين

أولئك أصحاب الجحيم، أي أرسلت اليكم لتمييز أهل السعادة من أهل الشقاوة فلا بدأن يؤمن بي بعضكم فيسعد. وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى آخر الآية، ويكفر بعضكم فيشقى وهم الذين سعوا فى آيات الله معاجزين الى آخر الآية ، تنبيها له صلى الله عليه وسلم ، لئلا يصدر منه ما صدر من الرسل والأنبياء قبله من التمني، رتب على ذلك أخباره صلى الله عليه وسلم بقوله ، وما أرسلنا من قبلك من رسول الى آخر الآية، ذلك أنه تعالى ما أرسل رسولا مستقلا بالدعوة ولا نبياء داعيا الى اتباع شريعة من قبله من الرسل، إلاّ ويحققه بصفة الرحمة الكاملة والرأفة الشاملة ، فيتمني لذلك ويقول بلسانه لا بقلبه، لأن التمني ليس من أعمال القلوب ، ويتلفظ بقوله ليت الحق تعالى يهدي جميع من أمرني بدعوتهم اليه وهذا التمني قهري طبيعي فى كل رسول ونبي كسائر الأمور الطبيعية لما يغلب عليهم صلوات الله عليهم وسلامه ، من إرادة الخير لعباد الله وحب نجاتهم، وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جانب عظيم من هذا ، كما أخبر الحق تعالى عنه فى غير ما آية غير أنه ما صدر منه من هذا التمني قطعا ، مع أن كل رسول ونبي يعلم أنه تعالى ما أمرهم بدعوة الخلق إلاّ لتمييز القبصتين وتبين أصحاب الشمال من أصحاب اليمين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وحيث كان هذا التمني وان كان خيرا بادىء الرأي ، فهو مناقض للعبودية المحضة التى هي القاء القياد بيد العليم الحكيم ، وعدم الاختيار لشيء معه تعالى ، مع أن التمني لا جدوي له ولا فائدة، لأن الشيء المتمني حصوله لايخلو إما أن يكون مقدوراً حصوله أو غير مقدور ، فان كان غير مقدور فهو معارضة القدر وان كان مقدورا فهو تضييع للوقت وبطالة ، ولما كانت مرتبتهم عند الحق تعالى أسمي المراتب

اقتضت أن الأولى بهم صلوات الله وسلامه عليهم تركه وإن كان هذا لا يقدح فى مراتبهم العلية حيث أنه كالأمور الطبيعية القهرية لهم ولكنه فيه شوب من عدم الوقوف مع العبودية المحضة التي تقتضيها مرتبتهم وذلك لما جبل عليه البشر من الغفلة ، فانه أمر ذاتى لا يرفع أبدا ولا عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، ولذا تقرر فى القرآن العزيز الأمر للرسل أن يقولوا لأممهم إنما نحن بشر ، وفى الصحيح إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكّروني ولولا النسيان والغفلة ما حصل لهم هذا التمني مع علمهم بحقيقة الأمر وباطنه فلهذا نبّه الحق تعالى حبيبه المخصوص بخصائص ما أدركها رسول قبله لئلا يفوته هذا الأدب الواحد الذي ما خلا عنه رسول ولا نبي إذ كل ما يقدح فى مقام فان صاحب ذلك المقام لم يتصف فى تلك الحال بالكمال الذي يستحقه ذلك المقام وان كان من الكمّل ، قال إمام العالمين بالله تعالى ، ويرسله عليهم الصلاة والسلام شيخ الشيوخ محي الدين الحاتمي ما رأيت ولا سمعت عن أحد من المقربين أنه وقف مع ربه على مقام العبودية المحضة ، فالملأ الأعلى يقول أتجعل فيها من يفسد فيها ، والمصطفون من البشر يقولون ، لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا ، أن تهلك هذه العصابة لن تعبد بعد اليوم ، ولما صدر منهم صلوات الله وسلامه عليهم ، هذا التمني أدبهم الحق تعالي ونبههم على ما فاتهم فى هذا التمنى بتسليط الشيطان والقائه تكذيبهم فى نفوس جميع المتمنى تصديقهم وهوايتهم من يصدقهم بعد ومن لا يصدقهم أبدا ، وان وجد فرد لم يتوقف ولم يتلعثم وهو الصديق فهذا نادر ولذا عظمت مرتبته كما قال ، ألقى الشيطان فى أمنيته فالكل يرتاب ويتوقف ، كما قال ، كل ما جاء أمة رسولها كذبوه ، وقال ،

ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون، فينسخ الله مايلقي الشيطان باظهار المعجزات الخارقة ، والآيات المتتابعة ، فعرف الكل صدقه ، فمن سبقت له سعادة أظهر ماعرف باطنا ، ومن سبقت شقاوته جحد واستكبر كما قال ، إنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ، وقال، يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ، ونعمة الله هي محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وقال : وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ، أي جحدوا بها ظلما وعلوا مع إيمانهم انها من الله تعالى تصديقا لرسله،وقال ، لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر ، إلى أمثال هذه الآيات ، ومن طالع كتب السير علم أن المشركين كانوا عالمين صدقه صلى الله عليه وسلم ، ولكن جحدوا استكبارا وسبق شقاوة ، وقد شهد الله تعالى أن اليهود كانوا يعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم ثم يلقى الشيطان المكذبين ، انكم خسرتم أنفسكم وسفهتم أحلامكم بعدم إظهارماعلمتم من صدقه ، ثم يلقي اليهم الشك أيضا وهذا دأبهم ودأب الشيطان معهم يشككهم فى صدقه ثم يشككهم فى كذبه ، وذا حال من كان فى زمانه من الكفار كما قال فهم فى ريبهم يترددون ، وقال حكاية عنهم ، وإننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب ، ولهذا تكون معيشة الكافرين ضنكا كما قال ، ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ، أي فى الدنيا فهو فى ضيق مما يلقي الشيطان اليه فلا يستريح باطنا فى الدنيا أبدا ، ثم يحكم الله آياته ويثبتها فى قلوب المسلمين ظاهرا وباطنا ، فلا يبقى لهم تردد ولا وسوسة فى صدق الداعي إلى الله، وذلك بمخالطة بشاشة الايمان لقلوبهم فلا يسخطونه أبدا ، والله عليم بما تقتضيه استعدادات مخلوقاته حالة ثبوتها

وعدمها ، حكيم يضع الأشياء مواضعها اللائقة بها بالاستحقاق من غير زيادة ولا نقصان ، ولا يظلم ربك أحدا في كل ما يفعل ويحكم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة ، بيان حكمة تسليط الشيطان بالالقاء في قلوب جميع أمة الدعوة والاجابة جميعا مع تنبيه الرسل والأنبياء على تمنيهم وان ذلك فتنة ، فيقول المنافقون وهم الذين في قلوبهم مرض ، لو كان هذا حقا ما توقف الجميع فيه قبل ، والكفار المجاهدون وهم القاسية قلوبهم ، عار علينا أن نظهر تصديقه بعد جحوده استكبارا وعنادا كما قال تعالى ، ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ، في الاعراف وقال في يونس ، ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ، فاشدد يديك وعض بالنواجذ على ما سمعت في هذه الآيه ، ولا تلتفت إلى ماذكره كثير من المفسرين فيها في قصة الغرانيق التي وضعها بعض الملاحدة ليدخل الشك في الوحي والقرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وماتنزلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم ومايستطيعون ، وإني لاسئل من الله العفو والسماحة للحافظ ابن حجر حيث صحح تلك القصة الفظيعة الشنيعة ، وأيد طرق ورودها ورفع قوادحها ، والآيه ما أخبرت أن هذا كان من محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وإنما قال تعالي ، وما أرسلنا من قبلك ؛ فهو إخبار له صلى الله عليه وسلم لا إخبار عنه ؛ وهو نص صريح مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ، فأين ذهب شرف النبوة والرسالة الذي لاشرف فوقه إلا شرف الربوبية لو صحت هذه القصة ، فأين العصمة إذا كان الشيطان يلقى الكفر على ألسنة الرسل والأنبياء جميعهم ويسمعه الناس من لسان كل

رسول وكل نبي ، فان صريح الآية إن هذا التمني واقع من كل نبي ورسول أرسله الله تعالى : والنطق بقصة الغرانيق كفر ضرورة ، ولو وردت القصة بأن الشيطان القي في آذان السامعين هـذا لربما كان له وجه الى القبول ، ولـكن قالوا ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم إنا نعوذ بك من التلبيس ؛ ومن نزغات إبليس ، ومن ان نضل أو نضل

(الموقف المايتان الثالث وأربعون)

قال تعالى ، سبح اسم ربك الأعلى ، التسبيح التنزيه ، التنزيه التبعيد أي باعد نسبة إسم ربك إلى ذاته عن مماثلة نسبة أسماء المحدثات اليها ومشابهتها إياها ، والاسم هنا عام أريد به خاص وهو مايرهم لفظه ومفهومه تشبيها و تمثيلا وذلك ان أسماءه تعالى قسمان ، قسم يدركه العقل وهو مايقتضي الكمال والنزاهة فهو يدل علي التنزيه بدلالة من الدلالات ولا يكون الأمر بتنزيه هـذا الاسم فانه حاصـل وتحصيل الحاصل محـال وقسم لايدرك العقل له كمالا ويتوهم أن التنزيه عنه هو الكمال ولولا أن الشارع سماه به ماسمي العقل الحق تعالى به ولا قبله في حقه وذلك كالضاحك والفارح ، والمتعجب والمحب ، والمتردد والناسي ، والمستحي والماكر ، والمستهزىء والمستوي والنازل ، ونحو هذا مما ورد في الكتاب والسنة فهـذا القسم هو المأمور بتسبيحه وتنزيهه ، فليست نسبة هذا القسم الى ذاته تعالى كنسبته إلى غيره من ذوات المحدثات لأن ذاته تعالى غير معلومة لنا فالنسبة اليها مجهولة لنـا وفي ضمن الأمر بتنزيه الاسم تنزيه الذات المسماة بهذا القسم وهي الاسماء الشرعيـة ولـكن من جهتين فالاسم ينزه من حيث النسبة عن المشابهة والمماثلة ، لنسبته للمخلوقات حيث كان اللفظ واحدا ، والمفهوم واحدا ، لـكن النسبة مجهولة مختلفة بلاشك

وأما تنزيه الذات المسماة بهذا الاسم فهو تنزيه التنزيه ، وهو ضد التنزيه العقلي، فان العقل بتنزيهه أحال اطلاق هذه الأسماء عليه تعالى ، تنزيها له تعالى ، وما قبلها إلاّ بضروب من التأويل والمجاز ، فأمر تعالى فى كتبه وعلى ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام بتنزيهه عن هذا التنزيه العقلي وباثباتها له كما سمي نفسه ووصفها على المفهوم منها فى اللسان العربي الذي خاطبنا الحق تعالى به ، وأرسل به رسوله ليبين لنا ما نزل علينا ، فانه من المحال أن يخاطبنا الحق تعالى بما لا نفهم عنه ، ولكن لما جهلنا الذات العلية ، جهلنا نسبة هذه الأسماء اليها فقط ، ألا ترى الصحابة الكرام رضي الله عنهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه هذه الآيات التى كثر الخوض فيها والقيل والقال ما نقل عن أحد منهم أنه استشكلها وسأل عنها رسول الله عليه وسلم ، وما ذلك إلاّ بأن الأمر على ما ذكرناه فهو مذهب السلف الصالح ولكن الكثير من لعلهم المتكلمين ما فهموا مذهب السلف وقالوا عنهم أنهم يقولون لا نعلم ما خاطبنا الحق به ونكل علم ذلك إلى الله تعالى وإلى رسوله بمعني أنهم لا يفهمون معاني الاسماء التي سمي الحق تعالى نفسه بها من أسماء المحدثات ، وهذا محال فتلك الاسماء أسماء الرب حقيقة لا مجازا وهو الرب الأعلى ، وهو التعين الأول منشأ جميع الاسماء المشار اليه بقوله ، وإن الي ربك المنتهى ، رب محمد صلى الله عليه وسلم وهو أول التعينات ، وحضرة الجمع الجامعة لجميع الأرباب أي لجميع الأسماء الربية التى تربي المخلوقات فالرب المضاف إلى ضمير محمد صلى الله عليه وسلم أعلى الارباب وأجمعها ومع كون هذه الأسماء والنعوت التى تطلق على المحدثات أثبتها تعالي لنفسه حقيقة فهي من أسماء الأفعال لا تطلق منها ، ونسميه به تعالي إلاّ ما أطلقه الشارع فنحن معه حيث ما كان فما قال قلنا

وما سكت سكتنا ، فلا نقول يا قاتل وقد قال ولكن الله قتلهم ، ولا يا معذب وقد قال يعذبهم الله ، ولا يا مضل وقد قال يضل من يشاء ، ولا يا مستهزيء وقد قال الله يستهزيء ، ولا يا ماكر ، وقد قال ومكر الله ، ولا يا رامي ، وقد قال ولكن الله رمى ، ولا يا متقرب ، وقد قال تقربت منه ذراعا ، ولا يا مهرول ، وقد قال اتيته هرولة ، إلي غير هذا مما ورد في الكتاب والسنة

(الموقف المايتان الرابع والأربعون)

قال تعالي ، وفيها ما تشتهيه الأنفس ، وقال ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ، يعني الجنة التى وعد بها عامة المؤمنين ، فيها ما ترغب فيه كل نفس من المشتهيات الحيوانية الطبيعية ، والمستلذات الجسمانية ، وأما الجنة التي وعد بها خاصة المؤمنين ، ففيها ما تشتهيه الارواح وترغب فيه الاسرار ، وليس الآ دوام الشهود على بساط القرب العلي الأعلى بالمنظر الأوضح الأجلى ، ويجدون في تلك المشاهدة من اللذة كل ما يجده أهل الجنان من اللذات وأزيد ، قال ، في الآية الاولي للجنس والعهد ، وهي كل نفس انسانية باقية على أصل خلقتها ، والمخاطبون في الآية الثانية هم الصحابة الكرام أصحاب النفوس الزكية التى ما خالطها شيء ولا اعتلت بعلل خارجية ، فالمراد في الآيتين ان الجنة فيها ما تشتهيه كل نفس انسانية باقية على أصل خلقتها ، سليمة من الآفات ، ما طرأت عليها علل خارجية أخرجتها عن مجراها الطبيعي لها ، وليس الطبيعي الآ ماهو مشتهي العموم ، ومستلذ الاذواق السليمة من الآفات ؛ فان بعض النفوس طرأت عليها أمراض وأصابتها آفات ، بدلت صفاتها الطبيعية وجعلتها تشتهي ما هو

مستقذر عند الطبع السليم شنيع ، أو تكره ما هو مشتهي عنده مستلذ ، وهذا مشاهد عيانا فى الجهتين ، مشهور ، فمن دخل الجنة لا يشتهى اتيان الذكران فانها شهوة نشأت فى بعض النفوس فى الدنيا عن علة وآفة خارجة عن الطبع الحيواني ، حتى الحيوانات العجم فانها لا تفعله ، وما فعله الا شرار الانسان لمرض ، وما فعله أحد من البشر قبل قوم لوط عليه السلام ، قال تعالى ، أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، وقال تعالى فيهم ، بل أنتم قوم عادون ، أي متعدون الحدود لا أعنى الحدود الشرعية فان الجنة لا تحجير فيها ، ولكن أعتداء الحدود التى للأشياء وهى الحافظة للأشياء المميزة لها ، فلا يدخل محدود فى حد غيره ، ومن حد الذكر أنه فاعل كما أن حد الأنثى أنها منفعلة .فمن جعل الذكر منفعلا فقد اعتدي حد الذكر وقلب حقيقته وقال تعالي فيهم ، وتأتون فى ناديكم المنكر ، فشهوة اتيان الذكران منكر غير معروف فى العرف الانساني ، وقال فيهم ، بل أنتم قوم مسرفون ، متجاوزون الحكم الآلهية فى مخلوقاته تعالي ، وقال فيهم ، أنتم قوم تجهلون ، وليس فيمن يدخل الجنة جاهل بحكمة الله تعالى فيما يفعل فان الحق تعالى ما جعل الفاعل يطلب الفعل والمنفعل يقبل ، بل يطلب من الفاعل الفعل الا للانتاج وحصول فائدة للفاعل والمنفعل ، فهذا حاصل فى الأصل الذى وجدنا عنه فان الممكنات ما قبلت الفعل من الفاعل تعالى لما أرادوا إيجادها الا لما فى ذلك من الانتاج لمن يسبّح الله بحمده وحصول النفع للطرفين فاستفادت الممكنات ما نسب اليها من الوجود واستفادت الأسماء الآلهية ظهور سلطنتها بظهور آثارها وكذلك الأمر فى الأجرام السماوية مع العناصر والاركان ، تفعل الأجرام السماوية في

العناصر فتقبل فعلها فيهـا لما ينتج من ذلك النـكاح المعنوى من المولدات ، الحيوان وغيره ، و كذا الأمر فى الحيوان والانسان يفعل ذ كرانه فى اناثه فينتج من ذلك كثرة المسبحين لله بحمـده مع حصول الفـائدة واللذة للطرفين ، فلو انتفت اللذة من أحدالطرفين مع عدم الانتاج ، ما قيل منفعل الفعل به طبعا ، كاتيان الرجال الرجال فهو خلاف الطبيعة الانسانية ومجارى الحـكم الآلهية تقتضي الا يخلق الله تعالي لأهل الجنـة أدبارا ونشأ الجنة غير معلوم فانه قال ، وننشئكم فيما لا تعلمون ، لأنه تعالى إنما خلق هذا المحل فى الدنيا لاخراج القذر والخبث لاغير وأهل الجنة لاقذر يخرج منهم إنما هو رشح يخرج من أعراضهم ، كما فى الصحيح وقد ورد فى الخـبر ، أن أهل الجنة لا أسنان لهم ، كما ورد أيضا ، أن الرجال لالحي لهم ، وذلك لانتفاء الحاجة الي الاسنان واللحا فى الجنة بخلاف القبل فى الرجل والمرأة فانه لمصلحة النكاح الذى هو أعظم شهوة والذلذة ولما فيه من الانتاج فقـد ورد فى خـبر أن أهل الجنة يتوالدون ففي كل دفعة من الرجل يخرج ولد كامل سوي يسبح الله حيث شاء الله تعالى

(الموقف المايتان الخامس والاربعون)

قال تعالى ، فول وجهك شطر المسجد الحـرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، أمر من الحق تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولـكل من تبعه بتولية وجوههم الباطنة تلقاء المسجد الحرام الباطني والمسجد الحرام هنـا إشارة لا تفسيرا كناية عن الحضرة الجامعـة لجميع الحضرات ، وهي حضرة الجمع والوجود فكما أمرهم تعالي بتوليـة وجوههم الجسمانيـة شطر المسجد الحرام الجسمانى ، أمرهم بتولية وجوههم المعنوية شطر المسجد الحرام

المعنوي ، حيث ما كنتم ، أي فى أي مرتبة كنتم من مراتب الفرق ، فلتكن وجوهكم المعنوية متوجهة لمرتبة الجمع ، فان الجمع حقيقة والفرق حكمة ووجه كل شيء عينه وحقيقته التي هو بها هو ، وهذا الوجه هو لكل مخلوق من الحق تعالى وهي الوجوه التى عنت للحى القيوم فى قوله ، وعنت الوجوه ، الآية وهذا الوجه هو الذى كان أصحاب الصفة رضوان الله عليهم يدعون ربهم بالغداة والعشي ، يريدون معرفته وهذا الوجه هو الباقي من كل شيء إذا هلك كل شيء قال تعالى ، كل شيء هالك الاّ وجهه ، وقال ويبقى وجه ربك ، فهو مقصود الحق تعالي من الاشياء فلا يفتقد ما غاب إذا حضر ولا يعبأ بما حضر اذا غاب هو ، فظاهر الامر يقتضى ان ثم مُوليّ ومُتولىّ مطاوع وليس الاّ واحدا هو المولي والمتولي ولشدة اعتناء الحق تعالي بهذ الوجه كرر فى القرآن ذكره وكذا فى السنة قال ،وأقيموا وجوهكم ، وقال، بلى من أسلم وجهه لله ، وقال، ومن يسلم وجهه الي الله، وقال ،ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله ،وقال حكاية عن الخليل عليه السلام،وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض،وفى الصحيح إن صلى الله عليه وسلم كان يقول عند النوم،اللهم وجهت وجهي اليك،وفي الصحيح فى دعاء التوجه ،وجهت وجهي ، ونحو هذا والعامة لهم شعور بهذا الوجه ولا يعلمون ما هو وهذا من بقايا علم الخاصة فى ألسنة العامة فانهم يقولون لمن يدعون له ، بيّض الله وجهك، أبيض كان أو أسود ويقولون لمن يدعون عليه سوّد الله وجهك كذلك، فليس المراد بهذا الدعاء الأ الوجه المذكور،لا العضو المعروف واليه يشير قوله،يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فان من الوجوه الحاكمة على هذه الممالك الانسانية المتولية على رعايتها من تأتى رعيته ومملكته دنسة قذرة سوداء

باقذار المخالفات وأنواع الشرك والمعاصي،فهذا هو سواد هذا الوجه عندمن ولاّه وجعله حاكما ؛ومن الوجوه من هو بالعكس وهذا هو بياض هذا الوجه عند من ولاّه وهو الاسم الجامع كمحاسبة العمال وعرض رعاياهم على الملك سواء بسواء يشير الى هذا قوله ، تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ، أي تعرف من معرفتك وجوههم الحاكمة عليهم أنهم سعداء أهل نعيم فان من عرف الحاكم عرف حال رعيته ومملكته الحاكم عليها خيرا أو شرا

(الموقف المايتان السادس والأربعون)

قال تعالى ، وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وآلهنا وآلهكم واحد ونحن له مسلمون ، القول فى الآية إشارة لاتفسير إنه تعالى أمر المحمدين أن يقولوا لكل طائفة من طوائف أهل الكتاب يهود ونصارى وصابئة وغيرهم آمنا بالذي أنزل أي تجلى الينا وهو الآله المطلق عن كل تقييد، المنزه فى عين تشبيهه، فى عين تنزيهه ،وهو هو المشبه في الحالتين وأنزل أي تجلي اليكم فى صور التقييد والتشبيه والتحديد وهو هو المتجلي الينا واليكم فليس النزول والانزال والتنزيل والايتاء ، إلاّ ظهورات وتجليات سواء نسب ذلك إلي الذات أو إلى كلامها أو الى صفة من صفاتها ،فان الحق تعالى ليس فى جهة فوق لأحد فيكون الصعود اليه ،ولا جهة لذات الحق تعالى وكلامه وأسمائه فيكون النزول منه الينا، وإنما النزول ونحوه باعتبار المتجلي له ومرتبته فالمرتبة هي سوغت التعبير بالنزول ونحوه والمخلوق مرتبته سافلة نازلة والحق تعالى رتبته عالية رفيع الدرجات، فلولا هذا ماكان التعبير بنزول ولا إنزال ولا صعود ولا عروج ولا تدل ولا تدان وإنما كان التعبير بالنبأ للمجهول لأن

التجلي صادر من الحضرة الجامعة لجميع أسماء الألوهية ولا يتجلى منها إلا حضرة الآله وحضرة الرب وحضرة الرحمن قال ، وجاء ربك ، وقال ، ينزل ربنا ، كما ورد فى الخبر وقال تعالى ،ألا ان يأتيهم الله، وغير ممكن أن تتجلى حضرة من الحضرات بجميع مااشتملت عليه من الاسماء فهي دائما تتجلى بالبعض وتستر بالبعض مما اشتملت عليه فافهم ،فآلهنا وآله كل طائفة من الطوائف المخالفة لنا واحد وحدة حقيقية كما قال فى آي كثيرة ، وآلهكم آله واحد ، وقال، وما من آله إلا الله وإن تباينت تجلياته مابين اطلاق وتقييد وتنزيه وتشبيه وتنوعت ظهوراته ،فظهر للمحمدين مطلقا عن كل صورة فى حال ظهوره فى كل صورة من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج ، وظهر للنصارى مقيدا بالمسيح والرهبان كما أخبر تعالى عنهم فى كتابه ولليهود فى العزير والأحبار ، وللمجوس فى النار وللثنويه فى النور والظلمة، وظهر لكل عابد شيء فى ذلك الشيء من حجر وشجر وحيوان ونحو ذلك ، فما عبد العابدون الصور المقيدة لذاتها ولكن عبدوا ما تجلى لهم في تلك الصورة من صفات الآله الحق تعالي وهو الوجه الذى لكل صورة من الحق تعالى فالمقصود بالعبادة واحد من جميع العابدين ولكن وقع الخطأ فى تعيينه فآلهنا وإله اليهود والنصارى والصابئة وجميع الفرق الضالة واحد، كما أخبر تعالى الا أن تجليه لنا غير تجليه فى نزوله الى النصارى ، غير تجليه فى نزوله لليهود ، غير تجليه لكل فرقة على حدتها ، بل تجليه فى تنزله للامة المحمدية متباين متخالف ؛ ولذلك تعددت الفرق فيها إلى ثلاث وسبعين فرقة ، وفى نفس هذه الفرق فرق بينها تباين وتخالف كما لا يخفى على من توغل فى علم الكلام وما ذلك إلا لتنوع التجلى بحسب المتجلى له واستعداده والمتجلي تعالى واحد فى كل تنوع وظهور ماتغير من الأزل إلي

الا بد ، ولكنه تعالى ينزل لكل مدرك بحسب إدراكه والله واسع عليم ، فانتفت جميع الفرق في المعنى المقصود بالعبادة ، حيث كانت العبادة ذاتية للمخلوق وإن لم يشعر بها إلاّ القليل من حيث العبادة المطلقة لا من حيث أنها كذا وكذا واختلفت في تعيينه ، فنحن للآله الكل مسلمون وبه مؤمنون ، كما أمرنا أن نقول وماشقي من شقي إلاّ بكونه عبده في صورة محسوسة محصورة ، وما عرف ماقلنا الا خواص المحمديين دون من سواهم من الطوائف ، فليس في العالم جاحد للآله مطلقا من طبائعي ودهري وغيرهما ، وإن فهمت عباراته غير هذا فانما ذلك لسوء التعبير فالكفر في العالم كله إذن نسبي ، وهنا نكتة ان شعرت بها فمن لم يعرف الحق تعالي المعبود هذه المعرفة عبد ربا مقيدا في اعتقاده ، محجرا عليه ان يتجلى لأحد بغير صورة اعتقاده هذا المعتقد وكان المعبود الحق تعالى بمعزل عن جميع الارباب ، وهذا من جملة الاسرار التي يجب كتمها عن غير أهل طريقتنا ويكون مظهره من الفتانين لعباد الله تعالى فالحذر الحذر ، ولا ذنب على من كفر ، مظهره من العلماء ، أو نسبه الى الزندقة حيث لا تقبل منه توبة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(الموقف المايتان السابع والأربعون)

قال تعالى ، وهل أتاك نبأ الخصم ، الى قوله وحسن مآب ، اعلم ان داوود عليه السلام كان انسانا كاملا وخليفة ظاهرا وباطنا وما نص الله تعالى في كتابه على خلافة أحد من الخلفاء الا عليه في قوله ، ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، وآدم عليه السلام في قوله للملائكة ، إني جاعل في الارض خليفة ، أي مسكنه بجسمه يكون في الأرض والا فالخليفة نافذ الحكم في العالم كله أعلاه وأسفله والانسان الكامل الخليفة له استعداد للظهور

بجميع الأسماء الآلهيـة على التمام ، ذاتيّة وصفاتية لأنه مخلوق على الصورة وذلك ممكن غـير واقـع ، ولمـا ظهر داود عليـه السلام بالأسماء التسعة والتسعين المشار اليها بقوله صلى الله عليـه وسلم ، إن لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحد ، تعلقت همته بالظهور بكمال المائة وهو الاسم الذاتى الخاص بها ، غار الحق تعالى من المشاركة بالظهور باسم الذات فارسل تعالى الى داود عليه السلام ملـكين فى صورة رجلين متخاصمين ، أحدهما نائب الحق تعالى والآخر نائب عن داود عليـه السلام ، فقال نائب الحق تعالى نحن خصمان بغي بعضنا على بعض ، أي عدل عن خلقه وطلب غير مستحقه ، يريد داود عليه السلام فيما سمت همته اليه فاحكم بيننا بالحق وهو اعطاء كل مستحق حقه وليس لداود عليه السلام حق فى الظهور بالاسم الذاتي وان كان له استعداد لذلك إن هذا أخي ، يريد نائب داود عليه السلام وهو المدعي عليه ، ومن أسمائه تعـالى المؤمن ، وقد ورد فى الخـبر المؤمن أخو المؤمن ، وفى هـذا القول تسلية وتطييب لقلب داود عليه السلام ، حيث أنزل نائب الحق تعالى نائبه منزلة الأخ ، والغالب مشاركة الأخوين فيما لهما ، له تسع وتسعون نعجة كناية عن ظهور داود عليـه السلام بالتسعـة والتسعين اسما ، ولى نعجة واحدة ، يريد ما تقدمت لأحد فيها شركة ولا طلب أحـد الشركة فيها قبله ، فقال أكفلنيها ، ضمها الى مع التسعة والتسعين نعجة ، ففهم داود عليـه السلام المثل المضروب له أول ما تـكلم به الخصم وهو نائب الحق تعـالى ، ولذا حكم له ولم يتربص لـكلام المدعى عليـه ، ولا قال له أدل بحجتك ، بل ولا تـكلم المدعى عليه بشيء ، وبادر داود عليه السلام بقوله ، لقد ظلمك ، يريد داود عليـه السلام نفسه لا الملك الذي هو نائبه ، وظن

داود عليه السلام ، عند ذلك أن الوارد الذى ورد عليه بطلب الظهور بالاسم المكمّل مائة ، انما هو فتنة واختبار من الحق تعالى له ، ثم راجع علمه فان المثل المضروب أذهله وأقلقه ، فاستغفر ربه من هذا الظن الذى صدر منه فلتة لا غير ، ولذا كان التعبير بالفاء ، فالاستغفار والانابة مفرعان عن الظن ، إذ ليس لكامل أن يظن بربه هذا ، فانه إنما يأتي مايأتي بالقاء آلهي أما بواسطة ملك ، أو من جهة الوجه الخاص به ، فهو على بصيرة وبيّنة فى كل ما يأتي ويذر ، وأمر الحق تعالى للكمّل لا تكون حبائل المكر ، ولكن الحق تعالى قد يأمرهم بأشياء فى بواطنهم ويمنعهم منها ظاهر الحكم ، والحكمة هنا هي الاّ يطلب أحد من الخلفاء الكاملين بعد داود عليه السلام الظهور بالاسم الذاتي وهو المكمّل مائة ، فانه اذا منعه داود وهو المنصوص على خلافته في القرآن ، وهو الذى كمّل به ظهور الخلافة فانها من عهد آدم عليه السلام ، وهي تتزايد فى الظهور الي أن كمل ظهورها بداود عليه السلام، فغيره ممن لم ينص الحق تعالى على خلافته أولي بالمنع ، فاياك أن تسمع لخرافات القصاص وجهلة المؤرخين ومن قلدهم من بعض المفسرين المولعين بنقل أمثال هذا عن أهل الكتاب ، فان مقام النبوة أعلا من أن يتكلم فيه برأي أو قياس ، وأعز من أن يدرك لغير نبي فما علم العلماء من مقام النبوة الاسماء إلاّ ماعلمه الناس من النجوم عن ظهورها فى الماء ، فالحذر الحذر من الخوض فى النبوة والانبياء مطلقا ، فالله يعصمنا وإياكم من الزلل فى القول والعمل ، وبعد كتابتى لهذا الموقف بقليل ورد علىّ فى الواقعة قوله ، وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية.

تم الجزء الأول ويليه الثاني

قد تم مقابلة هـذا الجزء على أصله على قدر الامكان فى يوم الثلاثاء الموافق أول شهر صفر الخير لسنة ١٣٢٩ هجرية الموافق ٣١ يناير سنة ١٩١١ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ونقل من نسخة بخط الشيخ عبد الرزاق البيطار وكان على هامش الأصل تصحيح بخط المؤلف رضي الله عنه ونفعنا به آمين

ظهرت بعض أخطاء مطبعية فى هذا الجزء ندرجها فى

هذاالجدول

الموقف	ص	خطأ	صواب
٨٨	١٩٢	السفسطائيين	السفسطا ئية
١٠٠	١٩٨	فتسمتد	فتستمد
١٠٨	٢١٣	مختلفين	مختلفتين
١٠٩	٢١٨	ساقطة	أو فى العالم
١٢٣	٢٤٥	مندمجة	مندرجه
١٤٠	٢٨٤	الي ملتنا	فى ملتنا
١٤٠	٢٨٥	راه	لما رأوه
١٤٧	٢٩٨	ساقطة	رؤيته
١٤٩	٣٠٣	فى	من
١٧٢	٣٤٣	ساقطه	الى
١٧٣	٣٤٤	ساقطه	بعضهم
١٨٤	٣٦٤	وأطاعهم	وأعطاهم
١٩٥	٣٨٣	ساقطة	أنه

٨٤	٧٠١
٥٠١	٨٩١
٨٠٤	
٩٠١	[illegible]
	٥[illegible]
٥٣١	٥٨٩